شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار

المجلد الثاني

العلاّمة المجلسي (ره)

تتمة المختار من الخطب

129 و من خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل و الموازين

عباد اللّه ، إنّكم و ما تأملون من هذه الدّنيا أثوياء (1709) مؤجلون ، و مدينون مقتضون : أجل منقوص ، و عمل محفوظ . فربّ دائب (1710) مضيّع ، و ربّ كادح (1711) خاسر . و قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلاّ إدبارا ، و لا الشرّ فيه إلاّ إقبالا ، و لا الشّيطان في هلاك النّاس إلاّ طمعا . فهذا أوان قويت عدّته ، و عمّت مكيدته ،

و أمكنت فريسته (1712) . اضرب بطرفك حيث شئت من النّاس ، فهل تبصر إلاّ فقيرا يكابد فقرا ، أو غنيّا بدّل نعمة اللّه كفرا ، أو بخيلا اتّخذ البخل بحقّ اللّه وفرا ، أو متمرّدا كأنّ بأذنه عن سمع المواعظ وقرا أين أخياركم و صلحاؤكم و أين أحراركم و سمحاؤكم و أين المتورّعون في مكاسبهم ، و المتنزّهون في مذاهبهم أليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدّنيا الدّنيّة ، و العاجلة المنغّصة ، و هل خلقتم إلاّ في حثالة (1713) لا تلتقي إلاّ بذمّهم الشّفتان ، استصغارا لقدرهم ،

و ذهابا عن ذكرهم « فإنّا للّه و إنا إليه راجعون » « ظهر الفساد » ، فلا

[12]

منكر مغيّر ، و لا زاجر مزدجر . أفبهذا تريدون أن تجاوروا اللّه في دار قدسه ، و تكونوا أعزّ أوليائه عنده ؟ هيهات لا يخدع اللّه عن جنّته ، و لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته . لعن اللّه الآمرين بالمعروف التّاركين له ، و النّاهين عن المنكر العاملين به

بيان :

« الأثوياء » جمع « ثوى » و هو الضيف . « مؤجّلون » أي مؤخّرون إلى وقت معلوم . و « المدين » المديون . و « المقتضون » جمع « مقتضى » على بناء المفعول .

« أجل منقوص » أي أجلكم أجل منقوص يوما فيوما و لحظة فلحظة ، و عملكم عمل محفوظ عند الله . و « الدائب » المجتهد ذو الجدّ و التعب . و « الكادح » الساعي و « أمكنت » أي . أمكنته ، يقال : « أمكنني الأمر » أي سهل و تيسّر . و « كابده مكابدة » قاساه و تحمّل المشاق فيه ، و ذكره في هذا المقام إمّا لأنّ الغرض بيان ما سبق من إدبار الخير و إقبال الشر و عموم الضلال ، و مقاساة الفقراء بيان للأوّلين ، فالخير و الشر يعمّان الدنويين و الأخرويّين ، و إمّا لأنّ شيوع الفقر ، لمنع الحقوق الواجبة ، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه و هو أيضا من المنكرات . « بدّل نعمة الله » أي الغناء و ولايته عليه السلام ، و التخصيص لشدّة إنكارهم لقوّتهم أو الأعمّ . و « الوفر » المال الكثير .

و قوله عليه السلام « بحقّ الله » متعلّق بالبخل ، أي يعدّ بخله بحقّ الله توفير المال و الزيادة فيه . و « الوقر » ثقل الأذن .

« أين أحراركم » أي الذين اعتقوا من رقّ الشهوات . و « التورع » مبالغة في الورع . و « التنزّه » التباعد من القبيح . و « ظعن » كمنع أي سار و ارتحل : و « أنغص الله عليه العيش و نغّصه » كدّره . و « الحثالة » الردى من كلّ شيء . « لا تلتقى بذمّهم » أي إنّهم أحقر من أن يشغل الإنسان بذمّهم لأنّه لا بد في الذم من إطباق إحدى الشفتين على الأخرى . و « ذهابا » أي ترفّعا . يقال : « فلان ذهب بنفسه عن كذا » أي رفعها عنه . و « لا زاجر مزدجر » أي من يزجر غيره عن القبائح و تمتنع نفسه إيضا عنها . « في دار قدسه » إي الجنّة لأنّ أهلها يقدّسونه تعالى و هم منزّهون عن العيوب و « مجاورة

الله » سكون تلك الدار المنسوبة إليه سبحانه تشريفا ، و قربه مجاورة رحمته .

« هيهات » أي بعد ما تريدون . « لا يخدع الله عن جنّته » أي لا يمكن أخذها منه تعالى بالخديعة . و « المرضاة » الرضا . و آخر الكلام يدلّ على اشتراط الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بالعمل بهما . و سيأتي الكلام فيه في محلّه إن شاء الله ، و لعلّ غرضه عليه السلام التعريض بالسابقين الغاصبين . 518

130 و من كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة (1714)

يا أبا ذرّ ، إنّك غضبت للّه ، فارج من غضبت له . إنّ القوم خافوك على دنياهم ، و خفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، و اهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ،

و ما أغناك عمّا منعوك و ستعلم من الرّابح غدا ، و الأكثر حسّدا .

و لو أنّ السّماوات و الأرضين كانتا على عبد رتقا ، ثمّ اتّقى الله ، لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسنّك إلاّ الحقّ ، و لا يوحشنّك إلاّ الباطل ،

فلو قبلت دنياهم لأحبّوك ، و لو قرضت (1715) منها لأمّنوك .

بيان :

قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام : قد روى هذا الكلام أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في كتاب السقيفة عن عبد الرزّاق ، عن أبيه عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لمّا أخرج أبوذرّ إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلّم أحد أباذرّ و لا يشيّعه ، و أمر مروان بن الحكم أن يخرج به [519] فتحاماه الناس

----

(518) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 687 ، ط كمپاني و ص 636 ، ط تبريز .

[519] في المصدر : و أمر مروان بن الحكم أن يخرج به ، فخرج به . . .

إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام و عقيلا أخاه و حسنا و حسينا عليهما السلام و عمّار بن ياسر ، فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه .

فجعل الحسن عليه السلام يكلّم أباذرّ فقال له مروان : ايها يا حسن ألا تعلم أنّ أمير المؤمنين قد نهى عن كلام ذلك الرجل ، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك .

فحمل عليّ عليه السلام على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته ،

و قال : تنحّ لحاك الله إلى النار .

فرجع مروان مغضبا إلى عثمان فأخبره الخبر ، فتلظّى على عليّ عليه السلام . و وقف أبوذرّ فودّعه القوم و معه ذكوان مولى أمّ هانيء بنت أبي طالب ، قال ذكوان : فحفظت كلام القوم و كان حافظا ، فقال عليّ عليه السلام :

يا باذرّ إنّك غضبت لله ، إنّ القوم خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك ،

فامتحنوك بالقلا ، و نفوك إلى الفلا ، و الله لو كانت السماوات و الأرض على عبد رتقا ثمّ اتّقى الله لجعل منهما مخرجا ، يا باذرّ لا يؤنسنّك إلاّ الحقّ و لا يوحشنّك إلاّ الباطل .

ثمّ قال لأصحابه : ودّعوا عمّكم . و قال لعقيل : ودّع أخاك .

فتكلّم عقيل فقال : ما عسى أن نقول يا باذرّ أنت تعلم أنّا نحبّك و أنت تحبّنا فاتّق الله ، فإنّ التقوى نجاة و اصبر فإنّ الصبر كرم ، و اعلم أنّ استثقالك الصبر من الجزع و استبطاءك العافية من اليأس ، فدع اليأس و الجزع .

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام فقال : يا عمّاه لو لا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت ، و للمشيّع أن ينصرف لقصر الكلام و إن طال الأسف ، و قد أتى القوم إليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكّر فراقها ، و شدّة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها ، و اصبر حتّى تلقى نبيّك صلّى الله عليه و آله و هو عنك راض .

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال : يا عمّاه إنّ الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى ، و الله كلّ يوم في شأن [520] ، و قد منعك القوم دنياهم ، و منعتهم دينك فما أغناك عمّا منعوك ، و أحوجهم إلى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر و النصر ، استعذبه من

[520] في المصدر : كلّ يوم هو في شأن .

الجشع و الجزع ، فإنّ الصبر من الدين و الكرم ، و إنّ الجشع لا يقدم رزقا و الجزع لا يؤخّر أجلا .

ثمّ تكلّم عمّار رحمه الله مغضبا فقال : لا آنس الله من أوحشك ، و لا آمن من أخافك ، أما و الله لو أردت دنياهم لآمنوك ، و لو رضيت أعمالهم لأحبّوك ، و ما منع الناس أن يقولوا بقولك إلاّ الرضا بالدنيا ، و الجزج من الموت و مالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه ، و الملك لمن غلب ، فوهبوا لهم دينهم ، و منحهم القوم دنياهم ، فخسروا الدنيا و الآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين .

فبكى أبوذّر رحمه الله و كان شيخا كبيرا ، و قال : رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلّى الله عليه و آله ، ما لي بالمدينة سكن و لا شجن غيركم ، إنّي ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام ،

و كره أن أجاور أخاه و ابن خاله بالمصرين فأفسد الناس عليهما ، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر و لا دافع إلاّ الله ، و الله ما أريد إلاّ الله صاحبا ، و ما أخشى مع الله وحشة .

و رجع القوم إلى المدينة فجاء عليّ عليه السلام إلى عثمان ، فقال له :

ما حملك على ردّ رسولي و تصغير أمري ؟

فقال عليّ عليه السلام : أمّا رسولك فأراد أن يردّ وجهى فرددته و أمّا أمرك فلم أصغره .

قال : أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذرّ ؟

قال : أو كلّ ما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه ؟

قال عثمان : أقد مروان من نفسك .

قال : ممّ ذا ؟

قال : من شتمه و جذب راحلته .

قال : أمّا الراحلة فراحلتي بها ، و أمّا شتمه إيّاي فو الله لا يشتمني شتمة إلاّ شتمتك ، لا أكذب عليك .

فغضب عثمان و قال : لم لا يشتمك كأنّك خير منه ؟

[16]

قال عليّ عليه السلام إي و الله و منك .

ثمّ قام فخرج . فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين و الأنصار و إلى بني أميّة يشكو إليهم عليّا عليه السلام ، فقال القوم : أنت الوالي عليه ، و إصلاحه أجمل .

قال : وددت ذاك .

فأتوا عليّا عليه السلام و قالوا : لو اعتذرت إلى مروان و أتيته .

فقال : كلاّ ، أمّا مروان فلا آتيه و لا أعتذر إليه [521] ، و لكن إن أحبّ عثمان أتيته .

فرجعوا إلى عثمان فأخبروه ، فأرسل إليه فأتاه و معه بنو هاشم ، فتكلّم علي عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال : أمّا ما وجدت عليّ فيه من كلام أبي ذرّ و وداعه فو الله ما أردت مناواتك [522] و لا الخلاف عليك و لكن أردت به قضاء حقّه ،

و أمّا مروان فإنّه اعترض ، يريد ردّي عن قضاء حقّ الله عزّ و جلّ فرددته ردّ مثلي مثله ، و أمّا ما كان منّي إليك فإنّك أغضبتني فاخرج الغضب منّي ما لم أردّه .

فتكلّم عثمان فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال : أمّا ما كان منك إليّ فقد وهبته لك ، و أمّا ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك ، و أمّا ما حلفت عليه فأنت البرّ الصادق ، فادن يدك ، فأخذ يده فضمّها إلى صدره .

فلمّا نهض قالت قريش و بنو أميّة لمروان : أنت رجل جبهك [523] عليّ فضرب راحلتك ، و قد تفانت وائل في ضرع ناقة ، و ربيان و عبس في لطمة فرس [524] ، و الأوس و الخزرج في نسعة ، أفتحمّل لعليّ عليه السلام ما أتى إليك .

فقال مروان : و الله لو أردت ذلك لما قدرت عليه .

[521] في المصدر : و لا أعتذر منه .

[522] في المصدر : مساءتك .

[523] « جبه الرجل » ضربه على جبهته ، فاجأه ، ردّه عن حاجته . « جبهه بالمكروه » استقبله به .

[524] « وائل » كليب بن ربيعة . راجع حروب أيّام العرب يوم البسوس . و « ربيان » مصحف [ذبيان] وقعت بين ذبيان و عبس حروبا عظيمة و بقيت نار الحرب مستعرة مدّة مديدة بسبب فرسين اسمهما داحس و الغبراء ، و سمّي بعض أيّامهم بيوم داحس و يوم الغبراء .

[17]

و اعلم أنّ الّذي عليه أكثر أرباب السير و علماء الأخبار و النقل أنّ عثمان نفى أباذرّ أوّلا إلى الشام ، ثمّ استقدمه إلى المدينة لمّا شكى منه معاوية ثمّ نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام . و أصل هذه الواقعة أنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم و غيره بيوت الأموال و اختصّ زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبوذرّ يقول بين الناس و في الطرقات و الشوارع : بشّر الكافرين بعذاب أليم ، و يرفع بذلك صوته ، و يتلو قوله تعالى وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ و لا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ 525 فرفع ذلك إلى عثمان مرارا و هو ساكت ، ثمّ إنّه أرسل إليه مولى من مواليه أن انته عمّا بلغني عنك فقال أبوذرّ : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب اللّه تعالى و عيب من ترك أمر اللّه ؟ فو اللّه لأن أرضى اللّه بسخط عثمان أحبّ إليّ و خير لي من أن أسخط اللّه برضى عثمان .

فأغضب عثمان ذلك و أحفظه فتصابر و تماسك إلى أن قال عثمان يوما و الناس حوله : أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئا قرضا ، فإذا أيسر قضى ؟

فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك .

فقال أبوذرّ : يابن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا ؟

فقال عثمان : قد كثر أذاك لي و تولّعك بأصحابي ، الحق بالشام ، فأخرجه إليها .

فكان أبوذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار ، فقال أبوذرّ لرسوله : إن كانت من عطائي الّذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها ،

و إن كانت صلة فلا حاجة لي فيها و ردّها عليه . ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبوذرّ : يا معاوية إن كانت هذه من مال اللّه فهي الخيانة ، و إن كانت من مالك فهي الإسراف . و كان أبوذرّ يقول بالشام : و اللّه لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، و اللّه ما هي في كتاب اللّه و لا سنّة نبيّه ، إنّي لأرى حقّا يطفأ ، و باطلا يحيى ، و صادقا مكذّبا ، و أثرة بغير تقى ، و صالحا مستأثرا عليه .

----

(525) التوبة : 34 .

[18]

فقال حبيب بن مسلمة الفهريّ لمعاوية : إنّ أباذرّ لمفسد عليكم الشام ، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة .

و روى أبو عثمان الجاحظ عن جلام بن جندل الغفاريّ قال : كنت عاملا لمعاوية على قنسّرين و العواصم في خلافة عثمان ، فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملي ، إذ سمعت صارخا على باب داره يقول : أتتكم القطار بحمل النار ، اللّهمّ العن الآمرين بالمعروف التاركين له ، اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له .

فاز بأر معاوية و تغيّر لونه و قال : يا جلام أتعرف الصارخ ؟

فقلت : اللّهمّ لا .

قال : من عذيرى من جندب بن جنادة ، يأتينا كلّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت .

ثمّ قال : أدخلوه ، فجيء بأبي ذرّ بين قوم يقودونه حتّى وقف بين يديه ، فقال له معاوية : يا عدوّ الله و عدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع ، أما إنّي لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك و لكنّي أستاذن فيك .

قال جلام : و كنت أحبّ أن أرى أباذرّ لأنّه رجل من قومي ، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ، ضرب من الرجال ، خفيف العارضين ، في ظهره حناء فأقبل على معاوية و قال : ما أنا بعدو لله و لا لرسوله ، بل أنت و أبوك عدوّان لله و لرسوله ، أظهرتما الاسلام ،

و أبطنتما الكفر ، و لقد لعنك رسول الله صلّى الله عليه و آله و دعا عليك مرّات أن لا تشبع ، سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول : « إذا ولّى الامّة الأعين الواسع البلعوم الّذي يأكل و لا يشبع فلتأخذ الامّة حذرها منه » .

فقال معاوية : ما أنا ذلك الرجل .

قال أبوذرّ : بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله صلّى الله عليه و آله و سمعته يقول و قد مررت به : « اللّهمّ العنه و لا تشبعه إلاّ بالتراب » و سمعته يقول : « أسيت [526] معاوية في النار » .

[526] في المصدر : الست .

[19]

فضحك معاوية و أمر بحبسه ، و كتب إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية : أن احمل جندبا إليّ على أغلظ مركب و أوعره . فوجّه به من سار به [527] الليل و النهار ، و حمله على شارف ليس عليها إلاّ قتب حتّى قدم به المدينة ، و قد سقط لحم فخذيه من الجهد فلمّا قدم بعث إليه عثمان : أن الحق بأيّ أرض شئت .

قال بمكّة .

قال : لا .

قال : بيت المقدس .

قال : لا .

قال : بأحد المصرين .

قال : لا .

قال : و لكنّي مسيّرك إلى الربذة فسيّره إليها ، فلم يزل بها حتّى مات .

و في رواية الواقديّ أنّ أباذرّ لمّا دخل على عثمان قال له :

لا أنعم الله بقين عينا
نعم و لا لقّاه يوما زينا

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبوذرّ : ما عرفت اسمي قينا .

و في رواية أخرى : لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب . فقال أبوذر : أنا جندب و سمّاني رسول الله صلّى الله عليه و آله عبد الله ، فاخترت اسم رسول الله صلّى الله عليه و آله الّذي سمّانى به على اسمي .

فقال له عثمان : أنت الّذي تزعم أنّا نقول : يد اللَّه مغلولة ، و أنّ اللَّه فقير و نحن أغنياء ؟

فقال أبوذرّ : لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال اللَّه على عباده و لكنّي أشهد [528] لسمعت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يقول : « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين

[527] في المصدر : مع من ساربه .

[528] في المصدر : أشهد أنّي سمعت .

[20]

رجلا جعلوا مال اللَّه دولا ، و عباده خولا [529] » .

فقال عثمان لمن حضر : أسمعتموها من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ؟

قالوا : لا .

قال عثمان : و يلك يا أباذرّ أتكذب على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ؟

فقال أبوذرّ لمن حضر : ما تدرون [530] أنّي صدقت ؟

قالوا : لا و اللَّه ما ندري .

فقال عثمان : ادعوا لي عليّا .

فلمّا جاء ، قال عثمان لأبي ذرّ : اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص .

فأعاده فقال عثمان لعليّ عليه السلام : أسمعت هذا من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ؟

قال : لا ، و صدق أبوذرّ .

فقال : كيف عرفت صدقه ؟

قال : لأنّي سمعت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يقول : « ما اظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ » .

فقال من حضر : أمّا هذا فسمعناه كلّنا من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله .

فقال أبوذرّ : أحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله فتتهموني ؟ ما كنت أظنّ أنّي أعيش حتّى اسمع هذا من أصحاب محمّد صلى اللَّه عليه و آله و في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميّين ، قال : رأيت أباذرّ يوم دخل به على عثمان ، فقال له : أنت الّذي فعلت و فعلت .

[529] في المصدر بعده : و دينه دخلا .

[530] في المصدر : أما تدرون .

[21]

فقال أبوذرّ : نصحتك فاستغششتني ، و نصحت صاحبك فاستغشّني .

قال عثمان : كذبت ، و لكنّك تريد الفتنة و تحبّها ، قد انغلت الشام علينا .

فقال له أبوذر : اتبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام .

فقال عثمان : مالك و ذلك ؟ لا أمّ لك .

قال أبوذر : ما وجدت لي عذرا إلاّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

فغضب عثمان و قال : أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب ، إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله ، فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين ، أو أنفيه من أرض الإسلام .

فتكلّم عليّ عليه السلام و كان حاضرا فقال : أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون : « و ان يك كاذبا فعليه كذبه ، و إن يك صادقا يصبكم بعض الّذي يعدكم ،

إنّ اللّٰه لا يهدي من هو مسرف كذاب . » 531 فأجابه عثمان بجواب غليظ ، و أجابه عليّ عليه السلام بمثله ، و لم يذكر الجوابين تذمّما منهما .

قال الواقدي : ثمّ إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أباذرّ أو يكلّموه فمكث كذلك أيّاما ثم أتي به فوقف بين يديه ، فقال أبوذرّ : ويحك يا عثمان أما رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و رأيت أبا بكر و عمر ، هل هديك كهديهم ؟ أما إنّك لتبطش بي بطش جبّار .

فقال عثمان : اخرج عنّا من بلادنا .

فقال أبوذر : ما أبغض إليّ جوارك ، فإلى أين أخرج ؟

قال : حيث شئت .

قال : أخرج إلى الشام أرض الجهاد .

قال : إنّما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها ، أفأردّك إليها ؟

قال : أفاخرج إلى العراق ؟

قال : لا . إنّك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولي شبه و طعن على الأئمّة

----

(531) الغافر : 28

و الولاة .

قال : أفأخرج إلى مصر ؟

قال : لا .

قال : فإلى أين أخرج ؟

قال : إلى البادية .

قال أبوذرّ : أصير بعد الهجرة أعرابيّا ؟

قال : نعم .

قال أبوذر : فأخرج إلى بادية نجد .

قال عثمان : بل إلى الشرف الأبعد فأقصى [532] ، امض على وجهك هذا ، فلا تعدون [533] . فخرج إليها .

و روى الواقديّ أيضا عن مالك بن أبي الرجا [534] عن موسى بن ميسرة أنّ أبا الأسود الدؤليّ قال : كنت أحبّ لقاء أبي ذرّ لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة ،

فجئته فقلت له : ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت [535] ؟

فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى المدينة .

فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى المدينة .

فقلت : دار هجرتي ، فأخرجت من المدينة إلى ما ترى .

ثمّ قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إذ مرّ بي صلى اللّه عليه و آله فضربني برجله ، و قال : لا أراك نائما في المسجد .

فقلت : بأبي أنت و امّي غلبتني عيني فنمت فيه .

قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟

قلت : آخذ سيفي فأضربهم به .

[532 في المصدر : اقصى فأقصى .

[533] في المصدر : فلا تعدون ربذة .

[534] في المصدر : مالك بن أبي الرجال .

[535] في المصدر : أم أخرجت كرها .

فقال : ألا أدلّك على خير من ذلك ؟ انسق معهم حيث ساقوك ، و تسمع و تطيع ، فسمعت و أطعت و أنا أسمع و اطيع ، اللّه ليلقينّ اللّه عثمان و هو آثم فى جنبي . 536 انتهى كلامه .

و إنّما أوردته بطوله لتعلم أنّ قبائح أعمال عثمان و طغيانه على أبي ذرّ و غيره متواتر بين الفريقين .

بيان

يقال : « لحاه اللّه » أي قبّحه و لعنه ، و « ازبأر الكلب » تنفّش ،

و « [ازبأرّ] الرجل للشرّ » تهيّا . و « الضرب بالفتح » الرجل الخفيف اللحم . و « البلعوم » بالضمّ ، مجرى الطعام في الحلق . و « اسيت » كأنّه تصغير الإست . و « الشارف من النوق » المسنّة الهرمة . و « انغله » أفسده . و في القاموس : « الشرف » المكان العالي ،

و جبل قرب جبل شريف ، و الربذة و الشرف الأعلى : جبل قرب زبيد .

أقول : قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : روى أبو عمرو [537] ابن عبد البرّ في كتاب الاستيعاب لمّا حضر أباذرّ الوفاة و هو بالربذة بكت زوجته امّ ذرّ ، قالت :

فقال لي : ما يبكيك ؟

فقلت [538] : ما لي لا أبكي و أنت تموت بفلاة من الأرض ، و ليس عندي ثوب يسعك كفنا ، و لا بدّ لي من القيام بجهازك .

فقال : أبشري و لا تبكي ، فإنّي سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله يقول : « لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران و يحتسبان فيريان النار أبدا » . و قد مات لنا ثلاثة من الولد ، و سمعت أيضا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله يقول لنفر ، أنا فيهم : « ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين » ،

و ليس من اولئك النفر أحد إلاّ و قد مات في قرية و جماعة ، فأنا لا أشك أنّي ذلك الرجل ،

و اللّٰه ما كذبت و لا كذبت ، فانظري الطريق .

----

(536) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 8 ، ص 252 261 ، ط بيروت .

[537] الصحيح هو أبو عمر .

[538] فقالت . خ ل .

قالت أمّ ذرّ : فقلت : أنّى و قد ذهب الحاجّ و تقطّعت الطرق ؟

فقال : اذهبي فتبصّري .

قالت : فكنت أشتدّ إلى الكثيب فأصعد فأنظر ثمّ أرجع إليه فامرّضه ، فبينا أنا و هو على هذه الحال إذا أنا برجال على ركابهم كأنهم الرخم تخبّ [539] بهم رواحلهم ،

فأسرعوا إليّ حتّى وقفوا عليّ ، و قالوا : يا أمة اللّٰه مالك ؟

فقلت : امرؤ من المسلمين يموت تكفّنونه ؟

قالوا : و من هو ؟ قلت : أبوذرّ .

قالوا : صاحب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله ؟

قلت : نعم .

ففدوه بآبائهم ، و امّهاتهم و أسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه .

فقال لهم : أبشروا فإنّي سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله يقول لنفر أنا فيهم : « ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين » و ليس من اولئك النفر أحد إلاّ و قد هلك في قرية و جماعة ، و اللّٰه ما كذبت و لا كذبت و لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أو لامرأتي لم اكفن إلاّ في ثوب لي أولها ، و إنّي انشدكم اللّٰه أن يكفّنني رجل منكم كان أميرا أو عريّفا أو بريدا أو نقيبا .

قالت : و ليس في اولئك النفر أحد إلاّ و قد قارف بعض ما قال إلاّ فتى من الأنصار .

قال له : أنا اكفّنك يا عمّ في ردائي هذا ، و ثوبين معي في عيبتي من غزل امي .

فقال أبوذرّ : أنت تكفّني .

فمات فكفّنه الأنصاريّ ، و غسّله في النفر الّذين حضروه و قاموا عليه و دفنوه في نفر كلّهم يمان .

قال أبو عمرو [540] بن عبد البرّ قبل أن يروي هذا الحديث : كان النفر الذين

[539] « خبّ الفرس في عدوه » راوح بين يديه و رجليه ، أي قام على إحداهما مرّة و على الأخرى مرّة .

[540] الصحيح هو أبو عمر .

حضروا موت أبي ذرّ الربذة مصادفة جماعة منهم حجر بن عديّ الّذي قتله معاوية و هو من أعلام الشيعة و عظمائها ، و أمّا الأشتر فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة ،

و قريء كتاب الاستيعاب على شيخنا عبد الوّهاب بن سكينة المحدّث و أنا حاضر ، فلما انتهى القاريء إلى هذا الخبر قال أستادي عمرو بن عبد اللّٰه الدباس و كنت أحضر معه سماع الحديث : لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت ، فما قال المرتضى و المفيد إلاّ بعض ما كان حجر و الأشتر يعتقدانه في عثمان و من تقدّمه ، فأشار الشيخ اليه بالسكوت فسكت .

انتهى كلامه بلفظه .

فانظر فيه ببصيرة تزدد يقينا .

أقول : و قال ابن عبد البر بعد نقل الرواية الطويلة : روى عنه جماعة من الصحابة و كان من أوعية العلم المبرّزين في الزهد و الورع و القول بالحقّ سئل عليّ عليه السلام عن أبي ذر ، فقال : ذلك رجل وعى علما عجز عنه الناس ، ثمّ أوكأ عليه و لم يخرج شيئا منه ، و روى عن النبي صلى اللّٰه عليه و آله أنّه قال : أبوذرّ في أمّتي شبيه عيسى بن مريم في زهده ، و بعضهم يرويه : من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر . 541

131 و من كلام له عليه السلام و فيه يبين سبب طلبه الحكم و يصف الإمام الحق

أيّتها النّفوس المختلفة ، و القلوب المتشتّتة ، الشّاهدة أبدانهم ،

و الغائبة عنهم عقولهم ، أظاركم 1716 على الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد هيهات أن أطلع بكم سرار 1717

----

(541) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 22 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّٰه عليه و آله ، ص 411 420 .

العدل ، أو أقيم اعوجاج الحقّ . اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسة في سلطان ، و لا التماس شيء من فضول الحطام ،

و لكن لنرد المعالم من دينك ، و نظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، و تقام المعطّلة من حدودك . اللّهمّ إني أوّل من أناب ، و سمع و أجاب ، لم يسبقني إلاّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بالصّلاة .

و قد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته 1718 ، و لا الجاهل فيضلّهم بجهله ، و لا الجافي فيقطعهم بجفائه ، و لا الحائف 1719 للدّول 1720 فيتّخذ قوما دون قوم ، و لا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، و يقف بها دون المقاطع 1721 ،

و لا المعطّل للسّنّة فيهلك الأمّة .

بيان :

« الغائبة عنهم » غيبة العقول عن أربابها أبلغ في الدلالة من غيبتها عمّن اعتبر الشهود بالنسبة إليه . « أظأركم » إي أعطفكم ، يقال : « ظأرت النّاقة إذا عطفت على ولد غيرها . و قال الجوهريّ : « المعز » من الغنم خلاف الضأن و هو اسم جنس و كذلك « المعزى » . و « الوعوعة » الصوت . قوله عليه السلام « هيهات » قال ابن أبي الحديد : يفسّره الناس بمعنى : هيهات أن أطلعكم مضيئين و منورين سرار العدل ،

و « السرار » آخر ليلة من الشهر و تكون مظلمة ، و يمكن أن يفسر بوجه آخر و هو أن يكون السرار بمعنى السرر و هو خطوط مضيئة في الجبهة ، و قد نصّ أهل اللغة على أنّه يجوز فيه

[27]

السّرار . قالوا : و يجمع سرار على أسرّة و يقولون : برقت أسرّة وجهه ، فالمعنى : هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل و يبرق وجهه . و يمكن أن ينصب سرار على الظرفيّة و يكون التقدير : هيهات أن أطلع بكم الحقّ زمان استسراره و استخفائه ، فيكون قد حذف المفعول و حذفه كثير . و قال الكيدريّ : « سرار الشهر و سرره » آخر ليلة منه ، و « السرار » المسارّة من السرّ ، و جمع سرر الكفّ و الجبهة ، و « سرار العدل » أي في سرار فحذف حرف الجرّ و وصل الفعل ، و قيل : أي هيهات أن أظهر بمعونتكم ما خفى و استسرّ من أقمار العدل و أنواره . انتهى .

و لعلّ المراد ب « الّذي كان » الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع ، و لم يكن ناقصة و كان تامّة . و « المناقشة » المغالبة في الشيء النفيس . و « الحطام » ما تكسر من اليبس ، و هو كناية عن متاع الدنيا ، و المراد بفضوله زخارفها و زينتها و ما لا يحتاج إليه منها . و « معالم الدين » الآثار التي يهتدى بها . و « الإنابة » الرجوع . قوله عليه السلام « نهمته » أي حرصه و جشعه على أموال رعيته ، و من رواه « نهمة » بالتحريك فهى إفراط الشهوة في الطعام . و « الجفاء » خلاف البرّ و الصلة ، و « رجل جافي الخلقة و الخلق » أي منقبض غليظ . « فيقطعهم » أي عن الوصول إليه ، أو عن حاجاتهم ، أو بعضهم عن بعض لتفرقهم ، و الأوّل أظهر و إن لم يذكره أحد .

قوله عليه السلام « و لا الحائف » بالحاء المهملة ، من « الحيف » و هو الظلم و الجور . و « الدول » بضمّ الدال المهملة ، جمع « الدولة » بالضمّ و هى اسم المال المتداول ،

قال اللّه تعالى : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » 542 ، إذا لم يقسّم الإمام بالسويّة و يخصّ بالمال بعضهم دون بعض فيتّخذ قوما دون قوم فيفرّق المسلمين . و روي :

« الخائف » بالمعجمة ، و « الدول » بكسر الدال ، جمع « دولة » بالفتح ، و هي الغلبة ، أي من يخاف دول الأيام و تقلب الدهور فيتّخذ قوما يتوقّع نفعهم في دنياه و يقوّهم و يضعّف آخرين .

قوله عليه السلام « دون المقاطع » أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه

----

(542) الحشر : 7 .

[28]

بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالباطل ، أو يسوّف الحكم حتّى يضطرّ المحقّ و يرضى بالصلح فيذهب بعض حقّه ، و يحتمل أن يكون « دون » بمعنى « غير » أي يقف في غير مقطعة . قال ابن أبي الحديد : « فإن قلت : أفتراه عني بهذا قوما بأعيانهم ، قلت : الاماميّة تزعم أنّه رمز بالجفاء و العصبيّة لقوم دون قوم إلى عمر ، و رمز بالجهل إلى من كان قبله ،

و رمز بتعطيل السنّة إلى عثمان و معاوية . 543 انتهى . و الأظهر أنّ المراد بالبخيل عثمان لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين و لما مرّ منه عليه السلام في الشقشقيّة ،

و بالجاهل جميعهم ، و بالجافي عمر كما مرّ في الشقشقيّة ، و بالحائف للدول عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتهما ، و بالمعطّل للسنّة أيضا جميعهم . 544

[هذا بيان آخر في شرح الكلام :] بيان

« النهمة » بالفتح ، الحاجة و بلوغ الهمّة و الحاجة و الشهوة في الشيء ،

و بالتحريك كما في بعض النسخ ، إفراط الشهوة في الطعام . و « الجفاء » خلاف البرّ و الصلة ، و الغلظة في الخلق ، « فيقطعهم بجفائه » أي عن حاجتهم لغلظته عليهم ، أو بعضهم عن بعض لأنّه يصير سببا لتفرقتهم . و « الحائف » بالمهملة ، الظالم . و « الدول » بالضمّ ، جمع « دولة » و هي المال الّذي يتداول به ، فالمعنى : الّذي يجور و لا يقسم بالسوية و كما فرض اللّه ، فيتّخذ قوما مصرفا أو حبيبا فيعطيهم ما شاء و يمنع آخرين حقوقهم ، و في بعض النسخ بالخاء المعجمة ، و « الدول » بالكسر ، جمع « دولة » بالفتح ، و هي الغلبة في الحرب و غيره و انقلاب الزمان ، فالمراد الّذي يخاف تقلّبات الدهر و غلبة أعدائه فيتّخذ قوما يتوقّع نصرهم و نفعهم في دنياه و يقوّيهم بتفضيل العطاء و غيره ، و يضعف آخرين ،

و في بعضها بالمعجمة و ضمّ الدّال ، أي الّذي يخاف ذهاب الأموال و عدمها عند الحاجة ،

فيذهب بالحقوق أي يبطلها . و « يقف بها دون المقاطع » أي يجعلها موقوفة عند مواضع قطعها فلا يحكم بها بل يحكم بالباطل ، أو يسوّف في الحكم حتّى يضطر المحقّ و يرضى بالصلح ، و يحتمل أن يكون « دون » بمعنى غير ، أي يقف بها في غير مقاطعها و هو

----

(543) شرح النهج البلاغه لابن أبي الحديد ، ج 8 ، ص 266 ، ط بيروت .

----

(544) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 692 ، ط كمپاني و ص 640 ، ط تبريز .

[29]

الباطل . 545

132 و من خطبة له عليه السلام يعظ فيها و يزهد في الدنيا

حمد اللّه

نحمده على ما أخذ و أعطى ، و على ما أبلى و ابتلى (1722) . الباطن لكلّ خفيّة ، و الحاضر لكلّ سريرة ، العالم بما تكنّ الصّدور ، و ما تخون العيون . و نشهد أن لا إله غيره ، و أنّ محمّدا نجيبه و بعيثه (1723) ،

شهادة يوافق فيها السّرّ الإعلان ، و القلب اللّسان .

عظة الناس

و منها : فإنّه و اللّه الجدّ لا اللّعب ، و الحقّ لا الكذب . و ما هو إلاّ الموت أسمع داعيه (1724) ، و أعجل حاديه (1725) . فلا يغرنّك سواد النّاس من نفسك ، و قد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال و حذر الإقلال ، و أمن العواقب طول أمل و استبعاد أجل كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه ، و أخذه من مأمنه ، محمولا على أعواد المنايا يتعاطى به الرّجال الرّجال ، حملا على المناكب و إمساكا بالأنامل .

أما رأيتم الّذين يأملون بعيدا ، و يبنون مشيدا ، و يجمعون كثيرا

----

(545) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 25 ، كتاب الإمامة ، ص 167 .

كيف أصبحت بيوتهم قبورا ، و ما جمعوا بورا ، و صارت أموالهم للوارثين ، و أزواجهم لقوم آخرين ، لا في حسنة يزيدون ، و لا من سيئة يستعتبون فمن أشعر التّقوى قلبه برّز مهله (1726) ، و فاز عمله . فاهتبلوا (1727) هبلها ، و اعملوا للجنّة عملها : فإنّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم مجازا لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار . فكونوا منها على أوفاز (1728) . و قرّبوا الظّهور (1729) للزّيال (1730) .

133 و من الخطبة له عليه السلام يعظم اللّه سبحانه و يذكر القرآن و النبي و يعظ الناس

عظمة اللّه تعالى

و انقادت له الدّنيا و الآخرة بأزمّتها ، و قذفت إليه السماوات و الأرضون مقاليدها (1731) ، و سجدت له بالغدو و الآصال الأشجار النّاضرة ،

و قدحت (1732) له من قضبانها النّيران المضيئة ، و آتت أكلها بكلماته الثّمار اليانعة .

القرآن

منها : و كتاب اللّه بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه ، و بيت لا

تهدم أركانه ، و عزّ لا تهزم أعوانه .

رسول اللّه

منها : أرسله على حين فترة من الرّسل ، و تنازع من الألسن ،

فقفّى به الرّسل ، و ختم به الوحي ، فجاهد في اللّه المدبرين عنه ،

و العادلين به .

بيان :

« العادلون به » الجاعلون له عديلا و مثلا . 546

الدنيا

منها : و إنّما الدّنيا منتهى بصر الأعمى ، لا يبصر ممّا وراءها شيئا ، و البصير ينفذها بصره ، و يعلم أنّ الدّار وراءها . فالبصير منها شاخص ، و الأعمى إليها شاخص . و البصير منها متزوّد ، و الأعمى لها متزوّد .

عظة الناس

منها : و اعلموا أنّه ليس من شيء إلاّ و يكاد صاحبه يشبع منه و يملّه إلاّ الحياة فإنّه لا يجد في الموت راحة . و إنّما ذلك بمنزلة الحكمة الّتي هي حياة للقلب الميّت ، و بصر للعين العمياء ، و سمع للأذن

----

(546) بحار الأنوار ، الطبعة الجديد ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلى الله عليه و آله ، ص 221 .

[32]

الصّماء ، وريّ للظّمآن ، و فيها الغنى كلّه و السّلامة . كتاب الله تبصرون به ، و تنطقون به ، و تسمعون به ، و ينطق بعضه ببعض ،

و يشهد بعضه على بعض ، و لا يختلف في الله ، و لا يخالف بصاحبه عن الله . قد اصطلحتم على الغل (1733) فيما بينكم ، و نبت المرعى على دمنكم (1734) . و تصافيتم على حبّ الآمال ، و تعاديتم في كسب الأموال . لقد استهام (1735) بكم الخبيث ، و تاه بكم الغرور ، و الله المستعان على نفسي و أنفسكم .

134 و من كلام له عليه السلام و قد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم

و قد توكل الله لأهل هذا الدّين بإعزاز الحوزة (1736) ، و ستر العورة .

و الّذي نصرهم ، و هم قليل لا ينتصرون ، و منعهم و هم قليل لا يمتنعون ، حيّ لا يموت .

إنّك متى تسر إلى هذا العدوّ بنفسك ، فتلقهم فتنكب ، لا تكن للمسلمين كانفة (1737) دون أقصى بلادهم . ليس بعدك مرجع يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلا محربا ، و احفز (1738) معه أهل البلاء (1739)

[33]

و النّصيحة ، فإن أظهر الله فذاك ما تحبّ ، و إن تكن الأخرى ، كنت ردأ للنّاس (1740) و مثابة (1741) للمسلمين .

135 و من كلام له عليه السلام و قد وقت مشاجرة بينه و بين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان :

أنا أكفيكه ، فقال علي عليه السلام للمغيرة :

يا بن اللّعين الأبتر (1742) ، و الشجرة الّتي لا أصل لها و لا فرع ،

أنت تكفيني ؟ فو الله ما أعزّ الله من أنت ناصره ، و لا قام من أنت منهضه . اخرج عنّا أبعد الله نواك (1743) ، ثمّ ابلغ جهدك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت

136 و من كلام له عليه السلام في أمر البيعة

لم تكن بيعتكم إيّاي فلتة (1744) ، و ليس أمري و أمركم واحدا .

إنّي أريدكم للّه و أنتم تريدونني لأنفسكم .

أيّها النّاس ، أعينوني على أنفسكم ، و ايم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، و لأقودنّ الظّالم بخزامته (1745) ، حتّى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها .

إيضاح :

« الفلتة » الأمر يقع من غير تدبّر و لا رويّة ، و فيه تعريض ببيعة أبي بكر كما روت العامّة عن عمر أنّه قال : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى اللّه المسلمين شرّها ، و من عاد إلى مثلها فاقتلوه .

قوله عليه السلام « إنّي أريدكم » الخطاب لغير الخواصّ من أصحابه عليه السلام و المعنى : أريد إطاعتكم إيّاي للّه و تريدون أن تطيعوني للمنافع

----

(548) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 372 ، ط كمپاني و ص 350 ، ط تبريز .

الدنيوية . و قال الجوهريّ : خزمت البعير بالخزامة ، و هي حلقة من شعر تجعل في وترة أنفه ليشدّ فيها الزمام . 549

137 و من كلام له عليه السلام في شأن طلحة و الزبير و في البيعة له

طلحة و الزبير

و اللّه ما أنكروا عليّ منكرا ، و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا (1746) و إنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه ، و دما هم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه ، فإنّ لهم نصيبهم منه ، و إن كانوا ولوه دوني فما الطلبة (1747) إلاّ قبلهم . و إن أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم . إنّ معي لبصيرتي ما لبست و لا لبس عليّ . و إنّها للفئة الباغية فيها الحمأ و الحمّة (1748) ،

و الشّبهة المغدفة (1749) ، و إنّ الأمر لواضح ، و قد زاح (1750) الباطل عن نصابه ، و انقطع لسانه عن شغبه (1751) . و ايم اللّه لأفرطنّ (1752) لهم حوضا أنا ماتحه (1753) ، لا يصدرون عنه بري ، و لا يعبّون (1754) بعده في حسي (1755)

امر البيعة

و منه : فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل (1756) على أولادها ، تقولون :

----

(549) بحار الأنوار الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 401 ، ط كمپاني و ص 376 ، ط تبريز .

البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ، و نازعتكم يدي فجاذبتموها .

اللّهمّ إنّهما قطعاني و ظلماني ، و نكثا بيعتي ، و ألبا (1757) النّاس عليّ ،

فاحلل ما عقدا ، و لا تحكم لهما ما أبرما ، و أرهما المساءة فيما أملا و عملا . و لقد استثبتهما (1758) قبل القتال ، و استأنيت بهما أمام الوقاع (1759) ، فغمطا النّعمة (1760) ، و ردّا العافية .

تبيين :

« النصف » بالكسر و التحريك ، الإنصاف و العدل ، إي إنصافا أو حكما ذا إنصاف و يقال : « ولى أمرا » أي قام به . و « الطلبة » بكسر اللاّم ، ما طلبته من شيء . و قال في النهاية : « ليست الامر » بالفتح ، إذا خلطت بعضه ببعض ، و ربّما شدّد للتكثير . و قال ابن أبي الحديد : « الحمأ » الطين الأسود . و « حمّة العقرب » سمّها ، أي في هذه الفتنة الضلال و الفسادة . و يروي : « الحما » بألف مقصورة و هو كناية عن الزبير لأنّ كل من كان نسيب الرجل فهم الأحكماء واحدهم حما ، مثل قفا و أقفاء ، و ما كان نسيب المرأة فهم الأحماة [550] ، فأمّا الإصهار فيجمع الجهتين . و كان الزبير ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه و آله و قد كان النبيّ صلى الله عليه و آله أعلم عليّا عليه السلام بأنّ فئة تبغى عليه في أيّام خلافته فيها بعض زوجاته و بعض أحمائه ،

فكنّي عليه السلام عن الزّوجة بالحمّة و هي سمّ العقرب ، و « الحمأ » يضرب مثلا لغير الطيب الغير الصافي . و قال ابن ميثم : « المغدقة » الخفيّة ، و أصله المرأة تغدف وجهها ،

أي تسترها . 551 و روي : « المغدفة » بكسر الدال من « أغدف » أي أظلم ، و هي إشارة إلى شبهتهم في الطلب بدم عثمان .

و « قد زاح الباطل » أي بعد و ذهب . « عن نصابه » أي مركزه و مقرّه .

و « الشغب » بالتسكين ، تهييج الشر ، و قد يحرّك . و « العبّ » الشرب بلا مصّ ،

[550] في المصدر : الأخاتن .

----

(551) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 166 ، ط بيروت .

و « الحسى » ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج و يكون باردا غدبا ، و هذه كناية عن الحرب و الهيجاء و تهديد بهما و ما يتعقّبهما من القتل و الهلاك .

و قال الجوهري : « العوذ » حديثات النتايج من الظبأ و الخيل و الإبل ، واحدها « عائذ » مثل حائل و حول ، و ذلك إذا ولدت عشرة أيّام أو خمسة عشر يوما ، ثمّ هي مطفل . و في القاموس : « المطفل » كمحسن ذات الطفل من الإنس و الوحش ، و الجمع « مطافيل » . و قيل : إنّ في الجمع بين الوصفين تجوّزا ، و على ما في القاموس لا يحتاج إلى ذلك . و « ألبا » بتشديد اللاّم ، من « التأليب » و هو التحريض . قوله عليه السلام و « استثبتهما » استفعال من « ثاب يثوب » إذا رجع أي طلبت منهما أن يرجعا . و روي بالتآء المثنّاة من التوبة . و « استأنيت » أي انتظرت ، من الإناءة . « فغمطا » بالكسر [552] أي حقرا . 553

138 و من الخطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى ذكر الملاحم

يعطف الهوى على الهدى ، إذا عطفوا الهدى على الهوى ، و يعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي .

و منها : حتّى تقوم الحرب بكم على ساق ، باديا نواجذها (1761) ،

مملوءة أخلافها (1762) ، حلوا رضاعها ، علقما عاقبتها . ألا و في غد و سيأتي غد بما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوىء أعمالها ،

و تخرج له الأرض أفاليذ (1763) كبدها ، و تلقي إليه سلما مقاليدها ،

[552] في أقرب الموارد ضبطه بالفتح .

----

(553) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 408 ، ط كمپاني و ص 382 ، ط تبريز .

فيريكم كيف عدل السّيرة ، و يحيي ميّت الكتاب و السّنة .

منها : كأنّي به قد نعق بالشّام ، و فحص (1764) براياته في ضواحي كوفان (1765) ، فعطف عليها عطف الضّروس (1766) ، و فرش الأرض بالرّؤوس . قد فغرت فاغرته (1767) ، و ثقلت في الأرض و طأته ، بعيد الجولة ، عظيم الصّولة . و اللّه ليشرّدنّكم (1768) في أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلا قليل ، كالكحل في العين ، فلا تزالون كذلك ،

حتّى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها (1769) فالزموا السّنن القائمة ،

و الآثار البيّنة ، و العهد القريب الّذي عليه باقي النّبوّة . و اعلموا أنّ الشّيطان إنّما يسنّي (1770) لكم طرقه لتتّبعوا عقبه .

إيضاح :

لعلّ أوّل الكلام إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام و كذا قوله « و سيأتي غد » و ما قبله إلى الفتن التي تظهر قبل القائم عليه السلام . و قيام الحرب على ساق كناية عن شدّتها ، و قيل : « الساق » الشدّة ، و « بدوّنو اجذها » عن الضحك تهكّما أو عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غاية الضحك أن تبدو النواجذ . و « الأخلاف » للناقة حلمات الضرع . و إنّما قال عليه السلام : « حلوا رضاعها » لأنّ أهل النجدة في أوّل الحرب يقبلون عليها ، و مرارة عاقبتها لأنّها القتل ، و لأنّ مصير أكثرهم إلى النار .

و المنصوبات الأربعة أحوال و المرفوع بعد كلّ منها فاعل ، و إنّما ارتفع عاقبتها بعد « علقما » مع أنّه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل ، كأنه قال مريرة عاقبتها .

قوله عليه السلام « ألا و في غد » قال ابن أبي الحديد : تمامه قوله عليه السلام « يأخذ الوالي » ، و بين الكلام جملة اعتراضيّة . قد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس كانت ذات ملك وافرة فذكر عليه السلام أنّ الوالي يعني القائم

عليه السلام يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم ، و « على » هيهنا متعلّقة به « يأخذ » و هي بمعنى يؤاخذ .

و « الأفاليذ » جمع « أفلاذ » و هي جمع « فلذة » و هي القطعة من الكبد ، كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم عليه السلام . و قد فسر قوله تعالى : وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . 554 بذلك في بعض التفاسير . 555 و قوله عليه السلام « سلما » مصدر سدّ مسدّ الحال أو تمييز . قوله عليه السلام « كأنّي به » الظاهر أنّه إشارة إلى السفياني . و قال ابن أبي الحديد : إخبار عن عبد الملك بن مروان و ظهوره بالشام و ملكه بعد ذلك العراق و ما قتل من العرب فيها أيّام عبد الرحمن بن أشعث و قتله أيّام مصعب بن الزبير . و قال : مفعول « فحص » محذوف أي فحص الناس براياته أي نحاهم و قلّبهم يمينا و شمالا . و « ضواحي كوفان » ما قرب منها من القرى ، و قد سار القتال مصعب بعد أن قتل المصعب المختار فالتقوا بأرض مسكن من نواحي الكوفة . « قد فاغرته » أي انفتح فوه ، و يقال : فغراه ، يتعدّى و لا يتعدّى . و « ثقل وطأته » كناية عن شدّة ظلمه و جوره . « بعيد الجولة » أي جولان خيوله و جيوشه في البلاد ، فيكون كناية عن اتّساع ملكه ، أو جولان رجاله في الحرب بحيث لا يتعقّبه السكون . و « شرد البعير » نفر و ذهب في الأرض . « عوازب أحلامها » أي ما ذهب و غاب من عقولها .

و قال ابن ميثم : فإن قلت : قوله عليه السلام « حتّى تؤوب » يدلّ على انقطاع تلك الدولة بظهور العرب ، و عبد الملك مات و قام بعده بنوه بالدولة ؟ قلت : الغاية ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية لكونهم لا يزالون مشرّدين في البلاد مقهورين ، و ذلك الانقهار و إن كان أصله من عبد الملك إلاّ أنّه استمرّ في زمان أولاده إلى حين انقضاء دولتهم . قال بعض الشارحين 556 : إنّ ملك أولاده ملكه ، و هذا جواب من لم يتدبّر في كلامه عليه السلام . و العرب هيهنا هم بنو العبّاس و من معهم من العرب أيّام ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب الطائي و ابنيه حميد و الحسن ، و كبني رزتنى منهم طاهر بن

----

(554) الزلزال : 2 .

----

(555) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 42 46 ، ط بيروت .

----

(556) المراد من « بعض الشارحين » هو ابن أبي الحديد في شرحه ، ج 9 ، ص 47 ، ط بيروت .

الحسين و إسحاق بن إبراهيم و غيرهم من العرب . و قيل : إنّ أبا مسلم عربي .

قوله عليه السلام و « العهد القريب » قال ابن أبي الحديد : أي عهده و أيّامه عليه السلام . 557 و كأنّه دفع لما عساه يتوّهمونه من أنّه إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها فيجب عليهم اتّباع الدولة الجديدة في كلّ ما تفعله فوصّاهم بأنّه إذا تبدّلت الدولة فالزموا الكتاب و السنّة و العهد الّذي فارقتكم عليه . قوله عليه « إنّما يسنّي » أي يسهل . 558 .

[بيان : « الساق » الشدة أو بالمعنى المشهور كناية عن استوائها . و « بدوّ النواجذ » كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غاية الضحك أن تبدو النواجذ و يمكن أن يكون كناية عن الضحك على التهكّم .] إيضاح : قال ابن أبي الحديد : « ألا و في غد » تمامه قوله عليه السلام « يأخذ الوالي » و بين الكلام جملة اعتراضيّة و هي قوله عليه السلام « و سيأتي غد بما لا تعرفون » و المراد تعظيم شأن الغد الموعود و مثله كثير في القرآن ثمّ قال : قد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس ذات ملك و إمرة فذكر عليه السلام أنّ الوالي يعني القائم عليه السلام يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم . و « على » ههنا متعلّقه ب « يأخذ » و هي بمعنى يؤاخذ . و قال : « الأفاليذ » جمع « أفلاذ » و الأفلاذ جمع « فلذة » و هي القطعة من الكبد كناية عن الكنوز الّتي تظهر للقائم عليه السلام و قد فسّر قوله تعالى : وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا بذلك في بعض التفاسير .

أقول : و قال ابن أبي الحديد في شرح بعض خطبه صلوات اللّه عليه : قال شيخنا أبو عثمان و قال ابو عبيدة : و زاد فيها في رواية جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن آبائه عليهم السلام :

ألا إنّ أبرار عترتي و أطائب أرومتي أحلم الناس صغارا و أعلم الناس كبارا . ألا

----

(557) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 48 ، ط بيروت .

----

(558) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 384 ، ط كمپاني و ص 361 ، ط تبريز .

و إنّا أهل بيت من علم اللّه علمنا و بحكم اللّه حكمنا و من قول صادق سمعنا فان تتّبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، و إن لم تفعلوا يهلككم اللّه بأيدينا . معنا راية الحق من تبعها لحق ، و من تأخر عنها غرق . ألا و بنا يدرك ترة كلّ مؤمن ، و بنا تخلع ربقة الذلّ عن أعناقكم ، و بنا فتح لا بكم ، و بنا يختم لا بكم .

ثمّ قال ابن أبي الحديد : « و بنا يختم لا بكم » إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان و أكثر المحدّثين على أنّه من ولد فاطمة عليها السلام و أصحابنا المعتزلة لا ينكرونه و قد صرّحوا بذكره في كتبهم و اعترف به شيوخهم إلاّ أنّه عندنا لم يخلق بعد و سيخلق و إلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضا .

روى قاضى القضاة عن كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد رحمه اللّه باسناد متّصل بعليّ عليه السلام أنّه ذكر المهديّ و قال إنّه من ولد الحسين عليه السلام و ذكر حليته فقال : رجل أجلى الجبين أقنى الأنف ضخم البطن أزيل الفخذين أبلج الثنايا بفخذه اليمنى شامة و ذكر هذا الحديث بعينه عبد اللّه بن قتيبة في كتاب غريب الحديث . 559 انتهى .

أقول : في ديوان أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه المنسوب إليه :

بنيّ إذا ما جاشت الترك فانتظر
ولاية مهدي يقوم فيعدل

و ذلّ ملوك الأرض من آل هاشم
و بويع منهم من يلذّ ، و يهزل

صبيّ من الصيبان لا رأي عنده
و لا عنده جد و لا هو يعقل

فثمّ يقوم القائم الحقّ منكم
و بالحقّ يأتيكم و بالحقّ يعمل

سميّ نبيّ اللّه نفسي فداؤه
فلا تخذلوه يا بنيّ و عجّلوا560

----
(559) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 276 282 .

----
(560) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 51 ، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السّلام ، ص 130 132 .

[42]

139 و من كلام له عليه السلام في وقت الشورى

لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ ، و صلة رحم ، و عائدة كرم .

فاسمعوا قولي ، وعوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى (1771) فيه السّيوف ، و تخان فيه العهود ، حتّى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضّلالة ، و شيعة لأهل الجهالة .

بيان :

قوله عليه السلام « إلى دعوة حقّ » أي لن يدعو أحد قبلى إلى حق فما لم أدع إليه لم يكن حقّا ، أو لم يسبقني أحد إلى إجابة دعوة حق فما لم أجب إليه لا يكون حقا . و « نضى السيف من غمده و انتضاه » أخرجه . قال ابن ميثم رحمه اللّه : إشارة إلى ما علمه عليه السلام من حال البغاة و الخوارج و الناكثين لعهد بيعته . و ما وقع بعد هذا اليوم من قتل الحسين عليه السلام و ظهور بني أميّة و غيرهم . و أشار بأئمّة أهل الضلالة إلى طلحة و الزبير ، و بأهل الضلالة إلى أتباعهم ، و بأهل الجهالة إلى معاوية و رؤساء الخوارج و أمراء بني أميّة ، و بشيعتهم إلى أتباعهم . 561

140 و من كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس

و إنّما ينبغي لأهل العصمة و المصنوع إليهم في السّلامة (1772) أن يرحموا أهل الذّنوب و المعصية ، و يكون الشكر هو الغالب عليهم ،

----

(561) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 352 ، ط كمپاني و ص 331 ، ط تبريز .

[43]

و الحاجز لهم عنهم ، فكيف بالعائب الّذي عاب أخاه و عيّره ببلواه أما ذكر موضع ستر اللّه عليه من ذنوبه ممّا هو أعظم من الذّنب الّذي عابه به و كيف يذمه بذنب قد ركب مثله فإن لم يكن ركب ذلك الذّنب بعينه فقد عصى اللّه فيما سواه ، ممّا هو أعظم منه . و ايم اللّه لئن لم يكن عصاه في الكبير ، و عصاه في الصّغير ، لجراءته على عيب النّاس أكبر يا عبد اللّه ، لا تعجل في عيب أحد بذنبه ، فلعلّه مغفور له ، و لا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلّك معذّب عليه . فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، و ليكن الشّكر شاغلا له على معافاته ممّا ابتلي به غيره .

141 و من كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة و في الفرق بين الحق و الباطل

أيّها النّاس ، من عرف من أخيه وثيقة دين و سداد طريق ، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال . أما إنّه قد يرمي الرّامي ، و تخطىء السّهام ،

و يحيل الكلام (1773) ، و باطل ذلك يبور ، و اللّه سميع و شهيد . أما إنّه ليس بين الحقّ و الباطل إلاّ أربع أصابع .

فسئل ، عليه السلام ، عن معنى قوله هذا ، فجمع اصابعه و وضعها بين أذنه

[44]

و عينه ثم قال :

الباطل أن تقول سمعت ، و الحقّ أن تقول رأيت

142 و من كلام له عليه السلام

المعروف في غير أهله

و ليس لواضع المعروف في غير حقّه ، و عند غير أهله ، من الحظّ فيما أتى إلاّ محمدة اللّئام ، و ثناء الأشرار ، و مقالة الجهال ، ما دام منعما عليهم : ما أجود يده و هو عن ذات اللّه بخيل

مواضع المعروف

فمن آتاه اللّه مالا فليصل به القرابة ، و ليحسن منه الضيافة ،

و ليفكّ به الأسير و العاني ، و ليعط منه الفقير و الغارم (1774) ، و ليصبر نفسه (1775) على الحقوق و النّوائب ابتغاء الثّواب ، فإنّ فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدّنيا ، و درك فضائل الآخرة ، إن شاء اللّه .

143 و من الخطبة له عليه السلام في الاستسقاء و فيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة اللّه إذا حبس عنهم رحمة المطر

[45]

ألا و إنّ الأرض الّتي تقلّكم ، و السّماء الّتي تظلّكم (1776) ، مطيعتان لربكم ، و ما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجّعا لكم ، و لا زلفة (1777) إليكم ، و لا لخير ترجوانه منكم ، و لكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا ، و أقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا .

إنّ اللّه يبتلي عباده عند الأعمال السّيئة بنقص الثّمرات ، و حبس البركات ، و إغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ، و يقلع مقلع ،

و يتذكّر متذكّر ، و يزدجر مزدجر . و قد جعل اللّه سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرّزق و رحمة الخلق ، فقال سبحانه : « استغفروا ربّكم إنّه كان غفارا . يرسل السّماء عليكم مدرارا . و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنّات و يجعل لكم أنهارا » . فرحم اللّه امرأ استقبل توبته ، و استقال خطيئته ، و بادر منيّته اللّهمّ إنّا خرجنا إليك من تحت الأستار و الأكنان ، و بعد عجيج البهائم و الولدان ، راغبين في رحمتك ، و راجين فضل نعمتك ،

و خائفين من عذابك و نقمتك . اللّهمّ فاسقنا غيثك و لا تجعلنا من القانطين ، و لا تهلكنا بالسّنين (1778) ، « و لا تؤاخذنا بما فعل السّفهاء منّا » ، يا أرحم الرّاحمين . اللّهمّ إنّا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك ، حين ألجأتنا المضايق الوعرة (1779) ، و أجاءتنا (1780)

[46]

المقاحط (1781) المجدبة ، و أعيتنا المطالب المتعسّرة ، و تلاحمت (1782) علينا الفتن المستصعبة . اللّهمّ إنّا نسألك ألاّ تردّنا خائبين ، و لا تقلبنا و اجمعين (1783) . و لا تخاطبنا بذنوبنا ، و لا تقايسنا بأعمالنا .

اللّهمّ انشر علينا غيثك و بركتك ، و رزقك و رحمتك ، و اسقنا سقيا ناقعة مروية معشبة ، تنبت بها ما قد فات ، و تحيي بها ما قد مات ،

نافعة الحيا (1784) ، كثيرة المجتنى ، تروي بها القيعان (1785) ، و تسيل البطنان (1786) ، و تستورق الأشجار (1787) ، و ترخص الأشعار ، « إنّك على ما تشاء قدير » .

توضيح :

« تحملكم » في بعض النسخ : « تقلّكم » على صيغة الإفعال ، يقال :

« أقلّ الشيء و استقلّة » إذا حمله و رفعه ، و كذلك قلّة . و « تظلّكم » أيضا على بناء الإفعال ، أي ألقى عليكم ظلّه ، و المراد بالسماء السحاب أو معناه الحقيقيّ ، لأنّ أصل الأمطار أو بعضها من السماء كما مرّ في الأخبار . و « البركة » النماء و الزّيادة .

وجود السماء ببركتها بنزول المطر منها و إعداد الأرضيات بالشمس و القمر و غيرهما لحصول المنافع منها ، وجود الأرض بخروج الحبوب و الثمار و غير ذلك منها .

و « توجّعت له » أي رثيت له و تألّمت لما أصابه . و « الزلفة » بالضمّ ، القربة .

و « إقامتهما على حدود المصالح » تسخيرهما للجري على وجه ينفع العباد تشبيها بحفظه الثغور و نحوها . و « أقلعت عن الأمر إقلاعا » تركته . و « زجرته فازدجر » أي نهيته فانتهى . و « درور الرزق » كثرته و عدم انقطاعه و يقال : درّ السماء بالمطر درا و درورا فهي مدرار . « و رحمة الخلق » عطف على الدرور : و في بعض النسخ : و « رحمة للخلق » عطفا على سببا .

و « استقبال التوبة » التوجّه إليها عن رغبة و شوق . و « استقالة الخطيئة » طلب

[47]

العفو عن المعصية الّتي باع العاصي نفسه و آخرته بها ، و اشترى العذاب الأليم ، تشبيها باقالة البيع . و « المبادرة » المسابقة و الاسراع إلى العمل قبل أن تأخذه المنيّة و لا يدرك العمل . و يحتمل أن يكون المراد مسابقة الناس إلى المنيّة و الإسراع إليها شوقا لها بأن صاروا مستعدّا لنزولها بالأعمال الصالحة ، كما قال سيّد الساجدين عليه السلام :

« و هب لنا من صالح الأعمال عملا نستبطيء معه المصير إليك و نحرص له على و شك اللحاق بك » . و الأوّل أظهر .

و « الستر » بالكسر ، ما يستتر به . و « الكنّ » بالكسر ، الستر و وقاء كلّ شيء و ذكر الخروج من تحت الأستار في مقام الاستعطاف ، لأنّ الأستار من شأنها أن لا تفارق إلاّ لضرورة شديدة ، ففيه دلالة على الاضطرار ، أو لأنّ الرحمة تنزل من السماء كما قال اللّه تعالى : وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ 562 . ففي البروز لها استعداد للرحمة ، أو لأنّ الاجتماع لا يتحقق غالبا إلاّ بالخروج ، و هو مظنّة الرحمة ، و على التقادير يدلّ على استحباب الاستسقاء تحت السماء و الخروج له إلى البراري .

و « العجيج » الصياح ، و رفع البهائم و الأطفال أصواتها بالأنين و البكاء مظنّة العطف و الرحمة ، و فيه إيماء إلى ما ذكره الأصحاب من استحباب إخراج البهائم و الأطفال في الاستسقاء ، و قد ورد في الحديث القدسيّ : « و لو لا شيوخ ركّع ، و بهائم رتّع و صبية رضّع ، لصببت عليكم البلاء صبّا ترضّون به رضّا » .

و « المقاحط » أماكن القحط أو سنوه . و « الجدب » انقطاع المطر . و « اعيتنا » أي أعجزتنا و أتعبتنا . و « التحم القتال » أي اشتبك و اختلط . و « حبل متلاحم » أي مشدود الفتل ، و الفتنة تكون بمعنى العذاب و المحنة . و « الصعب » العسر و نقيض الذلول ،

و « استصعب عليه الأمر » أي صعب . و « وجم كوعد وجما و وجوما » سكت على غيظ ، و « وجم الشيء » كرهه . « و لا تخاطبنا بذنوبنا » أي لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا ، أو لا تنادنا و لا تدعنا يا مذنبين أو لا تخاطبنا خطابا يناسب ذنوبنا .

« و لا تقايسنا بأعمالنا » ، « قياس الشيء بالشيء و مقايسته به » تقديره به ،

----

(562) الذاريات : 22 .

[48]

و المعنى : لا تجعل فعلك بنا مناسبا و مشابها لأعمالنا ، و لا تجازنا على قدرها ، بل تفضّل علينا بالصفح عن الذنوب و مضاعفة الحسنات . و « أعشبت المطر الأرض » أي أنبتته .

و « الناقعة المروية » المسكنة للعطش ، و « الحيا » بالفتح و القصر ، الخصب و المطر .

و « جنى الثمرة و اجتناها » أي اقتطفها ، و « المجتنى » الثمرة ، و المصدر . و « القيعان » جمع « قاع » و هو المستوى من الأرض . و « البطنان » بالضمّ ، جمع « باطن » و هو مسيل الماء و الغامض من الأرض . و « الرخص » ضدّ الغلاء ، يقال : « رخص السعر » ككرم صار رخيصا ، و أرخصه اللّه . 563

144 و من خطبة له عليه السلام

مبعث الرسل

بعث اللّه رسله بما خصّهم به من وحيه ، و جعلهم حجّة له على خلقه ، لئلاّ تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم ، فدعاهم بلسان الصّدق إلى سبيل الحقّ . ألا إنّ اللّه تعالى قد كشف الخلق (1788) كشفة ،

لا أنّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم و مكنون ضمائرهم ، « و لكن ليبلوهم : أيّهم أحسن عملا » ، فيكون الثواب جزاء ، و العقاب بواء (1789) .

بيان :

قال في النهاية : « الجراحات بواء » أي سواء في القصاص ، و منه حديث عليّ عليه السلام : « و العقاب بواء » . و أصل البوء اللزوم . 564

----

(563) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 91 ، كتاب الصلاة ، ص 312 .

----

(564) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 5 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 316 .

[49]

فضل اهل البيت

أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا ، كذبا و بغيا علينا ، أن رفعنا اللّه و وضعهم ، و أعطانا و حرمهم ، و أدخلنا و أخرجهم .

بنا يستعطى الهدى ، و يستجلى العمى . إنّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، و لا تصلح الولاة من غيرهم .

اهل الضلال

منها : آثروا عاجلا و أخروا آجلا ، و تركوا صافيا ، و شربوا آجنا (1790) كأنّي أنظر إلى فاسقهم و قد صحب المنكر فألفه ، و بسىء به (1791) و وافقه ، حتى شابت عليه مفارقه ، و صبغت به خلائقه (1792) ، ثم أقبل مزبدا كالتّيّار لا يبالي ما غرّق ، أو كوقع النّار في الهشيم لا يحفل (1793) ما حرّق أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى ، و الأبصار اللاّمحة إلى منار التّقوى أين القلوب الّتي وهبت للّه ، و عوقدت على طاعة اللّه ازدحموا على الحطام (1794) ، و تشاحّوا على الحرام ، و رفع لهم علم الجنّة و النّار ، فصرفوا عن الجنّة وجوههم ، و أقبلوا إلى النّار بأعمالهم ،

و دعاهم ربّهم فنفروا و ولّوا ، و دعاهم الشيطان فاستجابوا و أقبلوا

[50]

إيضاح :

الكشف أريد به هنا الابتلاء الّذي هو سببه . و قال في النهاية :

« الجراحات بواء » أي سواء في القصاص ، منه حديث عليّ عليه السلام :

« و العقاب بواء » و أصل البوء اللزوم .

« أين الّذين زعموا » أي الخلفاء الجائرون المتقدّمون . قوله عليه السلام « أن رفعنا اللّه » تعليل لدعوتهم الكاذبة ، أي كانت العلّة الحاملة لهم على هذا الكذب أنّ اللّه رفع قدرنا في الدنيا و الآخرة و أعطانا أي الملك و النبوّة و أدخلنا أي في دار قربه و عناياته الخاصّة . و « أن » هيهنا للتعليل أي لأنّ ، فحذف اللام ، و يحتمل أن يكون المعنى : أين الّذين زعموا عن أن يروا أن رفعنا اللّه و أورثنا الخلافة و وضعهم بأخذهم بأعمالهم السيئة . و « البطن » ما دون القبيلة و فوق الفخذ . قوله عليه السلام « لا تصلح على سواهم » أي لا يكون لها صلاح على يد غيرهم ، و لا يكون الولاة من غيرهم صالحين . و « الآجن » الماء المتغيّر . قوله عليه السلام « كأنّي أنظر » قال ابن أبي الحديد : هو إشارة إلى قوم يأتي من الخلف بعد السلف . 565 قيل : و الأظهر أن المراد بهم من تقدّم ذكرهم من الخلفاء و غيرهم من ملاعين الصحابة كما قال عليه السلام في الفصل السابق : « أين الّذين زعموا » فيكون قوله عليه السلام « كأنّي أنظر » إشارة إلى ظهور اتّصافهم بالصفات حتّى كأنّه يراه عيانا .

و قال في النهاية : « بسأت » بفتح السين و كسرها ، أي اعتادت و استأنست .

« شابت عليه مفارقه » أي ابيضّ شعره و فنى عمره في صحبته المنكر . « و صبغت به خلائقه » أي صار المنكر عادته حتّى تلوّنت خلائقه به . « و التيّار » موج البحر و لجّته ،

و كلمة « ثمّ » للترتيب الحقيقيّ أو الذكريّ ، و لعلّ المراد بالفاسق عمر . و قوله عليه السلام « لا يحفل » أي لا يبالي . و « اللامحة » الناظرة . 566

----

(565) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 89 ، ط بيروت .

----

(566) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 178 ، ط كمپاني و ص 172 ، ط تبريز .

[51]

145 و من خطبة له عليه السلام

فناء الدنيا

أيّها النّاس ، إنّما أنتم في هذه الدّنيا غرض تنتضل (1795) فيه المنايا ، مع كلّ جرعة شرق ، و في كلّ أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلاّ بفراق أخرى ، و لا يعمّر معمّر منكم يوما من عمره إلاّ بهدم آخر من أجله ، و لا تجدّد له زيادة في أكله إلاّ بنفاد ما قبلها من رزقه ، و لا يحيا له أثر ، إلاّ مات له أثر ، و لا يتجدّد له جديد إلاّ بعد أن يخلق (1796) له جديد ، و لا تقوم له نابتة إلاّ و تسقط منه محصودة . و قد مضت أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله

ذم البدعة

منها : و ما أحدثت بدعة إلاّ ترك بها سنّة . فاتّقوا البدع ، و الزموا المهيع (1797) . إنّ عوازم الأمور (1798) أفضلها ، و إنّ محدثاتها شرارها .

146 و من كلام له عليه السلام و قد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

إنّ هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثرة و لا بقلة . و هو

[52]

دين اللّه الّذي أظهره ، و جنده الّذي أعدّه و أمدّه ، حتّى بلغ ما بلغ ،

و طلع حيث طلع ، و نحن على موعود من اللّه ، و اللّه منجز وعده ،

و ناصر جنده . و مكان القيّم (1799) بالأمر مكان النّظام (1800) من الخرز يجمعه و يضمّه : فإن انقطع النّظام تفرّق الخرز و ذهب ، ثمّ لم يجتمع بحذافيره (1801) أبدا . و العرب اليوم ، و إن كانوا قليلا ، فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع فكن قطبا ، و استدر الرّحا بالعرب ، و أصلهم دونك نار الحرب ، فإنّك إن شخصت (1802) من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها و أقطارها ، حتّى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يديك .

إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا : هذا أصل العرب ،

فإذا اقتطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك ، و طمعهم فيك . فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين ، فإنّ اللّه سبحانه هو أكره لمسيرهم منك ، و هو أقدر على تغيير ما يكره .

و أمّا ما ذكرت من عددهم ، فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ،

و إنّما كنّا نقاتل بالنّصر و المعونة

بيان :

قال ابن أبي الحديد : قد اختلف في الحال الّذي قاله أمير المؤمنين عليه السلام ، فقيل : قاله في غزاة القادسيّة ، و قيل : في غزاة نهاوند . ذهب إلى

الأخير محمّد بن جرير ، و إلى الأوّل المدائني . 567 و « نظام العقد » الخيط الجامع له . « بحذافيره » أي بأسره . أو بجوانبه أو بأعاليه .

قوله عليه السلام « و أصلهم » أي اجعلهم صالين لها ، يقال : « صليت اللحم » إذا شويته ، أو ألقهم في نار الحرب دونك ، أو من « صلى فلان بالأمر » إذا قاسى حرّها و شدّتها . و « العورات » الخلل في الثغر و غيره و كلّ مكمن للستر . « لكلبهم » أي لحرصهم و شدّتهم . قوله عليه السلام « فأمّا ما ذكرت » جواب لما قال عمر : إنّ هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير إلى المسلمين و أنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم . ثمّ اعلم أنّ هذا الكلام و ما تقدّم يدلّ [على] أنّهم كانوا محتاجين إليه عليه السلام في التدبير و إصلاح الأمور الّتي يتوقّف عليها الرياسة و الخلافة ، فهو عليه السلام كان أحقّ بها و أهلها ، و كانوا هم الغاصبين حقّه . و أما إراءتهم مصالحهم فلا يدلّ على كونهم على الحقّ لأنّ ذلك كان لمصلحة الإسلام و المسلمين لا لمصلحة الغاصبين ، و جميع تلك الامور كان حقّه عليه السلام قولا و فعلا و تدبيرا ، فكان يلزمه القيام بما يمكنه من تلك الامور و لا يسقط الميسور بالمعسور . 568

147 و من خطبة له عليه السلام

الغاية من البعثة

فبعث اللّه محمّدا ، صلّى اللّه عليه و آله ، بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ، و من طاعة الشّيطان إلى طاعته ، بقرآن قد بيّنه و أحكمه ، ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه ، و ليقرّوا به بعد إذ

----

(567) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 96 97 ، ط بيروت .

----

(568) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 317 ، ط كمپاني و ص 300 ، ط تبريز .

جحدوه ، و ليثبتوه بعد إذ أنكروه . فتجلّى لهم سبحانه (1803) في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته ، و خوّفهم من سطوته ،

و كيف محق من محق بالمثلات (1804) . و احتصد من احتصد بالنّقمات

بيان :

« أحكمه » أي أتقنه و منعه من الفساد لفظا و معنى . « و ليقرّوا به » أي باللسان . « و ليثبتوه » أي بالقلب . « فتجلّى سبحانه لهم » أي ظهرو انكشف بما نبّههم عليه فيه من آيات القدرة و القصص . و قيل : المراد بالكتاب عالم الايجاد لاشتماله على آثار الصنع . و « محق الشيء » أبطله و محاه . و « الاحتصاد » قطع الزرع و هنا كناية عن استئصالهم . 569

الزمان المقبل

و إنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحقّ ،

و لا أظهر من الباطل ، و لا أكثر من الكذب على الله و رسوله ، و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته ، و لا أنفق منه (1805) إذا حرّف عن مواضعه ، و لا في البلاد شيء أنكر من المعروف ، و لا أعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب حملته ، و تناساه حفظته : فالكتاب يومئذ و أهله طريدان منفيان ، و صاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو . فالكتاب و أهله في ذلك الزّمان في النّاس و ليسا فيهم ، و معهم و ليسا معهم لأنّ الضّلالة لا توافق

----

(569) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى الله عليه و آله ، ص 221 .

الهدى ، و إن اجتمعا . فاجتمع القوم على الفرقة ، و افترقوا على الجماعة ،

كأنهم أئمة الكتاب و ليس الكتاب إمامهم ، فلم يبق عندهم منه إلاّ اسمه ، و لا يعرفون إلاّ خطه و زبره (1806) . و من قبل ما مثّلوا (1807) بالصّالحين كلّ مثلة ، و سمّوا صدقهم على الله فرية (1808) ، و جعلوا في الحسنة عقوبة السّيّئة .

و إنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم و تغيّب آجالهم ، حتّى نزل بهم الموعود (1809) الّذي تردّ عنه المعذرة ، و ترفع عنه التّوبة و تحلّ معه القارعة (1810) و النّقمة .

عظة الناس

أيّها النّاس ، إنّه من استنصح الله وفق ، و من اتّخذ قوله دليلا هدي « للّتي هي أقوم » ، فإنّ جار الله آمن ، و عدوّه خائف ، و إنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم ، فإنّ رفعة الّذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له ، و سلامة الّذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له . فلا تنفروا من الحقّ نفار الصّحيح من الأجرب ، و الباري (1811) من ذي السّقم (1812) . و اعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه ، و لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الّذي نقضه ، و لن تمسّكوا به حتى تعرفوا الّذي نبذه . فالتمسوا ذلك من عنده أهله ،

فإنّهم عيش العلم ، و موت الجهل . هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم ، و صمتهم عن منطقهم ، و ظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدّين و لا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صادق ، و صامت ناطق .

بيان :

« أحكمه » أي أتقنه ، و قيل في قوله تعالى : كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ 570 أي أحفظت من فساد المعنى و ركاكته ، و يمكن أن يكون المراد بالإقرار الإقرار باللسان ، و بالإثبات التصديق بالقلب . و « تجلّى لهم » أي ظهر و انكشف ، و ربّما يفسّر الكتاب هنا بعالم الإيجاد . و « المحق » النقص و المحو و الإبطال . و « المثلات » العقوبات .

قوله عليه السلام « و احتصد » في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد و هو قطع الزّرع و النبات ، فهو كناية عن استئصالهم ، و في بعضها بالمعجمتين من « اختضد البعير » أي خطمه ليذلّ ، و الأوّل أظهر .

و « البوار » الهلاك و كساد السوق . و تلاوة الكتاب إمّا بمعنى قراءته أو متابعته فإنّ من اتّبع غيره يقال : تلاه ، و التحريف بالثاني أنسب . و يقال : « تناساة » إذا أرى من نفسه أنّه نسيه . و « نفي الشيء » أي نحاه أو جحده . و « الطرد » الإبعاد . و أهل الكتاب أئمة الدين و أتباعهم العالمون بالكتاب العاملون به .

قوله عليه السلام « لأنّ الضلالة » أي ضلالتهم مضادة لهدى الكتاب فلم يجتمعا حقيقة و إن اجتمعا ظاهرا . و « الزبر » بالفتح ، الكتابة ، و بالكسر الكتاب . قوله عليه السلام « و من قبل » أي من قبل ذلك الزمان و إن كان بعده عليه السلام . « ما مثّلوا » بالتخفيف و التشديد ، أي نكلوا . و الظرف أعني قوله « على الله » متعلّق بالفرية ، و يحتمل تعلّقه بالصدق . و المراد بتغيّب آجالهم نسيانهم إيّاها و ترك استعدادهم لها و لما بعدها . و « الموعود » الموت فإنّه لا تقبل فيه معذرة و عند نزوله توبة .

و « القارعة » المصيبة الّتي تقرع أي تلقى بشدّة و قوّة .

قوله عليه السلام « من استنصح الله » قال في النهاية : أي اتّخذه ناصحا .

----

(570) هود : 1 .

[57]

انتهى . و الاعتقاد بكونه تعالى ناصحا و أنّه لا يريد للعبد إلاّ ما هو خير له يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكلّ ما أمر ، و الانتهاء عمّا نهى عنه .

قوله عليه السلام « للّتي هي أقوم » أي للحالة و الطريقة الّتي اتّباعها و سلوكها أقوم . « فإن جار الله » أي من أجاره الله أو من كان قريبا منه . و في بعض النسخ : « عظمته و قدرته » بالنصب ، فكلمة « ما » فيهما زائدة . قوله عليه السلام « حتّى تعرفوا الّذي تركه » الغرض منه و ممّا بعده التنفير من أئمة الضلال و التنبيه على وجوب البراءة منهم .

« فإنهم عيش العلم » أي أسباب لحياته . قوله عليه السلام « و صمتهم عن منطقهم » فإنّ لصمتهم وقتا و هيئة و حالة تكون قرائن دالّة على حسن منطقهم لو نطقوا .

قوله عليه السلام « و لا يختلفون فيه » أي لا يخالف بعضهم بعضا فيكون البعض مخالفا للحقّ . « فهو بينهم » الضمير راجع إلى الدين . « شاهد صادق » أي يأخذون بما حكم به و دلّ عليه . و « صامت » لأنّه لا ينطق في الظاهر . « ناطق » بلسان أهله و العالم به . 571

148 و من كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة

كلّ واحد منهما يرجوا الأمر له ، و يعطفه عليه دون صاحبه ، لا يمتّان (1813) إلى الله بحبل ، و لا يمدّان إليه بسبب (1814) . كل واحد منهما حامل ضب (1815) لصاحبه ، و عمّا قليل يكشف قناعة به و الله لئن أصابوا الّذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا ، و ليتأتينّ هذا على

----

(571) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 717 ، ط كمپاني و ص 664 ، ط تبريز .

[58]

هذا . قد قامت الفئة الباغية ، فأين المحتسبون (1816) فقد سنّت لهم السّنن ، و قدّم لهم الخبر . و لكلّ ضلّة علّة ، و لكلّ ناكث شبهة . و اللّه لا أكون كمستمع اللّدم (1817) ، يسمع الناعي ، و يحضر الباكي ، ثمّ لا يعتبر

إيضاح :

« كلّ واحد مهما » أي طلحة و الزبير . « لا يمتّان » قال في النهاية :

« المتّ » التوسل و التوصّل بحرمة أو قرابة أو غير ذلك ، و قال : « السبب » في الأصل الحبل الّذي يتوصّل به إلى ماء ، ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى شيء كقوله تعالى : وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ 572 أي الوصل و المودّات ، و قال : « الضب » الغضب و الحقد . و الظاهر أن الضمير المجرور في « قناعة » راجع إلى كلّ واحد منهما ،

و الباء في « به » للسببيّة ، و الضمير للضبّ . « يكشف قناعة » الذي استتر به و يظهر حاله بسبب حقده و بغضه .

« فأين المحتسبون » أي العاملون للّه و الطالبون للأجر ، و يقال أيضا : « احتسب عليه » أي أنكر ، و تقديم الخبر هو إخبار النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين . و ضمير « لهم » في الموضعين للمحتسبين أو للفئة الباغية . و علّة ضلّتهم هي البغي و الحسد . و شبهتهم في نكث البيعة الطلب بدم عثمان كما قيل ، أو المعنى : أنّ لكلّ ضلالة غالبا علّة و لكلّ ناكث شبهة بخلاف هؤلاء فإنّهم يعدلون عن الحقّ مع وضوحه بغير عذر و شبهة .

و « مستمع اللدم » الضبع و هو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيلة يفعلها الصائد عند باب جحرها فتنام و لا تتحرّك حتّى يجعل الحبل في عرقو بها فيخرجها .

و المعنى : لا أغترو لا اغفل عن كيد الأعداء فأستمع الناعي بقتل طائفة من المسلمين و يحضر الباكي على قتلاهم فلا أحاربهم حتى يحيطوا بي . و قيل : لا أكون كمن يسمع

----

(572) البقرة : 166 .

[59]

الضرب و البكاء ثمّ لا يصدّق حتى يجيء لمشاهدة الحال . قال الجوهريّ : « اللدم » ضرب المرأة صدرها و عضديها في النياحة . 573

149 و من كلام له عليه السلام قبل موته

أيّها النّاس ، كلّ امرىء لاق ما يفر منه في فراره . الأجل مساق النّفس (1818) . و الهرب منه موافاته . كم أطردت (1819) الأيّام أبحثها عن مكنون هذا الأمر ، فأبى اللّه إلاّ إخفاءه . هيهات علم مخزون أمّا وصيّتي : فاللّه لا تشركوا به شيئا ، و محمّدا صلّى اللّه عليه و آله ،

فلا تضيّعوا سنّته . أقيموا هذين العمودين ، و أوقدوا هذين المصباحين ،

و خلاكم ذمّ (1820) ما لم تشردوا (1821) . حمل كلّ امرىء منكم مجهوده ،

و خفّف عن الجهلة . ربّ رحيم ، و دين قويم ، و إمام عليم . أنا بالأمس صاحبكم ، و أنا اليوم عبرة لكم ، و غدا مفارقكم غفر اللّه لي و لكم إن تثبت الوطأة (1822) في هذه المزلّة (1823) فذاك ، و إن تدحض (1824) القدم فإنّا كنّا في أفياء (1825) إغصان ، و مهابّ رياح ، و تحت ظلّ

----

(573) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 408 ، ط كمپاني و ص 382 ، ط تبريز .

[60]

غمام ، اضمحلّ في الجوّ متلفّقها (1826) ، و عفا (1827) في الأرض مخطّها (1828) .

و إنّما كنت جارا جاوركم بدني أيّاما ، و ستعقبون منّي جثّة خلاء (1829) :

ساكنة بعد حراك ، و صامتة بعد نطق . ليعظكم هدوي . و خفوت (1830) إطراقي . و سكون أطراقي (1831) ، فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ و القول المسموع . و داعي لكم وداع امرىء مرصد (1832) للتّلاقي غدا ترون أيامي ، و يكشف لكم عن سرائري . و تعرفونني بعد خلوّ مكاني و قيام غيري مقامي .

150 و من خطبة له عليه السلام

القسم الأول يومي فيها إلى الملاحم و يصف فئة من أهل الضلال

و أخذوا يمينا و شمالا ظعنا في مسالك الغيّ ، و تركا لمذاهب الرّشد .

فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ، و لا تستبطئوا ما يجيء به الغد .

فكم من مستعجل بما إن أدركه ود أنّه لم يدركه . و ما أقرب اليوم .

من تباشير (1833) غد يا قوم ، هذا إبّان (1834) ورود كلّ موعود ،

و دنو (1835) من طلعة ما لا تعرفون . ألا و إن من أدركها منّا يسري فيها بسراج منير ، و يحذو فيها على مثال الصّالحين ، ليحلّ فيها

[61]

ربقا (1836) ، و يعتق فيها رقّا ، و يصدع شعبا (1837) ، و يشعب صدعا (1838) ،

في سترة عن النّاس لا يبصر القائف (1839) أثره و لو تابع نظره . ثمّ ليشحذنّ (1840) فيها قوم شحذ القين النّصل (1841) . تجلي بالتّنزيل أبصارهم ، و يرمى بالتفسير في مسامعهم ، و يغبقون كأس الحكمة بعد الصّبوح (1842)

بيان :

« مرصد » أي مترقّب ما يجيء به الغد من الفتن و الوقايع . « من تباشير غد » أي أوائله أو من البشرى به . و « الإبّان » الوقت و الزمان . « يسري » من « السرى » السير بالليل . و « الربق » الخيط . و « القائف » الّذي يتتبع الآثار . « و لو تابع نظره » أي و لو استقصى في الطلب و تابع النظر و التأمّل . و « شحذت السكين » حددته ، أي ليحرّضنّ في هذه الملاحم قوم على الحرب و يشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما يشحذ الحدّاد النصل كالسيف و غيره . قوله عليه السلام « يجلي بالتنزيل » أي يكشف الرين و الغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن و إلهامهم تفسيره و معرفة أسراره و « الغبوق » الشرب بالعشي مقابل الصبوح . 574

في الضلال

منها : و طال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ، و يستوجبوا الغير (1843) ،

حتى إذا اخلولق الأجل (1844) ، و استراح قوم إلى الفتن ، و أشالوا (1845) عن لقاح حربهم ، لم يمنّوا على الله بالصّبر ، و لم يستعظموا بذل أنفسهم في الحقّ ، حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء ،

----

(574) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 51 ، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السّلام ، ص 116 117 .

[62]

حملوا بصائرهم على أسيافهم (1846) ، و دانوا لربّهم بأمر و اعظمهم ، حتّى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه و آله ، رجع قوم على الأعقاب ،

و غالتهم السّبل ، و اتّكلوا على الولائج (1847) ، و وصلوا غير الرّحم ،

و هجروا السّبب الّذي أمروا بمودّته ، و نقلوا البناء عن رصّ أساسه ،

فبنوه في غير موضعه . معادن كلّ خطيئة ، و أبواب كلّ ضارب في غمرة (1848) قد ماروا (1849) في الحيرة ، و ذهلوا في السّكرة ، على سنّة من آل فرعون : من منقطع إلى الدّنيا راكن ، أو مفارق للدّين مباين .

بيان :

نصب « ظعنا » و « تركا » على المصدر ، و العامل فيهما من غير لفظهما ، أو مصدران قاما مقام الفاعل . قوله عليه السلام « مرصد » على المفعول ، أي مترقّب معدّ لابدّ من كونه . و « تباشير كلّ شيء » أوائله . و « إبان الشيء » بالكسر و التشديد ،

وقته و زمانه ، و لعلّه إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام قوله عليه السلام « إنّ من أدركها منّا » أي قائم آل محمّد صلى الله عليه و آله . و « سرى كضرب و أسرى » أي سار بالليل . و « الربق » بالفتح [575] ، شدّ الشاة بالربق و هو الخيط . [576] و « الصدع » التفريق و الشقّ . و « الشعب » الجمع .

قوله عليه السلام « في سترة » أشار عليه السلام به إلى غيبة القائم عليه السلام . و « القائف » الذي يتتبّع الآثار و يعرفها . و « شحذت السكين » حددته ، إي ليحرّضنّ في تلك الملاحم قوم على الحرب و يشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما يشحذ القين و هو الحدّاد النصل كالسيف و غيره . و « تجلى بالتنزيل » أى يكشف الرين و الغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن و إلهامهم تفسيره و معرفة أسراره

[575] في النهج : « ربقا » بالكسر ، أي حبلا معقودا .

[576] كذا ، و الصواب : الحبل .

[63]

و كشف الغطاء عن مسامع قلوبهم . و « الغبوق » الشرب بالعشيّ ، تقول : « غبقت الرجل أغبقه بالضم فاغتبق هو » أي تفاض عليهم المعارف صباحا و مساء ، و القوم أصحاب القائم عليه السلام .

قوله عليه السلام « و طال الأمد بهم » هذا متّصل بكلام قبله لم يذكره السيّد رضي الله عنه . و « الأمد » الغاية . و « الغير » اسم من قولك « غيّرت الشيء فتغيّر » أي تغيّر الحال و انتقالها من الصلاح إلى الفساد . و « الخلولق الأجل » أي قرب انقضاء أمرهم ، من « اخلولق السحاب » أي استوى و صار خليقا بأن يمطر ، و « اخلولق الرسم » استوى بالأرض . و

« استراح قوم » أي مال قوم من شيعتنا إلى هذه الفئة الضالّة و اتّبعوها تقيّة أو لشبهة دخلت عليهم . و « أشالوا » [577] أي رفعوا أيديهم و سيوفهم . و استعار « اللقاح » بفتح اللام لإثارة الحرب لشبهها بالناقة .

و قوله عليه السلام « إذا قبض الله » لعلّه منقطع عمّا قبله إلاّ أن يحمل من طال الأمد بهم في الكلام المتقدّم على من كان أهل الضلال قبل الإسلام ، و لا يخفى بعده . و بالجملة ، الكلام صريح في شكايته عليه السلام عن الّذين غصبوا الخلافة منه . و « غالتهم السبل » أي أهلكتهم . و « وصلوا غير الرحم » أي رحم الرسول صلّى اللّه عليه و آله . و السبب الّذي أمروا بمودّته أهل البيت عليهم السلام كما قال النبي صلّى اللّه عليه و آله : « خلّفت فيكم الثقلين كتاب اللّه و أهل بيتي ، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » . « كلّ ضارب في غمرة » أي سائر في غمرة الضلالة و الجهالة . « قد ماروا في الحيرة » أي تردّدوا و اضطربوا فيها . و المنقطع إلى الدنيا هو المنهمك في لذّاتها . و المفارق للدين هو الزاهد الّذي يترك الدنيا للدنيا ، أو يعمل على الضلالة و الردى ، و سيأتي فيما سنورده من كتبه عليه السلام و غيرها ما هو صريح في الشكاية .

منها ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى معاوية :

[577] كذا في النهج ، و في البحار : اشتالوا .

[64]

و كتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا ، و هو قوله سبحانه : وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ 578 و قوله تعالى : إِّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ 579 ، فنحن مرّة أولى بالقرابة و تارة أولى بالطاعة . و لما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلجوا عليهم ، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم ، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم . و قلت : إنّي كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع ،

و لعمر اللّه لقد أردت أن تذم فمدحت و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا في دينه ، و لا مرتابا بيقينه 580 و منها ما كتاب عليه السلام في جواب عقيل 581 :

فدع عنك قريشا و تركاضهم في الضلال ، و تجوالهم في الشقاق ، و جماحهم في التيه ،

فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم [على] حرب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قبلي ، فجزت قريشا عنّي الجوازي ، فقد قطعوا رحمي ، و سلبوني سلطان ابن امّي . 582

151 و من خطبة له عليه السلام يحذر من الفتن

بيان :

« لا يوازي » أي لا يساوى فضله و لا يبلغه أحد . و « الجبر » إصلاح العظم من كسر . و « الغالبة » في بعض النسخ بالياء المثنّاة أي المجاوزة عن الحدّ . و « الجفوة » غلظ الطبع و قساوة القلب و الوصف للمبالغة كشعر شاعر . و المراد بالفترة هنا انقطاع الوحي أو ترك الاجتهاد في الطاعات . 583 .

التحذير من الفتن

ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت . فاتّقوا سكرات النّعمة ، و احذروا بوائق (1853) النّقمة ، و تثبّتوا في قتام العشوة (1854) ،

و اعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها ، و ظهور كمينها ، و انتصاب قطبها ، و مدار رحاها . تبدأ في مدارج خفيّة ، و تؤول إلى فضاعة جليّة .

شبابها (1855) كشباب الغلام ، و آثارها كآثار السّلام (1856) ، يتوارثها الظّلمة بالعهود أوّلهم قائد لآخرهم ، و آخرهم مقتد بأوّلهم ،

يتنافسون في دنيا دنيّة ، و يتكالبون على جيفة مريحة (1857) . و عن

----

(583) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلى الله عليه و آله ، ص 221 .

[66]

قليل يتبرأ التّابع من المتبوع ، و القائد من المقود ، فيتزايلون (1858) بالبغضاء ، و يتلاعنون عند اللّقاء . ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف (1859) ، و القاصمة (1860) الزّحوف فتزيغ قلوب بعد استقامة ،

و تضلّ رجال بعد سلامة ، و تختلف الأهواء عند هجومها ، و تلتبس الآراء عند نجومها (1861) . و من أشرف لها قصمته ، و من سعى فيها حطمته ،

يتكادمون (1862) فيها تكادم الحمر في العانة (1863) قد اضطرب معقود الحبل ، و عمي وجه الأمر . تغيض (1864) فيها الحكمة . و تنطق فيها الظّلمة ، و تدق (1865) أهل البدو بمسحلها (1866) ، و ترضّهم (1867) بكلكلها (1868) يضيع في غبارها الوحدان (1869) ، و يهلك في طريقها الرّكبان ، ترد بمرّ القضاء ، و تحلب عبيط الدّماء (1870) ، و تثلم منار الدّين (1871) ، و تنقض عقد اليقين . يهرب منها الأكياس (1872) ،

و يدبّرها الأرجاس (1873) . مرعاد مبراق ، كاشفة عن ساق تقطع فيها الأرحام ، و يفارق عليها الإسلام بريّها سقيم ، و ظاعنها مقيم منها : بين قتيل مطلول (1874) ، و خائف مستجير . يختلون (1875) بعقد الأيمان و بغرور الإيمان ، فلا تكونوا أنصاف (1876) الفتن .

و أعلام البدع ، و الزموا ما عقد عليه حبل الجماعة . و بنيت عليه أركان الطّاعة ، و اقدموا على الله مظلومين ، و لا تقدموا عليه ظالمين ،

[67]

و اتّقوا مدارج الشّيطان ، و مهابط العدوان ، و لا تدخلوا بطونكم لعق (1877) الحرام ، فإنّكم بعين (1878) من حرّم عليكم المعصية ، و سهّل لكم سبل الطّاعة .

توضيح :

« مداحر الشيطان » الأمور الّتي يدحر و يطرد بها . و « مزاجره » الأمور الّتي يزجر بها . و « حبائله » مكائده الّتي يضلّ بها البشر . و « مخاتله » الأمور الّتي يختل بها ،

بالكسر ، أي يخدع بها . و « لا يوازي » أي لا يساوى ، و الأصل فيه الهمزة كما قيل .

و « الجهالة الغالبة » بالباء الموحّدة و في بعض النسخ بالمثنّاة ، من « الغلاء » و هو الارتفاع ،

أو من « الغلوّ » و هو مجاوزة الحدّ . و « الجفوة » غلظ الطبع ، و الوصف للمبالغة .

« و الناس » الواو الحال . و « الحريم » حرمات الله الّتي يجب احترامها و محرّماته .

و قال في النهاية : « الفترة » ما بين الرسولين ، و « أصابني على فترة » أي في حال سكون و تقليل من العبادات و المجاهدات . و « الكفرة » المرّة من الكفر . و « المشعر » الجماعة . و « الغرض » الهدف . و « سكرات النعمة » ما يحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر . و « البوائق » الدواهي . و « التثبت » التوقف و ترك اقتحام الأمر .

و « القتام » بالفتح ، الغبار . و « العشوة » ركوب الأمر على غير بيان و وضوح ، و يروى :

« و تبيّنوا » كما قريء في الآية . 584 و كنّى عليه السلام عن ظهور المستور المخفيّ منها بقوله « عند جنينها و ظهور كمينها » ، و « الجنين » الولد مادام في البطن ، و « الكمين » الجماعة المختفية في الحرب . و المدار مصدر ، و المكان بعيد ، و « انتصاب قطبها و مدار رحاها » كنايتان عن انتظام أمرها . و « المدرجة » المذهب و المسلك ، أي إنّها تكون ابتداء يسيرة ثمّ تصير كثيرة . و « الشباب » بالكسر ، نشاط الفرس و رفع يديه جميعا ، و في بعض النسخ بالفتح . و « السلام » الحجارة ، أي إنّ أربابها يمرحون في أوّل الأمر كما يمرح الغلام ، ثمّ يؤوّل إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان ،

فيحتمل أن يكون كالتفسير لسابقه ، أو يكون المراد : إنّها في الدنيا كنشاط الغلام و ما

----

(584) الحجرات : 6 .

أعقبها في الآخرة كآثار السلام .

« يتوارثها الظلمة بالعهود » الظرف متعلّق بالفعل ، أي توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت عليهم السلام و غصب حقّهم ، أو بالظلمة أي الّذين ظلموا عهد اللّه و تركوه . « يتكالبون » أي يتواثبون . و « المريحة » المنتنة ، من « أراحت » إذا ظهر ريحها ، أو من « أراح البعير » إذا مات . قوله عليه السلام « و عن قليل » أي بعد قليل من الزمان . « يتبرّأ التابع » قال ابن أبي الحديد : ذلك التبرء في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز ، أمّا تبرّء التابع من المتبوع قال تعالى : قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً [585] . و أمّا تبرّء القائد من المقود أي المتبوع من التابع فقال تعالى : إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا 586 . و امّا الأعمّ كما دلّ عليه قوله عليه السلام « فيتزايلون الخ » ، فقال تعالى : يَوْمَ الْقِيمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبعضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً [587] . و قوله عليه السلام « يتزايلون » أي يفترقون .

و « طالع الفتنة » مقدّماتها ، و سمّاها و جوفا لشدّة الاضطراب فيها . قال : و لمّا ذكر عليه السلام رغبتهم في الدّنيا و تكالبهم عليها أراد أن يذكر ما يؤكد التعجّب من فعلهم فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال : « عن قليل يتبرّء التّابع الخ » . ثمّ عاد إلى نظام الكلام فقال : « ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف » .

و قال ابن ميثم : أشار عليه السلام إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتن ، ثمّ أخبر عن انقضائها عن قليل ، و كنّى عن ذلك بتبرء التابع من المتبوع . قيل : ذلك التبرّء عند ظهور الدولة العبّاسيّة فإنّ العادة جارية بتبرّء الناس من الولاة المعزولين خصوصا ممّن تولى عزل اولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء و يتلاعنون عند اللقاء .

قال : و قوله عليه السلام « ثمّ يأتي » إشارة إلى التتار إذ الدائرة فيهم كانت على العرب .

[585] الغافر : 74 . و أوضح منه في هذا المطلب الآية 167 من سورة البقرة .

----

(586) البقرة : 166 .

[587] العنكبوت : 25 ، و في البحار : « بعضهم » ، و هو تصحيف .

قال : و قال بعض الشارحين : ذلك إشارة إلى الحكمة الكائنة في آخر الزمان كفتنة الدّجال ، و وصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس أو أمر الإسلام فيها و بقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيها لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه ،

أي يمشي إليهم قدما .

و « نجم الشيء ينجم بالضم نجوما » ظهر و طلع . قوله عليه السلام « من أشرف لها » أي صادمها و قابلها . و « من سعى فيها » أي في تسكينها و إطفائها .

و « الحطم » الكسر . و « التكادم » التعاضّ بأدنى الفم . و « العانة » القطيع من حمر الوحش ، و لعلّ المراد مغالبة مثيرى تلك الفتنة بعضهم لبعض ، أو مغالبتهم لغيرهم .

و « معقود الحبل » قواعد الدين الّتي كلّفوا بها . و في إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوّز و « الغيض » القلّة و النقص . و « المسحل » كمنبر السوهان أو المنحت ، أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب . و « الرض » الدق . و « الكلكل » الصدر . و « الوحدان » جمع واحد ، أي من كان يسير وحده فإنّه يهلك فيها بالكلّيّة ، و إذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون ، و لفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها ، أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها . و أما الركبان و هم الكثير من الناس فإنّهم يهلكون في طريقها و عند الخوض فيها . و يجوز أن يكون الوحدان جمع أوحد ، أي يضلّ في غبار هذه الفتنة و شبهها فضلاء عصرها لغموض الشبهة و استيلاء الباطل ، و يكون الركبان كناية عن الجماعة أهل القوّة ، فهلاك أهل العلم بالضلال ، و هلاك أهل القوّة بالقتل . 588 و « مرّ القضاء » الهلاك و الاستيصال و البلايا الصعبة . و « عبيط الدماء » الطريّ الخاص منها . و « تثلم » أي تكسر . « منار الدين » أي أعلامه . « مرعاد مبراق » أي ذات رعد و برق تشبيها بالسحاب ، أو ذات وعيد و تهدّد ، من « رعد الرجل و برق » إذا أوعد و تهدّد . و يحتمل أن يكون الرعد صوت السلاح و البرق ضوءه .

و قال في النهاية : « السّاق » في اللغة ، الأمر الشديد ، و كشف السّاق مثل في

----

(588) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 224 226 ، ط بيروت .

شدّة الأمر ، و أصله من كشف الإنسان عن ساقه و تشميره إذا وقع في أمر شديد : قوله عليه السلام « بريّها » أي من يعدّ نفسه بريئا سالما من المعاصي أو الآفات ، أو من كان سالما بالنسبة إلى سائر الناس فهو أيضا مبتلى بها ، أو المعنى . إنّ من لم يكن مائلا إلى المعاصي أو أحب الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك .

قوله عليه السلام « و ظاعنها مقيم » أي لا يمكنه الخروج عنها أو من اعتقد أنّه متخلّف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه و عموم الضلالة . قوله عليه السلام « مطلول » أي مهدّد لا يطلب به . « يختلون » أي يخدعون . « بعقد الإيمان بصيغة المصدر أو كصرد بصيغة الجمع . و « يختلون » في بعض النسخ على بناء المجهول فيكون إخبارا عن حال المخدوعين الذين يختلهم غيرهم بالأيمان المعقودة بينهم ، أو بالعهود الّذي يشدّونها بمسح أيمانهم ، و في بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخبارا عن أهل ذلك الزمان جميعا أو الخادعين الخائنين منهم . و « بغرور الإيمان » أي بالإيمان الّذي يظهره الخادعون لهولاء الموصوفين فيغرونهم بالمواعيد الكاذبة ، أو الّذي يظهر هؤلاء الموصوفون فيغرون الناس به ،

على النسختين . قوله عليه السلام « أنصاف الفتن » جمع « نصب » و هو بالفتح أو التحريك ، العلم أو بمعنى الغاية و الحدّ ، و منه أنصاب الحرم ، و في بعض النسخ بالراء ،

ما عقد عليه حبل الجماعة أي القوانين الّتي ينتظم بها اجتماع الناس على الحقّ ، و هي الّتي بنيت عليها أركان الطاعة .

« و اقدموا على الله مظلومين » أي كونوا راضين بالمظلوميّة ، أولا تظلموا الناس و إن استلزم ترك الظلم مظلوميتكم . و « مدارج الشيطان » مذاهب و مسالكه . و « مهابط العدوان » المواضع الّتي يهبط هو و صاحبه فيها . و « اللعق » جمع « لعقة » بالضم ، و هي اسم لما تأخذه الملعقة ، و « اللعقة » بالفتح ، المرّة منه ، فنبّه عليه السلام باللعق على قلّتها بالنسبة إلى متاع الآخرة ، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير .

قوله عليه السلام « بعين من حرّم » أي بعلمه ، كقوله تعالى : تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا (القمر : 14) . 589

----

(589) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 716 ، ط كمپاني و ص 663 ، ط تبريز .

152 و من خطبة له عليه السلام في صفات اللّه جل جلاله ، و صفات أئمة الدين

في صفات الله جل جلاله

الحمد للّه الدّالّ على وجوده بخلقه ، و بمحدث خلقه على أزليّته ،

و باشتباههم على أن لا شبه له . لا تستلمه (1879) المشاعر ، و لا تحجبه السّواتر ، لافتراق الصّانع و المصنوع ، و الحادّ و المحدود ، و الرّبّ و المربوب ، الأحد بلا تأويل عدد ، و الخالق لا بمعنى حركة و نصب (1880) ،

و السّميع لا بأداة (1881) ، و البصير لا بتفريق آلة (1882) ، و الشّاهد لا بمماسّة ، و البائن (1883) لا بتراخي مسافة ، و الظّاهر لا برؤية ، و الباطن لا بلطافة . بان من الأشياء بالقهر لها ، و القدرة عليها ، و بانت الأشياء منه بالخضوع له ، و الرّجوع إليه . من وصفه فقد حدّه (1884) ، و من حدّه فقد عدّه ، و من عدّه فقد أبطل أزله ، و من قال : « كيف » فقد استوصفه ، و من قال : « أين » فقد حيّزه . عالم إذا لا معلوم ،

و ربّ إذ لا مربوب ، و قادر إذ لا مقدور . النهج : قال عليه السلام :

الحمد للّه الدالّ على وجوده بخلقه ، و بمحدث خلقه على أزليّته . [590]

[590] الأولّيّة و الآخريّة وصفان اضافيّان ، فإذا قويس شيء إلى آخر وجد بعده وصف بالأوّليّة ، و إذا قويس إلى شيء وجد قبله وصف بالآخريّة . و للتقدّم و التأخر أقسام مذكورة في محلّها ، و قد اختلف القول في تقدّم الواجب على الممكنات ، فقيل : إنّ تقدّمه زماني ، و قيل : علّي ، و قيل : سرمدي إلى غير ذلك . لكنّ التقدّم الزماني بمعناه المصطلح و هو وقوع المتقدم مقارنا لجزء من

و منه [591] قال عليه السلام :

الحمد للّه خالق العباد ، و ساطح المهاد ، و مسيل الوهاد ، و مخصب النجاد ، ليس لأوّليّته ابتداء ، و لا لأزليّته انقضاء ، هو الأوّل لم يزل ، و الباقي بلا أجل . . . (إلى قوله عليه السلام :) قبل كلّ غاية و مدّة ، و كلّ إحصاء و عدّة . . . (إلى قوله عليه السلام :) لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة ، و لا من أوائل أبدية بل خلق ما خلق فأقام حدّة ، و صوّر ما صوّر فأحسن صورته .

الزمان متقدّم على الجزء الّذي وقع المتأخّر مقارنا له ممّا يستحيل في حقّ الحق سبحانه و تقدّس لتعاليه عن مقارنة الزمان و مقايسته بالحدثان . على أنّه يستلزم قدم الزمان و هو كرّ على ما فرّ منه .

و أمّا تفسير التقدّم الزمانيّ بأنّ الواجب كان في زمان لم يكن شيء . و تتميمه بأنّ الزمان أمر موهوم منتزع من ذاته ، ممّا لا يجدي شيئا و لا يسمن و لا يغني من جوع لأنّ الزمان إن كان أمرا موهوما فلا يمكن تأثيره في الواقعيّات و إناطة البحث الحقيقيّ به ، غاية الأمر تسميته تعالى بالقديم الزماني تسمية ليس وراءه حقيقة و لا تجاوز حدّ الإسم و الوهم . و إن كان أمرا واقعيّا فلا يمكن انتزاعه من ذات الباريء سبحانه و إلاّ لتطرّق التغيّر و الحدوث إليها .

و أمّا آخريّة الواجب ، فقيل بالآخريّة الزمانيّة بمعنى أنّه يفنى كلّ شيء إلاّ الواجب تعالى فيكون زمان ليس فيه غيره سبحانه و لمّا كان ظاهر هذا القول لظواهر الكتاب و السّنّة من أبديّة نشأة الآخرة آخرا و خلود أهلها ، فسّر بفناء الموجودات قبل قيام الساعة و لقائل أن يقول : هل يكون عند فناء جميع الموجودات زمان أو لا ؟ فإن كان فلا يكون الواجب آخرا بالنسبة إلى نفس الزمان و إلاّ فلا يكون آخرا زمانيا ، على أنّه تعالى يكون على هذا آخرا بالنسبة إلى الموجودات قبل قيام الساعة لا بعده ، و له توال فاسدة أخرى .

و حقّ القول أنّ الواجب تعالى محيط بجميع العوالم ، مهيمن على كافّة الموجودات و يكون وجوده أوسع و أرفع من كلّ الموجودات ، بل هي بأسرها ظلّ وجوده و شعاع نوره تبارك و تعالى و ليس لها استقلال اصلا فليس بين الموجودات الإمكانية و بين وجوده السرمديّ الواجب المحيط الغير المتناهي بل فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى نسبة ، فأين المتناهي

من غير المتناهي ؟ و ما للتراب و ربّ الأرباب ؟ فكلّما فويس وجود إمكاني إلى وجوده المتعالي كان من بين يديه و من خلفه و من فوقه و من تحته ، و من كلّ جهة من جهاته ، و كلّ شأن من شؤونه محدودا محاط بوجوده تبارك و تعالى فإذا لوحظ الجهة السابقة على الموجودات ، كان سبحانه هو الأوّل ،

و إذا لوحظ الجهدة اللاحقة ، كان هو الآخر ، و إذا لوحظ ظاهرها كان هو الباطن و إذا لوحظ باطنها كان هو الظاهر :

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ الحديد : 3 .

أَلاَ إِنَّ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ فصلّت : 54 .

[591] في بعض النسخ : و في خطبة .

بيان :

« الساطح » الباسط . و « المسيل » المجري . و « الوهاد » جمع « وهدة » و هي الأرض المنخفضة . و « أخصب اللّه الأرض » أي جعلها كثيرة العشب و الكلاء ،

و « النجاد » بالكسر ، جمع « نجد » بالفتح ، و هو المرتفع من الأرض . « و لا لأزليّته انقضاء » أي في جانب الأبد ، أي أزليّته أزليّة مقرونة بالأبديّة ، و يمكن أن يكون إشارة إلى أنّ الأزليّة تستلزم الأبديّة إذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، أو في جانب الأزل إذا رجع الوهم إليه . و لا يخفى دلالة تلك الفقرات على اختصاص الأزليّة به و حدوث ما سواه ، إذ ذكر الصفات المشتركة بينه و بين خلقه لا يناسب مقام المدح . ثمّ صرّح عليه السلام بذلك بقوله « لم يخلق الأشياء من اصول أزليّة » ردّا على ما زعمته الحكماء من الهيولى القديمة و نحو ذلك . و « الأبد » بالتحريك الدهر ، و « الدائم » و « القديم » الأزلي [592] ، كما ذكره في القاموس ، و قيل : الزمان الطويل الّذي ليس بمحدود ، و الظاهر أنّه تأكيد و تفسير للفقرة الأولى ، و يحتمل أن يكون المراد الأمثلة الّتي يخلق اللّه تعالى الأشياء على حذوها . و في بعض النسخ : « بديّة » و البديّ كرضيّ الأوّل « من أوائل » سابقة على إيجادها . 593

[592] الأزليّة و القدم مترادفان و معناهما كون الموجود بحيث لا يسبقه عدم ، فإن أضيف إلى العدم الذاتيّ سمّي قدما ذاتيّا ، و إن أضيف إلى العدم الزمانيّ سمّي قدما زمانيّا ، و حيث إنّ الزمان مقدار الحركة و الحركة تختصّ بالأجسام ، فإذا لم يكن جسم لم يكن زمان و كلّ شيء غير جسماني فإنه خارج عن حيطة الزمان البتّة فلو وجد شيء مجرّد عن المادّة كان لا محالة غير محدود بالزمان .

و حيث إنّ الجسم لا ينفك عن الحركة بناء على القول بالحركة الجوهريّة فكلّما فرض جسم كان حادثا زمانيّا .

و الواجب تعالى قديم أزليّ ذاتا بمعنى كون الوجود عين ذاته و استحالة العدم عليه بوجه و زمانا بمعنى كونه خارجا عن ظرف لزمان و منزّها عن مقارنته لا بمعنى كونه مقارنا لزمان غير متناه من جهة البدء . و أمّا ما سواه فعلى القول بوجود المجرّدات المحضة الموجودات النورية العالية فإنّها أيضا غير مقيّدة بالزمان لكنّها لا تشارك الواجب تعالى في الأزليّة الذاتيّة .

و أمّا المادّة أعني الهيولى الأولى فليست من الموجودات المتحصّلة ، و تحصّلها إنّما يكون بالصور ، و لا شيء من الصور الجسمانية بقديم لما ذكرنا . نعم ، على القول بقدم الصور الفلكيّة كما يراه بعض الفلاسفة تكون مادّتها أيضا قديمة ، لكنّها على كلّ حال ليست موجودة قبل الأشياء و لا أصلا أزليّا للكائنات .

----

(593) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 57 ، كتاب السماء و العالم ، ص 27 .

أئمة الدين

منها : قد طلع طالع ، و لمع لامع ، و لاح (1885) لائح ، و اعتدل مائل ، و استبدل اللّه بقوم قوما و بيوم يوما ، و انتظرنا الغير (1886) انتظار المجدب المطر . و إنّما الأئمّة قوّام اللّه على خلقه ، و عرفاؤه على عباده ، و لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم و عرفوه ، و لا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم و أنكروه . إنّ اللّه تعالى خصّكم بالإسلام ، و استخلصكم له ، و ذلك لأنّه اسم سلامة ، و جماع (1887) كرامة . اصطفى اللّه تعالى منهجه ، و بيّن حججه ، من ظاهر علم ، و باطن حكم . لا تفنى غرائبه ،

و لا تنقضي عجائبه . فيه مرابيع النّعم (1888) ، و مصابيح الظّلم ، لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتيحه ، و لا تكشف الظّلمات إلاّ بمصابيحه .

قد أحمى حماه (1889) ، و أرعى مرعاه . فيه شفاء المستشفي ، و كفاية المكتفي .

توضيح :

قيل : هذه خطبة خطب بها عليه السلام بعد قتل عثمان و انتقال الخلافة إليه 594 ، و يمكن أن يكون المراد بطلوع الطالع ظهور إمرته و خلافته عليه السلام ، و أن يشير بلموع اللامع إلى ظهورها من حيث هي حقّ له ، و سطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه ، و بلوح اللائح إلى الحروب و الفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه . و قيل : المراد بالجميع واحد ، فيحتمل أن يكون المراد : طلع ما كان طالعا فإنّ الخلافة كانت له عليه السلام حقيقة أي طلع ظاهرا ما كان طالعا حقيقة كقوله

----

(594) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 153 ، ط بيروت .

عليه السلام « و اعتدل مائل » أي الخلافة كانت مائلة عن مركزها أو أركان الدين القويم . و لعلّ انتظار الغير كناية عن العلم بوقوعه ، أو الرضيّ بما قضى اللّه من ذلك ، و المراد بالغير ما جرى قبل ذلك من قتل عثمان و انتقال الأمر إليه عليه السلام ، أو ما سيأتي من الحروب و الوقائع ، و الأول أنسب .

قوله عليه السلام « قوّام اللّه » أي يقومون بمصالحهم ، و قيّم المنزل هو المدبّر له . و « العرفاء » جمع « عريف » و هو القيّم بأمور القبيلة و الجماعة يلي أمورهم و يتعرّف الأمير منه أحوالهم ، فعيل بمعنى فاعل . « إلاّ من عرفهم » أي بالإمامة . و « عرفوه » أي بالتشيّع و الولاية . و منكرهم من لم يعرفهم و لم يقرّ بما أتوابه من ضروريّات الدين فهو منكر لهم .

قوله عليه السلام « لأنّه اسم سلامة » أي الإسلام مشتقّ من السلامة .

و قال الجوهريّ : « جماع الشيء » بالكسر ، جمعه ، يقال : الخمر جماع الإثم . و « المرابيع » الأمطار الّتي يجيىء في أول الربيع فيكون سببا لظهور الكلاء . و يقال : « أحميت المكان » أي جعلته حمى . قال ابن أبي الحديد : « أحماه » أي جعله عرضة لأن يحمى ، أي عرض اللّه سبحانه حماه و محارمه لأن يجتنب . و « أرعى مرعاه » لأن يرعى ، أي مكّن من الانتفاع بمواعظه لأنّه خاطبنا بلسان عربيّ مبين 595 . و يمكن أن يقال : المعنى جعل له حرمات و نهى عن انتهاكها و ارتكاب نواهيه و تعدّى حدوده ، و رخصا أباح للناس التمتّع بها . و المراد بقوله عليه السلام « أحمى حماه » منع المغيّرين من تغيير قواعده ، و بقوله « أرعى مرعاه » مكّن المطيعين من طاعته الّتي هي الأغذية الروحانيّة للصالحين كما أنّ النبات غذاء للبهائم . 596

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الثاني من الخطبة :]

بيان : ظاهره أنّ الاسلام مشتقّ من السلامة ، أي من آفات الدنيا و مهالك الآخرة إذا أدّى حقّه ، فليس بمعنى الانقياد و الدخول في السلم . و « جماع الشيء »

----

(595) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 156 ، ط بيروت .

----

(596) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 398 ، ط كمپاني و ص 373 ، ط تبريز .

[76]

ككتاب جمعه ، و في الحديث : « الخمر جماع الاثم » أي مظنّته و مجمعه . و « المنهج و المنهاج » الطريق الواضح ، و حججه الأدلة على صحّته و كلمة « من » للتفسير و تفصيل الحجج . و ظاهر العلم الأحكام الواضحة المبيّنة للناس من محكمات القرآن و ما اتّضح من السنّة . و « باطن الحكم » الأحكام المخزونة عند أهلها ، كتأويل المتشابهات و أسرار الشريعة ، و قيل : يعني بظاهر علم ، و باطن حكم القرآن ، ألا تراه كيف أتى بعده بصفات و نعوت لا يكون إلاّ للقرآن ، و لا ريب في اتّحاد حجج الاسلام و القرآن ، و لا يبعد أن يكون القرآن في جملة كلام حذف السيّد رضي اللّه عنه على عادته في الالتقاط و الاختصار ، و في بعض النسخ : « عزائمه » مكان « غرائبه » أي آياته المحكمة و براهينه العازمة أي القاطعة ، و عدم فناء العزائم أو الغرائب إمّا ثباتها و استقرارها على طول المدة و تغيّر الأعصار ، أو كثرتها عند البحث و التفتيش عنها . و عدم انقضاء العجائب هو أنّه كلّما تأمّل فيه الانسان استخرج لطائف معجبة . و « المرابيع » أمطار أوّل الربيع تحيى بها الأرض و تنبت الكلاء ، و في بعض النسخ : « بمفاتيحه و بمصابيحه » مع الياء و في بعضها بدونها .

و « حميت المكان من الناس » كرميت أي منعته منهم ، و الحماية اسم منه ،

و « كلاء حمى » كرضى أي محميّ ، و « أحميت المكان » جعلته حمى لا يقرب منه و لا يجترء عليه . و « الرعي » بالكسر ، الكلاء و بالفتح ، المصدر و المرعى الرعي و المصدر و الموضع .

قيل : « أحمى حماه » أي جعله اللّه عرضة لأن يحمى ، كما تقول : « أقتلت الرجل » أي جعلته عرضة لأن يقتل ، أي قد عرض اللّه حمى القرآن و محارمه لأن يجتنب ،

و عرض مرعاه لأن يرعى ، أي مكّن من الانتفاع بمواعظه و زواجره لأنّه خاطبنا بلسان عربيّ مبين و لم يقنع ببيان ما لم يعلم إلاّ بالشرع حتّى نبّه في أكثره على أدلّة العقل . 597 و قيل : استعار لفظ الحمى لحفظه و تدبّره و العمل بقوانينه ، و وجه الاستعارة أنّ بذلك يكون حفظ الشخص و حراسته ، أمّا في الدنيا ، فمن أيدي كثير من الظالمين

----

(597) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 156 ، ط بيروت .

[77]

لاحترامهم حملة القرآن و مفسرية و من يتعلّق به ، و أمّا في الآخرة ، فلحمايته حفظته و متدبريه و العامل به من عذاب اللّه كما يحمي الحمى من يلود به ، و قيل : أراد بحماه محارمه ، أي منع بنواهيه و زواجره أن يستباح محارمه .

« و أرعى مرعاه » أي هيأه لأن يرعى ، و استعار لفظ المرعى للعلوم و الحكم و الآداب الّتي يشتمل عليها القرآن و وجه المشابهة أنّ هذه مراعي النفوس و غداؤها الّذي به يكون نشوها العقليّ ، و تمامها الفعليّ كما أنّ النبات و العشب غذاء للأبدان الحيوانيّة الّذي يقوم بها وجودها . 598 و أقول : يحتمل أن يكون المراد به أنّه جعل له حدودا و حرمات ، و نهى عن انتهاكها و ارتكاب نواهيه و تعدّي حدوده ، و رخصا أباح للناس الانتفاع بها و التمتّع منها ،

و يمكن أن يقال : « أحمى حماه » أي منع المغيرين من تغيير قواعده « و أرعى مرعاه » أي مكن المطيعين من طاعته ، و هي الغذاء الروحانيّ الذي به حياتهم الباقية في النشأة الآخرة . و « المشتفي » طالب الشفاء كالمستشفي كما في بعض النسخ أي فيه شفاء من الأمراض المعنويّة كالجهل و الضلال كما قال تعالى : شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ 599 ، أو منها و من الأمراض البدنيّة أيضا بالتعوّذ و نحوه كما قال سبحانه : « وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ 600 . و « الكفاية » بالكسر ، ما به يحصل الاستغناء عن غيره ،

و هذه الكفاية لأهله ، و من أخذ غوامضه منهم و رجع في تأويل المتشابهات و نحوه إليهم . 601

153 و من خطبة له عليه السلام

صفة الضال

----

(598) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 238 ، ط بيروت .

----

(599) يونس : 57 .

----

(600) الإسراء : 82 .

----

(601) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 68 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 374 .

[78]

و هو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين . و يغدو مع المذنبين ، بلا سبيل قاصد ، و لا إمام قائد .

صفات الغافلين

منها : حتّى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم ، و استخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا ، و استدبروا مقبلا ، فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم ، و لا بما قضوا من وطرهم .

إنّي أحذّركم ، و نفسي ، هذه المنزلة . فلينتفع امرؤ بنفسه ،

فإنّما البصير من سمع فتفكّر ، و نظر فأبصر ، و انتفع بالعبر ، ثمّ سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي ، و الضّلال في المغاوي (1890) ، و لا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حقّ ، أو تحريف في نطق ، أو تخوّف من صدق .

عظة الناس

فأفق أيّها السّامع من سكرتك ، و استيقظ من غفلتك ، و اختصر من عجلتك ، و أنعم الفكر فيما جاءك على لسان النّبي الأمّيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم ممّا لا بدّ منه و لا محيص عنه ، و خالف من خالف ذلك إلى غيره ، و دعه و ما رضي لنفسه ، وضع فخرك ، و احطط

[79]

كبرك ، و اذكر قبرك ، فإنّ عليه ممرك ، و كما تدين تدان ، و كما تزرع تحصد ، و ما قدّمت اليوم تقدم عليه غدا . فامهد (1891) لقدمك .

و قدّم ليومك . فالحذر الحذر أيّها المستمع و الجدّ الجدّ أيّها الغافل « و لا ينبّئك مثل خبير » .

إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم ، الّتي عليها يثيب و يعاقب .

و لها يرضى و يسخط . أنّه لا ينفع عبدا و إن أجهد نفسه . و أخلص فعله أن يخرج من الدّنيا ، لاقيا ربّه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها : أن يشرك باللّه فيما افترض عليه من عبادته ، أو يشفي غيظه بهلاك نفس ، أو يعرّ (1892) بأمر

فعله غيره ، أو يستنجع (1893) حاجة إلى النّاس بإظهار بدعة في دينه ، أو يلقى النّاس بوجهين ، أو يمشي فيهم بلسانين . اعقل ذلك فإنّ المثل دليل على شبهه .

إنّ البهائم همّها بطونها ، و إنّ السّباع همّها العدوان على غيرها ،

و إنّ النّساء همّهنّ زينة الحياة الدّنيا و الفساد فيها ، إنّ المؤمنين مستكينون (1894) . إنّ المؤمنين مشفقون . إنّ المؤمنين خائفون .

154 و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها فضائل أهل البيت

[80]

و ناظر قلب (1895) اللّبيب به يبصر أمده ، و يعرف غوره (1896) و نجده (1897) . داع دعا ، و راع رعى ، فاستجيبوا للدّاعى . و اتّبعوا الرّاعي .

قد خاضوا بحار الفتن . و أخذوا بالبدع دون السّنن . و أرز (1898) المؤمنون . و نطق الضّالّون المكذّبون . نحن الشّعار (1899) و الأصحاب ،

و الخزنة و الأبواب ، و لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقا .

قال عبد الحميد بن أبي الحديد

602 : أي خزنة العلم و أبوابه ، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : أنا مدينة العلم و عليّ بابها ، و من أراد الحكمة فليأت الباب .

و قال صلّى اللّه عليه و آله فيه عليه السلام : خازن علمي . و تارة اخرى : عيبة علمي . 603 منها : فيهم كرائم (1900) القرآن ، و هم كنوز الرّحمن . إن نطقوا صدقوا ، و إن صمتوا لم يسبقوا . فليصدق رائد أهله ، و ليحضر عقله ، و ليكن من أبناء الآخرة ، فإنّه منها قدم ، و إليها ينقلب .

فالنّاظر بالقلب ، العامل بالبصر ، يكون مبتدأ عمله أن يعلم : أعمله

----

(602) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 165 ، ط بيروت .

----

(603) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 40 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 204 .

[81]

عليه أم له فإن كان له مضى فيه ، و إن كان عليه وقف عنه . فإنّ العامل بغير علم كالسّائر على غير طريق . فلا يزيده بعده عن الطّريق الواضح إلا بعدا من حاجته . و العامل بالعلم كالسائر على الطّريق الواضح . فلينظر ناظر : أسائر هو أم راجع و اعلم أنّ لكل ظاهر باطنا على مثاله ، فما طاب ظاهره طاب باطنه ،

و ما خبث ظاهره خبث باطنه . و قد قال الرّسول الصّادق صلّى اللّه عليه و آله : « إنّ اللّه يحبّ العبد ، و يبغض عمله ، و يحبّ العمل و يبغض بدنه » .

و اعلم أنّ لكلّ عمل نباتا . و كلّ نبات لا غنى به عن الماء ، و المياه مختلفة ، فما طاب سقيه ، طاب غرسه و حلت ثمرته ، و ما خبث سقيه ، خبث غرسه و أمرّت ثمرته .

بيان :

لعلّ المراد بالظاهر و الباطن ما يظهر من الانسان من أعماله ، و ما هو باطن من نيّاته و عقائده ، فقوله عليه السلام : « و قد قال » كالاستثناء من المقدّمتين و الحاصل أنّ الغالب مطابقة الظاهر للباطن ، و قد يتخلّف ذلك كما يدلّ عليه الخبر و يحتمل أن يكون المعنى أنّ ما يظهر من أفعال المرء و أفعاله في آخر عمره يدلّ على ما كان كامنا في النفس من النيّات الحسنة و العقائد الحقّة و الطينات الطيّبة أو النيّات الفاسدة و العقائد الرديّة و الطينات الخبيثة ، فيكون الخبر دليلا على ذلك ، فإنّ من يكون في بدو حاله فاجرا و يختم له بالحسنى ، إنّما يحبّه اللّه لما يعلم من حسن سريرته الّذي يدلّ عليه خاتمة عمله ، و من كان بعكس ذلك يبغضه لما يعلم من سوء سريرته ، و هذان الوجهان مما خطر بالبال و ربّما يؤيّد الثاني ما ذكره بعده كما لا يخفى بعد التأمّل .

و قال ابن أبي الحديد : هو مشتقّ من قوله تعالى : وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ 604 . و المعنى أن لكلي حالتي الإنسان الظاهرة أمرا باطنيّا يناسبها من أحواله ،

و الحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل ، و ميله إلى الهوى ، فالمتّبع لعقله يرزق السعادة و الفوز ، فهذا هو الّذي طاب ظاهره و طاب باطنه ، و المتبّع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة و العطب ، و هذا هو الّذي خبث ظاهره و خبث باطنه . 605 و منهم من حمل الظاهر على حسن الصورة و الهيئة و قبحهما ، و قال : هما يدلان على قبح الباطن و حسنه ، و حمل حبّ العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع قبح الصورة و لا يخفى بعد الوجهين على الخبير . 606

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة :]

توضيح : قال الجوهري : الناظر من المقلة السواد الأصغر الّذي فيه إنسان العين ، أي إنّ قلب اللبيب له عين يبصر بها غايته الّتي تجرى إليها ، و يعرف من أحواله المستقبلة ما كان مرتفعا شريفا ، أو منخفصا ساقطا . و « النجد » المرتفع من الأرض .

و لعلّ المراد بالداعي الرسول صلى اللّه عليه و آله و بالراعي نفسه عليه السلام . قوله عليه السلام « قد خاضوا » كلام منقطع عما قبله و متّصل بكلام أسقطه السيّد رضى اللّه عنه تقيّة للتصريح بذمّ الخلفاء الثلاثة فيه .

و « أرز » بالفتح و الكسر ، انقبض . و « المؤمنون » هو عليه السلام و شيعته . و الضالون خلفاء الجور و أتباعهم .

و قال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام و « الخزنة و الأبواب » أي خزنة العلم و أبوابه ، أو خزنة الجنّة و أبوابها ، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : « أنا مدينة العلم و علي بابها و من أراد الحكمة فليأت الباب » ، و قال فيه : خازن علمي ، و تارة أخرى : عيبة علمي . و قال صلى اللّه عليه و آله في الخبر المستفيض : إنّه قسيم الجنّة و النار ، يقول للنّار هذا لي فدعيه ، و هذا لك فخذيه . ثمّ ذكر أربعة و عشرين حديثا من

----

(604) الأعراف : 58 .

----

(605) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 178 179 ، ط بيروت .

----

(606) بحار الأنوار الطبعة الجديدة ، ج 71 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 367 .

فضائله صلوات اللّه عليه من طرق المخالفين .

قوله عليه السلام « فيهم كرائم القرآن » ضمير الجمع إلى آل محمّد عليهم السلام الّذين عناهم عليه السلام بقوله « نحن الشعار » و المراد بكرائم القرآن مدائحهم الّتي ذكرها اللّه فيه ، أو علومه المخزونة عندهم . و « هم كنوز الرحمن » أي خزائن علومه و حكمه و قربه . قوله عليه السلام « لم يسبقوا » أي ليس صمتهم عن عيّ و عجز حتّى يسبقهم أحد ، بل لمحض الحكمة . قوله عليه السلام « فليصدق رائد أهله » يحتمل أن يكون المراد بالرائد الإنسان نفسه فإنّه كالرائد لنفسه في الدنيا يطلب فيه لآخرته ماء و مرعى ، أي لينصح نفسه و لا يغشّها بالتسويف و التعليل ، أو المعنى :

ليصدق كلّ منكم أهله و عشيرته و من يعينه أمره ، و ليبلّغهم ما عرف من فضلنا و علوّ درجتنا . قوله عليه السلام « فإنّه منها قدم » لخلق روحه قبل بدنه من عالم الملكوت ،

أو لخروج أبيهم من الجنّة ، و قيل : الآخرة الحضرة الإلهيّة الّتي منها مبدأ الخلق و إليها معادهم . « فالناظر بالقلب » أي من لا يقتصر في نظره على ظواهر الأمور . « العامل بالبصر » أي من يعمل بما يبصر بعين بصيرة ، أي إذا علم الحقّ لا يتعدّاه ، و يروى :

« العالم بالبصر » أي من كان إبصاره سببا لعلمه .

قوله عليه السلام « و اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطنا » أقول : قد يتوّهم التنافي بين هاتين الكلمتين و بين الخبر المرويّ ظاهرا ، و يخطر بالبال دفعه بوجوه :

الأوّل : أن يكون الخبر في قوّة الاستثناء لبيان أنّ المقدّمتين ليستا كليّتين بل هما لبيان الغالب و قد يتخلّف كما ورد في الخبر .

الثّاني : أن يكون الخبر استشهادا للمقدّمتين ، و بيانه أنّ للعمل ظاهرا و باطنا ،

و للشخص ظاهرا و باطنا ، فظاهر الشخص مطابق لباطنه ، و لذا يحبّ اللّه ظاهر الشخص لما يعلم من حسن باطنه و عاقبته ، و يبغض ظاهر الشخص إذا علم سوء باطنه ورداءة عاقبته .

الثالث : أنّ يكون المراد أنّه لا يمكن أن لا يظهر سوء الباطن من الأخلاق الرديّة و الاعتقادات الباطلة و الطينات الفاسدة و إن كان في آخر العمر ، و لا حسن الباطن من الأخلاق الحسنة و الاعتقادات الحقّة و الطينات الطيبة ، فالّذي يحبّه اللّه و يبغض عمله

[84]

ينقلب حاله في آخر العمر و يظهر منه حسن العقائد و الأعمال و كذا العكس ، فظهر أنّ حسن الباطن و الظاهر مطابقتان ، و كذا سوءهما . و لعلّ ما يذكر بعده يؤيّد هذا الوجه في الجملة .

الرابع : ما ذكره ابن أبي الحديد حيث قال : هو مشتقّ من قوله تعالى وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، و المعنى أنّ لكلتي حالتي الإنسان الظّاهرة أمرا باطنا يناسبها من أحواله ، و الحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل و ميله إلى الهوى ، فالمتّبع لعقله يرزق السعادة و الفوز ، فهذا هو الّذي طاب ظاهره و طاب باطنه ، و المتّبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة و العطب ، و هذا هو الّذي خبث ظاهره و خبث باطنه .

الخامس : ما قيل : المراد بطيب الظاهر حسن الصورة و الهيئة ، و بخبثه قبحهما .

و قال : هما بدلان على حسن الباطن و قبحه . و حمل خبث العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع حسن الصورة ، و الآخر على ما إذا كان مع قبح الصورة ، و لا يخفى بعده . و الأوّل أظهر الوجوه .

و « أمرت » أي صارت مرّا . 607

155 و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

حمد اللّه و تنزيهه

الحمد للّه الّذي انحسرت (1901) الأوصاف عن كنه معرفته ، و ردعت عظمته العقول ، فلم تجد مساغا إلى بلوغ غاية ملكوته هو اللّه الحقّ المبين ، أحق و أبين ممّا ترى العيون ، لم تبلغه العقول

----
(607) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 176 ، ط كمپاني و ص 170 ، ط تبريز .

[85]

بتحديد فيكون مشبّها ، و لم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثّلا .

خلق الخلق على غير تمثيل ، و لا مشورة مشير ، و لا معونة معين ،

فتمّ خلقه بأمره ، و أذعن لطاعته ، فأجاب و لم يدافع ، و انقاد و لم ينازع .

خلقة الخفاش

و من لطائف صنعته ، و عجائب خلقته ، ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش الّتي يقبضها الضّياء الباسط لكلّ شيء ،

و يبسطها الظّلام القابض لكلّ حيّ ، و كيف عشيت (1902) أعينها عن أن تستمدّ من الشّمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها ، و تتّصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها . و ردعها بتلألؤ ضيائها عن المضيّ في سبحات (1903) إشراقها ، و أكنّها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها (1904) ، فهي مسدلة الجفون بالنّهار على حداقها ، و جاعلة اللّيل سراجا تستدلّ به في التماس أرزاقها ، فلا يردّ أبصارها إسداف (1905) ظلمته ، و لا تمتنع من المضيّ فيه لغسق دجنّته (1906) . فإذا ألقت الشّمس قناعها ، و بدت أوضاح (1907) نهارها ، و دخل من إشراق نورها على الضّباب في وجارها (1908) ، أطبقت الأجفان على مآقيها (1909) ،

و تبلّغت (1910) بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها . فسبحان من

[86]

جعل اللّيل لها نهارا و معاشا ، و النّهار سكنا و قرارا و جعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطّيران ، كأنّها شظايا الآذان (1911) ،

غير ذوات ريش و لا قصب (1912) ، إلاّ أنّك ترى مواضع العروق بيّنة أعلاما (1913) . لها جناحان لمّا يرقّا فينشقّا ، و لم يغلظا فيثقلا . تطير و ولدها لاصق بها لاجىء إليها ، يقع إذا وقعت ، و يرتفع إذا ارتفعت ،

لا يفارقها حتّى تشتدّ أركانه ، و يحمله للنّهوض جناحه ، و يعرف مذاهب عيشه ، و مصالح نفسه . فسبحان البارىء لكلّ شيء ، على غير مثال خلا من غيره (1914) .

تبيان :

« الخفّاش » كرمان معروف ، و « حسر حسورا » كقعد كلّ لطول مدى و نحوه ، و « حسرته أنا » يتعدّى و لا يتعدّى ، و « انحسرت » أي كلّت و أعيت .

و « كنه الشيء » حقيقته و نهايته . و « ردعت » كمنعت لفظا و معنا . و « المساغ » المسلك . و « الملكوت » العزّ و السلطان . و « الحق » المتحقّق وجوده ، أو الموجود حقيقة .

و « أبين » أي أوضح ، و كونه سبحانه أحقّ و أبين ممّا ترى العيون ، لأنّ العلم بوجوده سبحانه عقليّ يقينيّ لا يتطرّق إليه ما يتطرّق إلى المحسوسات من الغلط .

و « الحدّ » في اللغة ، المنع و الحاجز بين الشيئين و نهاية الشيء و طرفه ، و في عرف المنطقيّين ،

التعريف بالذاتي ، و المراد بالتحديد هنا إمّا إثبات النهاية و الطرف المستلزم للمشابهة بالأجسام ، أو التحديد المنطقيّ و الأوّل أنسب بعرفهم . و « التقدير » إثبات المقدار ،

و كأنّ المراد بالتمثيل إيجاد الخلق على حذو ما قد خلقه غيره ، أو أنّه لم يجعل لخلقه مثالا قبل الايجاد كما يفعله البنّاء تصويرا لما يريد بناءه . و « المشورة » مفعلة من « أشار إليه بكذا » أي أمره به ، و « المشورة » بضمّ الشّين كما في بعض النسخ و الشورى بمعناه .

و « المعونة » الاسم من « أعانه و عوّنه » . « فتمّ خلقه » أي بلغ كلّ مخلوق إلى كماله الّذي

أراده اللّٰه سبحانه منه ، أو خرج جميع ما أراده من العدم إلى الوجود بمجرّد أمره ،

و « أذعن » أي خضع و أقرّ و أسرع في الطاعة و انقاد ، و الجملتان كالتفسير للاذعان ، و لعلّ المراد بالاذعان دخوله تحت القدرة الالهيّة و عدم الاستطاعة للامتناع .

و قوله عليه السلام « لم يدافع » بيان للاجابة ، كما أنّ « لم ينازع » بيان للانقياد ، و إلاّ لكان العكس أنسب ، و يحتمل أن يكون إشارة إلى تسبيحهم بلسان الحال كقوله تعالى : وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ 608 ، كما مرّ . و « اللطائف » جمع « لطيفة » ، و هي ما صغر ودقّ . و « العجائب » جمع « عجيبة و عجيب » قيل : يجمع على « عجائب » كأفيل و أفايل ، و قيل : لا يجمع عجيب و لا عجب . و « الغامض » خلاف الواضح و كلّ شيء خفي مأخذه . و قال بعضهم : حاصل الكلام ، التعجّب من مخالفتها لجميع الحيوانات في الأنقباض عن الضوء و الاشارة إلى خفاء العلّة في ذلك ، و المراد بالانقباض انقباض أعينها في الضوء ، و يكون ذلك عن إفراط التحلّل في الروح النوريّ لحرّ النهار ، ثمّ يستدرك ذلك برد الليل فيعود الابصار .

و قيل : الأظهر أنه ليس لمجرد الحرّ و إلاّ لزم أن لا يعرضه الانقباض في الشتاء إلاّ إذا ظهرت الحرارة في الهواء ، و في الصيف أيضا في أوائل النهار ، بل ذلك لضعف في قوّتها الباصرة ، و نوع من التضادّ و التنافر بينها و بين النور كالعجز العارض لسائر القوى المبصرة عن النظر إلى جرم الشمس ، و أمّا أنّ علّة التنافر ما ذا ؟ ففيه خفاء ، و هو منشأ التعجّب الذي يشير إليه الكلام ، و يمكن أن يعود الضمير إليها من غير تقدير مضاف ،

و يكون المراد بانقباضها ما هو منشأ اختفائها نهارا و إن كان ذلك ناشئا من جهة الابصار . و « العشى » بالفتح مقصورا ، سوء البصر بالنهار أو بالليل و النهار أو العمى ،

و المعنى كيف عجزت و عميت عن أن تستمدّ ؟ أي تستعين و تتقوّى ، تقول : « أمددته بمدد » إذا أعنته و قويته . و « مذاهبها » طرق معاشها و مسالكها في سيرها و انتفاعها ،

و « تصل » بالنصب عطفا على « تستمدّ » و في بعض النسخ بالرفع عطفا على « تهتدي » ،

و في بعضها : « و تتّصل » و « الاتّصال إلى الشيء » الوصول إليه .

----

(608) الإسراء : 44 .

و « البرهان » الدليل ، و « معارفها » ما تعرفه من طرق انتفاعها . و « درعها » أي كفّها و ردّها ، و « تلألأ البرق » أي لمع ، و « السبحات » بضمّتين جمع « سبحة » بالضم و هي النور ، و قيل : « سبحات الوجه » محاسنه لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت :

سبحان اللّه ، و قيل : « سبحان اللّه » تنزيه له ، أي سبحان وجهه . و « الكنّ » بالكسر ،

الستر و « أكنّه » ستره ، و « استكن » استتر ، و « كمن » كنصر و منع أي استخفى ،

و « المكمن » الموضع ، و « البلج » بالتحريك ، مصدر « بلج » كتعب أي ظهر و وضح ، و « صبح أبلج بين البلج » أي مشرق و مضيء ، ذكره الجوهريّ ، و قيل :

« البلج » جمع « بلجة » بالضمّ ، و هو أوّل ضوء الصبح ، و جاء « بلجة » أيضا بالفتح و لم أجده في كلامهم ، و « الائتلاق » اللمعان ، يقال : « ائتلق و تألق » إذا التمع . و « سدل ثوبه يسدله و أسدله » أي أرسله و أرخاه ، و « الجفن » بالفتح ، غطاء العين من أعلاها و أسفلها ، و الجمع « أجفان و جفون و أجفن » . و « الحدقة » محرّكة ، سواد العين ، و تجمع على « حداق » كما في بعض النسخ ، و على « أحداق » كما في بعضها ، و إسدال جفونها لانقباضها و تأثر حاسّتها عن الضياء ، و قيل : لأنّ تحلّل الروح الحامل للقوّة الباصرة سبب للنوم أيضا فيكون ذلك الاسدال ضربا من النوم . و « الالتماس » الطلب . و « أسدف الليل » أي أظلم ، و في بعض النسخ : « أسداف » بفتح الهمزة جمع « سدف » بالتحريك كجمل و أجمال و هو الظلمة ، و الاضافة للمبالغة ، و الضمير في « فيه » راجع إلى الليل .

و « الغسق » بالتحريك ، ظلمة أوّل الليل ، و « الدجنّة » بضم الدال المهملة و الجيم و تشديد النون كحزقّة و الدجنّ كعتلّ ، الظلمة ، و حاصل الكلام التعجّب من كون حالها في الابصار و التماس الرزق على عكس سائر الحيوانات . و « قناع الشمس » كناية عن الظلمة أو ما يحجبها من الآفاق ، و « إلقاء القناع » طلوعها . و « الوضح » بالتحريك ،

البياض من كلّ شيء و بياض الصبح و القمر ، و في بعض النسخ : « دخل من إشراق نورها » أي دخل الشيء من إشراق نورها .

و « الضباب » بالكسر ، جمع « الضبّ » الدابّة المعروفة ، و « و جارها » بالكسر ،

جحرها الّذي تأوي إليه ، و من عادتها الخروج من و جارها عند طلوع الشمس لمواجهة

النور على عكس الخفافيش ، و « مأقيها » بفتح الميم و سكون الهمزة و كسر القاف و سكون الياء كما في أكثر النسخ ، لغة في « المؤق » بضمّ الميم و سكون الهمزة ، أي طرف عينها ممّا يلي الأنف ، و هو مجرى الدمع من العين ، و قيل : مؤخرها ، و قال الأزهريّ : أجمع أهل اللغة أنّ « المؤق و المأق » بالضمّ و الفتح ، طرف العين الّذي يلي الأنف ، و أنّ الّذي يلي الصدغ يقال له : اللحاظ ، و « المأقي » لغة فيه ، و قال ابن القطّاع : « مأقى العين » فعلى ، و قد غلط فيه جماعة من العلماء فقالوا : هو مفعل ، و ليس كذلك بل الياء في آخره للالحاق ، قال الجوهريّ : و ليس هو مفعل لأنّ الميم أصليّة و إنّما زيدت في آخره اليآء للالحاق ، و لما كان فعلى بكسر اللام نادرا لا اخت لها ألحق بمفعل ، و لهذا جمع على « مأقي » على التوّهم ، و في بعض النسخ : « مأقيها » على صيغة الجمع . و « تبلّغ بكذا » أي اكتفى . و « المعاش » ما يعاش به و ما يعاش فيه ، و مصدر بمعنى الحياة و المناسب ههنا الأوّل ، و فيما سيجيء الثاني ، و في بعض النسخ : « ليلها » موضع « لياليها » .

و « السكن » بالتحريك ، ما تسكن إليه النفس و تطمئنّ . و « قرّ الشيء » كفّر أي استقرّ بالمكان و الاسم « القرار » بالفتح ، و قيل : هو اسم مصدر [609] و « الشظيّة » الفلقة من الشيء ، و فعيلة من قولك « تشظّت العصا » إذا صارت فلقا ،

و الجمع « شظايا » . و « القصب » الّذي في أسفل الريش للطيور .

و « الأعلام » جمع « علم » بالتحريك ، و هو طراز الثوب و رسم الشيء و رقمه و « إعلاما » في المعنى كالتأكيد لبيّنة ، و كلمة « لها » غير موجودة في بعض النسخ ، فيكون قوله « جناحان » خبر مبتدء محذوف ، أي جناحاه لم يجعلا رقيقين بالغين في الرّقة و لا في الغلظ حذرا من الانشقاق و الثقل المانع من الطيران . و « لجأ إلى الشيء » أي لاذو اعتصم به ، و وقوع الطير ضدّ ارتفاعه . و « أركان كلّ شيء » جوانبه الّتي يستند إليها و يقوم بها . و « النهوض » التحرّك بالقيام ، و « نهض الطائر » إذا بسط جناحه ليطير ،

و « العيش » الحياة ، و « مصالح الشيء » ما فيه صلاحه ضدّ الفساد . و « الباريء » الخالق ، و « مثال الشيء » شبهه ، و « خلا » أي مضى و سبق ، أي لم يخلق الأشياء على

[609] في النسخة المخطوطة : هو مصدر .

[90]

حذو خالق سبقه ، بل ابتدعها على مقتضى الحكمة و المصلحة .

قال الدميريّ : « الخفّاش » بضمّ الخاء و تشديد الفاء ، واحد « الخفافيش » التي تطير في الليل و هو غريب الشكل و الوصف ، و « الخفش » صغر العين و ضيق البصر ،

و « الأخفش » صغير العين ضعيف البصر ، و قيل : هو عكس الأعشى ، و قيل : هو من يبصر في الغيم دون الصحو ، و قال الجوهريّ : هو نوعان : ف « الأعشى » من يبصر نهارا لا ليلا و « العمش » ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات ، و العور معروف .

قال . البطليوسيّ : الخفّاش له أربعة أسماء : خفّاش و خشّاف و خطّاف و وطواط . و تسميته خفّاشا يحتمل أن يكون مأخوذا من الخفش ، و الأخفش في اللغة نوعان : ضعيف البصر خلقة ، و الثاني لعلّة حدثت ، و هو الّذي يبصر بالليل دون النهار و في يوم الغيم دون الصحو .

و ما ذكره من أنّ الخفّاش هو الخطاف فيه نظر ، و الحقّ أنّه صنفان . [610] و قال قوم : الخفّاش الصغير ، و الوطواط الكبير ، و هو لا يبصر في ضوء القمر و لا في ضوء النهار ، و لمّا كان لا يبصر نهارا التمس الوقت الّذي لا يكون فيه ظلمة و لا ضوء و هو قريب غروب الشمس لأنّه وقت هيجان البعوض ، فانّ البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته و هو دماء الحيوان ، و الخفّاش يطلب الطعم [611] فيقع طالب رزق على طالب رزق ، و الخفّاش ليس هو من الطير في شيء لأنّه ذو أذنين و أسنان و خصيتين [612] و يحيض و يطهر و يضحك كما يضحك الانسان و يبول كما تبول ذوات الأربع و يرضع ولده و لا ريش له .

قال بعض المفسرين : لمّا كان الخفّاش هو الّذي خلقه عيسى بن مريم عليه السلام باذن اللّه تعالى ، كان مباينا لصنعة اللّه تعالى و لهذا جميع الطير تقهره و تبغضه ، فما كان منها يأكل اللحم أكله و ما لا يأكل اللحم قتله ، فلذلك لا يطير إلاّ ليلا .

[610] في المصدر : صنفان و هو الوطواط .

[611] في المصدر : و الخفّاش يخرج طالبا للطعم .

[612] في المصدر : و خصيّتين و منقار .

[91]

و قيل : لم يخلق عيسى عليه السلام غيره لأنّه أكمل الطير خلقا و هو أبلغ في القدرة لأنّ له ثديا و أسنانا و أذنا [613] ، و قيل : إنّما طلبوا خلق الخفاش لأنّه من أعجب الطير [614] إذ هو لحم و دم يطير بغير ريش و هو شديد الطيران سريع التقلّب يقتات بالبعوض و الذباب و بعض الفواكه ، و هو مع ذلك موصف بطول العمر ، فيقال : إنّه أطول عمرا من النسر و من حمار الوحش ، و تلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ و سبعة ، و كثيرا ما يسفد و هو طائر في الهواء ، و ليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره و القردو الانسان ،

و يحمله تحت جناحه ، و ربّما قبض عليه بفيه و هو من حنوه عليه و إشفاقه عليه ، و ربّما أرضعت الأنثى ولدها و هي طائرة ، و في طبعه أنّه متى أصابه ورق الدلب حذر و لم يطر ،

و يوصف بالحمق ، و من ذلك إذا قيل له : « اطرق كرا » التصق بالأرض . 615

156 و من كلام له عليه السلام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على اللَّه ، عزّ و جلّ ،

فليفعل . فإن أطعتموني فإني حاملكم إن شاء اللَّه على سبيل الجنّة ،

و إن كان ذا مشقّة شديدة و مذاقة مريرة .

و أمّا فلانة فأدركها رأي النّساء ، و ضغن غلا في صدرها كمرجل (1915) القين (1916) ، و لو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ ، لم تفعل . و لها

[613] في المصدر مع زيادة هي : و تحيض كما تحيض المرأة .

[614] في المصدر : من أعجب الطير خلقة .

----

(615) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 64 ، كتاب السماء و العالم ، ص 324 329 .

بعد حرمتها الأولى ، و الحساب على اللَّه تعالى .

وصف الايمان

منه : سبيل أبلج المنهاج ، أنور السّراج . فبالإيمان يستدلّ على الصّالحات ، و بالصّالحات يستدلّ على الإيمان ، و بالإيمان يعمر العلم ، و بالعلم يرهب الموت ، و بالموت تختم الدنيا ، و بالدّنيا تحرز الآخرة ، و بالقيامة تزلف الجنّة ، « و تبرّز الجحيم للغاوين » .

و إنّ الخلق لا مقصر (1917) لهم عن القيامة ، مرقلين (1918) في مضمارها إلى الغاية القصوى .

تبيين :

« بلج الصبح » أي أضاء و أشرق ، و « المنهاج » الطريق ، و الظاهر أنّ الكلام في وصف الدين ، و « مناهجه » قوانينه ، و « سراجه الأنور » الرسول الهادي اليه و أوصياؤه صلوات اللَّه عليهم .

قال بعض شرّاح النهج : يريد بالايمان أوّلا مسمّاه اللغوي و هو التصديق ، قال اللَّه تعالى : « و ما أنت بمؤمن لنا و لو كنا صادقين » 616 أي بمصدّق ، و ثانيا بمعناه الشرعيّ ، أي التصديق و الاقرار و العمل ، أي من حصل عنده التصديق بالوحدانيّة و الرسالة ، استدلّ بهما على وجوب الأعمال الصالحة عليه ، أو ندبه إليها ، و بأعماله الصالحة يعلم إيمانه ، و بهذا فرّ من الدور . [617] و قال بعضهم : الصالحات معلولات للايمان و ثمرات له ، فيستدلّ بوجوده في

----

(616) يوسف : 17 .

[617] بل الصحيح أنّ الاستدلال ليس بمعناه المصطلح عليه عند الفلاسفة و المتكلّمين ، بل هو بمعناه اللغويّ و هو الاستهداء و المراد أنّ الايمان يهدي إلى عمل الصالحات فيمن آمن و لم يكن ليعمل الصالحات ، كما أنّ الصالحات تهدي إلى الايمان باللّه فيمن يعمل الصالحات و لم يكن ليؤمن باللّه ، كما سيجيء احتماله فيما بعد .

[93]

قلب العبد على ملازمته للصالحات استدلالا بالعلّة على المعلول و بصدورها عن العبد على وجوده في القلب استدلالا بالمعلول على العلّة .

و على هذا الوجه يكون الايمان في الموضعين بالمعنى اللغويّ ، و حينئذ يمكن أن يكون المعنى : يستدلّ بالايمان على الصالحات ، أو يكون الايمان دليلا للانسان نفسه ،

و قائدا يؤديه إلى فعل الصالحات ، و بأعماله الصالحة يعلم غيره أنّه من المؤمنين ،

فالاستدلال في الموضعين ليس بمعنى واحد .

و يمكن أن يراد بالثاني أن مشاهدة الأعمال الصالحة يؤدّي من يشاهدها إلى الايمان .

و يحتمل أن يكون المراد أنّ الايمان يهدي إلى صالح الأعمال ، و الأعمال الصالحة تورث كمال الايمان ، أو الايمان يقود الانسان إلى الأعمال الصالحة و الأعمال الصالحة الناشئة من حسن السريرة و خلوص النيّة تورث توفيق الكافر للايمان .

أو يستدلّ بايمان الرجل إذا علم على حسن عمله ، و بقدر أعماله على قدر إيمانه و كماله ، أو يستدل بكلّ منهما إذا علم على الآخر ، و هذا قريب من الثاني و الغرض بيان شدّة الارتباط و التلازم بينهما .

« و بالايمان يعمر العلم » فانّ العلم الخالي من الايمان كالخراب لا ينتفع به ،

و قيل : لأنّ حسن العمل من أجزاء الايمان ، و العلم بلا عمل كالخراب لا فائدة فيه .

« و بالعلم يرهب الموت » أي يخشى عقاب اللّه بعد الموت كما قال اللّه تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ 618 .

« و بالموت تختم الدنيا » و الموت لا مهرب منه ، فلابدّ من القطع بانقطاع الدنيا ،

و لا ينبغي للعاقل أن تكون همّته مقصورة عليها .

« و بالدنيا تحرز الآخرة » أي تحاز و تجمع سعاداتهما ، فانّ الدنيا مضمار الآخرة و محلّ الاستعداد و اكتساب الزاد ليوم المعاد ، أو المراد بالدنيا الأموال و نحوها ، أي يمكن للانسان أن يصرف ما أعطاه اللّه من المال و نحوه على وجه يكتسب به الآخرة . و « الزّلفة

----

(618) الفاطر : 28 .

[94]

و الزّلفى » بالضم فيهما ، القربة . و « أبرزه الشيء إبرازا و برّزه تبريزا » أي أظهره و كشفه .

و « الغاوي » العامل بما يوجب الخيبة أي بالقيامة أو فيها يقرب الجنّة للمتّقين ليدخلوها أو ليستبشروا بها ، و يكشف الغطاء عن الجحيم للضالين كما قال سبحانه : وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ 619 . قيل : و في اختلاف الفعلين دلالة على غلبة الوعد . و « القصر » بالفتح ، الغاية ، كالقصارى بالضم ، و « قصرت الشيء » حبسته و « قصرت فلانا على كذا » رددته على شيء دون ما أراد . كذا في العين : أي لا محبس للخلق أو لا غاية لهم دون القيامة أو لا مردّ لهم عنها .

و « أرقل » أي أسرع ، و « المضمار » موضع تضمير الفرس و مدّته ، و هو أن تعلفه حتّى يسمن ، ثمّ تردّه إلى القوت ، و فسّر المضمار بالميدان و هو أنسب بالمقام . 620

حال اهل القبور في القيامة

منه : قد شخصوا (1919) من مستقرّ الأجداث (1920) ، و صاروا إلى مصائر الغايات (1921) . لكلّ دار أهلها لا يستبدلون بها و لا ينقلون عنها .

و إنّ الأمر بالمعروف . و النّهي عن المنكر ، لخلقان من خلق اللّه سبحانه ، و إنّهما لا يقرّبان من أجل ، و لا ينقصان من رزق . و عليكم بكتاب اللّه ، « فإنّه الحبل المتين ، و النّور المبين » ، و الشّفاء النّافع ،

و الرّيّ النّافع (1922) ، و العصمة للمتمسك ، و النّجاة للمتعلّق . لا يعوج

----
(619) الشعراء : 90 91 .

----
(620) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 67 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 67 69 .

فيقام ، و لا يزيغ فيستعتب (1923) ، « و لا تخلقه كثرة الرّدّ » (1924) ، و ولوج السّمع (1925) . « من قال به صدق ، و من عمل به سبق » .

بيان

عد : اعتقادنا في البعث بعد الموت أنّه حق .

و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يا بني عبد المطلب إنّ الرائد [621] لا يكذب أهله ، و الّذي بعثني بالحقّ لتموتنّ كما تنامون ، و لتبعثنّ كما تستيقظون ، و ما بعد الموت دار إلاّ جنّة أو نار ، و خلق جميع الخلق و بعثهم على اللّه عزّ و جلّ كخلق نفس واحدة و بعثها ، قال اللّه تعالى ما خَلْقُكُمْ وَ لاَ بَعْثُكُمْ إلاّ كَنفْسٍ وَاحِدَةٍ 622 .

تذنيب : اعلم أنّ القول بالمعاد الجسمانيّ ممّا اتّفق عليه جميع الملّيّين و هو من ضروريات الدين و منكره خارج عن عداد المسلمين : و الآيات الكريمة في ذلك ناصّة لا يعقل تأويلها ، و الأخبار فيه متواترة لا يمكن ردّها و لا الطعن فيها ، و قد نفاه أكثر ملاحدة الفلاسفة تمسّكا بامتناع إعادة المعدوم و لم يقيموا دليلا عليه ، بل تمسّكوا تارة بادّعاء البداهة و اخرى بشبهات واهية لا يخفى ضعفها على من نظر فيها بعين البصيرة و اليقين و ترك تقليد الملحدين من المتفلسفين .

قال الرازيّ في كتاب نهاية العقول : قد عرفت أنّ من الناس من أثبت النفس الناطقة فلا جرم اختلف أقوال أهل العالم في أمر المعاد على وجوه أربعة : أحدها قول من قال : إنّ المعاد ليس إلاّ للنفس ، و هذا مذهب الجمهور من الفلاسفة ، و ثانيها : قول من قال : المعاد ليس إلاّ لهذا البدن ، و هذا قول نفاة النفس الناطقة و هم أكثر أهل الإسلام ، و ثالثها : قول من أثبت المعاد للأمرين و هم طائفة كثيرة من المسلمين مع أكثر النصارى ، و رابعها : قول من نفى المعاد عن الأمرين ، و لا أعرف عاقلا ذهب إليه . بلى ،

كان جالينوس من المتوقّفين في أمر المعاد .

و غرضنا إثبات المعاد البدني ، و للناس فيه قولان : أحدهما أنّ اللّه تعالى

[621] « الرائد » هو الّذي يرسله القوم لطلب الماء و الكلاء لهم .

----

(622) لقمان : 28 .

[96]

يعدم أجزاء الخلق ثمّ يعيدها ، و ثانيهما أنّه تعالي يميتهم و يفرّق أجزاءهم ، ثمّ إنّه تعالى يجمعها و يردّ الحياة إليها ، ثم قال : و الدليل على جواز الإعادة في الجملة أنّا قد دلّلنا فيما مضى أنّ اللّه تعالى قادر على كلّ الممكنات ، عالم بكلّ المعلومات من الجزئيات و الكلّيّات ، و العلم بهذه الاصول لا يتوقّف على العلم بصحّة المعاد البدنيّ ،

و إذا كان كذلك أمكن الاستدلال بالسمع على صحّة المعاد ، لكنّا نعلم باضطرار إجماع الأنبياء صلوات اللّه عليهم من أوّلهم إلى آخرهم على إثبات المعاد البدنيّ فوجب القطع بوجود هذا المعاد .

و قال العلاّمة رحمه اللّه في شرح الياقوت : اتّفق المسلمون على اعادة الأجساد خلافا للفلاسفة . و اعلم أنّ الإعادة تقال بمعنيين : أحدهما جمع الأجزاء و تأليفها بعد تفرّقها و انفصالها ، و الثاني إيجادها بعد إعدامها ، و أمّا الثاني فقد اختلف الناس فيه و اختار المصنّف جوازه أيضا .

و قال العلاّمة الدواني في شرحه على العقائد العضديّة : و المعاد أي الجسماني فإنّه المتبادر عن إطلاق أهل الشرع ، إذ هو الّذي يجب الاعتقاد به ، و يكفر من أنكره حق بإجماع أهل الملل الثلاثة و شهادة نصوص القرآن في المواضع المتعدّدة ، بحيث لا يقبل التأويل كقوله تعالى ا وَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ . . . إلى قوله : « بِكُلِّ خَلْق عَليم 623 . قال المفسّرون : نزلت هذه الآية في ابيّ بن خلف خاصم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أتاه بعظم قدرمّ و بلي ففتّه بيده و قال : يا محمّد أترى اللّه يحيي هذه بعد مارم ؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله نعم و يبعثك و يدخلك النار .

و هذا ممّا يقلع عرق التأويل بالكليّة ، و لذلك قال الإمام : الإنصاف أنّه لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبي صلّى اللّه عليه و آله و بين إنكار الحشر الجسماني . قلت : و لا الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقول الفلاسفة و بين الحشر الجسمانيّ لأنّ النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فيستدعي حشرها جميعا أبدانا غير متناهية ، و أمكنة غير متناهية و قد ثبت تناهي الأبعاد بالبرهان و باعترافهم ،

----

(623) يس : 92 .

[97]

يحشر الأجساد و يعاد فيها الأرواح بإعادة البدن المعدوم بعينه عند المتكلّمين بل أكثرهم ، و بأن تجمع أجزاؤه المتفرّقة كما كانت أوّلا عند بعضهم ، و هم الّذين ينكرون جواز إعادة المعدوم موافقة للفلاسفة ، و إذا استحال إعادة المعدوم تعيّن الوجه الثاني و هو أن يكون بجمع الأجزاء المتفرّقة و تأليفها كما كانت أوّلا .

لا يقال : لو ثبت استحالة إعادة المعدوم لزم بطلان الوجه الثاني أيضا لأنّ أجزاء بدن الشخص كبدن زيد مثلا و إن لم يكن له جزء صوريّ لا يكون بدن زيد إلاّ بشرط اجتماع خاصّ و شكل معيّن ، فإذا تفرّقت أجزاؤه و انتفى الاجتماع و الشكل المعيّنان لم يبق بدن زيد ، ثمّ إذا اعيد فإمّا ان يعاد ذلك الاجتماع و الشكل بعينهما أولا ، و على الأوّل يلزم إعادة المعدوم ، و على الثاني لا يكون المعاد بعينه هو البدن الأوّل بل مثله ، و حينئذ يكون تناسخا ، و من ثمّ قيل : ما من مذهب إلاّ و للتناسخ فيه قدم راسخ .

لأنا نقول : إنّما يلزم التناسخ إذا لم يكن البدن المحشور مؤلفا من الأجزاء الأصليّة للبدن الأول ، أمّا إذا كان كذلك فلا يستحيل إعادة الروح إليه ، و ليس ذلك من التناسخ ، و إن سمّي ذلك تناسخا كان مجرّد اصطلاح ، فإنّ الّذي دلّ على استحالته تعلّق نفس زيد ببدن آخر لا يكون مخلوقا من أجزاء بدنه ، و أمّا تعلّقه بالبدن المؤلّف من أجزائه الأصليّة بعينها مع تشكّلها بشكل مثل الشكل السابق ، فهو الّذي نعنيه بالحشر الجسمانيّ ، و كون الشكل و الاجتماع غير السابق لا يقدح في المقصود و هو حشر الأشخاص الإنسانيّة بأعيانها ، فإنّ زيدا مثلا شخص واحد محفوظ وحدته الشخصيّة من أوّل عمره إلى آخره بحسب العرف و الشرع و لذلك يؤاخذ شرعا و عرفا بعد التبدّل بما لزمه قبل ، و كما لا يتوهم أنّ في ذلك تناسخا لا ينبغي أن يتوهم في هذه الصورة أيضا ، و إن كان الشكل مخالفا للشكل الأوّل كما ورد في الحديث أنّه قال : يحشر

المتكبّرون كأمثال الذرّ ، و إنّ ضرس الكافر مثل احد ، و إنّ أهل الجنّة جرد مرد مكحولون . و الحاصل أنّ المعاد الجسمانيّ عبارة عن عود النفس إلى بدن هو ذلك البدن بحسب الشرع و العرف ،

و مثل هذه التبدّلات و المغايرات الّتي لا تقدح في الوحدة بحسب الشرع و العرف لا تقدح

[98]

في كون المحشور هو المبدأ ، فافهم .

و اعلم أنّ المعاد الجسمانيّ مما يجب الاعتقاد به و يكفر منكره ، أمّا المعاد الروحانيّ أعني التذاذ النفس بعد المفارقة و تألّمها باللذّات و الآلام العقليّة فلا يتعلّق التكليف باعتقاده و لا يكفر منكره و لا منع شرعا و لا عقلا من إثباته .

قال الإمام في بعض تصانيفه : أمّا القائلون بالمعاد الروحانيّ و الجسمانيّ معا ،

فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة و الشريعة فقالوا : دلّ العقل على أنّ سعادة الأرواح بمعرفة اللّٰه تعالى و محبّته ، و أنّ سعادة الأجساد في إدراك المحسوسات ، و الجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن لأنّ الإنسان مع استغراقه في تجلّي أنوار عالم القدس لا يمكنه أن يلتفت إلي شيء من اللذّات الجسمانيّة ، و مع استغراقه في استيفاء هذه اللذّات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذّات الروحانيّة ، و إنّما تعذّر هذا الجمع لكون الأرواح البشريّة ضعيفة في هذا العالم ، فإذا فارقت بالموت و استمدّت من عالم القدس و الطهارة قويت قادرة على الجمع بين الأمرين ، و لا شبهة في أنّ هذه الحالة هي الحالة القصوى من مراتب السعادات . قلت : سياق هذا الكلام مشعر بأنّ إثبات الروحانيّ إنّما هو من حيث الجمع بين الشريعة و الفلسفة ، و إثباتهما ليس من المسائل الكلاميّة ،

و هذا كما أنّ الرئيس أبا عليّ مع إنكاره للمعاد الجسمانيّ على ما هو بسطه في كتاب المعاد و بالغ فيه و أقام الدليل بزعمه على نفيه ، قال في كتاب النجاة و الشفاء : إنّه يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع و لا سبيل إلى إثباته إلاّ من طرق الشريعة و تصديق خبر النبوّة و هو الّذي للبدن عند البعث ، و خيراته و شروره معلوم لا يحتاج إلى أن يعلم . و قد بسطت الشريعة الحقّة الّتي أتانا به سيّدنا و مولانا محمّد صلّى اللّٰه عليه و آله حال السعادة و الشقاوة الّتي بحسب البدن ، و منه ما هو مدرك بالعقل و القياس البرهانيّ و قد صدّقه النبوّة و هو السعادة و الشقاوة الثابتتان بالقياس إلى نفس الأمر ، و إن كان الأوهام منّا تقصر عن تصوّرهما الآن . و سياق هذا الكلام مشعر بأنّ إثباته للمعاد الروحانيّ ليس من حيث الحكمة ، بل هو من حيث الشريعة ، فإنّ التمسك بالدلائل النقليّة ليس من وظائف الفلسفة ، فلا يتوهم أنّ إثباته من المسائل الحكمية و هو أراد أن

[99]

يجمع بين الفلسفة و الشريعة .

فذلكة : اعلم أنّ خلاصة القول في ذلك هو أنّ للناس في تفرّق الجسم و اتّصاله مذاهب : فالقائلون بالهيولى يقولون بانعدام الصورة الجسميّة و النوعيّة و بقاء الهيولى عند تفرّق الجسم . و النافون للهيولى و الجزء الّذي لا يتجزّى كالمحقّق الطّوسيّ رحمه اللّٰه يقولون بعدم انعدام جزء من الجسم عند التفرّق ، بل ليس الجسم إلاّ الصورة و هي باقية في حال الاتّصال و الانفصال ، و كذا القائلون بالجزء يقولون ببقاء الأجزاء عند التفرّق و الاتّصال .

فأمّا على القول الأوّل ، فلا بدّ في القول بإثبات المعاد بمعنى عود الشخص بجميع أجزائه من القول بإعادة المعدوم ، و أمّا القائلون بالأخيرين ، فقد ظنّوا أنهم قد تفصّوا عن ذلك و يمكنهم القول بالحشر الجسمانيّ بهذا المعنى مع عدم القول بجواز إعادة المعدوم . و فيه نظر إذ ظاهر أنّه إذا احرق جسد زيد و ذرت الرياح ترابه لا يبقى تشخّص زيد و إن بقيت الصورة و الأجزاء ، بل لا بدّ في عود الشخص بعينه من عود تشخّصه بعد انعدامه كما مرّت الإشارة إليه ، نعم ذكر بعض المتكلّمين أنّ تشخّص الشخص إنّما يقوم بأجزائه الأصليّة المخلوقة من المني ، و تلك الأجزاء باقية في مدّة حياة الشخص و بعد موته و تفرّق أجزائه ،

فلا يعدم التشخّص ، و قد مضى ما يومىء إليه من الأخبار ، و على هذا فلو انعدم بعض العوارض الغير المشخصة و اعيد غيرها مكانها لا يقدح في كون الشخص باقيا بعينه .

فإذا تمهّد هذا فاعلم أنّ القول بالحشر الجسماني على تقدير عدم القول بامتناع إعادة المعدوم حيث لم يتمّ الدليل عليه بيّن لا إشكال فيه ، و أمّا على القول به ، فيمكن أن يقال : يكفي في المعاد كونه مأخوذا من تلك المادّة بعينها أو من تلك الأجزاء بعينها لا سيّما إذا كان شبيها بذلك الشخص في الصفات و العوارض بحيث لو رأيته لقلت : إنّه فلان إذ مدار اللذّات و الآلام على الروح و لو بواسطة الآلات ، و هو باق بعينه و لا تدلّ النصوص إلاّ على إعادة ذلك الشخص بمعنى أنّه يحكم عليه عرفا أنّه ذلك الشخص كما أنّه يحكم على الماء الواحد إذا أفرغ في إنائين أنّه هو الماء الّذي كان في إناء واحد عرفا و شرعا و إن قيل بالهيولي ، و لا يبتني الاطلاقات الشرعيّة و العرفيّة و اللغويّة على أمثال تلك الدقائق

[100]

الحكميّة و الفلسفيّة ، و قد أومأنا في تفسير بعض الآيات و شرح بعض الأخبار إلى ما يؤيّد ذلك ، كقوله تعالى : عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ 624 و قوله تعالى : بَدَّلْناهُمْ جُلُودا غَيْرَ ها 625 .

قال شارح المقاصد : اتّفق المحقّقون من الفلاسفة و الملّيين على حقيقة المعاد ،

و اختلفوا في كيفيّته فذهب جمهور الفلاسفة إلى أنّه روحانيّ فقط لأن البدن ينعدم بصوره و أعراضه فلا يعاد ، و النفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفناء فيعود إلى عالم المجردات بقطع التعلّقات . و ذهب كثير من علماء الإسلام كالغزاليّ و الكعبيّ و الحليميّ و الراغب و القاضي أبو زيد الدبوسيّ إلى القول بالمعاد الروحانيّ و الجسمانيّ جميعا ذهابا إلى أنّ النفس جوهر مجرّد يعود إلى البدن ، و هذا رأي كثير من الصوفية و الشيعة و الكرّاميّة و به يقول جمهور النصارى و التناسخيّة .

قال الإمام الرازيّ : إلاّ أنّ الفرق أنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم بل في الآخرة ، و التناسخيّة بقدمها و ردّها إليها في هذا العالم و ينكرون الآخرة و الجنّة و النار ، و إنّما نبّهنا على هذا الفرق لأنه جبلت على الطباع العاميّة أنّ هذا المذهب يجب أن يكون كفرا و ضلالا لكونه ممّا ذهب إليه التناسخيّة و النصارى و لا يعلمون أنّ التناسخيّة إنّما يكفرون لإنكارهم القيامة و الجنّة و النار و النصارى لقولهم بالتثليث . و أمّا القول بالنفوس المجردة ، فلا يرفع أصلا من اصول الدين ، بل ربما يؤيّده و يبيّن الطريق إلى إثبات المعاد بحيث لا يقدح فيه شبه المنكرين .

كذا في نهاية العقول .

و قد بالغ الإمام الغزاليّ في تحقيق المعاد الروحانيّ و بيان أنواع الثواب و العقاب بالنسبة إلى الروح حتّى سبق إلى كثير من الأوهام و وقع في ألسنة بعض العوامّ أنّه ينكر حشر الأجساد افتراء عليه . كيف و قد صرّح به في مواضع من كتاب الإحياء و غيره و ذهب إلى أنّ إنكاره كفر ؟ و إنّما لم يشرحه في كتبه كثير شرح لما قال : إنّه ظاهر

----

(624) الاسراء : 99 و يس : 81 .

----

(625) النساء : 56 .

[101]

لا يحتاج إلى زيادة بيان . نعم ، ربما يميل كلامه و كلام كثير من القائلين بالمعادين إلى أنّ معنى ذلك أنّ يخلق اللّه تعالى من الأجزاء المتفرّقة لذلك البدن بدنا فيعيد إليه نفسه المجرّدة الباقية بعد خراب البدن . و لا يضرّنا كونه غير البدن الأوّل بحسب الشخص و لا امتناع إعادة المعدوم بعينه ، و ما شهد به النصوص من كون أهل الجنّة جردا مردا و كون ضرس الكافر مثل جبل احد ، يعضد ذلك ، و كذا قوله تعالى : كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُودا غَيْرَ ها . و لا يبعد أن يكون قوله تعالى : أ و لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَ الأَرْضَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ 626 إشارة إلى هذا .

فإن قيل : فعلى هذا يكون المثاب و المعاقب باللذّات و الآلام الجسمانيّة غير من عمل الطاعة و ارتكب المعصية ، قلنا : العبرة في ذلك بالإدراك ، و إنّما هو للروح و لو بواسطة الآلات و هو باق بعينه ، و كذا الأجزاء الأصليّة من البدن ، و لذا يقال للشخص من الصباء إلى الشيخوخة : إنّه هو بعينه و إن تبدّلت الصور و الهيئات ، بل كثير من الأعضاء و الآلات ، و لا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب : إنّها عقوبة لغير الجاني . انتهى .

أقول : الأحوط و الأولى التصديق بما تواتر في النصوص و علم ضرورة من ثبوت الحشر الجسمانيّ و سائر ما ورد فيها من خصوصيّاته و عدم الخوض في أمثال ذلك ، إذ لم نكلّف بذلك . و ربّما أفضى التفكّر فيها إلى القول بشيء لم يطابق الواقع و لم نكن معذورين في ذلك . و اللَّه الموفّق للحقّ و السداد في المبدء و المعاد . 627

و قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، و هل سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله عنها ؟ فقال عليه السلام :

إنّه لمّا أنزل اللَّه سبحانه ، قوله : « الم . أ حسب النّاس أن يتركوا

----

(626) يس : 81 .

----

(627) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 7 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 47 53

[102]

أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون » علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله بين أظهرنا . فقلت : يا رسول اللَّه ،

ما هذه الفتنة الّتي أخبرك اللَّه تعالى بها ؟ فقال : « يا عليّ ، إنّ أمّتي سيفتنون من بعدي » ، فقلت : يا رسول اللَّه ، أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين ، و حيزت (1926) عنّي الشّهادة ، فشقّ ذلك عليّ ، فقلت لي : « أبشر ، فإنّ الشّهادة من ورائك ؟ » فقال لي : « إنّ ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذن ؟ » فقلت : يا رسول اللَّه ، ليس هذا من مواطن الصّبر . و لكن من مواطن البشرى و الشّكر . و قال : « يا عليّ ، إنّ القوم سيفتنون بأموالهم ، و يمنّون بدينهم على ربّهم ، و يتمنّون رحمته ، و يأمنون سطوته . و يستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة ، و الأهواء السّاهية ، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ ،

و السّحت بالهديّة ، و الرّبا بالبيع » قلت : يا رسول اللَّه ، فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك ؟ أبمنزلة ردّة ، أم بمنزلة فتنة ؟ فقال :

« بمنزلة فتنة » .

[هذا بيان آخر في شرح الكلام :]

بيان : قوله عليه السلام « أن يعتقل » أي يحبس نفسه على طاعة اللَّه .

و « فلانة » كناية عن عائشة ، و لعلّه من السيّد رضي اللَّه عنه تقيّة . قوله

[103]

عليه السلام « و ضغن » أي حقد ، و من أسباب حقدها لأمير المؤمنين عليه السلام سدّ النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله باب أبيها من المسجد و فتح بابه عليه السلام ، و بعثه عليه السلام بسورة برآءة بعد أخذها من أبي بكر ، و إكرام رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله لفاطمة عليها السلام و حسدها عليها إلى غير ذلك من الأسباب المعلومة . و « المرجل » كمنبر القدر . و « القين » الحدّاد ، أي كغليان قدر من حديد .

قوله عليه السلام « من غيرى » يعني به عمر كما قيل ، أو الأعمّ و هو أظهر ،

أي لو كان عمر أو أحد من أضرابه ولّى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الّذي قتل عليه و نسب إليه أنّه كان يحرض الناس على قتله ، و دعيت إلى أن تخرج عليه في عصابة تثير فتنة و تنقض البيعة لم تفعل . و هذا بيان لحقدها له عليه السلام . و « البلوج » الإضاءة .

قوله عليه السلام : لا « مقصر » أي لا مجلس [628] و لا غاية لهم دونه .

« مرقلين » أي مسرعين . « قد شخصوا » أي خرجوا . و « الأجداث » القبور . و « الخلق » بالضمّ و بضمّتين ، السجيّة و الطبع و المروّة و الدين . و الرجل إذا روي من الماء فتغيّر لونه ، يقال : نقع . قوله عليه السلام « لا يزيغ فيستعتب » أي لا يميل فيطلب منه الرجوع ، و « العتبى » الرجوع . و المراد بكثرة الردّ الترديد في الألسنة . قوله عليه السلام « لا تنزل بنا » قال ابن أبي الحديد لقوله تعالى : و ما كانَ اللّهُ لِيُعذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ 629 . و « حيزت عنّي » أي منعت . و « الأهواء الساهية » أي الغافلة . قوله عليه السلام « بمنزلة فتنة » أي لا يجري عليهم في الظاهر أحكام الكفر و إن كانوا باطنا من أخبث الكفّار .

أقول : قال ابن ميثم 630 و ابن أبي الحديد 631 : هذا الخبر رواه كثير من المحدّثين

[628] يمكن أن يقرأ : لا محبس .

----

(629) الأنفال : 33 .

----

(630) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 265 ، ط بيروت .

----

(631) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 206 ، ط بيروت .

[104]

عن علي عليه السلام قال :

إنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله قال لي : إنّ اللَّه كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين .

قال : فقلت : يا رسول اللَّه ما هذه الفتنة الّتي كتب فيها الجهاد ؟

قال : قوم يشهدون أن لا إله إلاّ اللَّه و أنّي رسول اللَّه ، و هم مخالفون للسنّة .

فقلت : يا رسول اللَّه فعلام أقاتلهم و هم يشهدون كما أشهد ؟

قال : على الإحداث في الدين و مخالفة الأمر .

فقلت : يا رسول اللَّه أنت كنت وعدتني الشهادة فاسئل اللَّه أن يعجّلها لي بين يديك .

قال : فمن يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين ؟ أما إنّي قد وعدتك الشهادة و ستشهد ، تضرب على هذه فتخضب هذه ، فكيف صبرك إذن ؟

فقلت : يا رسول اللَّه ليس هذا بموطن صبر ، هذا موطن شكر .

قال : أجل أصبت ، فأعدّ للخصومة ، فانّك مخاصم .

فقلت : يا رسول اللَّه لو بيّنت لي قليلا .

فقال : إنّ امّتي ستفتن من بعدي فتتأوّل القرآن ، و تعمل بالرأي ، و تستحلّ الخمر بالنبيذ ، و السحت بالهديّة ، و الربا بالبيع ، و تحرّف الكتاب عن مواضعه ، و تغلب كلمة الضلال ، و فكن جلس [632] بيتك حتّى تقلّدها ،

فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور ، و قلبت لك الأمور ، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى .

فقلت : يا رسول اللّه فبأيّ المنازل أنزل هؤلاء المفتونين ؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة ؟

فقال : بمنزلة فتنة ، يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل .

[632] في المصدر : جليس .

[105]

فقلت : يا رسول اللّه أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا ؟ قال : بل منّا ، فبنا فتح و بنا يختم ، و بنا ألف بين القلوب بعد الفتنة .

فقلت : الحمد للّه على ما و هب لنا من فضله .

بيان : « كن جلس بيتك » بالكسر ، أي ملازما له غير مفارق بالخروج للقتال و دفع أهل الضلال . و الضمير في « تقلّدها و قلّدتها » على المجهول فيهما ، راجع إلى الخلافة و الإمارة ، و التقليد مأخوذ من عقد القلادة على الاستعارة ، و تقليدهم إطاعتهم و تركهم العناد . و « جاش القدر بالهمز و غيره » غلا . و « قلبت لك الأمور » أي دبّروا أنواع المكائد و الحيل لدفعك . 633

157 و من خطبة له عليه السلام يحث الناس على التقوى

القسم الأول

الحمد للّه الّذي جعل الحمد مفتاحا لذكره ، و سببا للمزيد من فضله ، و دليلا على آلائه و عظمته .

عباد اللّه ، إنّ الدّهر يجري بالباقين كجريه بالماضين ، لا يعود ما قد ولّى منه ، و لا يبقى سرمدا ما فيه . آخر فعاله كأوّله . متشابهة أموره (1927) ، متظاهرة أعلامه (1928) . فكأنّكم بالسّاعة (1929) تحدوكم حدو الزّاجر (1930) بشوله (1931) : فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظّلمات ، و ارتبك في الهلكات ، و مدّت به شياطينه في طغيانه ،

----

(633) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ص 444 ، ط كمپاني و ص 413 ، ط تبريز .

[106]

و زيّنت له سيّىء أعماله . فالجنّة غاية السّابقين . و النّار غاية المفرّطين .

اعلموا ، عباد اللّه ، أنّ التقوى دار حصن عزيز ، و الفجور دار حصن ذليل ، لا يمنع أهله ، و لا يحرز (1932) من لجأ إليه ، ألا و بالتقوى تقطع حمة (1933) الخطايا ، و باليقين تدرك الغاية القصوى .

عباد اللّه ، اللّه اللّه في أعزّ الأنفس عليكم ، و أحبّها إليكم : فإنّ اللّه قد أوضح لكم سبيل الحقّ و أنار طرقه . فشقوة لازمة ، أو سعادة دائمة فتزودوا في أيّام الفناء (1934) لأيّام البقاء . قد دللتم على الزّاد ، و أمرتم بالظّعن (1935) ، و حثثتم على المسير ، فإنّما أنتم كركب وقوف ، لا يدرون متى يؤمرون بالسّير . ألا فما يصنع بالدّنيا من خلق للآخرة و ما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه ، و تبقى عليه تبعته (1936) و حسابه عباد اللّه ، إنّه ليس لما وعد اللّه من الخير مترك ، و لا فيما نهى عنه من الشّرّ مرغب .

عباد اللّه ، احذروا يوما تفحص فيه الأعمال ، و يكثر فيه الزّلزال ،

و تشيب فيه الأطفال .

اعلموا ، عباد اللّه ، أنّ عليكم رصدا (1937) من أنفسكم ، و عيونا من

[107]

جوارحكم ، و حفّاظ صدق يحفظون أعمالكم ، و عدد أنفاسكم ، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، و لا يكنّكم منهم باب ذو رتاج (1938) ،

و لانّ غدا من اليوم قريب .

بيان :

« الرصد » بالتحريك ، القوم يرصدون . و « الرتاج » بالكسر ، الخلق . 634

القسم الثاني

يذهب اليوم بما فيه ، و يجيء الغد لاحقا به ، فكأنّ كلّ امرىء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته (1939) ، و مخطّ حفرته . فيا له من بيت وحدة ، و منزل وحشة ، و مفرد غربة و كأنّ الصّحيحة (1940) قد أتتكم ، و السّاعة قد غشيتكم و برزتم لفصل القضاء ، قد زاحت (1941) عنكم الأباطيل ، و اضمحلّت عنكم العلل ، و استحقّت بكم الحقائق ، و صدرت بكم الأمور مصادرها ، فاتّعظوا بالعبر و اعتبروا بالغير ، و انتفعوا بالنّذر .

158 و من خطبة له عليه السلام ينبه فيها على فضل الرسول الأعظم ، و فضل القرآن ، ثم حال دولة بني أمية

النبي و القرآن

أرسله على حين فترة من الرّسل ، و طول هجعة من الأمم (1942) ،

----

(634) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 5 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 322 .

[108]

و انتقاض من المبرم (1943) ، فجاءهم بتصديق الّذي بين يديه ، و النور المقتدى به . ذلك القرآن فاستنطقوه ، و لن ينطق ، و لكن أخبركم عنه : ألا إنّ فيه علم ما يأتي ، و الحديث عن الماضي ، و دواء دائكم ،

و نظم ما بينكم .

بيان :

« المبرم من الحبل » المفتول ، و انتقاضه كناية عن تعطيل قواعد الشرع و تزلزل أساس الدين . 635

دولة بني امية

و منها : فعند ذلك لا يبقى بيت مدر و لا وبر (1944) إلاّ و أدخله الظّلمة ترحة (1945) ، و أولجوا فيه نقمة . فيومئذ لا يبقى لهم في السّماء عاذر ، و لا في الأرض ناصر . أصفيتم (1946) بالأمر غير أهله ،

و أوردتموه غير مورده ، و سينتقم اللَّه ممّن ظلم ، مأكلا بمأكل ،

و مشربا بمشرب ، من مطاعم العلقم ، و مشارب الصّبر (1947) و المقر (1948) ، و لباس شعار الخوف ، و دثار السيف (1949) . و إنّما هم مطايا الخطيئات و زوامل الآثام (1950) . فأقسم ، ثمّ أقسم ، لتنخمنّها أميّة من بعدي كما تلفظ النّخامة (1951) ، ثمّ لا تذوقها و لا تطعم بطعمها أبدا ما كرّ الجديدان (1952)

----

(635) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله ، ص 222 .

[109]

توضيح :

قوله عليه السلام « فعند ذلك » إخبار عن ملك بنى اميّة بعده و زوال أمرهم عند تفاقم فسادها في الأرض . « أصفيتم » أي خصصتم بالأمر ، أي الخلافة . « و أوردتموه غير وروده » [636] أي أنزلتموه عند غير مستحقّه . و « المقر » ككتف المرّ أو الصبر ، أو شبيه به ، أو السمّ . و « الزاملة » الّتي تحمل عليها من الإبل و غيرها .

قوله عليه السلام « ثمّ لا تذوقها » قال ابن أبي الحديد : فإن قلت : إنّهم قد ملكوا بعد الدولة الهاشميّة بالمغرب مدّة طويلة ؟ قلت : الاعتبار بملك العراق و الحجاز ،

و ما عداهما من الأقاليم النائية لا اعتداد به . 637 أقول : لعلّ المراد به انقطاع تلك الدّولة المخصوصة و عدم العود إلى أصحابها ، و مع ذلك لابدّ من التخصيص بغير السفيانيّ الموعود . 638

159 و من خطبة له عليه السلام يبين فيها حسن معاملته لرعيته

و لقد أحسنت جواركم ، و أحطت بجهدي من ورائكم . و اعتقتكم من ربق (1953) الذّلّ ، و حلق (1954) الضّيم ، شكرا منّي للبرّ القليل و إطراقا عمّا أدركه البصر ، و شهده البدن ، من المنكر الكثير .

بيان :

الإحاطة من الوراء دفع من يريدهم بشر ، لأنّ العدو الغالب يكون من وراء المحارب . و « الحلق » بالتحريك و كعنب ، جمع « حلقة » . و « الضيم » الظلم .

و « أطرق » أي سكت و أرخى عينيه إلى الأرض . و إطراقه عليه السلام عن المنكر

[636] في النهج : غير مورده .

----

(637) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ص 220 ، ط بيروت .

----

(638) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 383 ، ط كمپاني و ص 361 ، ط تبريز .

[110]

الكثير و سكوته عنه لعدم تأثير النهي ، أو لانجراره إلى ما هو أعظم منه . 639

160 و من خطبة له عليه السلام

عظمة اللَّه

أمره قضاء و حكمة ، و رضاه أمان و رحمة ، يقضي بعلم ، و يعفو بحلم .

حمد اللَّه

اللّهمّ لك الحمد على ما تأخذه و تعطي ، و على ما تعافي و تبتلي ، حمدا يكون أرضى الحمد لك ، و أحبّ الحمد إليك ، و أفضل الحمد عندك .

حمدا يملأ ما خلقت ، و يبلغ ما أردت . حمدا لا يحجب عنك ،

و لا يقصر دونك .

حمدا لا ينقطع عدده ، و لا يفنى مدده . فلسنا نعلم كنه عظمتك ،

إلاّ أنّا نعلم أنّك « حيّ قيّوم ، لا تأخذك سنة (1955) و لا نوم » . لم ينته إليك نظر ، و لم يدركك بصر . أدركت الأبصار ، و أحصيت الأعمال ،

و أخذت « بالنّواصي و الأقدام » . و ما الّذي نرى من خلقك ، و نعجب له

----

(639) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 712 ، ط كمپاني و ص 660 ، ط تبريز .

[111]

من قدرتك ، و نصفه من عظيم سلطانك ، و ما تغيّب عنّا منه ،

و قصرت أبصارنا عنه ، و انتهت عقولنا دونه ، و حالت ستور الغيوب بيننا و بينه أعظم . فمن فرّغ قلبه ، و أعمل فكره ، ليعلم كيف أقمت عرشك ، و كيف ذرأت (1956) خلقك ، و كيف علّقت في الهواء سماواتك ، و كيف مددت على مور (1957) الماء أرضك ، رجع طرفه حسيرا (1958) ، و عقله مبهورا (1959) ، و سمعه والها (1960) ، و فكره حائرا .

كيف يكون الرجاء

منها : يدّعي بزعمه أنّه يرجو اللَّه ، كذب و العظيم ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله ؟ فكلّ من رجا عرف رجاؤه في عمله . و كلّ رجاء إلاّ رجاء اللَّه تعالى فإنّه مدخول (1961) و كلّ خوف محقّق (1962) ،

إلاّ خوف اللَّه فإنّه معلول (1963) . يرجو اللَّه في الكبير ، و يرجو العباد في الصّغير ، فيعطي العبد ما لا يعطي الرّبّ فما بال اللَّه جلّ ثناؤه يقصّر به عمّا يصنع به لعباده ؟ أتخاف أن تكون في رجائك له كاذبا ؟ أو تكون لا تراه للرّجاء موضعا ؟ و كذلك إن هو خاف عبدا من عبيده ، أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربّه ، فجعل خوفه من العباد نقدا ، و خوفه من خالقه ضمارا (1964) و وعدا . و كذلك من عظمت

[112]

الدّنيا في عينه ، و كبر موقعها من قلبه ، آثرها على اللّه تعالى ،

فانقطع إليها ، و صار عبدا لها .

رسول اللّه

و لقد كان في رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كاف لك في الأسوة (1965) ، و دليل لك على ذمّ الدنيا و عيبها ، و كثرة مخازيها و مساويها ، إذا قبضت عنه أطرافها ، و وطّئت لغيره أكنافها (1966) ،

و فطم عن رضاعها ، و زوي عن زخارفها .

بيان :

« المخازي » المقابح . قوله عليه السلام « وطّئت » بالتشديد ، أي هيأت و بالتخفيف ، من قولهم « وطات لك المجلس » أي جعلته سهلا ليّنا . قوله عليه السلام « زوي » أي قبض . 640

موسى

و إن شئت ثنّيت بموسى كليم اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حيث يقول : « ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير » . و اللّه ، ما سأله إلاّ خبزا يأكله ، لأنه كان يأكل بقلة الأرض ، و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف (1967) صفاق (1968) بطنه ، لهزاله و تشذّب لحمه (1969) .

----

(640) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 284 .

بيان :

« الصفاق » الجلد الباطن الّذي فوقه الجلد الظاهر من البطن ، و شفيفه رقّته . و « تشذّب اللحم » تفرّقه . 641

داوود

و إن شئت ثلّثت بداوود صلّى اللّه عليه و سلّم صاحب المزامير ،

و قارىء أهل الجنّة ، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده (1970) ،

و يقول لجلسائه : أيّكم يكفيني بيعها و يأكل قرص الشّعير من ثمنها .

عيسى

و إن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام ، فلقد كان يتوسّد الحجر ، و يلبس الخشن ، و يأكل الجشب ، و كان إدامه الجوع ،

و سراجه باللّيل القمر ، و ظلاله في الشّتاء مشارق الأرض و مغاربها (1971) ،

و فاكهته و ريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ، و لم تكن له زوجة تفتنه ، و لا ولد يحزنه ، و لا مال يلفته ، و لا طمع يذلّه ، دابّته رجلاه ، و خادمه يداه

بيان :

« كان إدامه الجوع » لعلّ المعنى أنّ الإنسان إنّما يحتاج إلى الإدام لأنّه يعسر على النفس أكل الخبز خاليا عنه ، فأمّا مع الجوع الشديد فيلتذّ بالخبز و لا يطلب .

----
(641) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 13 ، كتاب النبوّة ، ص 50

[114]

غيره ، فهو بمنزلة الإدام ، أو أنّه كان يأكل الخبز دون الشبع فكان الجوع مخلوطا به كالإدام . و « لفته يلفته » لواه و صرفه عن رأيه . 642

الرسول الاعظم

فتأس (1972) بنبيّك الأطيب الأطهر صلّى اللّه عليه و آله فإنّ فيه أسوة لمن تأسّى ، و عزاء لمن تعزّى . و أحبّ العباد إلى اللّه المتأسّي بنبيّه ، و المقتصّ لأثره . قضم الدّنيا قضما (1973) ، و لم يعرها طرفا أهضم (1974) أهل الدنيا كشحا (1975) ، و أخمصهم (1976) من الدّنيا بطنا ،

عرضت عليه الدّنيا فأبى أن يقبلها ، و علم أنّ اللّه سبحانه أبغض شيئا فأبغضه ، و حقّر شيئا فحقّره ، و صغّر شيئا فصغّره . و لو لم يكن فينا إلاّ حبّنا ما أبغض اللّه و رسوله ، و تعظيمنا ما صغّر اللّه و رسوله ، لكفى به شقاقا للّه ، و محادّة (1977) عن أمر اللّه . و لقد كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأكل على الأرض ، و يجلس جلسة العبد ، و يخصف (1978) بيده نعله ، و يرقع بيده ثوبه ، و يركب الحمار العاري (1979) ،

و يردف (1980) خلفه ، و يكون السّتر على باب بيته فتكون فيه التّصاوير فيقول : « يا فلانة لإحدى أزواجه غيّبيه عنّي ، فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدّنيا و زخارفها » . فأعرض عن الدّنيا بقلبه ، و أمات ذكرها

----
(642) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 14 ، كتاب النبوّة ، ص 238 .

[115]

من نفسه ، و أحبّ أن تغيب زينتها عن عينه ، لكيلا يتّخذ منها رياشا (1981) ، و لا يعتقدها قرارا ، و لا يرجو فيها مقاما ، فأخرجها .

من النّفس ، و أشخصها (1982) عن القلب ، و غيّبها عن البصر . و كذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه . و أن يذكر عنده .

و لقد كان في رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما يدلّك على مساوىء الدّنيا و عيوبها : إذ جاع فيها مع خاصّته (1983) ، و زويت عنه (1984) زخارفها مع عظيم زلفته (1985) . فلينظر ناظر بعقله : أكرم اللّه محمّدا بذلك أم أهانه فإن قال : أهانه ، فقد كذب و اللّه العظيم بالإفك العظيم ، و إن قال : أكرمه ، فليعلم أنّ اللّه قد أهان غيره حيث بسط الدّنيا له ، و زوارها عن أقرب النّاس منه . فتأسّى متأسّ بنبيّه ، و اقتصّ أثره ، و ولج مولجه ، و إلاّ فلا يأمن الهلكة ،

فإنّ اللّه جعل محمّدا صلّى اللّه عليه و آله علما للسّاعة (1986) ،

و مبشّرا بالجنّة ، و منذرا بالعقوبة . خرج من الدّنيا خميصا (1987) ،

و ورد الآخرة سليما . لم يضع حجرا على حجر ، حتّى مضى لسبيله ،

و أجاب داعي ربّه . فما أعظم منّة اللّه عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتّبعه ، و قائدا نطأ عقبه (1988) و اللّه لقد رقّعت مدرعتي (1989) هذه حتّى استحييت من راقعها . و لقد قال لي قائل : ألا تنبذها عنك ؟

[116]

فقلت : اغرب عنّي (1990) ، فعند الصّباح يحمد القوم السّرى (1991)

بيان :

قوله عليه السلام « قضم الدنيا » في أكثر النسخ بالضاد المعجمة ،

و هو أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان ، أي تناول منها قدر الكفاف و ما تدعو إليه الضرورة ، و التنوين في « قضما » للتقليل ، و في بعضها بالصاد المهملة بمعنى الكسر . قوله عليه السلام « و لم يعرها طرفا » من الإعارة ، أي لم يلتفت إليها نظر إعارة ، فكيف بأن يجعلها مطمح نظره ؟ و يقال : « رجل أهضم » إذا كان خميصا لقلّة الأكل .

و « الكشح » الخاصرة .

قوله « جلسة العبد » قال ابن أبي الحديد : هي أن يضع قصبتي ساقيه على الأرض و يعتمد عليها بباطن فخذيه ، يقال لها بالفارسيّة : دو زانو . و « الرياش » إمّا جمع « الريش » أو مرادفه ، و هو اللّباس الفاخر ، و يطلق على المال و الخصب و المعاش . قوله عليه السلام « خميصا » أي جائعا . 643

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة :] إيضاح :

« السرى » كالهدى ، السير عامّة اللّيل ، و هذا مثل يضرب لمحتمل المشقّة العاجلة للراحة الآجلة .

و قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام 644 : جاء في أخبار عليّ عليه السلام الّتي ذكرها أبو عبد اللّه أحمد بن حنبل في كتاب فضائله و هو روايتي عن قريش بن السبيع بن المهنّا العلويّ ، عن أبي عبد اللّه أحمد بن عليّ بن المعمّر ، عن المبارك بن عبد الجبّار بن أحمد بن القاسم الصيرفيّ المعروف بابن الطيوري ، عن محمّد بن عليّ بن محمّد بن يوسف العلاّف المزنيّ ، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعيّ ، عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه أبي عبد اللّه أحمد قال : قيل لعليّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك ؟ قال : يخشع القلب و يقتدي به المؤمنون . [645]

----

(643) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 284 .

----

(644) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 235 236 ، ط بيروت .

[645] في المصدر : ليخشع القلب و يقتدي بي المؤمنون .

[117]

و روى أحمد أن عليّا عليه السلام كان يطوف الأسواق مؤتزرا بإزار مرتديا برداء و معه الدرة كأنّه أعرابيّ بدوي ، فطاف مرّة حتّى بلغ سوق الكرابيس ، فقال لواحد : يا شيخ بعني قميصا بثلاثة دراهم . [646] فلما جاء أبو الغلام أخبروه ، فأخذ درهما ثمّ جاء إلى عليّ عليه السلام ليدفعه إليه . فقال [647] : ما هذا أو قال : ما شأنه هذا [648] ؟

فقال : يا مولاي إنّ القميص الّذي باعك ابني كان يساوي درهمين .

فلم يأخذ الدرهم و قال : باعني برضاي و أخذ برضاه .

و روى أحمد عن أبي البوار بائع الخام بالكوفة قال : جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى السوق و معه غلام له ، و هو خليفة ، فاشترى منّي قميصين و قال لغلامه : اختر أيّهما شئت . فأخذ أحدهما و أخذ عليّ الآخر ، [قال] : ثمّ لبسه و مدّيده فوجد كمّه فاضلة ، فقال : اقطع الفاضل ، فقطعته ثمّ كفّه و ذهب .

و روى أحمد عن الصمال بن عمير قال : رأيت قميص عليّ عليه السلام الّذي أصيب فيه ، و هو كرابيس سنبلانيّ ، و رأيت دمه قد سال عليه كالدرديّ .

و روى أحمد ، قال : لمّا أرسل عثمان إلى عليّ وجدوه مدثرا بعباءة محتجزاء ،

و هو يذود بعيرا له .

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة و فيما ذكرناه كفاية . 649

[646] في المصدر : بعني قميصا تكون قيمته ثلاثة دراهم ، فلمّا عرفه الشيخ لم يشتر منه شيئا ، ثمّ أتى آخر فلمّا عرفه لم يشتر منه شيئا ، فأتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم .

[647] في المصدر : فقال له .

[648] في المصدر : أو قال ما شابه هذا .

----

(649) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السّلام ، ص 160 .

[118]

161 و من خطبة له عليه السلام

في صفة النبي و أهل بيته و أتباع دينه ، و فيها يعظ بالتقوى الرسول و اهله و اتباع دينه

ابتعثه بالنّور المضيء ، و البرهان الجليّ ، و المنهاج البادي (1992) ،

و الكتاب الهادي . أسرته خير أسرة ، و شجرته خير شجرة ، أغصانها معتدلة ، و ثمارها متهدّلة (1993) . مولده بمكّة ، و هجرته بطيبة (1994) .

علا بها ذكره و امتدّ منها صوته . أرسله بحجة كافية ، و موعظة شافية ، و دعوة متلافية (1995) . أظهر به الشّرائع المجهولة ، و قمع به البدع المدخولة ، و بيّن به الأحكام المفصولة (1996) . فمن يبتغ غير الإسلام دينا تتحقّق شقوته ، و تنفصم عروته ، و تعظم كبوته (1997) ،

و يكن مآبه (1998) إلى الحزن الطّويل و العذاب الوبيل .

و أتوكّل على اللّه توكّل الإنابة (1999) إليه . و أسترشده السّبيل المؤدّية إلى جنّته . القاصدة إلى محل رغبته .

بيان :

لعلّ المراد بالنور المضيء نور النبوّة ، و بالبرهان الجليّ المعجزات الباهرة و بالمنهاج البادي شريعته الواضحة . و « أسرته » أهل بيته صلّى اللّه عليه و آله .

و « شجرته » أصله و قبيلته . و اعتدال أغصانه كناية عن تقارب أهل بيته في الفضل و الكمال ، أو عدم الاختلاف بينهم . قوله عليه السلام « متهدّلة » أي متدلية » كناية

[119]

عن سهولة اجتناء العلم منها و ظهورها و كثرتها . و قوله عليه السلام « و دعوة متلافية » لتلافيها ما فسد من قلوبهم ، و نظام أمورهم في الجاهليّة . قوله عليه السلام « المفصولة » أي ببيانه صلّى اللَّه عليه و آله أو فصلها اللَّه سبحانه و أوضحها له صلّى اللَّه عليه و آله . 650

النصح بالتقوى

أوصيكم ، عباد اللَّه ، بتقوى اللَّه و طاعته ، فإنّها النّجاة غدا ،

و المنجاة أبدا . رهّب فأبلغ ، و رغّب فأسبغ (2000) ، و وصف لكم الدّنيا و انقطاعها ، و زوالها و انتقالها . فأعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها . أقرب دار من سخط اللَّه ، و أبعدها من رضوان اللَّه فغضّوا عنكم عباد اللَّه غمومها و أشغالها ، لما قد أيقنتم به من فراقها و تصرّف حالاتها . فاحذروها حذر الشّفيق النّاصح (2001) ،

و المجدّ الكادح (2002) . و اعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم : قد تزايلت أوصالهم (2003) ، و زالت أبصارهم و أسماعهم ،

و ذهب شرفهم و عزّهم ، و انقطع سرورهم و نعيمهم ، فبدّلوا بقرب الأولاد فقدها ، و بصحبة الأزواج مفارقتها . لا يتفاخرون ، و لا يتناسلون ، و لا يتزاورون ، و لا يتحاورون (2004) . فاحذروا ، عباد اللَّه ، حذر الغالب لنفسه ، المانع لشهوته ، النّاظر بعقله ، فإنّ الأمر واضح ،

----

(650) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله ، ص 222 .

[120]

و العلم قائم ، و الطّريق جدد (2005) و السّبيل قصد (2006)

162 و من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه و قد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحق به ؟ فقال :

يا أخا بني أسد ، إنّك لقلق الوضين (2007) ، ترسل (2008) في غير سدد (2009) ، و لك بعد ذمامة (2010) الصّهر و حقّ المسألة ، و قد استعلمت فاعلم : أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام و نحن الأعلون نسبا ،

و الأشدّون برسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله نوطا (2011) ، فإنّها كانت أثرة (2012) شحّت عليها نفوس قوم ، و سخت عنها نفوس آخرين ، و الحكم اللَّه ، و المعود إليه القيامة .

ودع عنك نهبا (2013) صيح (2014) في حجراته (2015)

و لكن حديثا ما حديث الرّواحل

و هلمّ (2016) الخطب (2017) في ابن أبي سفيان ، فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه ، و لا غرو و اللَّه ، فيا له خطبا يستفرغ العجب ، و يكثر الأود (2018) حاول القوم إطفاء نور اللَّه من مصباحه ، و سدّ فوّاره (2019) من ينبوعه ، و جدحوا (2020) بيني و بينهم شربا و بيئا (2021) ، فإن ترتفع

[121]

عنّا و عنهم محن البلوى ، أحملهم من الحقّ على محضه (2022) ، و إن تكن الأخرى ، « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إنّ اللَّه عليم بما يصنعون » .

و لنوضّح روايتي الصدوق و السيّد رضي اللَّه عنهما .

قال الفيروز آباديّ : دوران ابن اسد أبو قبيله فلا ينافي ما في النهج أنّه كان من بني أسد . و قال الجوهريّ : « ناط الشيء ينوطه نوطا » علقه . قوله عليه السلام « ذمام الصهر » ، « الذمام » بالكسر ، الحرمة ، و أمّا كونه صهرا فقيل : لأنّ زينب بنت جحش زوجة النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله كانت أسدية . و نقل الراونديّ رحمه اللَّه أنّه كان متزوّجا في بني أسد ، و أنكره ابن أبي الحديد .

و قال في النهاية : في حديث عليّ عليه السلام « إنّك لقلق الوضين » ،

« الوضين » بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج ، أراد به أنّه سريع الحركة يصفه بالخفّة و قلّة الثبات ، كالحزام إذا كان رخوا . قوله عليه السلام « ترسل في غير سدد » ، « الإرسال » الإطلاق و الإهمال و التوجيه .

و « السدد و السداد » الاستقامة و الصواب ، أي تطلق عنان دابتك أو تهملها و توجّهها في غير مواضعها ، أي تتكلّم في غير موضع الكلام ، و تسأل مثل هذا الأمر الّذي لا يمكن التصريح بمخّ الحقّ فيه في مجمع الناس . و في رواية الصدوق : « عن ذي مسد » و « المسد » الحبل الممسود ، أي المفتول من نبات أو لحاء شجرة . و قيل : « المسد » المرود البكرة الّذي تدور عليه . ذكرهما في النهاية . فيمكن أن يقرأ على بناء المعلوم ، أي ترسل الكلام كما يرسل البكرة على المرود عند الاستقاء ، أو المعنى : تطلق حيوانا له مسد ربط به ، كناية عن التكلّم بماله مانع عن التكلّم به ، أو على المجهول ، أي تنطق بالكلام من غير تأمّل تصير معلّقا بالحبل بين السماء و الأرض لا تدري الحيلة فيه ، أو بتشديد الدّال ، أي ترسل الماء عن مجرى له محل سدّ أو وسد . و الأظهر أنّه تصحيف ، و فيما سيأتي من رواية المفيد من : « غير ذي مسدّد » و هو أظهر .

و « الاستبداد بالشيء » التفرّد به . و الضمير في قوله عليه السلام « فإنّها » راجعة إلى الخلافة ، أو الدنيا لظهورهما بقرينة المقام ، و قيل : إلى الأثرة المفهومة من الاستبداد ، و هو بعيد . و في الأمالي : « امراة » و كأنّه تصحيف « إمرة » بالكسر ، أي إمارة . قوله عليه السلام « شحّت » أي بخلت . و « النفوس الشاحّة » نفوس أهل السقيفة . قوله عليه السلام و « المعود إليه » اسم مكان . و يروي : « يوم القيامة » بالنصب على أن يكون ظرفا ، و العامل فيه « المعود » على أن يكون مصدرا .

قوله عليه السلام « دع عنك نهبا صيح في حجراته » البيت لا مريء القيس ،

و تمامه : و لكن حديثا ما حديث الرواحل .

و كان قصّة هذا الشعر أن امرأ القيس لمّا انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طيّ يقال له : طريف ، فأحسن جواره ، فمدحه ، و أقام عنده ، ثمّ إنّه خاف أن لا يكون له منعة فتحوّل و نزل على خالد بن سدوس النبهاني ، فأعادت بنوجديلة على امريء القيس و هو في جوار خالد ، فذهبوا بإبله ، فلمّا أتاه الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له : اعطني رواحلك ألحق عليها القوم فأردّ إبلك . ففعل ، فركب خالد في أثر القوم حتّى أدركهم ، فقال : يا بني جديلة أغرتم على إبل جاري ، فقالوا : ما هو لك بجار .

قال : بلى و اللَّه و هذا رواحله . قالوا : كذلك قال : نعم . فرجعوا إليه و أنزلوه عنهنّ و ذهبوا بهنّ و بالإبل . و قيل : بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها ، فقال امريء القيس : دع عنك . . . إلى آخر القصيدة .

و المعنى : « دع عنك نهبا » أي اتركه . و « النهب » الغنيمة . و « الحجرات » النواحي ، جمع « حجرة » كجمرة و جمرات . و « الصياح » صياح الغارة . و « الرواحل » جمع « راحلة » و هي الناقة الّتي تصلح لأن يشدّ الرحل على ظهرها . و انتصب « حديثا » بإضمار فعل ، أي حدّثني ، أوهات ، أو اسمع . و يروى بالرفع ، أي غرضي حديث ،

فحذف المبتدأ . و « ما » ههنا تحتمل أن تكون إبهاميّة و هي الّتي إذا اقترنت بنكرة زادته إبهاما ، أو صلة مؤكّدة كما في قوله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم » 651 . و أمّا

----

(651) النساء : 155 و المائدة : 13 .

[123]

« حديث » الثّاني فقد ينصب على البدل من الأوّل ، و قد يرفع على أن يكون ما موصولة وصلتها الجملة ، أي الّذي هو حديث الرواحل ، ثمّ حذف صدرها كما حذف في تماما على الّذي أحسن ، أو على أن تكون استفهامية بمعنى أيّ .

و قوله عليه السلام « و هلم الخطب » يؤيّد أنّه عليه السلام لم يستشهد إلاّ بصدر البيت ، فإنّه قائم مقام قول امريء القيس « و لكن حديثا ما » . و « هلم » يستعمل لازما و متعدّيا ، فاللازم بمعنى « تعال » و يستوى فيه الواحد و الجمع و المذكر و المؤنّث في لغة أهل الحجاز ، و أهل نجد يقولون : هلمّا و هلموا . و المتعدي بمعنى « هات » ،

قال تعالى : « هلم شهداءكم » 652 . و هنا يحتمل الوجهين و إن كان الثاني أظهر ،

أي لا تسأل عن اللصوص الثلاثة الماضية فإنّهم نهبوا الخلافة و صاحوا في حجراته ،

و مضوا ، و لكن هات ما نحن فيه الآن من خطاب ابن أبي سفيان لنتكلّم فيه و نشتغل بدفعه ، فإنّه أعجب و أغرب ، و التعرّض له أهمّ . و « الخطب » الحادث الجليل ، و الأمر العظيم . قوله عليه السلام « بعد ابكائه » قيل : « الإبكاء » إشارة إلى ما كان عليه من الكابة لتقدّم الخلفاء . و الضحك للتعجّب من أنّ الدهر لم يقنع بذلك حتّى جعل معاوية منازعا له في الخلفاء . و الضحك للتعجّب من أنّ الدهر لم يقنع بذلك حتّى جعل معاوية منازعا له في الخلافة . و الأظهر أنّ كليهما في أمر معاوية أو في أمره و أمر من تقدّمه فإنّها محلّ للحزن و التعجّب معا .

و « الغرو » بالغين المعجمة المفتوحة و الرآء المهملة الساكنة ، العجب ، أي لا عجب . ثمّ فسّره بما بعده فقال : « يستفرغ العجب » أي لم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجّب ، و هذا من المبالغة في المبالغة ، أي هذا أمر يجلّ عن التعجّب ، كقول ابن هاني :

قد سرت في الميدان يوم طرادهم
فعجبت حتّى كدت لا أتعجّب

و « الأود » العوج ، و يحتمل أن يكون « لا غرو » معناه أنّ ما ورد عليّ ليس بعجب من تقلّبات الدنيا و أحوالها و قوّة الباطل و غلبة أهله فيها ، فيكون قوله عليه السلام « فياله » استينافا لاستعظام الأمر ، أو المعنى : لا غرو في أن أضحكني و أبكاني لأمر واحد .

----

(652) الأنعام : 150 .

[124]

و أمّا رواية الصدوق ، فلعلّ المعنى : لا عجب إلاّ من جارتي و سؤالها عنّى لم لم تنتصر ممّن ظلمك ؟ هل كان لي أهل يعينني ، فاسأل عن ذلك ؟ أي مع علمك بتفرّدي و تخذّل النّاس عنّي ما كنت تحتاج إلى السؤال عن علّة الأمر . و « فوّار الينبوع » بالفتح و تشديد الواو ، و ثقب البئر ، و « الفوار » بالضمّ و التخفيف ، ما يفور من حرّ القدر ، و قريء بهما و الأوّل أظهر . و « جدحوا » أي خلطوا و مزجوا و أفسدوا . و « الوبيء » ذو الوباء و المرض .

و « الشرب » بالكسر ، الحظّ من الماء . و « الشّرب الوبيء » هو الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له عليه السلام كالشّرب المخلوط بالسمّ . قوله عليه السلام « فإن يرتفع » [653] أي بأن يتّبعوا أمري . 654

163 و من خطبة له عليه السلام

الخالق جل و علا

الحمد للّه خالق العباد ، و ساطح المهاد (2023) ، و مسيل الوهاد (2024) ،

و مخصب النّجاد (2025) . ليس لأوّليّته ابتداء ، و لا لأزليّته انقضاء .

هو الأوّل و لم يزل ، و الباقي بلا أجل . خرّت له الجباه ، و وحدته الشّفاه . حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانة له (2026) من شبهها . لا تقدّره الأوهام بالحدود و الحركات ، و لا بالجوارح و الأدوات . لا يقال له :

« متى ؟ » و لا يضرب له أمد « بحتّى » . الظّاهر لا يقال : « مم ؟ » و الباطن لا يقال : « فيم ؟ » لا شبح فيتقصّى ، و لا محجوب فيحوى .

[653] في النهج : فإن ترتفع .

----

(654) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 157 ، ط كمپاني و ص 152 ، ط تبريز .

لم يقرب من الأشياء بالتصاق ، و لم يبعد عنها بافتراق ، و لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة (2027) ، و لا كرور لفظة ، و لا ازدلاف ربوة (2028) ، و لا انبساط خطوة ، في ليل داج (2029) ، و لا غسق ساج (2030) ، يتفيّأ (2031) ، عليه القمر المنير ، و تعقبه الشّمس ذات النّور في الأفول و الكرور (2032) ، و تقلّب الأزمنة و الدّهور ، من إقبال ليل مقبل ، و إدبار نهار مدبر . قبل كلّ غاية و مدّة ، و كلّ إحصاء و عدّة ، تعالى عمّا ينحله (2033) المحدّدون من صفات الأقدار (2034) ،

و نهايات الأقطار (2035) و تأثّل (2036) المساكن ، و تمكّن الأماكن . فالحدّ لخلقه مضروب ، و إلى غيره منسوب .

ابتداع المخلوقين

لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة ، و لا من أوائل أبديّة ، بل خلق ما خلق فأقام حدّه (2037) ، و صوّر ما صوّر فأحسن صورته . ليس لشيء منه امتناع ، و لا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين ، و علمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السّفلى .

إيضاح :

« ساطح المهاد » اي باسط الأرض الّتي هي بمنزلة الفراش للخلق .

و « الوهد » المكان المنخفض . و « النجاد » ما ارتفع من الأرض أي مجري السيول في

الوهاد ، و منبت العشب و النبات و الأشجار في النجاد . قوله « انقضاء » أي في طرف الأبد ، و يحتمل أن يكون المراد بالأوليّة العلّيّة أي ليست له علّة ، و ليس لوجوده في الأزل انقضاء ، و الأوّل أوفق بالفقرتين الآتيتين لفّا و نشرا . و « شخوص اللحظة » مدّ البصر بلا حركة جفن . و « كرور اللفظة » رجوعها . و قيل : « ازدلاف الربوة » صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض ، و هي الموضع المرتفع ، و قيل : « ازدلاف الربوة » تقدّمها في النظر ، فإنّ الربوة أوّل ما يقع في العين من الأرض عند مدّ البصر ، من « الزلف » بمعنى القرب .

قوله عليه السلام « داج » أي مظلم . و « الفسق » محرّكة ، ظلمة أوّل اللّيل ، و قوله « ساج » أي ساكن ، كما قال تعالى : « و الليل إذا سجى » 655 أي سكن أهله ، أو ركد ظلامه من « سجى البحر سجوا » إذا سكنت أمواجه . قوله عليه السلام « يتفيّأ » هذا من صفات الغسق و من تتمّة نعته ، و معنى « يتفيّأ عليه » يتقلّب ذاهبا و جائيا في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدّر ، و أخذه في النقص إلى المحاق ،

و الضمير في « عليه » للغسق .

و قوله « و تعقّبه » أي تتعقّبه فخذف إحدى التائين ، و الضمير فيه للقمر . و قوله « من إقبال ليل » متعلّق بتقليب ، و المعنى أنّ الشمس تعاقب القمر فتطلع عند أفوله ، و يطلع عند أفولها . قوله عليه السلام « قبل كلّ غاية » أي هو سبحانه قبل كلّ غاية . قوله « عمّا ينحله » أي ينسبه إليه .

قوله عليه السلام « و تأثّل المساكن » يقال : « مجد مؤثّل » أي أصيل ،

و « بيت مؤثّل » أي معمور . و « أثّل » ملكه ، عظّمه ، و « تأثّل » عظم . و « تمكّن الأماكن » ثبوتها و استقرارها .

أقول : يحتمل أن يكون المعنى التأثّل في المساكن و التمكّن في الأماكن . قوله عليه السلام « و لا من أوائل أبديّة » أقول : على هذه النسخة الأصول الأزليّة هي الأوائل الأبديّة ، إذا ما ثبت قدمه امتنع عدمه . قوله عليه السلام « فأقام حدّه » أي

----

(655) الضحى : 2 .

[127]

أتقن حدود الأشياء على وفق الحكمة الإلهيّة من المقادير و الأشكال و النهايات و الآجال . 656

منها :

أيّها المخلوق السّويّ (2038) ، و المنشأ المرعي (2039) ، في ظلمات الأرحام ، و مضاعفات الأستار . بدئت « من سلالة (2040) من طين » ،

و وضعت « في قرار مكين (2041) ، إلى قدر معلوم » ، و أجل مقسوم .

تمور (2042) في بطن أمّك جنينا لا تحير (2043) دعاء ، و لا تسمع نداء ،

ثمّ أخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها ، و لم تعرف سبل منافعها .

فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمّك ، و عرّفك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك هيهات ، إنّ من يعجز عن صفات دي الهيئة و الأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز ، و من تناوله بحدود المخلوقين أبعد

توضيح :

« السويّ » العدل و الوسط ، و « رجل سويّ » أي مستوي الخلقة غير ناقص . و « أنشأ الخلق » ابتدأ خلقهم ، و « الرعاية » الحفظ ، و « المرعيّ » من شمله حفظ الراعي . و « مضاعفات الأستار » أي الأستار المضاعفة ، و الحجب بعضها فوق بعض .

« بدئت من سلالة . . . » إشارة إلى قوله تعالى : وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طَينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِی قَرَارٍ مَكِينٍ 657 ، و قد مرّ وجوه التفسير فيه ، و هي جارية ههنا .

و « المكين » المتمكّن ، و هو في الأصل صفة للمستقرّ ، وصف به المحلّ مبالغة ، أو المراد

----

(656) *بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 306 .*

----

(657) *المؤمنون : 13*

تمكّن الرحم في مكانها مربوطة برباطات كما سيأتي ، و المعنى : في مستقرّ حصين هي الرحم . « إلى قدر معلوم » أي مقدار معيّن من الزمان قدّره اللّه للولادة . و « قسمه » كضربه و « قسّمه » بالتشديد ، أي جزّأه و فرّقه ، و « قسم أمره » أي قدّره ،

و « الأجل المقسوم » المدّة المقدّرة لحياة كلّ أحد ، فالظرف متعلّق بمحذوف ، أي منهيا إلى أجل مقسوم ، أو يقال : الوضع في الرحم غايته ابتداء الأجل أي مدّة حياة الدنيا ،

و يحتمل أن يكون تأكيدا للقدر المعلوم . و « مار الشيء » كقال تحرّك ، أو بسرعة و اضطراب . و « الجنين » الولد في البطن لاستتاره من « جنّ » أي استتر ، فإذا ولد فهو منفوس . و « المحاورة » الجواب و مراجعة النطق ، و يقال : « كلّمته فما أحار إليّ جوابا » أي لم يجبني . و « دعوته دعاء » ناديته و طلبت إقباله . « لم تشهدها » أي لم تحضرها قبل ذلك و لم تعلم بحالها . و « الاجترار » الجذب . « مواضع طلبك » قيل : أي حلمة الثدي ،

و الجمع باعتبار أنّ الطفل يمتصّ من غير ثدي امّه أيضا ، أو عرّفك عند الحاجة إلى كلّ شيء في الدار الدنيا مواضع طلبك . و في بعض النسخ : « و حرّك عند الحاجة » فالمراد بمواضع الطلب القوى و الآلات الّتي يحصل بها اجترار الغذاء . « هيهات » أي بعد أن يحيط علما بصفات خالقه الّذي هو أبعد الأشياء منه من حيث الحقيقة لعدم المشابهة و المجانسة و ليس له حدود المخلوقين من لا يقدر على وصف نفسه مع أنّه أقرب الأشياء إليه و غيره من ذوي الهيئة و الأدوات ، المجانس له في الذات و الصفات ، المتّصف بحدود المخلوقين . 658

164 و من كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه و شكوا ما نقموه على عثمان و سألوه مخاطبته لهم و استعتابه لهم ، فدخل عليه فقال :

إنّ النّاس ورائي و قد استسفروني (2044) بينك و بينهم ، و و اللّه ما

----

(658) *بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 60 ، كتاب السماء و العالم ، ص 347 .*

أدري ما أقول لك ما أعرف شيئا تجهله . و لا أدلّك على أمر لا تعرفه . إنّك لتعلم ما نعلم . ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، و لا خلونا بشيء فنبلّغكه . و قد رأيت كما رأينا ، و سمعت كما سمعنا ،

و صحبت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما صحبنا . و ما ابن أبي قحافة و لا ابن الخطّاب بأولى بعمل الحقّ منك ، و أنت أقرب إلى أبي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و شيجة (2045) رحم منهما ،

و قد نلت من صهره ما لم ينالا . فاللّه اللّه في نفسك فإنّك و اللّه ما تبصّر من عمى ، و لا تعلّم من جهل ، و إنّ الطّرق لواضحة ، و إنّ أعلام الدّين لقائمة . فاعلم أنّ أفضل عباد اللّه عند اللّه إمام عادل ،

هدي و هدى ، فأقام سنّة معلومة ، و أمات بدعة مجهولة . و إنّ السّنن لنيرة ، لها أعلام ، و إنّ البدع لظاهرة ، لها أعلام . و إنّ شرّ النّاس عند اللّه إمام جائر ضلّ و ضلّ به ، فأمات سنّة مأخوذة : و أحيا بدعة متروكة . و إني سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول :

« يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر ، فيلقى في نار جهنّم ، فيدور فيها كما تدور الرّحى ، ثم يرتبط (2046) في قعرها » و إني أنشدك اللَّه ألاّ تكون إمام هذه الأمّة المقتول ، فإنّه كان يقال :

يقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة ،

[130]

و يلبس أمورها عليها ، و يبث الفتن فيها ، فلا يبصرون الحقّ من الباطل ، يموجون فيها موجا ، و يمرجون فيها مرجا (2047) . فلا تكوننّ لمروان سيّقة (2048) يسوقك حيث شاء بعد جلال السّنّ و تقضّي العمر .

فقال له عثمان رضي اللَّه عنه : « كلّم النّاس في أن يؤجّلوني ، حتّى أخرج إليهم من مظالمهم » فقال عليه السّلام : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، و ما غاب فأجله وصول امرك إليه .

توضيح :

« الاستعتاب » طلب العتبى ، و هو الرجوع و الرضا . قوله عليه السلام « ما أعرف شيئا تجهله » الغرض بيان وضوح قبائح أعماله بحيث يعرفه الصبيان لا بيان وفور علمه . قوله عليه السلام « و أنت أقرب » الواو للحال ،

و يحتمل العطف . و « الوشيجة » تمييزه ، و هي عرق الشجرة ، و « الواشجة » الرحم المشتبكة ، و قد وشجت بك قرابة فلان ، و الاسم « الوشيج » ذكره الجوهريّ . قوله عليه السلام « فإنّه كان يقال » أي كان النبيّ يقول . و أبهم عليه السلام لمصلحة . و المراد بالإمام إمام يدعو إلى النار . و قال الجوهريّ : « مرجت » فسدت و « مرج » اختلط و اضطرب ، و منه الهرج و المرج . و « السيّقة » بتشديد الياء المكسورة ، ما استاقه العدوّ من الدوابّ . و في القاموس : « جلّ يجلّ جلالة و جلالا » أسنّ . 659

165 و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

خلقة الطيور

ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان و موات ، و ساكن و ذي حركات ،

----

(659) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 374 ، ط كمپاني و ص 352 ، ط تبريز .

[131]

و أقام من شواهد البيّنات على لطيف صنعته ، و عظيم قدرته ، ما انقادت له العقول معترفة به ، و مسلّمة له ، و نعقت (2049) في أسماعنا دلائله على وحدانيّته ، و ما ذرأ (2050) من مختلف صور الأطيار الّتي أسكنها أخاديد (2051) الأرض ، و خروق فجاجها (2052) و رواسي أعلامها (2053) ،

من ذات أجنحة مختلفة ، و هيئات متباينة ، مصرّفة في زمام التّسخير ،

و مرفوفة (2054) بأجنحتها في مخارق الجوّ (2055) المنفسح ، و الفضاء المنفرج . كوّنها بعد إذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة ، و ركّبها في حقاق (2056) مفاصل محتجبة (2057) ، و منع بعضها بعبالة (2058) ، خلقه أن يسمو (2059) في الهواء خفوفا (2060) ، و جعله يدفّ دفيفا (2061) و نسقها (2062) على اختلافها في الأصابيغ (2063) بلطيف قدرته ، و دقيق صنعته . فمنها مغموس في قالب (2064) لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ، و منها مغموس في لون صبغ قد طوّق (2065) بخلاف ما صبغ به .

الطاووس

و من أعجبها خلقا الطّاووس الّذي أقامه في أحكم تعديل . و نضّد ألوانه في أحسن تنضيد (2066) ، بجناح أشرج قصبه (2067) ، و ذنب أطال مسحبه . إذا درج (2068) إلى الأنثى نشره من طيّه . و سما به (2069) مطلاً على رأسه (2070) كأنّه قلع (2071) داريّ (2072) عنجه نوتيّه (2073)

[132]

يختال (2074) بألوانه ، و يميس بزيفانه (2075) . يفضي (2076) كإفضاء الدّيكة ، و يؤرّ بملاقحه (2077) أرّ الفحول المغتلمة (2078) للضّراب (2079) .

أحيلك من ذلك على معاينة (2080) ، لا كمن يحيل على ضعيف إسناده .

و لو كان كزعم من يزعم أنّه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه (2081) ،

فتقف في ضفّتي (2082) جفونه ، و أنّ أنثاه تطعم (2083) ذلك ، ثمّ تبيض لا من لقاح (2084) فحل سوى الدّمع المنبجس (2085) ، لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب (2086) تخال قصبه (2087) مداري (2088) من فضّة ، و ما أنبت عليها من عجيب داراته (2089) و شموسه خالص العقيان (2090) و فلذ الزّبرجد (2091) . فإن شبّهته بما أنبتت الأرض قلت : جنى (2092) جني من زهرة كلّ ربيع . و إن ضاهيته بالملابس فهو كموشيّ الحلل (2093) أو كمونق عصب اليمن (2094) . و إن شاكلته بالحليّ فهو كفصوص ذات ألوان ، قد نطّقت باللّجين المكلّل (2095) . يمشي مشي المرح المختال (2096) ، و يتصفّح ذنبه و جناحيه ، فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله (2097) ، و أصابيغ وشاحه (2098) ، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا (2099) معولا (2100) بصوت يكاد يبين عن استغاثته ، و يشهد بصادق توجعه ، لأنّ قوائمه حمش (2101) كقوائم الديكة الخلاسيّة (2102) .

و قد نجمت (2103) من ظنبوب (2104) ساقه صيصية (2105) خفيّة ، و له في

[133]

موضع العرف قنزعة (2106) خضراء موشّاة (2107) . و مخرج عنقه كالإبريق ،

و مغرزها (2108) إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة (2109) اليمانيّة ، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال (2110) ، و كأنّه متلفّع بمعجر أسحم (2111) ،

إلاّ أنّه يخيّل لكثرة مائه ، و شدّة بريقه ، أنّ الخضرة النّاضرة ممتزجة به . و مع فتق سمعه خطّ كمستدقّ القلم في لون الأقحوان (2112) ،

أبيض يقق (2113) ، فهو ببياضه في سواد ما هنا لك يأتلق (2114) . و قلّ صبغ إلاّ و قد أخذ منه بقسط (2115) ، و علاه (2116) بكثرة صقاله و بريقه ،

و بصيص (2117) ديباجه و رونقه (2118) ، فهو كالأزاهير المبثوثة (2119) ، لم تربّها (2120) أمطار ربيع ، و لا شموس قيظ (2121) . و قد ينحسر (2122) من ريشه ، و يعرى من لباسه ، فيسقط تترى (2123) ، و ينبت تباعا ،

فينحتّ (2124) من قصبه انحتات أوراق الأغصان ، ثمّ يتلاحق ناميا حتّى يعود كهيئته قبل سقوطه ، لا يخالف سالف ألوانه ، و لا يقع لون في غير مكانه و إذا تصفّحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة ورديّة ، و تارة خضرة زبر جديّة ، و أحيانا صفرة عسجديّة (2125) فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق (2126) الفطن ، أو تبلغه قرائح العقول ، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين و أقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه ، و الألسنة أن تصفه

[134]

فسبحان الّذي بهر (2127) العقول عن وصف خلق جلاّه (2128) للعيون ،

فأدركته محدودا مكونا ، و مؤلّفا ملوّنا ، و أعجز الألسن عن تلخيص صفته ، و قعد بها عن تأدية نعته

صغار المخلوقات

و سبحان من أدمج قوائم (2129) الذّرّة (2130) و الهمجة (2131) إلى ما فوقهما من خلق الحيتان و الفيلة و وأى (2132) على نفسه ألاّ يضطرب شبح ممّا أولج فيه الرّوح ، إلاّ و جعل الحمام (2133) موعده ، و الفناء غايته .

توضيح :

« الطاووس » على فاعول و تصغيره طويس ، و « طوست المرأة » أي تزيّنت . و « الحيوان » بالتحريك . جنس الحيّ و يكون بمعنى الحياة . و « الموات » كسحاب ما لا روح فيه ، و أرض لم تحي بعد ، و الّتي لا مالك لها و لا ساكن كالأرض و الجبال و ذي حركات كالماء و النّار ، أي المتحرّك بطبعه ، أو الأعمّ ، و لا يضرّ التداخل . و « اللطيف » الدقيق . و « ما » مفعول « أقام » و الضمير عائد إلى ما في « به » و « له » راجع إلى اللّه ، و يحتمل أن يعود إلى « ما » . و « نعقت » أي صاحت و الغرض الاشعار بوضوح الدلائل . و الضمير في دلائله راجع إلى اللّه أو إلى « ما » . و « ماذرأ » أي خلق ، و قيل : « الذرء » مختصّ بخلق الذريّة . و « الأخاديد » جمع « أخدود » بالضمّ ، و هو الشقّ في الأرض : و الطّير الذي يسكن الأخدود كالقطا . و « الفجاج » بالكسر ، جمع « فجّ » بالفتح ، و هو الطريق الواسع بين جبلين . و القبيح يسكن الفجاج . و « الأعلام » الجبال . و « رواسيها » ثوابتها ، و العقبان و الصقور و نحوهما تسكن الجبال الراسية .

و « التصريف » التقليب و التحويل من حال إلى حال ، و « مصرّفة » منصوبة على الحالية و في بعض النسخ مجرور على أنّه صفة لذوات اجنحة ، و كذلك « مرفرفة » . و « زمّه »

[135]

شدّة ، و « الزمام » ككتاب ما يزمّ به ، و « زمام البعير » خطامه ، و « زمام التسخير » القدرة الكاملة .

و « رفرف الطائر بجناحيه » إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه . و « مخارق الجوّ » أمكنتها الّتي تخرق الهواء فتدخلها . و « المنفسخ » الواسع ،

و « الفضاء » بالفتح ، المكان الواسع . و « الحقاق » بالكسر ، جمع « حقّ » بالضمّ ، و هو مجمع المفصلين من الأعضاء . و « احتجاب المفاصل » استتارها باللحم و الجلد و نحوهما .

و « عبل الشيء بالضمّ عبالة » بالفتح فيهما مثل ضخم ضخامة وزنا و معنى . « أن يسمو » أي يعلو في السماء أي في جهة العلوّ ، و في بعض النسخ : في الهواء . و « الخفوق » بالضمّ ، سرعة الحركة . و « دفّ الطائر » كمدّ حرّك جناحيه لطيرانه و معناه ضرب بهما دفيه و هما جناحاه ، قيل : و ذلك إذا أسرع مشيا و رجلاه على وجه الأرض ثمّ يستقلّ طيرانا ، و « دفيف الطائر » طيرانه فوق الأرض ، يقال : « عقاب دفوف » ، و « دفّت الحمامة » كفرّت إذا سارت سيرا لينا ، كذا في المصباح . و يظهر من كلام بعضهم أنّ الفعل كمدّ فيهما ، و « يدفّ » فيما عندنا من النسخ بكسر العين . و « نسقها » أي رتبها ،

يقال : « نسقت الدرّ » كنصرت أي نظمتها ، و « نسقت الكلام » أي عطفت بعضه على بعض . و « الاصابيغ » جمع « أصباغ » بالفتح جمع « صبغ » بالكسر ، و هو اللون ، أي جعل كلا منها على لون خاصّ على وفق الحكمة البالغة . و « غمسه في الماء » كضربه دخله ، و « الاغتماس » الارتماس . شبّه الطير بالثوب الّذي دقّه الصبّاغ إذا أراد صبغه . و « القالب » بالفتح كما في النسخ ، قالب الخفّ و غيره كالخاتم و الطابع و بالكسر ، البسر الأحمر ، و في القاموس : « القالب » البسر الأحمر ، و كالمثال يفرغ فيه الجواهر ، و فتح لامه أكثر ، و « شاة قالب لون » على غير لون امّها ، و في حديث شعيب و موسى عليهما السلام : « لك من غنمي ما جاءت به قالب لون » . تفسيره في الحديث أنّها جاءت على غير ألوان امّهاتها كأنّ لونها قد انقلب ، و منه حديث عليّ عليه السلام في صفة الطيور : « فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه » . 660 انتهى .

----

(660) النهاية ، ج 3 ، ص 304 .

[136]

و الأظهر أنّ الغمس في قالب اللون عبارة عن إحاطة اللون الواحد بجميع أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصوغة بالصبّ فيه من نحاس و نحوه . و على الكسر ، يمكن أن يكون المراد بقالب اللون اللون الذي يقلّب اللون إلى لون آخر . و « لون صبغ » في بعض النّسخ بجرّ « لون » مضافا إلى « صبغ » على الاضافة البيانيّة ، و في بعضها بالجرّ منونا و « صبغ » على صيغة الماضى المجهول ، أي صبغ ذلك المغموس . و « الطوق » حلي للعنق و كلّ ما استدار بشيء ، و هذا النوع كالفواخت و نحوها . و « التعديل » التسوية ، و منه تعديل القسمة ، و المراد إعطاء كلّ شيء منه في الخلق ما يستحقّه و خلقه خاليا من نقص و « نضد متاعه » كنصر و « نضّده » بالتشديد ، أي جعل بعضه فوق بعض ، أي رتّب ألوانه . « بجناح أشرج قصبه » أي ركّب بعضها في بعض كما يشرج العيبة أي يداخل بين أشراجها و هي عراها .

و « سحبه » كمنعه جرّه على وجه الأرض ، و « سحبت المرأة ذيلها » إذا درج أي مشى . و « طوى الصحيفة » كرمى ضدّ نشرها . و « سما » كدعا أي ارتفع ، و « سمابه » أي أعلاه و رفعه . و « أطل عليه » أي أشرف . و « القلع » بالكسر ،

الشراع ، و « الداريّ » منسوب إلى دارين و هو موضع في البحر كان يؤتى منه الطيب من الهند و هو الآن خراب لا عمارة به و لا سكنى و فيه آثار قديمة ، و النسبة إليه لأنه كان مرسى [661] السفن في زمانه عليه السلام و « عنجه » كنصره أي عطفه ، و قيل :

هو أن يجذب الراكب خطام البعير فيردّه على رجليه .

و في النهاية : « النوتي » الملاّح : الّذي يدبّر السفينة في البحر ، و « قد نات ينوت نوتا » إذا تمايل من النعاس ، كأنّ النوتيّ يميل السفينة من جانب إلى جانب . [662] انتهى . و لطف التشبيه واضح .

و « اختال » أي تكبر و أعجب بنفسه . و « يميس » أي يتبختر . و « زاف يزيف زيفانا » أي تبختر في مشيه . و « يفضي » أي يسفد ، و يقال : « أفضى المرأة » أي جامعها

[661] « المرسى » محلّ وقوف السفن .

[662] النهاية ، ج 4 ، ص 191 . و فيه : في حديث عليّ عليه السّلام : « كأنّه قطع داريّ عنجه نوتيّه » ، ثمّ ذكر التفسير .

[137]

أو خلابها ، و « الديكة » كقردة جمع « ديك » بالكسر ، و في بعض النسخ و في نهاية ابن الأثير : « كإفضاء الديكة » . و « يأرّ كيمدّ أرّا » بالفتح ، أي يجامع ، و « ألقح الفحل الناقة » أي أحبلها ، و « الملاقحة » مفاعلة منه ، و في بعض النسخ : « بملاقحه » على صيغة الجمع مضافا إلى الضمير ، أي بآلات تناسله و أعضائه . و « الفحل » الذكر من كلّ حيوان ، و « غلم » كعلم أي اشتدّ شبقه ، و « اغتلم البعير » إذا هاج من شدّة شهوة الضراب .

و قوله عليه السلام « أرّ الفحول المغلمة » ليس في بعض النسخ .

و « الاحالة » من الحوالة . « على ضعيف إسناده » أي إسناده الضعيف ، و في بعض النسخ : « على ضعف » بصيغة المصدر مبالغة . و يقال : « سفحت الدم » كمنعت أي أرقته ، و « [سفحت] الدمع » أي أرسلته ، و في بعض النسخ : « تنشجها » كتضرب ، يقال : « نشج القدر و الزقّ » أي غلى ما فيه حتّى سمع له صوت ، و لعلّ الأوّل أوضح ، فانّ الفعل ليس متعدّيا بنفسه على ما في كتب اللغة . و « صفّتا جفونه » جانباها ، و كذلك صفّتا النهر و الوادي . و « تطعّم » على صيغة التفعّل بحذف إحدى التائين . و « بجّس الماء تبجيسا » فجره فتبجّس و انبجس و يوجد الكلمة في النسخ بهما أي الدمع المنفجر .

قال بعض الشارحين : زعم قوم أنّ اللقاح في الطاووس بالدمعة و أمير المؤمنين عليه السلام لم يحلّ ذلك ، و لكنّه قال : ليس بأعجب من مطاعمة الغراب . و العرب تزعم أنّ الغراب لا يسفد ، و من أمثالهم : « أخفى من سفاد الغراب » فيزعمون أنّ اللقاح من المطاعمة و انتقال جزء من الماء الذي في قانصة الذكر إلى الانثى من منقاره . و أمّا الحكماء فقلّ أن يصدّقوا بذلك على أنّهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا ، قال ابن سينا : و القبجة تحبلها ريح تهبّ من ناحية الحجل الذكر و من سماع صوته : قال : و النّوع المسمّى مالاقيا [663] تتلاصق بأفواهما ثمّ تتشابك فذ سفادها ، و لا يخفى أنّ المثل المذكور لا يدلّ على أنّ الغراب لا يفسد ، بل الظاهر منه خلافه إلاّ أن يكون مراد القائل

[663] في المخطوطة : ملاقيا .

[138]

أيضا ذلك . و أمّا كلامه عليه السلام فالظاهر منه أنّ الطاووس لقاحه بالسفاد لقوله عليه السلام « يؤرّ بملاقحة » و لتعبيره عن القول الآخر بالزعم ، و أن الغراب لقاحه بالمطاعمة .

و في القاموس : الحمام إذا أدخل فمه في فم أنثاه فقد تطاعما و طاعما . و « خال الشيء » كخاف أي ظنّه ، و « خاله يخيله » لغة فيه ، و تقول في المضارع للمتكلّم :

« إخال » بكسر الهمزة على غير قياس و هو أكثر استعمالا و بنو أسد يفتحون على القياس .

و « المدارى » بالدال المهملة على ما في أكثر النّسخ ، جمع « مدرى » بكسر الميم . قال ابن الأثير : « المدرى و المدراة » شيء من حديد [664] أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط و أطول منه يسرّح به الشعر المتلبّد و يستعمله من لا مشط له . 665 و كان في نسخة ابن ميثم بالذال المعجمة ، قال : و هي خشبة ذات أطراف كأصابع الكفّ ينقّى به الطعام . و « الدارة » هالة القمر و ما أحاط بالشيء كالدائرة .

و « العقيان » بالضمّ ، الذهب الخالص ، و قيل : ما ينبت منه نباتا . و « الفلذ » كعنب جمع « فلذة » بالكسر ، و هي القطعة من الذهب و الفضّة و غيرهما ، و « فلذت له من الشيء » كضربت أي قطعت ، و « الزبرجد » جوهر معروف ، قيل : و يسمّيه الناس البلخش ، و قيل : هو الزمرّد . و « جنيت الثمرة و الزهرة و اجتنيتها » بمعنى و « الجني » فعليل منه و في بعض النسخ : « جنى » كحصى و هو ما يجنى من الشجر مادام غضّا بمعنى فعيل ، و لفظة الفعل المجهول ليست في بعض النسخ . و « زهر البنات » بالفتح ،

نوره ، و الواحدة « زهرة » كتمر و تمرة ، قالوا : و لا يسمّى زهرا حتّى تفتح . و المضاهاة و المشاكلة و المشابهة بمعنى ، و استعمال فاعل بمعنى فعّل بالتشديد كثير لا سيما في كلامه عليه السلام . و « اللباس و اللبس » بالكسر فيهما و « الملبس » واحد .

و « الوشي » نقش الثوب من كلّ لون ، و « الموشيّ » كمرميّ المنقّش .

و « الحلل » كصرد جمع « حلّة » بالضمّ ، و هي إزار و رداء من برد أو غيره فلا تكون

[664] في المصدر : شيء يعمل .

----

(665) النهاية ، ج 2 ، ص 23 .

[139]

حلّة إلاّ من ثوبين أو ثوب له بطانة . و « شيء أنيق » أي حسن معجب ، و « المونق » مفعل منه قلبت الهمزة واوا . و « العصب » بالفتح . ضرب من البرود . و « الحليّ » بضمّ الحاء و كسر اللام و تشديد الياء ، جمع « حلي » بالفتح و التخفيف ، و هو ما يزيّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة . و « الفصوص » جمع « فصّ » كفلس و فلوس ، قال ابن السكّيت : كسر الفاء رديّ . و قال الفيروز آباديّ الفصّ للخاتم ، مثلّثة و الكسر غير لحن .

و « نطّقت باللجين » أي جعلت الفضّة كالنطاق لها و هو ككتاب شبه إزار فيه تكّة تلبسه المرأة ، و قيل : شقّة تلبسها المرأة و تشدّ وسطها بحبل و ترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض ، و الأسفل ينجرّ على الأرض [666] ، و « كلّل فلانا » ألبسه الاكليل و هو بالكسر ،

التاج ، و شبه عصابة زيّن بالجوهر ، و قال بعض الشّارحين : شبّه عليه السلام بالفصوص المختلفة الألوان المنطّقة في الفضّة أي المرصّعة في صفائح الفضّة ، و « المكلّل » الذي جعل كالاكليل . و حاصل الكلام أنه عليه السلام شبّه قصب ريشه بصفائح من فضّة رصّعت بالفصوص المختلفة الألوان ، فهي كالاكليل بذلك الترصيع و الأظهر أنّ المكلّل وصف للجين . و « مرح » كفرح وزنا و معنى فهو « مرح » ككتف ، و قيل :

« المرح » أشدّ من الفرح [667] ، و قيل : هو النشاط . و « تصفّحت الكتاب » أي قلّبت صفحاته . و « قة » كفر أي ضحك ، و قال في ضحكه : قه بالسكون فاذا كرّر قيل :

« قهقه قهقهة » مثل دحرج دحرجة . و « الجمال » الحسن في الخلق و الخلق .

و « السربال » بالكسر ، القميص أو كلّ ما لبس . و « الوشاح » ككتاب شيء ينسج من أديم و يرصّع شبه قلادة تلبسه النساء . و « زقا يزقو » أي صاح . و « أعول » أي رفع صوته بالبكاء و الصياح . و « استغاث » طلب العون و النصر . و « توجّع » أي تفجّع أو تشكو لأنّ قوائمه حمش أي دقاق ، يقال : رجل أحمش الساقين . و « الخلاّسية » بالكسر ،

هي الّتي بين الدجاجة الهنديّة و الفارسيّة ، و الولد بين أبوين أبيض و سوداء و أسود و بيضاء ، ذكره في العين . و « نجم النبات و غيره كقعد نجوما » أي ظهر و طلع .

[666] في المخطوطة : يجرّ على الأرض .

[667] في المخطوطة : أشدّ الفرح .

[140]

و « الظنبوب » بالضمّ ، حرف العظم اليابس من قدم الساق ، ذكره الجوهريّ . و في القاموس : حرف الساق من قدم أو عظمه أو حرف عظمه . و « الصيصية » في الأصل ،

شوكة الحائك الّتي بها يسوّي السدادة و اللحمة ، قال الجوهري : و منه صيصية الديك الّتي في رجله . و « العرف » بالضمّ ، شعر عنق الفرس و غيره . و « القنزعة » بضمّ القاف و الزاي ، ما ارتفع من الشعر ، و قيل : الخصلة من الشعر يترك على رأس الصبيّ .

« موشّاة » أي منقّشة .

و « المخرج » اسم مكان ، أي محلّ خروج عنقه كمحلّ خروج عنق الابريق ،

و يشعر بأنّ عنقه كعنق الابريق ، أو مصدر ، أي خروج عنقه كخروج عنق الابريق ،

فالاشعار أقوى . و « الابريق » فارسيّ معرّب . [668] و « غرزته » كضربت أي أثبتّه في الأرض ، و « مغرزها » مبتدء خبره « كصبغ الوسمة » و « بطنه » مبتدء خبر محذوف ،

أى مغرزها إلى حيث بطنه موجودا و ممتدّا و منتهى إليه كصبغ . . . إلى آخره ، و « حيث » تضاف إلى الجملة غالبا و هو في المعنى مضافة إلى المصدر الّذي تضمّنته الجملة ، قالوا :

« حيث » و إن كانت مضافة إلى الجملة في الظاهر ، لكن لمّا كانت في المعنى مضافة إلى المصدر فاضافتها إليها كلا إضافة ، و لذا بنيت على الضمّ كالغايات على الأعرف . فقال الرضيّ رضي اللّه عنه حذف خبر المبتدء الّذي بعد « حيث » غير قليل .

و « الوسمة » بكسر السين كما في بعض النسخ و هي لغة الحجاز و أفصح من السكون و أنكر الأزهريّ السكون و بالسكون كما في بعض النسخ و جوّزه بعضهم ، نبت يختضب بورقه ، و قيل : هو ورق النيل . و « الصقال » ككتاب اسم من « صقله » كنصر أي جلاه ، فهو مصقول و صقيل . و « اللفاع » ككتاب الملحفة أو الكساء أو كلّ ما تتلفّع به المرأة ، و « تلفّع الرجل بالثوب » إذا اشتمل به و تغطّى ، و في بعض النسخ : « متقنّع » و « المقنع و المقنعة » بالكسر فيهما ، ما تتقنّع به المرأة ، و « القناع » ككتاب أوسع منهما . و « المعجر » كمنبر ثوب أصغر من الرداء تلبسه المرأة ،

و قال المطرزيّ : ثوب كالعصابة تلفّه المرأة على استدارة رأسها . و « السحم » بالتحريك

[668] معرّب « آبريز » و هو الّذي يقال له بالفارسيّة : آفتابه .

[141]

و « السحمة » بالضمّ ، السواد ، و « الأسحم » الأسود . و « خيل له كذا » بالبناء للمفعول من الخيال بمعنى الوهم و الظنّ أي لبس عليه ، و في بعض النسخ « يخيّل » على صيغة المعلوم فالفاعل ضمير الطاووس . و « البريق » اللمعان .

« و استدقّ » أي صار دقيقا و هو ضدّ الغليظ ، و « المستدقّ » على صيغة اسم الفاعل و في بعض النسخ على صيغة اسم المفعول ، قال ابن الأثير : « استدقّ الدّنيا » أي احتقرها و استصغرها ، و هو استفعل من الشيء الدقيق الصغير ، و المشبّه على الاوّل القلم ، و على الثاني المرقوم ، و يمكن أن تكون الاضافة على الأوّل لأدنى ملابسة فانّ الرقم الدقيق له نسبة إلى القلم . و « الإقحواً » بالضمّ ، البابونج . و « أبيض يقق » بالتحريك ،

أي شديد البياض . و « ائتلق و تألّق » أي التمع . و « علافلان فلانا » أي غلبه و ارتفع عليه . و « بصّ » كفر أي برق و لمع . و « الديباج » ثوب سداه و لحمته أبريسم و قيل :

هو معرّب ثمّ كثر حتى اشتقّت العرب منه فقالوا : « دبج الغيث الأرض دبجا » إذا سقاها فأنبت أزهارا مختلفة لأنّه اسم للمنقّش . و « رونق الشيء » ماؤه و حسنه ، أي أخذ من كلّ لون نصيبا و زاد على اللون بالبريق و اللمعان . و « الزهرة » بالفتح و بالتحريك ، النبات و نوره و الجمع « أزهار » و جمع الجمع « أزاهر » [669] .

و « البثّ » النشر و التفريق . و « ربّ فلان الأمر » أي أصلحه و قام بتدبيره ،

و « ربّ الدهن » أي طيبه . و « القيظ » فصل الصيف و شدّة الحرّ ، و لعلّ الجمع في الأمطار باعتبار الدفعات و في الشموس بتعدّد الاشراق في الأيّام أو باعتبار أنّ الشمس الطالع في كلّ يوم فرد على حدة لاختلاف التأثير في نضج الثمار و تربية النبات باختلاف الحرّ و البرد و غير ذلك . و « تحسر البعير » على صيغة التفعّل ، أي سقط من الإعياء ، و في بعض النّسخ : « تنحسر » على صيغة الانفعال ، تقول : « حسره كضربه و نصره فانحسر » أي كشفه فانكشف . و « العرى » بالضمّ ، خلاف اللبس و الفعل كرضي .

و « تترى » فيه لغتان تنوّن و لا تنوّن مثل علقي فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف التأنيث و هو أجود ، و أصلها « و ترى » من الوتر و هو الفرد ، قال اللّه تعالى : « ثمّ

[669] في النسخة المخطوطة : أزاهير .

[142]

أرسلنا رسلنا تترى » 670 أي واحدا بعد واحد ، و من نونها جعل ألفها ملحقة ، ذكره الجوهريّ . و قال بعض شارحي النهج : « تترى » أي شيئا بعد شيء و بينهما فترة ، و هذا ممّا يغلط فيه قوم فيعتقدون أنّ « تترى » للمواصلة و الالتصاق . و « ينبت تباعا » أي لافترات بينهما ، و كذلك حال الريش الساقط . و « التباع » بالكسر ، الولاء . و « انحتّت ورق الشجر » أي سقطت .

و قوله عليه السلام « سالف ألوانه » في بعض النسخ : « سائر ألوانه » قال الجوهريّ : « سائر الناس » أي جميعهم ، و في المصباح : قال الأزهريّ : أتّفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه قليلا كان أو كثيرا ، و لعلّ المراد عدم مخالفة لون

الريش النابت للباقي من السوالف ، أو المراد عدم التخالف بين الأرياش النابتة ، و ما في الأصل أوضح . و « الورد بالفتح من كلّ شجرة » نورها ، و غلب على الورد الأحمر .

و « التارة » الحين و الزمان . و « العسجد » كجعفر الذهب . و « العمق » بالضمّ و بالفتح ، قعر البئر و نحوها . و « الفطن » كعنب جمع « فطنة » بالكسر ، و هى الحذق و العلم بوجوه الأمور ، و « عمائق الفطن » الأذهان الثاقبة . و « القريحة » أوّل ما يستنبط من البئر و منه قولهم : « لفلان قريحة جيّدة » يراد استنباط العلم بجودة الطبع ، و « اقترحت الشيء » أي ابتدعته من غير سبق مثال . و الواو في قوله عليه السلام « و أقل » للحال ، و لا ريب أنّ الشعرة أقلّ الأجزاء التي بها قوام الحيوان و المراد بعجز الأوهام العجز عن وصف علل هذه الالوان و اختلافها و اختصاص كلّ بموضعه و سائر ما أشار عليه السلام إليه ، أو العجز عن إدراك جزئيّات الأوصاف المذكورة و تشريح الهيئات الظاهرة و الخصوصيّات الخفيّة في خلق ذلك الحيوان كما هو المناسب لما بعده .

و « بهره » كمنعه أي غلبه . و « جلاه » بالتشديد و التخفيف على اختلاف النسخ ،

أي كشفه . و « التكوين » الاحداث و الايجاد . و « قعدبها » أي أقعدها و أعجزها ،

و الغرض الدلالة على عجز العقول عن إدراك ذاته سبحانه فإنّها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر العيون على الصفات المذكورة فهي بالعجز عن إدراكه سبحانه

----

(670) المؤمنون : 44 .

و وصفه أحرى ، و كذلك الألسن في تلخيص صفته و تأدية نعته .

و « دمج الشيء كنصر دموجا » دخل في الشيء و استحكم فيه و أدمجه غيره . و « الذرة » واحدة الذرّ و هي صغار النمل . و « الهمجة » واحدة الهمج كذلك و هو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم و الحمر و أعينها . و « الحيتان » جمع « حوت » . و « الأفيلة » جمع « فيل » و المعروف بين أهل اللغة « فيلة » كعنبة كما في بعض النسخ ، و أفيال و فيول . و قال ابن السكّيت : و لا تقل : « أفيلة » و « وأى » أي وعد .

و « اضطرب » أي تحرّك . و « الشبح » الشخص . و « أولج » أي أدخل . و « الحمام » ككتاب قضاء الموت و قدره . 671

منها في صفة الجنة

فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك (2134) عن بدائع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها و لذّاتها ، و زخارف مناظرها ، و لذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار (2135) غيّبت عروقها في كثبان (2136) المسك على سواحل أنهارها ، و في تعليق كبائس اللّؤلؤ الرّطب في عساليجها و أفنانها (2137) ، و طلوع تلك الثّمار مختلفة في غلف أكمامها (2138) ، تجنى (2139) من غير تكلّف فتأتي على منية مجتنيها ، و يطاف على نزّالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفّقة (2140) ،

و الخمور المروّقة . قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتّى حلّوا دار القرار ، و أمنوا نقلة الأسفار . فلو شغلت قلبك أيّها المستمع بالوصول

----

(671) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 65 ، كتاب السماء و العالم ، ص 32 41 .

إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة (2141) ، لزهقت نفسك شوقا إليها ، و لتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالا بها . جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته .

تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب

قال السيد الشريف رضي اللّه عنه : قوله عليه السّلام : « يؤر بملاقحه » ،

الأر : كناية عن النّكاح ، يقال : أرّ الرّجل المرأة يؤرها ، إذا نكحها و قوله عليه السّلام : « كأنّه قلع داريّ عنجه نوتيّه » القلع : شراع السّفينة ، و داريّ : منسوب إلى دارين ، و هي بلدة على البحر يجلب منها الطيّب . و عنجه : أي عطفه . يقال : عنجت النّاقة كنصرت أعنجها » عنجا إذا عطفتها . و النّوتي : الملاح . و قوله عليه السّلام : « صفّتي جفونه أراد جانبي جفونه . و الضّفتان : الجّانبان . و قوله عليه السّلام : » و فلذ الزبرجد » الفلذ : جمع فلذة ، و هي القطعة . و قوله عليه السّلام :

« كبائس اللّؤلؤ الرّطب » الكباسة : العذق (2142) ، و العساليج : الغصون ،

واحدها عسلوج .

بيان :

« لعرفت » أي زهدت . و « الزخرف » الذهب و كلّ مموّه .

و « الاصطفاق » الاضطراب ، و يروى : « اصطفات أشجار » أي انتظامها صفّا .

و « الكبائس » جمع « كباسة » و هي العذق التامّ بشماريخه و رطبه . و « العساليج » الأغصان ، و كذا الأفنان . قوله عليه السلام « فتأتي علي منية مجتنيها » أي لا يترك له منية أصلا . و قال الفيروز آباديّ : « التصفيق » تحويل الشراب من إناء إلى إناء ممزوجا ليصفو ، و قال : « الرواق » الصافي من الماء و غيره و المعجب . و يقال : « زهقت نفسه » أي مات . 672

----
(672) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 8 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 162 .

[145]

166 و من خطبة له عليه السلام

الحث على التآلف

ليتأسّ (2143) صغيركم بكبيركم ، و ليرأف كبيركم بصغيركم ،

و لا تكونوا كجفاة الجاهليّة : لا في الدّين يتفقّهون ، و لا عن اللّه يعقلون ، كقيض (2144) بيض في أداح (2145) يكون كسرها وزرا ،

و يخرج حضانها شرّا .

بنو امية

و منها : افترقوا بعد ألفتهم ، و تشتّتوا عن أصلهم . فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه . على أنّ اللّه تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أميّة ، كما تجتمع قزع الخريف (2146) يؤلّف اللّه بينهم ، ثمّ يجمعهم ركاما كركام (2147) السّحاب ، ثمّ يفتح

لهم أبوابا . يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين ، حيث لم تسلم عليه قارة ، و لم تثبت عليه أكمة (2148) ، و لم يردّ سننه رصّ طود ، و لا حداب أرض .

يذعذعهم (2149) اللّه في بطون أوديته ، ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض ،

يأخذ بهم من قوم حقوق قوم ، و يمكّن لقوم في ديار قوم . و ايم اللّه ، ليذوبن ما في أيديهم بعد العلو و التّمكين ، كما تذوب الألية

[146]

على النّار .

النّاس آخر الزمان

أيّها النّاس . لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ ، و لم تهنوا عن توهين الباطل . لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ، و لم يقو من قوي عليكم .

لكنّكم تهتم متاه بني إسرائيل . و لعمري ، ليضعّفنّ لكم التّيه من بعدي أضعافا (2150) بما خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم ، و قطعتم الأدنى ،

و وصلتم الأبعد . و اعلموا أنّكم إن اتّبعتم الدّاعي لكم ، سلك بكم منهاج الرّسول ، و كفيتم مؤونة الاعتساف ، و نبذتم الثّقل الفادح (2151) عن الأعناق .

إيضاح

تأسّي الصغير بالكبير لأنّه أكثر تجربة و أحزم . و قال الكيدريّ : أي ليتأسّ من صغر منزلته في العلم و العمل بمن له متانة فيهما ، و ليرحم كلّ من له جاه و منزلة في الدنيا بالمال و القوة كلّ من دونه . و « القيض » بالفتح ، قشرة البيض العليا اليابسة ،

و قيل : الّتي خرج ما فيها من فرخ أوماء ، و في بعض النسخ : « كبيض هيض » أي كسر .

و « الأداحي » جمع « الأدحيّ » بالضمّ و قد يكسر ، و هو الموضع الّذي تبيض فيه النعامة و تفرخ ، و هو أفعول من « دحوت » ، لأنّها تدحو برجلها ، أي تبسطه ، ثمّ تبيض فيه .

و ليس للنعام عشّ . و قال ابن أبي الحديد : وجه الشبه أنّه إن كسرها كاسر أثم لأنّه يظنّه بيض القطا ، و إن لم يكسر يخرج حضانها شرّا إذا يخرج أفعيّ قاتلا . و استعار لفظ الأداحي للأعشاش مجازا لأن الأداحي لا تكون إلاّ للنعام .

قال ابن ميثم : نهاهم عليه السلام أن يشبهوا جفاة الجاهليّة في عدم تفقّههم في الدين فيشبهون إذن بيض الأفاعيّ في أعشاشها ، و وجه الشبه أنّه إن كسره كاسر أثّم

[147]

لتأذّي الحيوان به ، فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاة الجاهليّة لا يحلّ أذاهم لحرمة الإسلام ،

و إن اهملوا و تركوا على الجهل خرجوا شياطين . و « الحضان » بالكسر ، مصدر « حضن الطائر بيضه » إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه ، و هو مرفوع بالفاعليّة .

قوله عليه السلام « افترقوا » يذكر حال أصحابه و شيعته . و قال ابن أبي الحديد : « الآخذ بالغصن » من تمسّك بعده عليه السلام بذريّة الرسول صلّى اللّه عليه و آله . و تقدير الكلام : و منهم من لا يكون كذلك . ثمّ ذكر عليه السلام أنّ الفريقين ،

يجتمعان لشرّ يوم . و « القزع » جمع « قزعة » و هي سحب صغار تجتمع فتصير ركاما ، و « الركام » ما كثف من السحاب . و « مستثارهم » موضع ثورانهم و هيجانهم .

و « الجنّتان » هما اللّتان ذكرهما اللّه في القرآن في قصّة أهل سبأ . و « القارة » الجبل الصغير . « و « الأكمة » الموضع يكون أشدّ ارتفاعا ممّا حوله و هو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا . و « سننه » طريقه . و « طود مرصوص » أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض . و « الحداب » جمع « حدبة » و هي الروابي و النجاد . و « الذعذعة » التفريق ، و لعلّه كناية عن إخفائهم بين الناس في البلاد ثمّ إظهارهم بالإعانة و التأييد . و المراد بالقوم ثانيا آل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و هو إشارة إلى ظهور بني عبّاس و انقراض بني اميّة .

و قوله عليه السلام « وايم اللّه ليذوبنّ ما في أيديهم » يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بنى اميّة أو بني العبّاس . و « تارة في الأرض » ذهب متحيّرا ، و « المتاه » مصدر . و المراد بالأدنى نفسه عليه السلام ، و بالأبعد من تقدّم عليه . و الداعي هو عليه السلام أو القائم عليه السلام . و « الاعتساف » سلوك غير الطريق .

و « فدحه الدين » أثقله . و المراد بالثقل الفادح الإثم و العذاب في الآخرة ، أو الأعمّ . 673

----

(673) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 692 ، ط كمپاني و ص 640 ، ط تبريز .

[148]

167 و من خطبة له عليه السلام في أوائل خلافته

إنّ اللّه سبحانه أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير و الشّرّ ، فخذوا نهج الخير تهتدوا ، و اصدفوا (2152) عن سمت الشّرّ تقصدوا .

الفرائض الفرائض أدّوها إلى اللّه تؤدّكم إلى الجنّة . إنّ اللّه حرّم حراما غير مجهول ، و أحلّ حلالا غير مدخول (2153) ، و فضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها ، و شدّ بالإخلاص و التّوحيد حقوق المسلمين في معاقدها (2154) ، « فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده » إلاّ بالحقّ ، و لا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب .

بادروا أمر العامّة و خاصّة أحدكم و هو الموت (2155) ، فإنّ النّاس أمامكم ، و إنّ السّاعة تحدوكم من خلفكم . تخفّفوا تلحقوا ، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم .

اتّقوا اللّه في عباده و بلاده ، فانّكم مسؤولون حتّى عن البقاع و البهائم . أطيعوا اللّه و لا تعصوه ، و إذا رأيتم الخير فخذوا به ،

و إذا رأيتم الشّرّ فأعرضوا عنه .

[149]

بيان

« النهج » بالفتح ، الطريق الواضح . و « صدف عنه » كمنع أي أعرض . و « السمت » الطريق . و « القصد » استقامة الطريق ، يقال : « قصد فلان » كضرب إذا رشد . و « الفرائض » مكرّرا نصب على الاغراء . و « الحرم » جمع « حرمة » و هو اسم من الاحترام . « و شدّ الحقوق بالاخلاص و التوحيد » ربطه بهما

هو اللّه تعالى أوجب على المخلصين الموحّدين المحافظة عليها ، و جعلها مكمّلا لهما .

و « معاقدها » مواضعها . و « ما يجب » أي ما يلزم و يثبت و هو كالتأكيد لقوله « إلاّ بالحقّ » و المراد بالمبادرة إلى الموت الرضا به و التهيّوله و الاستعداد لما بعده ، و الموت و ان كان يعمّ كلّ حيوان إلاّ أنّ له مع كلّ أحد خصوصيّة و كيفيّة مخالفة لحاله مع غيره .

و التقوى في العباد ، اتّباع أمر اللّٰه في المعاملات و الأمور الدائرة بين الناس و في البلاد ،

القيام بحقّ المقام و العمل في كلّ مكان بما أمر به . و السؤال عن البقاع : لم أخرجتم هذه ؟

و لم عمّرتم هذه ؟ و لم لم تعبدوا اللّٰه فيها ؟ و عن البهائم لم أجعتموها ؟ أو أوجعتموها ، و لم لم تقوموا بشأنها و رعاية حقّها ؟ 674

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة :]

بيان : « و اصدفوا » أي أعرضوا عن طريقه . و « القصد » العدل . و نصب الفرائض على الإغراء . قوله عليه السلام « و شدّ بالإخلاص » أي ربط الحقوق بها فأوجب على المخلصين الموحّدين المحافظة على حقوق المسلمين . قوله عليه السلام « و خاصّة أحدكم » قال ابن أبي الحديد : الموت و إن كان عامّا لكلّ حيوان إلاّ أنّ له مع كل حيوان خصوصيّة و كيفيّة مخالفة مع غيره . « فإنّ الناس أمامكم » أي سبقوكم إلى الموت . و في بعض النسخ : « البأس » بالباء الموحّدة مع الهمزة ، أي الفتنة .

« تحدوكم » أي تسوقكم ، و « الحداء » سوق الإبل و الغناء لها . « تخفّفوا » أي بالقناعة من الدنيا باليسير و ترك الحرص عليها . و ارتكاب المآثم ، فإنّ المسافر الخفيف أحرى بلحوق أصحابه و بالنجاة . « إنما ينتظر » أي للبعث و النشور . 675

----

(674) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 68 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 290 .

----

(675) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 399 ، ط كمپاني و ص 373 ، ط تبريز .

168 و من كلام له عليه السلام بعد ما بويع بالخلافة ، و قد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان ؟ فقال عليه السلام :

يا إخوتاه إنّي لست أجهل ما تعلمون . و لكن كيف لي بقوّة و القوم المجلبون (2156) على حدّ شوكتهم (2157) ، يملكوننا و لا نملكهم و ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، و التفّت إليهم أعرابكم ،

و هم خلالكم (2158) يسومونكم (2159) ما شاؤوا ، و هل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه إنّ هذا الأمر أمر جاهليّة ، و إنّ لهؤلاء القوم مادّة (2160) . إنّ النّاس من هذا الأمر إذا حرّك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، و فرقة ترى ما لا ترون ، و فرقة لا ترى هذا و لا ذاك ،

فاصبروا حتّى يهدأ النّاس ، و تقع القلوب مواقعها ، و تؤخذ الحقوق مسمحة (2161) ، فاهدوؤا عنّي ، و انظروا ماذا يأتيكم به أمري ، و لا تفعلوا فعلة تضعضع (2162) قوّة ، و تسقط منّة (2163) ، و تورث و هنا (2164) و ذلّة .

و سأمسك الأمر ما استمسك . و إذا لم أجد بدّا فآخر الدّواء الكيّ (2165) .

إيضاح

« لو عاقبت » جزاء الشرط محذوف ، أي لكان حسنا و نحوه . و « أجلبوا عليه » تجمّعوا و تألبوا . قوله عليه السلام : « على حدّ شوكتهم » أي لم ينكسر سورتهم ، و « الحدّ » منتهى الشيء ، و من كلّ شيء حدّته ، و منك بأسك . و « الشوكة » شدّة البأس ، و الحدّ في السلاح . و روي أنّه عليه السلام جمع الناس و وعظهم ، ثمّ قال : لتقم قتلة عثمان . فقام الناس بأسرهم إلاّ قليل . و كان ذلك الفعل منه

[151]

عليه السلام استشهادا على قوله . و « العبدان » جمع عبد . و « التفّت » أي انضمّت و اختلطت . « و هم خلالكم » أي بينكم . « يسومونكم » أي يكلّفونكم . قوله عليه السلام « إنّ هذا الأمر » أي أمر المجلبين عليه كما قال ابن ميثم ، إنّ قتلهم لعثمان كان عن تعصّب و حميّة لا لطاعة أمر اللّه و إن كان في الواقع مطابقا له . و يمكن أن يكون المراد : إنّ ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهليّة نشأ عن تعصّبكم و حميّتكم و أغراضكم الباطلة ، و فيه إثارة للفتنة و تهيّج للشرّ ، و الأوّل أنسب بسياق الكلام إذ ظاهر أن إيراد تلك الوجوه للمصلحة و إسكات الخصم و عدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان .

قوله عليه السلام « مسمحة » أي منقادة بسهولة . و يقال : « ضعضعه » أي هدمه حتى الأرض . و « المنّة » بالضمّ ، القوّة . قوله عليه السلام « فآخر الداء الكيّ » كذا في أكثر النسخ المصحّحة ، و لعلّ المعنى : بعد الداء الكيّ إذا اشتدّ الداء ، و لم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكيّ ، و ينتهي أمره إليه .

و قال ابن أبي الحديد : « آخر الدواء الكيّ » مثل مشهور ، و يقال : آخر الطبّ ،

و يغلط فيه العامّة فتقول : « آخر الداء الكيّ 676 » . ثمّ قال : ليس معناه و سأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن فإذا لم أجد بدّا عاقبتهم ، و لكنّه كلام قاله عليه السلام أوّل مسير طلحة و الزبير إلى البصرة ، فإنّه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر عليه السلام بما ذكر ثمّ قال : سأمسك نفسي عن محاربة هؤلاء الناكثين و اقنع بمراسلتهم و تخويفهم فإذا لم أجد بدّا فآخر الدواء الحرب . 677 أقول : و يحتمل أن يكون ذلك تورية منه عليه السلام ليفهم المخاطبين المعنى الأوّل و مراده المعنى الثاني . 678 676 شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 292 ، ط بيروت .

677 شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 294 ، ط بيروت .

678 بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 377 ، ط كمپاني و ص 355 ، ط تبريز .

[152]

169 و من خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

الامور الجامعة للمسلمين

إنّ اللّه بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق و أمر قائم ، لا يهلك عنه إلاّ هالك (2166) . و إنّ المبتدعات (2167) المشبّهات (2168) هنّ المهلكات إلاّ ما حفظ اللّه منها . و إنّ في سلطان اللّه عصمة لأمركم ، فأعطوه طاعتكم غير ملوّمة (2169) و لا مستكره بها . و اللّه لتفعلن أو لينقلنّ اللّه عنكم سلطان الإسلام . ثمّ لا ينقله إليكم أبدا حتّى يارز (2170) الأمر إلى غيركم .

التنفير من خصومه

إنّ هؤلاء قد تمالؤوا (2171) على سخطة (2172) إمارتي ، و سأصبر ما لم أخف على جماعتكم : فإنّهم إن تمّموا على فيالة (2173) هذا الرّأي انقطع نظام المسلمين ، و إنّما طلبوا هذه الدّنيا حسدا لمن أفاءها (2174) اللّه عليه ، فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها . و لكم علينا العمل بكتاب اللّه تعالى و سيرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و القيام بحقّه ،

و النّعش (2175) لسنّته .

بيان :

« و أمر قائم » أي باق حكمه غير منسوخ ، و قيل : أي مستقيم ليس بذي

عوج . « لا يهلك عنه » أي معرضا و عادلا عنه « إلاّ هالك » أي من بلغ الغاية في الهلاك . و « المشبّهات » بالفتح ، أي التي أشبهت السنن و ليست منها ، أو بالكسر ، أي تشبه الأمر على الناس . و قوله عليه السلام « إلاّ ما حفظ اللّه » استثناء من بعض متعلّقات المهلكات ، أي إنّها مهلكة في جميع الأحوال إلاّ حال حفظ اللّه بالعصمة عن ارتكابها ، أو كلّ أحد إلاّ من حفظه اللّه ، ف « ما » بمعنى « من » . قوله عليه السلام « أو إنّ في سلطان اللّه » أو دين اللّه ، أو حجّة اللّه ، أو الإمام أي في طاعته .

قوله عليه السلام « غير ملومة » أي مخلصين غير ملوم صاحبها بأن ينسب إلى النفاق و الرياء ، و في بعض النسخ على التفعيل للمبالغة ، و يروى : « غير ملوية » أي غير معوجة ، من « لويت العود » إذا عطفته . قوله عليه السلام « حتّى يأرز » أي ينقبض و ينضمّ و يجتمع . « إنّ هؤلاء » أي طلحة و الزبير و عايشة . « قد تمالؤوا » أي تساعدوا و اجتمعوا و تعاونوا . و « الفيالة » الضعف ، أي إن بقوا على ضعف رأيهم قطعوا نظام المسلمين . و « الفيء » الرجوع . قوله عليه السلام « فأرادوا ردّ الأمور » أي أرادوا انتزاع الأمر منه عليه السلام كما انتزع أوّلا . و « النعش » الرفع . و الضميران في « حقّه و سنّته » راجعان إلى الرسول . 679

170 و من كلام له عليه السلام في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة

كلّم به بعض العرب و قد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لنزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له عليه السلام من أمرة معهم ما علم به أنه على الحق ، ثم قال له : بايع ، فقال : إني رسول قوم ، و لا أحدث حدثا حتى أرجع إليهم . فقال عليه السلام :

أرأيت لو أنّ الّذين وراءك بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث ،

----

(679) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 408 ، ط كمپاني و ص 383 ، ط تبريز .

فرجعت إليهم و أخبرتهم عن الكلإ و الماء ، فخالفوا إلى المعاطش و المجادب ، ما كنت صانعا ؟ قال : كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلإ و الماء . فقال عليه السّلام : فامدد إذا يدك . فقال الرّجل :

فو اللّه ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّة عليّ ، فبايعته عليه السّلام .

و الرّجل يعرف بكليب الجرميّ .

بيان :

« المجادب » محالّ الجدب . 680

171 و من كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين

الدعاء

اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع (2176) ، و الجوّ المكفوف (2177) ، الّذي جعلته مغيضا (2178) لليل و النّهار ، و مجرى للشّمس و القمر ، و مختلفا للنّجوم السّيّارة ، و جعلت سكانه سبطا (2179) من ملائكتك ، لا يسأمون من عبادتك ، و ربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قرارا . للأنام ، و مدرجا للهوامّ و الأنعام ، و ما لا يحصى ممّا يرى و ما لا يرى ، و ربّ الجبال الرّواسي الّتي جعلتها للأرض أوتادا ، و للخلق اعتمادا (2180) ، إن

----

(680) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 409 ، ط تبريز .

أظهرتنا على عدونا ، فجنّبنا البغي و سدّدنا للحقّ ، و إن أظهرتهم علينا فارزقنا الشّهادة ، و اعصمنا من الفتنة .

الدعوة للقتال

أين المانع للذّمار (2181) ، و الغائر (2182) عند نزول الحقائق (2183) من أهل الحفاظ (2184) العار وراءكم و الجنّة أمامكم

بيان :

« السقف المرفوع » السماء . و « الجوّ » الهواء و ما بين السماء و الأرض ،

و « كفّه » أي جمعه و ضمّ بعضه إلى بعض ، و فسّر بعضهم الجوّ المكفوف بالسماء أيضا و الظاهر أنّ المراد به هنا الهواء بين السماء و الأرض فإنه مكفوف بالسماء ، و قد ورد في الدعاء : « و سدّ الهواء بالسماء » . و « غاض الماء يغيض غيضا » نضب و قلّ ، و كون السماء مغيضا للّيل و النهار و الشمس و القمر ظاهر لأنّها فيها تغيب ، و أمّا الجوّ المكفوف فإن فسّر بالسماء فظاهر أيضا ، و إنّ فسّر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه و يرى بحسب الحسّ كذلك ، و قيل : المراد به الهواء و الفضاء بين السماوات فإنّه مكفوف بها ، و يمكن حمله على البعد الموجود أو الموهوم الّذي هو مكان الفلك ، و كفّها تحديدها و ضبطها بالسماوات ، و يمكن جعل الموصول صفة لمجموع السقف و الجوّ لاتصالهما بعدهما شيئا واحدا ، فإنّ المجموع محلّ لتلك الآثار و الأجرام في الجملة و مختلفا للنجوم السيّارة . و قال ابن ميثم : المراد بالجوّ السماء ، و كونه مغيضا للّيل و النهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سببا لغيبوبة الليل و عن وجهها لغيبوبة النهار ،

فكان كالمغيض لهما ، و قيل : « جعلته مغيضا » أي غيضة لهما ، و هي في الأصل الأجمة كما يجتمع فيها الماء فتسمّى غيضة و ينبت فيها الشجر ، كأنّه جعل الفلك كالغيضة و الليل و النهار كالشجر النابت فيها . و قال الكيدريّ في شرحه : « المغيض » الموضع الّذي يغيض فيه الماء أي ينضب و يقل ، و جعل السماء و الفلك مغيضا للّيل و النهار مجازا أي ينقص اللَّه الليل مرّة و النهار أخرى و إن زاد في الآخر ، و ذلك بحسب جريان الشمس . و قال

« الجوّ المكفوف » كأنّه أراد الهواء المحدود الّذي ينتهي حدّه إلى السماء و الجوّ ما بين السماء و الأرض كأنّه كفّ أي منع من تجاوز حدّيه . و قال أبو عمرو : الجوّ ما اتّسع من الأودية ، و كلّ مستدير فهو « كفّة » بالكسر ، كأنّه أراد الهواء الّذي هو على هيئة المستدير ،

لأنّه داخل الفلك الكرويّ الشكل ، أو أراد بالجوّ الفلك العريض الواسع بالمكفوف ما كان عليه كفّه من المجرّة و النيّرات فيكون من كفّة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبريء عن الخلل و الفطور من قولهم « عيبة مكفوفة » أي مشرجة مشدودة . 681 انتهى .

و « الاختلاف » التردّد ، و حمله على اختلاف الفصول بعيد . و « السبط » بالكسر ، الأمّة و القبيلة . « لا يسأمون » أي لا يملّون . « قرارا » أي محلّ استقرار . و « درج » كقعد أي مشى . و « الهوامّ » الحشرات . و قال ابن ميثم : قال بعض العلماء : من أراد أن يعرف حقيقة قوله عليه السلام « ممّا يرى و ممّا لا يرى » فليوقد نارا صغيرة في فلاة في ليلة صيفيّة و ينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو و لا غيره . و أقول : يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغره أو لطافته كالملك و الجنّ . و « الاعتماد » الاتكاء و الاتكال ، إذ الجبال مساكن لبعضهم و منها تحصل منافعهم . 682

] هذا بيان آخر في شرح الكلام : [بيان :

« الجوّ » ما بين السماء و الأرض و الهواء . و « غاض الماء غيضا » نضب و قلّ ، و المراد هنا بالسقف المرفوع السماء ، و بالجوّ المكفوف السماء أيضا ، من « كفّه » أي جمعه و ضمّ بعضه إلى بعض ، أو الهواء لكونه مضموما بالسماء محفوظا عن الانتشار كما ورد في الدعاء : « و سدّ الهواء بالسماء » لكن يأبي عنه وصفه بكونه مجرى للشمس و القمر و مختلفا للنجوم السيّارة ، و كونه مغيضا للّيل و النهار ، لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سببا لغيبوبة الليل ، و عن وجهها لغيبوبة النهار ، فكان

----

(681) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 328 ، ط بيروت .

----

(682) بحار الأنوار الطبعة الجديدة ، ج 58 ، كتاب السماء و العالم ، ص 94 95 .

[157]

كالمغيض لهما ، و قيل : « المغيض » الغيضة و هي في الأصل الأجمة و يجتمع إليها الماء فيسمّى غيضة و مغيضا و ينبت فيها الشجر ، و كذلك الليل و النهار يتولّدان من جريان الفلك فكان كالغيضة لهما . و « الاختلاف » التردّد .

قوله عليه السلام « سبطا » أي قبيلة . قوله عليه السلام « قرارا » أي موضع استقرارهم . و « مدرجا » أي موضع سيرها و حركاتها . و « الهوامّ » الحشرات . قوله عليه السلام « و للخلق اعتمادا » لأنّهم يجعلونها مساكن لهم و يستغنون عن بناء جدار مثلا ، و لأنّها من امّهات العيون و منابع المياه ، و فيها المعادن و الأشجار و الثمار و الأعشاب ، فهي معتمد للخلق في مرافقهم و منافعهم . و « ذمار الرجل » كلّ شيء يلزمه الدفع عنه ، و إن ضيّعه لزمه الذم أي اللوم . و « الحقائق » الأمور الشديدة .

« العار وراءكم » أي يسوقكم إلى الحرب و يمنعكم من الهرب ، و في بعض النسخ :

« النار » بهذا الوجه ، أو لأنّ الهارب مصيره إليها . 683

172 و من خطبة له عليه السلام

حمد اللَّه

الحمد للَّه الّذي لا تواري (2185) عنه سماء سماء ، و لا أرض أرضا .

يوم الشورى

منها : و قد قال قائل : إنّك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص ،

فقلت : بل أنتم و اللَّه لأحرص و أبعد ، و أنا أخصّ و أقرب ، و إنّما طلبت حقّا لي و أنتم تحولون بيني و بينه ، و تضربون وجهي (2186)

----
(683) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 519 ، ط كمپاني و ص 482 ، ط تبريز .

دونه . فلمّا قرّعته (2187) بالحجّة في الملإ الحاضرين هبّ (2188) كأنّه بهت لا يدري ما يجيبني به

الاستنصار علو قريش

اللّهمّ إنّي استعديك على قريش و من أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي ،

و صغّروا عظيم منزلتي ، و أجمعوا على منازعتي أمرا هو لي . ثمّ قالوا :

ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه ، و في الحقّ أن تتركه .

بيان :

قال ابن أبي الحديد : هذا الفصل من خطبة يذكر فيها أمر الشورى ،

و الّذي قال له : « إنّك على هذا الأمر لحريص » هو سعد بن أبي وقّاص مع روايته فيه :

« أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » . و هذا عجيب ، و قد رواه الناس كافّة . و قالت الإماميّة : هذا الكلام كان يوم السقيفة ، و القائل أبو عبيدة بن الجرّاح » . 684 و « قرعته بالحجّة » صدمته بها . قوله عليه السلام « بهت » في بعض النسخ :

« هبّ » أي استيقظ . و قال الجوهريّ : « العدوي » طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك ، أي ينتقم منه ، يقال : « استعديت على فلان الأمير فأعداني » استعنت به فأعانني عليه . « فإنّهم قطعوا رحمي » لأنّهم لم يراعوا قربه عليه السلام من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله أو منهم أو الأعمّ .

« ألا إنّ في الحقّ أن نأخذه » بالنون ، « و في الحقّ أن تتركه » بالتآء ، أي إنّهم لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقّا لهم ، و لكنهم أخذوه مع دعويهم أنّ الحقّ لهم ، و إنّه يجب عليّ أن أترك المنازعة ، فليتهم أخذوا معترفين بأنّه حقّ لي فكانت المصيبة أهون ، و روي بالنون فيهما ، فالمعنى : إنّا نتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ الترك دونك ، و في بعض النسخ فيهما بالتآء ، أي يعترفون أنّ الحقّ لي ، ثمّ يدّعون أنّ

----
(684) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 305 ، ط بيروت .

الغاصب أيضا على الحقّ ، أو يقولون : لك الاختيار في الأخذ و الترك . و كذا في الرواية الأخرى قريء بالنون و بالتاء . و قال القطب الراونديّ : إنّها في خط الرضيّ أيضا بالتآء أي إن وليت كانت ولايتك حقّا ، و إن ولّى غيرك كانت حقّا على مذهب أهل الاجتهاد . 685

منها في ذكر أصحاب الجمل

فخرجوا يجرّون حرمة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله كما تجرّ الأمة عند شرائها ، متوجّهين بها إلى البصرة ، فحبسا نساءهما في بيوتهما ، و أبرزا حبيس (2189) رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله لهما و لغيرهما ، في جيش ما منهم رجل إلاّ و قد أعطاني الطّاعة ،

و سمح لي بالبيعة ، طائعا غير مكره ، فقدموا على عاملي بها و خزّان (2190) بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها . فقتلوا طائفة صبرا (2191) ،

و طائفة غدرا . فو اللَّه لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلا واحدا معتمدين (2192) لقتله ، بلا جرم جرّه ، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه ، إذ حضروه فلم ينكروا ، و لم يدفعوا عنه بلسان و لا بيد . دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة الّتي دخلوا بها عليهم

بيان :

« الحرمة » ما يحرم انتهاكه ، و المراد بها هنا الزوجة كالحبيس و الضمير في « حبسا » راجع إلى طلحة و الزبير . قوله عليه السلام « صبرا » أي بعد الأسر .

« غدرا » أي بعد الأمان . قوله عليه السلام « جرّه » أي جذبه ، أو من الجريرة ،

----

(685) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 177 ، ط كمپاني و ص 170 ، ط تبريز .

قال في القاموس : « الجرّ » الجذب ، و « الجريرة » الذنب جرّ على نفسه و غيره جريرة يجرّها بالضمّ و الفتح جرّا . قال ابن ميثم : فإن قلت : المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله عليه السلام لذلك الجيش بعدم إنكارهم للمنكر ، فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر ؟ قلت : أجاب ابن أبي الحديد عنه فقال : يجوز قتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا كمن يعتقد إباحة الزنا و شرب الخمر . و أجاب الراونديّ رحمه اللَّه بأنّ جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى : إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَونَ فِي الأَرضِ فَسَاداً أَنْ يَقَتَّلُوا الآية . 686 و هؤلاء قد حاربوا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله لقوله : « يا عليّ حربك حربي » ، و سعوا في الأرض بالفساد . 687 و اعترض المجيب الأوّل عليه فقال : الإشكال إنّما هو في التّعليل بعدم إنكار المنكر ، و التعليل بعموم الآية لا ينفعه .

و أقول : الجواب الثاني أسدّ ، و الأول ضعيف ، لأنّ القتل و إن وجب على من اعتقد إباحة ما علم من الدين ضرورة لكن هؤلاء كان جميع ما فعلوه من القتل و الخروج بالتأويل و إن كان معلوم الفساد ، فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر و الزنا و بين اعتقاد هؤلاء إباحة ما فعلوه .

و أمّا الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف أيضا لأنّ له أن يقول : إنّ قتل المسلم إذا صدر عن بعض الجيش و لم ينكر الباقون مع تمكّنهم و حضورهم كان ذلك قرينة على الرضا من جميعهم ، و الراضي بالقتل شريك القاتل خصوصا إذا كان معروفا بصحبته و الاتّحاد به كاتّحاد بعض الجيش ببعض ، و كان خروج ذلك الجيش على الإمام محاربة للَّه و لرسوله صلّى اللَّه عليه و آله و سعيا في الأرض بالفساد و ذلك عين مقتضى الآية . انتهى ملخص كلامه .

و يمكن أن يجاب عن اعتراضه على الجواب بأنّ هؤلاء كانوا مدّعين لشبهة لم تكن شبهة محتملة لأنّهم خرجوا على الإمام بعد البيعة طائعين غير مكرهين كما ذكره

----

(686) المائدة : 33 .

----

(687) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 309 310 .

عليه السلام ، مع أنّ الاحتمال كاف له ، فتأمّل .

و يمكن الجواب عن أصل السؤال بأنّ التعليل ليس بعدم إنكار المنكر مطلقا بل بعدم إنكار هؤلاء لهذا المنكر الخاصّ أي قتل واحد من المسلمين المعاونين للإمام عليه السلام بالخروج عليه ، و ربما يشعر بذلك قوله عليه السلام « لحلّ لي قتل ذلك الجيش » ، و يمكن حمل كلام الراونديّ على ذلك . و أمّا ما ذكره أخيرا من جواز قتل الراضي بالقتل فإن أراد الحكم كلّيّا فلا يخفى إشكاله ، و إن أراد في هذه المادّة الخاصّة فصحيح . و يرد على جواب ابن أبي الحديد مثل ما أورده هو على الراونديّ رحمه اللّه بأنّ الإشكال إنّما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر لا في استحلال القتل ، و لو قدّر في كلامه عليه السلام ، كأن يقول : المراد إذ حضروه مستحلّين فلم ينكروا ، لأمكن للراونديّ أن يقول : إذ حضروه محاربين . و لو أجاب بأنّ الحضور مع عدم الإنكار هو الاستحلال فبطلانه ظاهر ، مع أنّ للراونديّ رحمه اللّه أن يقول : الحضور في جيش قد قتل بعضهم أحدا من أتباع الإمام عليه السلام من حيث إنّه من شيعته مع عدم الإنكار و الدّفع محاربة للّه و لرسوله صلّى اللّه عليه و آله ، و لا ريب أنّه كذلك . 688

173 و من خطبة له عليه السلام في رسول اللّه ، صلى اللّه عليه و سلم ، و من هو جدير بأن يكون للخلافة و في هو ان الدنيا

رسول اللّه

أمين وحيه ، و خاتم رسله ، و بشير رحمته ، و نذير نقمته .

----

(688) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 411 ، ط كمپاني و ص 385 ، ط تبريز .

الجدير بالخلافة

أيّها النّاس ، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه ، و أعلمهم بأمر اللّه فيه . فإن شغب (2193) شاغب استعتب (2194) ، فإن أبى قوتل .

و لعمري ، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى يحضرها عامّة النّاس ، فما إلى ذلك سبيل ، و لكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ، ثمّ ليس للشّاهد أن يرجع ، و لا للغائب أن يختار . ألا و إنّي أقاتل رجلين :

رجلا ادّعى ما ليس له ، و آخر منع الّذي عليه .

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه فإنّها خير ما تواصى العباد به ، و خير عواقب الأمور عند اللّه . و قد فتح باب الحرب بينكم و بين أهل القبلة (2195) ، و لا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر و الصّبر و العلم بمواضع الحقّ ، فامضوا لما تؤمرون به ، وقفوا عند ما تنهون عنه ،

و لا تعجلوا في أمر حتّى تتبيّنوا ، فإنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غيرا (2196) .

هو ان الدنيا

ألا و إنّ هذه الدّنيا الّتي أصبحتم تتمنّونها و ترغبون فيها ، و أصبحت تغضبكم و ترضيكم ، ليست بداركم ، و لا منزلكم الّذي خلقتم له و لا الّذي دعيتم إليه . ألا و إنّها ليست بباقية لكم و لا تبقون عليها ،

و هي و إن غرّتكم منها فقد حذّرتكم شرّها . فدعوا غرورها لتحذيرها ،

و أطماعها لتخويفها ، و سابقوا فيها إلى الدّار الّتي دعيتم إليها ،

و انصرفوا بقلوبكم عنها ، و لا يختنّ أحدكم خنين (2197) الأمة على ما زوي (2198) عنه منها ، و استتموا نعمة اللّه عليكم بالصّبر على طاعة اللّه و المحافظة على ما استخفظكم من كتابه . ألا و إنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم . ألا و إنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم . أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ ، و ألهمنا و إيّاكم الصّبر

إيضاح

قوله عليه السلام « بهذا الأمر » أي الخلافة . « أقواهم عليه » أي أحسنهم سياسة و أشجعهم . و يدلّ على عدم جواز إمامة المفضول لا سيّما مع قوله عليه السلام « فإن شغب الخ » . و « الشغب » بالتسكين ، تهييج الشرّ ، و المراد بالاستعتاب طلب الرجوع بالمراسلة و الكلام و نحوهما .

قوله عليه السلام « لئن كانت الإمامة » قال ابن أبي الحديد : هذا تصريح بصحّة مذهب أصحابنا في أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة ، و يبطل قول الإماميّة من دعوى النص ، و أنّه لا طريق إلى الإمامة سوى النصّ . 689 انتهى .

و فيه نظر ، أمّا أوّلا ، فلأنّه إنّما احتجّ عليهم بالإجماع إلزاما لهم لاتّفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر و أخويه ، و عدم تمسّكه عليه السلام بالنصّ لعلمه عليه السلام بعدم التفاتهم إليه ، كيف و قد أعرضوا عنه في أوّل الأمر مع قرب العهد بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سماعهم منه .

و أمّا ثانيا ، فلأنّه عليه السلام لم يتعرّض للنصّ نفيا و إثباتا ، فكيف يكون مبطلا لما ادّعاه الإماميّة من النصّ ؟ و العجب أنّه جعل هذا تصريحا بكون الاختيار

----

(689) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 9 ، ص 329 ، ط بيروت .

طريقا إلى الإمامة ، و نفي الدلالة في قوله عليه السلام « إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر » على نفي إمامة المفضول مع قوله عليه السلام « فإن أبى قوتل » مع أنّه لم يصرّح بأنّ الإمامة تنعقد بالاختيار بل قال : إنّها لا تتوقّف على حضور عامّة الناس ، و لا ريب في ذلك . نعم ، يدلّ بالمفهوم عليه و هذا تقيّة منه عليه السلام ، و لا يخفى على من تتبع سيره عليه السلام إنّه لم يكن يمكنه إنكار خلافتهم و القدح فيها صريحا في المجامع ، فلذا عبّر بكلام موهم لذلك . و قوله عليه السلام « و أهلها يحكمون » و إن كان موهما له أيضا لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقّاء بالإمامة . و لا يخفى على المتأمّل أنّ ما مهّده عليه السلام أوّلا بقوله « إنّ أحقّ الناس أقواهم » يشعر بأنّ عدم صحّة رجوع الشاهد و اختيار الغائب إنّما هو في صورة الاتّفاق على الأحقّ دون غيره ،

فتأمّل .

قوله عليه السلام « رجلا ادّعى » كمن ادّعى الخلافة ، و « آخر منع » كمن لا يطيع الإمام ، أو يمنع حقوق اللّه و « خير عواقب الأمور » عاقبة كلّ شيء آخره ،

و التقوى خير ما ختم به العمل في الدنيا ، أو عاقبتها خير العواقب .

قوله عليه السلام « هذا العلم » بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ ، فعلى الأوّل المعنى : أنّه لا يعلم وجوب قتال أهل القبلة و موقعه و شرائطه ، و على الثاني إشارة إلى حرب أهل القبلة و القيام به ، و يحتمل على بعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله « إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر » فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر و الصبر و العلم بمواقع الحقّ .

قال ابن أبي الحديد : و ذلك لأنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة و أكبروه ، و من أقدم منهم عليه أقدم مع خوف و حذر . قال الشافعيّ : لو لا عليّ عليه السلام لما علم شيء من أحكام أهل البغي .

قوله عليه السلام « فإنّ لنا » قال ابن ميثم : أي إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييرا ، أي قوّة على التغيير ، إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر ، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعله حتّى تسألوا عن فائدته فإنّه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم

[165]

بوجهه . و قال ابن أبي الحديد : أي لست كعثمان أصبر على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغيّر كلّما ينكره المسلمون ، و يقتضى الحال و الشرع تغييره . انتهى .

و يمكن أن يكون المعنى : إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييرا ، أي ما يغيّر إنكاركم و يمنعكم عنه من البراهين الساطعة و الأعمّ منها ، و من السيوف القاطعة إن لم ينفعكم البراهين . و في ذكر أغضاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لا يراعى حقّهم كما قال عليه السلام : « رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس » . و غرور الدنيا بتزيين الزخارف لأهلها و إغفالهم عن الفناء و تحذيرها بما أراهم من الفناء و فراق الأحبّة و نحو ذلك . و الدار الّتي دعوا إليها هي الجنّة . قوله عليه السلام « و لا يخنّنّ أحدكم » ،

« الخنين » بالخاء المعجمة ، ضرب من البكاء دون الانتخاب ، و أصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم . و يروى بالمهملة أيضا . و اضافته إلى الأمة لأنّ الإماء كثيرا ما يبكين و يسمع الخنين منهنّ ، و الحرّة تأنف من البكاء و الحنين . و « زواه عنه » صرفه و قبضه ، و في بعض النسخ : « ما زوى عنه » أي عن أحدكم ، و لعلّه أظهر . و « الصبر على الطاعة » حبس النفس عليها . كقوله تعالى : و اصبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ 690 ، أو عدم الجزع من شدّتها ، أو من البلايا إطاعة للّه ، و على أي حال هو الشكر الموجب للمزيد فيه بطلب تمام النعمة . و « من » في قوله « من كتابه » بيان ل « ما » .

و « القائمة » واحدة « قوائم » الدوابّ ، و « قائمة السيف » مبقضه . و لعلّ المراد بقائمة الدين أصوله و ما يقرب منها ، و يحتمل أن تكون الإضافة بيانيّة فإنّ الدين بمنزلة القائمة لأمور الدنيا و الآخرة . 691 .

----

(690) الكهف : 28 .

----

(691) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 721 ، ط كمپاني و ص 668 ، ط تبريز .

[166]

174 و من كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد اللّه و قد قاله حين بلغه خروج طلحة و الزبير إلى البصرة لقتاله

قد كنت و ما أهدّد بالحرب ، و لا أرهّب بالضّرب ، و أنا على ما قد وعدني ربّي من النّصر . و اللّه ما استعجل متجرّدا (2199) للطّلب بدم عثمان إلاّ خوفا من أن يطالب بدمه ، لأنّه مظنّته ، و لم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر (2200) و يقع الشّكّ . و و اللّه ما صنع في أمر ، عثمان واحدة من ثلاث : لئن كان ابن عفّان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له أن يوازر (2201) قاتليه ، و أن ينابذ (2202) ناصريه . و لئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين (2203) عنه ، و المعذّرين فيه (2204) . و لئن كان في شكّ من الخصلتين ، لقد كان ينبغي له أن يعتزله و يركد (2205) جانبا ، و يدع النّاس معه ، فما فعل واحدة من الثّلاث ، و جاء بأمر لم يعرف بابه ، و لم تسلم معاذيره .

بيان

قوله « قد كنت » قال ابن أبي الحديد : « كان » ههنا تامّة و الواو للحال ،

أي خلقت و وجدت بهذه الصفة و يجوز أن يكون الواو زائدة و « كان » ناقصة و خبرها « ما أهدد » . و « تجرد في الأرض » أي جد فيه ، ذكره الجوهري . و قال في النهاية في

[167]

حديث عليّ عليه السلام : أراد أن يغالط بما أجلب فيه ، يقال : « أجلبوا عليه » إذا تجمّعوا و تألّبوا ، و « أجلبه » أي أعانه و « أجلب عليه » إذا صاحه و استحثّه . و قال الجوهريّ : « لبست عليه الأمر ألبس » خلطت . و قال : « أعذر » أي صار ذا عذر . و في النهاية : « فما نهنهيا شيء دون العرش » أي ما منعها و كفّها عن الوصول إليه .

و « الركود » السكوت و الثبات . 692

175 و من خطبة له عليه السلام في الموعظة و بيان قرباه من رسول اللّه

أيّها النّاس غير المغفول عنهم ، و التّاركون المأخوذ منهم . ما لي أراكم عن اللّه ذاهبين ، و إلى غيره راغبين كأنّكم نعم (2206) أراح بها (2207) سائم (2208) إلى مرعى و بيّ (2209) ، و مشرب دويّ (2210) ، و إنّما هي كالمعلوفة للمدى (2211) لا تعرف ماذا يراد بها إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها (2212) ، و شبعها أمرها . و اللّه لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه (2213) و جميع شأنه لفعلت ، و لكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله .

ألا و إنّي مفضيه (2214) إلى الخاصّة ممّن يؤمن ذلك منه . و الّذي بعثه بالحقّ ، و اصطفاه على الخلق ، ما أنطلق إلاّ صادقا ، و قد عهد إليّ بذلك كلّه ، و بمهلك من يهلك ، و منجى من ينجو ، و مآل هذا

----

(692) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 386 ، ط تبريز .

[168]

الأمر . و ما أبقى شيئا يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أذنّي و أفضى به إليّ .

أيّها النّاس ، إنّي ، و اللّه ، ما أحثّكم على طاعة إلاّ و أسبقكم إليها ،

و لا أنهاكم عن معصية إلاّ و أتناهى قبلكم عنها .

بيان

« أيّها الغافلون » الظاهر أنّ الخطاب لعامّة المكلّفين ، أي الّذين غفلوا عمّا يراد بهم و منهم . « غير المغفول عنهم » فإنّ أعمالهم محفوظة مكتوبة . و « التاركون » أي لما أمروا به . « المأخوذ منهم » بانتقاض أعمارهم و قواهم و استلاب أحبابهم و أموالهم .

و « الذهاب عن اللّه » التوجه إلى غيره و الإعراض عن جنابه . و « النعم » بالتحريك ، جمع لا واحد له من لفظه ، و أكثر ما يقع على الإبل . « أراح بها سائم » شبّههم بالنعم الّتي تتبع نعما أخرى سائمة أي راعية . و إنّما قال ذلك لأنّها إذا اتّبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل الّتي يسميها راعيها . و ما يظهر من كلام ابن ميثم من أنّ السائم بمعنى الراعي ففيه ما لا يخفى .

و « المرعى الوبيّ » ذو الوباء و المرض ، و أصله الهمز . و « الدويّ » ذو الداء ،

و الأصل في الدّويّ « دوى » بالتخفيف و لكنّه شدّد للازدواج . قال الجوهريّ : « رجل دو » بكسر الواو ، أي فاسد الجوف من داء . و « المدى » بالضمّ ، جمع « مدية » و هي السكّين . قوله عليه السلام « تحسب يومها » أي تظنّ أنّ ذلك العلف كما هو حاصل لها في هذا اليوم حاصل لها أبدا ، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنّه دهرها .

و « شبعها أمرها » أي تظنّ انحصار شأنها و أمرها في الشبع . قوله عليه السلام « و اللّه لو شئت أن أخبر » قال ابن أبي الحديد : هذا كقول المسيح عليه السلام : « و انبئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم » 693 . قال عليه السلام : « إلاّ إنّي أخاف عليكم الغلوّ في أمري و أن تفضّلوني على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلهيّة كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام لمّا أخبرهم بالامور الغائبة . و مع كتمانه عليه السلام فقد كفر كثير منهم و ادّعوا

----

(693) آل عمران : 49 .

[169]

فيه النبوّة و أنّه شريك الرسول في الرسالة و أنّه هو الرسول ، و لكنّ الملك غلط و أنّه هو الّذي بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله ، و ادّعوا فيه الحلول و الاتّحاد . 694 و يحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه عليه السلام في إظهار شأنه و جلالته .

و « المهلك » بفتح اللاّم و كسرها ، يحتمل المصدر و اسم الزمان و المكان ، و المراد بالهلاك إمّا الموت و القتل ، أو الضلال و الشقاء ، و كذلك النجاة . و المراد بالأمر الخلافة أو الدين و ملك الإسلام و ماله انتهاؤه بظهور القائم عليه السلام و ما يكون في آخر الزمان .

و « افرغه » صبّه ، كفرغه . 695

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة :]

قال ابن أبي الحديد 696 في قوله « إنّي أخاف أن تكفروا فيّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله » أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري و أن تفضّلوني على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله . ثمّ قال : و قد ذكرنا فيما تقدّم من إخباره عليه السلام عن الغيوب طرفا صالحا ، و من عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة الّتي يذكر فيها الملاحم و هو يشير إلى القرامطة « ينتحلون لنا الحبّ و الهوى ، و يضمرون لنا البغض و القلى ، آية ذلك قتلهم ورّاثنا و هجرهم أحداثنا » ، و صحّ ما أخبره عليه السلام لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب عليه السلام خلقا كثيرة ، و أسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الإصفهاني ، و مرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابيّ في جيشه بالغريّ و بالحائر فلم يعرج على واحد منهما و لا دخل و لا وقف ، و في هذه الخطبة قال و هو يشير إلى السارية الّتي كان يستند إليها في مسجد الكوفة « كأنّي بالحجر الأسود منصوبا ههنا ، و يحهم إنّ فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه و اسّه ،

يمكث ههنا برهة ثمّ ههنا برهة و أشار إلى البحرين ثمّ يعود إلى مأواه و امّ مثواه » ،

و وقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام .

----

(694) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 12 13 ، ط بيروت .

----

(695) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 714 ، ط كمپاني و ص 661 ، ط تبريز .

----

(696) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 13 15 ، ط بيروت .

[170]

و قد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم ، فوجدتها تشتمل على ما يجوز أن ينسب إليه و ما لا يجوز أن ينسب إليه ، و وجدت في كثير منها اختلالا ظاهرا ، و هذه المواضع الّتي أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة ، بل من كلام له وجدته متفرقا في كتب مختلفة .

و من ذلك أنّ تميم بن اسامة بن زهير بن دريد التميميّ اعترضه و هو يخطب على المنبر و يقول : « سلوني قبل أن تفقدوني فو اللّه لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلاّ نبّأتكم بناعقها و سائقها ، و لو شئت لأخبرت كلّ واحد منكم بمخرجه و مدخله و جميع شأنه » ، فقال له : فكم في رأسي طاقة شعر ؟

فقال له : أما و اللّه إنّي لأعلم ذلك و لكن أين برهانه لو أخبرتك به ؟ و لقد أخبرت بقيامك و مقالك و قيل لي : إنّ على كلّ شعرة من شعر رأسك ملكا يلعنك و شيطانا يستنصرك 697 و آية ذلك أنّ في بيتك سخلا يقتل ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أو يخصّ على قتله .

فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام ، كان ابنه حصين بالصاد المهملة يومئذ طفلا صغيرا يرضع اللبن ، ثمّ عاش إلى أن صار على شرطة عبيد اللّه بن زياد ، و أخرجه عبيد اللّه إلى عمر بن سعيد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ،

و يتوعّده على لسانه إن أرجى ذلك ، فقتل [حسين عليه السلام] صبيحة اليوم الّذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته .

و من ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوما : يا براء أيقتل الحسين عليه السلام و أنت حيّ فلا تنصره ؟

فقال البراء : لا كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك و يقول : أعظم بها حسرة إذ لم أشهده و أقتل دونه .

و سنذكر من هذا النمط فيما بعد إذا مررنا بما يقتضي ذكره ما يحضرنا إن شاء اللّه . 698

----

(697) في المصدر : يستفزك .

----

(698) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 40 ، تاريخ امير المؤمنين عليه السلام ، ص 191 .

176 و من خطبة له عليه السلام و فيها يعظ و يبين فضل القرآن و ينهى عن البدعة

عظة الناس

انتفعوا ببيان اللّه ، و اتّعظوا بمواعظ اللّه ، و اقبلوا نصيحة اللّه ،

فإنّ اللّه قد أعذر إليكم بالجليّة (2215) ، و اتّخذ عليكم الحجّة ، و بيّن لكم محابّة من الأعمال ، و مكارهه منها ، لتتّبعوا هذه ، و تجتنبوا هذه ، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يقول : « إنّ الجنّة حفّت بالمكاره ، و إنّ النّار حفّت بالشّهوات » .

و اعلموا أنّه ما من طاعة اللّه شيء إلاّ يأتي في كره ، و ما من معصية اللّه شيء إلاّ يأتي في شهوة . فرحم اللّه امرأ نزع (2216) عن شهوته ،

و قمع هوى نفسه ، فإنّ هذه النّفس أبعد شيء منزعا (2217) ، و إنّها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى .

و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن لا يصبح و لا يمسي إلاّ و نفسه ظنون (2218) عنده ، فلا يزال زاريا (2219) عليها و مستزيدا لها . فكونوا كالسّابقين قبلكم ، و الماضين أمامكم . قوّضوا (2220) من الدّنيا تقويض الرّاحل ، و طووها طي المنازل .

فضل القرآن

و اعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يغشّ ، و الهادي الّذي لا يضلّ ، و المحدّث الّذي لا يكذب . و ما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى ، أو نقصان من عمى .

و اعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة (2221) ، و لا لأحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من أدوائكم ، و استعينوا به على لأوائكم (2222) ،

فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء : و هو الكفر و النّفاق ، و الغيّ و الضّلال ،

فاسألوا اللّه به ، و توجّهوا إليه بحبّه ، و لا تسألوا به خلقه ، إنّه ما توجّه العباد إلى اللّه تعالى بمثله . و اعلموا أنّه شافع مشفّع ، و قائل مصدّق ، و أنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع (2223) فيه ، و من محل (2224) به القرآن يوم القيامة صدّق عليه ، فإنّه ينادي مناد يوم القيامة : « ألا إنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه و عاقبة عمله ، غير حرثة القرآن » . فكونوا من حرثته و أتباعه ، و استدلّوه على ربّكم ، و استنصحوه على أنفسكم ، و اتّهموا عليه آراءكم ، و استغشّوا (2225) فيه أهواءكم .

الحث على العمل

العمل العمل ، ثمّ النّهاية النّهاية ، و الاستقامة الاستقامة ، ثمّ الصّبر الصّبر ، و الورع الورع « إنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم » ،

و إنّ لكم علما (2226) فاهتدوا بعلمكم ، و إنّ للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته . و اخرجوا إلى اللّه بما افترض عليكم من حقّه (2227) ، و بيّن لكم من وظائفه (2228) . أنا شاهد لكم ، و حجيج (2229) يوم القيامة عنكم .

نصائح للناس

ألا و إنّ القدر السّابق قد وقع ، و القضاء الماضي قد تورّد (2230) ،

و إنّي متكلّم بعدة (2231) اللّه و حجّته ، قال اللّه تعالى : إِنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ استَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أنْ لاَ تَخَافُوا ، وَ لا تَحْزَنُوا ،

وَ أبْشِرُوا بالجنَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، و قد قلتم : رَبُّنا اللَّهُ ،

فاستقيموا على كتابه ، و على منهاج أمره ، و على الطّريقة الصّالحة من عبادته ، ثمّ لا تمرقوا منها ، و لا تبتدعوا فيها ، و لا تخالفوا عنها .

فإنّ أهل المروق منقطع بهم عند اللّه يوم القيامة . ثمّ إيّاكم و تهزيع (2232) الأخلاق و تصريفها (2233) ، و اجعلوا اللّسان واحدا ، و ليخزن الرّجل لسانه (2234) ، فإنّ هذا اللسان جموح بصاحبه (2235) . و اللّه ما أرى عبدا يتّقي تقوى تنفعه حتّى يخزن لسانه . و إنّ لسان المؤمن من وراء قلبه (2236) ، و إنّ قلب المنافق من وراء لسانه : لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبره في نفسه ، فإن كان خيرا أبداه ، و إن كان شرّا و اراه . و إنّ المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه لا يدري ما ذا

له ، و ماذا عليه . و لقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله :

« لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه . و لا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه » . فمن استطاع منكم أن يلقى اللَّه تعالى و هو نقيّ الرّاحة من دماء المسلمين و أموالهم ، سليم اللّسان من أعراضهم ، فليفعل

تحريم البدع

و اعلموا عباد اللَّه أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاما أوّل ،

و يحرّم العام ما حرّم عاما أوّل ، و أنّ ما أحدث النّاس لا يحلّ لكم شيئا ممّا حرّم عليكم ، و لكنّ الحلال ما أحلّ اللَّه ، و الحرام ما حرّم اللَّه .

فقد جرّبتم الأمور و ضرّستموها (2237) ، و وعظتم بمن كان قبلكم ، و ضربت الأمثال لكم ، و دعيتم إلى الأمر الواضح ، فلا يصمّ عن ذلك إلاّ أصمّ ، و لا يعمى عن ذلك إلاّ أعمى . و من لم ينفعه اللَّه بالبلاء و التّجارب لم ينتفع بشيء من العظة ، و أتاه التّقصير من أمامه (2238) ، حتّى يعرف ما أنكر ، و ينكر ما عرف . و إنّما النّاس رجلان : متّبع شرعة ،

و مبتدع بدعة ، ليس معه من اللَّه سبحانه برهان سنّة ، و لا ضياء حجّة .

القرآن

و إنّ اللَّه سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن ، فإنّه « حبل اللَّه

[175]

المتين » ، و سببه الأمين ، و فيه ربيع القلب ، و ينابيع العلم ، و ما للقلب جلاء غيره ، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون ، و بقي النّاسون أو المتناسون . فإذا رأيتم خيرا فأعينوا عليه ، و إذا رأيتم شرّا فاذهبوا عنه ، فإنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله كان يقول : « يابن آدم ،

اعمل الخير ودع الشّرّ ، فإذا أنت جواد قاصد (2239) »

انواع الظلم

ألا و إنّ الظّلم ثلاثة : فظلم لا يغفر ، و ظلم لا يترك ، و ظلم مغفور لا يطلب . فأمّا الظّلم الّذي لا يغفر فالشّرك باللَّه ، قال اللَّه تعالى : إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . و أمّا الظّلم الّذي لا يترك فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات (2240) . و أمّا الظّلم الّذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا . القصاص هناك شديد ، ليس هو جرحا بالمدى (2241) و لا ضربا بالسّياط (2242) ، و لكنّه ما يستصغر ذلك معه . فإيّاكم و التّلوّن في دين اللَّه ، فإنّ جماعة فيما تكرهون من الحقّ ، خير من فرقة (2243) فيما تحبّون من الباطل . و إنّ اللَّه سبحانه لم يعط أحدا بفرقة خيرا ممّن مضى ، و لا ممّن بقي .

بيان

« الهنات » جمع « هنة » و هو الشيء اليسير ، و يمكن أن يكون المراد بها الصغائر فإنّها مكفّرة مع اجتناب الكبائر أو الأعمّ ، فيكون قوله عليه السلام

[176]

« مغفور لا يطلب » أي أحيانا لا دائما ، و على الأوّل لا يكون المقصود الحصر . و « المدى » بالضم ، جمع « مدية » و هي السكّين . 699

بيان

« لمن لزم بيته » أي لم يخرج منه لتهييج شرّ ، و ليس المراد ترك الخروج لطلب الرزق أو للعبادة كالجهاد ، و عيادة المرضى ، و تشييع الجنائز ، و قضاء حوائج المؤمنين و نحوها ، أو هو مختصّ ببعض أزمنة الفتن . « و أكل قوته » أي اكتفى بما قدّر اللَّه له من قوته و لم يطلب أكثر من ذلك و لم يشترك في قوت غيره . 700

177 و من كلام له عليه السلام في معنى الحكمين

فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يجعجعا (2244) عند القرآن ، و لا يجاوزاه ، و تكون ألسنتهما معه و قلوبهما تبعه ، فتاها عنه ، و تركا الحقّ و هما يبصرانه ، و كان الجور هواهما ، و الاعوجاج رأيهما . و قد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم

----

(699) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 7 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 271 .

----

(700) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 67 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 350 .

[177]

بالعدل و العمل بالحقّ سوء رأيهما و جور حكمهما . و الثّقة في أيدينا لأنفسنا ، حين خالفا سبيل الحقّ ، و أتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم .

إيضاح

قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : « فأخذنا عليهما أن يجعجعا عند القرآن » أي يقيما عنده . يقال : « جعجع القوم » إذا أناخوا بالجعجاع و هي الأرض ، و « الجعجاع » أيضا الموضع الضيق الخشن . و قال في القاموس : « التبع » محرّكة ، التابع ، يكون واحدا و جمعا ، و يجمع على « أتباع » . قوله عليه السلام « و الثقة في أيدينا » أي إنّا على برهان و ثقة في أمورنا . قوله عليه السلام « بما لا يعرف » أي لا يصدّق به . 701

178 و من خطبة له عليه السلام في الشهادة و التقوى . و قيل : إنه خطبها بعد مقتل عثمان في أول خلافته

اللَّه و رسوله

لا يشغله شأن ، و لا يغيّره زمان ، و لا يحويه مكان ، و لا يصفه لسان ، و لا يعزب (2245) عنه عدد قطر الماء و لا نجوم السماء ، و لا سوافي الريح (2246) في الهواء ، و لا دبيب النّمل على الصّفا (2247) ، و لا مقيل الذّرّ (2248) في اللّيلة الظّلماء . يعلم مساقط الأوراق ، و خفيّ طرف الأحداق (2249) .

----

(701) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 608 ، ط كمپاني و ص 560 ، ط تبريز .

[178]

بيان

« مقيل الذرّ » أي نومها ، أو محلّ نومها . 702

وصف الله سبحانه

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّٰه غير معدول به (2250) ، و لا مشكوك فيه ، و لا مكفور دينه ، و لا مجحود تكوينه (2251) ، شهادة من صدقت نيّته ، و صفت دخلته (2252) و خلص يقينه ، و ثقلت موازينه .

و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله المجتبى (2253) من خلائقه ، و المعتام (2254) لشرح حقائقه ، و المختصّ بعقائل (2255) كراماته (2256) ، و المصطفى لكرائم رسالاته ، و الموضّحة به أشراط الهدى (2257) ، و المجلوّ به غربيب (2258) العمى .

أيّها النّاس ، إنّ الدّنيا تغرّ المؤمّل لها و المخلد إليها (2259) ، و لا تنفس (2260) بمن نافس فيها ، و تغلب من غلب عليها . و ايم اللّٰه ، ما كان قوم قطّ في غضّ (2261) نعمة من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها (2262) ،

لأنّ اللّٰه ليس « بظلاّم للعبيد » . و لو أنّ النّاس حين تنزل بهم النّقم ،

و تزول عنهم النّعم ، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم ، و وله من قلوبهم ،

لردّ عليهم كلّ شارد ، و أصلح لهم كلّ فاسد . و إنّي لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة (2263) . و قد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة ،

كنتم فيها عندي غير محمودين ، و لئن ردّ عليكم أمركم إنّكم

----
(702) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 312 .

لسعداء . و ما عليّ إلاّ الجهد ، و لو أشاء أن أقول لقلت : عفا اللّٰه عمّا سلف

توضيح

« في غضّ نعمة » أي في نعمة غضّة طريّة ناضرة . و « الوله » بالتحريك ، الحزن و الخوف . و « الشارد » النافر . 703 بيان : قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد . قوله عليه السلام « غير معدول به » أي لا يعادل و يساوى به أحد ، كما قال تعالى : « بربّهم يعدلون » 704 . و « الدّخلة » بالضمّ و الكسر ، باطن الأمر . و « المعتاد » أي المختار ، و التآء تاء الافتعال ، ذكره في النهاية . و « العقائل » جمع « عقيلة » و هي كريمة كلّ شيء .

و « الأشراط » العلامات ، جمع « شرط » بالتحريك . و « الغربيب » بالكسر ، الأسود الشديد السواد ، أي المكشوف به ظلم الضلال . 705 و « أخلد اليه » مال . قوله عليه السلام « و لا تنفس » أي لا ترغب إلى من يرغب إليها ، بل ترميه بالنوائب .

قوله عليه السلام « من غلب عليها » أي من غلب عليها و أخذها قهرا فسوف تغلب الدنيا عليه ، أو المراد بمن غلب عليها من أراد الغلبة عليها . قوله عليه السلام « في غضّ نعمة » أي في نعمة غضّة طريّة .

قوله عليه السلام « ليس بظلاّم » أي لو فعله اللّٰه بقوم لفعله بالجميع لأنّ حكمه في الجميع واحد ، فيكون ظلاّما ، أو المعنى أن ذلك ظلم شديد . و يقال : « فزعت إليه فأفزعني » أي استغثت إليه فأغاثني . و « الوله » الحزن و الحيرة و الخوف و ذهاب العقل حزنا . و « الشارد » النافر . قوله عليه السلام « في فترة » ، « الفترة » الانكسار و الضعف ، و ما بين الرسولين ، و كنّى عليه السلام بها هنا عن أمر الجاهليّة ، أي إنّي لأخشى أن يكون أحوالكم في التعصّبات الباطلة و الأهواء المختلفة كأحوال أهل الجاهليّة . قوله عليه السلام « ملتم فيها ميلة » إشارة إلى ميلهم عنه عليه السلام

----
(703) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 6 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 57 .

----
(704) الأنعام : 1 .

----
(705) في بعض النسخ : ظلم الظلام .

إلى الخلفاء الثلاثة ، و قول ابن أبي الحديد « إشارة إلى اختيارهم عثمان يوم الشورى يبطله قوله عليه السلام « أمور » و غير ذلك .

قوله عليه السلام « و لئن ردّ عليكم » أي أحوالكم التي كانت أيّام رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله . قوله عليه السلام « و لو أشاء » أي لو أشاء أن أقول فيما ملتم عن الحقّ و نبذتم الآخرة وراء ظهوركم بلفظ صريح لقلت ، لكنّي طويت عن ذكره و أعرضت عنه لعدم المصلحة فيه و لم أصرّح بكفركم و ما يكون إليه مصير أمركم و ما أكننتم و أخفيتم في ضمائركم لذلك . و قوله عليه السلام « عفا اللَّه عمّا سلف » أي عفا عمّن تاب و أناب و رجع ، و يحتمل أن يكون من الدعاء الشايع في أواخر الخطب ، كقوله عليه السلام « غفر اللَّه لنا و لكم » و أمثاله ، و هذه الأدعية مشروطة بشرائط ، و قيل : يحتمل أن يكون المعنى : لو أشاء أن أقول قولا يتضمّن العفو عنكم لقلت ، لكنّي لا أقول ذلك إذ لا مجال للعفو هنا ، و لا يخفى بعده . 706

179 و من كلام له عليه السلام و قد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : و كيف تراه ؟ فقال :

لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان . قريب من الأشياء غير ملابس ، بعيد منها غير مباين ، متكلّم لا برويّة (2264) ، مريد لا بهمّة (2265) ، صانع لا بجارحة (2266) . لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء (2267) ، بصير لا يوصف بالحاسّة ، رحيم لا يوصف بالرّقّة . تعنو (2268) الوجوه لعظمته ،

----
(706) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 175 ، ط كمپاني و ص 165 ، ط تبريز .

و تجب القلوب (2269) من مخافته .

180 و من خطبة له عليه السلام في ذم العاصين من أصحابه

أحمد اللَّه على ما قضى من أمر ، و قدّر من فعل ، و على ابتلائي بكم أيّتها الفرقة الّتي إذا أمرت لم تطع ، و إذا دعوت لم تجب . إن أمهلتم (2270) خضتم ، و إن حوربتم خرتم (2271) . و إن اجتمع النّاس . على إمام طعنتم ، و إن أجئتم إلى مشاقّة (2272) نكصتم (2273) . لا أبا لغيركم (2274) ما تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقّكم ؟ الموت أو الذّلّ لكم ؟ فو اللَّه لئن جاء يومي و ليأتيني ليفرّقنّ بيني و بينكم و أنا لصحبتكم قال (2275) ، و بكم غير كثير (2276) . للَّه أنتم أما دين يجمعكم و لا حميّة تشحذكم (2277) أو ليس عجبا أنّ معاوية يدعو الجفاة (2278) الطّغام (2279) فيتّبعونه على غير معونة (2280) و لا عطاء ، و أنا أدعوكم و أنتم تريكة الإسلام (2281) ، و بقيّة النّاس إلى المعونة أو طائفة من العطاء ، فتفرّقون عنّي و تختلفون عليّ ؟ إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه ، و لا سخط فتجتمعون عليه ، و إنّ أحبّ ما أنا لاق إليّ الموت قد دارستكم الكتاب (2282) ، و فاتحتكم

الحجاج (2283) ، و عرّفتكم ما أنكرتم ، و سوّغتكم (2284) ما مججتم ، لو كان الأعمى يلحظ ، أو النّائم يستيقظ و أقرب بقوم (2285) من الجهل باللّه قائدهم معاوية و مؤدّبهم ابن النّابغة (2286)

توضيح

« على ما قضى من أمر » قيل : الأمر أعمّ من أن يكون فعلا . و لمّا كان القدر هو تفصيل القضاء و إيجاد الأشياء على وفقه قال : و « قدّر من فعل » .

و « الابتلاء » الامتحان . و « أمهله » أي رفق به و أخّره ، و في بعض النسخ : « اهملتم » أي تركتم . « خضتم » أي في الضلالة و الأهواء الباطلة . « خرتم » بالخاء ، من « الخور » بمعنى الضعف ، أو من « خوار الثور » بمعنى الصياح ، و يروى بالجيم ، أي عدلتم عن الحقّ أو عن الحرب فرارا . قوله عليه السلام « اجئتم » قال ابن أبي الحديد 707 بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة ، أي الجئتم ، قال تعالى : فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ 708 . و في بعض النسخ : « أجبتم » على بناء المعلوم بالباء . و « المشاقّة » المقاطعة و المصارمة .

و « النكوص » الرجوع إلى ما وراء .

قوله عليه السلام « لا أبا لغيركم » قال ابن ميثم : أصله « لا أب » و الألف مزيدة إما لاستثقال توالى أربع حركات ، أو لأنّهم قصدوا الإضافة و أتوا باللام للتاكيد . 709 و في الدعاء بالذلّ لغيرهم نوع تلطّف لهم .

قوله عليه السلام « الموت أو الذلّ » في أكثر النسخ برفعهما ، و في بعضها بالنصب . قال ابن أبي الحديد : دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين ، كأنّه شرع داعيا عليهم بالفناء الكلّي و هو الموت ، ثمّ استدرك فقال : « أو الذلّ » لأنّه نظير الموت . و لقد أجيب دعاؤه عليه السلام بالدعوة الثانية ، فإنّ شيعته ذلّوا بعده في الأيّام الأمويّة . 710

----

(707) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 68 ، ط بيروت .

----

(708) مريم : 23 .

----

(709) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 376 .

----

(710) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 69 ، ط بيروت .

أقول : هذا على الرفع ظاهر ، و أمّا على النصب فيحتمل الدعاء أيضا بتقدير « أرجو » أو « أطلب » . و يحتمل الاستفهام ، أي أتنتظرون الموت ؟ و قيل في قوله عليه السلام « و ليأتينّي » حشوة لطيفة بين الكلام ، لأنّ لفظ « إن » أكثر ما يستعمل لما لا يعلم حصوله ، فأتي بعدها بما يردّ ما تقتضيه من الشكّ في إتيان الموت و أشعر بأنّ الموضع موضع إذا . و « القالي » المبغض .

قوله عليه السلام « غير كثير » أي لستم سبب كثرة أعواني . و « للّه أنتم » من قبيل للّه أبوك ، و لعلّه هنا للتعجّب على سبيل الذمّ ، و يحتمل المدح تلطّفا . و ارتفاع قوله « دين » بفعل مقدّر يفسّره الفعل المذكور بعده . و « شحذت النصل » حددته . و « الطغام » أراذل الناس ، الواحد و الجمع سواء . و « معونة الجند » شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم و إصلاح دوابّهم سوى العطاء المفروض في كلّ شهر ، كما قيل . و منشأ تعجّبه عليه السلام أمور :

أحدها : أنّ الداعي لهم معاوية ، و لهؤلاء أمير المؤمنين ، و كيف يساوى عاقل بينهما ؟

و ثانيها : أنّ المدعوّ هناك الجفاة الطغام مع خلوّهم غالبا عن الحميّة و المروّة ،

و ههنا أصحابه الّذين هم تريكة الإسلام .

و ثالثها : أنّ أصحاب معاوية يتّبعونه على غير معونة و لا عطاء ، و أصحابه عليه السلام لا يجيبونه إلى المعونة و العطاء ، فإنّ معاوية إنّما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجليلة و لا يعطي الجند على وجه العطاء و المعونة شيئا و هم كانوا يطيعون الرؤساء للحميّة أو العطايا من هؤلاء لهم .

و « التريكة » بيضة النعامة تتركها في مجثمها ، أي أنتم خلف الإسلام و بقيّته كالبيضة الّتي تركها النّعامة . و قوله عليه السلام « إلى المعونة » متعلق ب « أدعوكم » . قوله عليه السلام « لا يخرج إليكم » أي إنّكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئا سواء كان ممّا يرضيكم أو ممّا يسخطكم . و « إلي » متعلّق بقوله « أحبّ » .

و « درس الكتاب » كنصر و ضرب أي قرأ ، فقوله « دارستكم الكتاب » أي قرأته

[184]

عليكم للتعليم ، و قرأتم عليّ للتعلّم . قوله عليه السلام « و فاتحتكم » أي حاكمتكم بالمحاجّة و المجادلة . و « ساغ الشراب في الحلق » أي دخل بسهولة و « محجته من فمي » أي رميت به ، أي بيّنت لكم الأمور الدينيّة ما كنتم تنكرونه بآرائكم ، و أعطيتكم من العطايا ما كنتم محرومين منها . و كلمة « لو » في قوله عليه السلام « لو كان » للتمنّي ، أو الجزاء محذوف . و قوله عليه السلام « و أقرب بقوم » صيغة التعجّب ، أي ما أقربهم إلى الجهل و قوله عليه السلام « قائدهم معاوية » صفة ل « قوم » فصّل بين الصفة و الموصوف بالجارّ و المجرور ، و هو مجوّز ، و ورد مثله في الكلام المجيد . 711

181 و من كلام له عليه السلام و قد أرسل رجلا من أصحابه ، يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة ، قد هموا باللحاق بالخوارج ،

و كانوا على خوف منه عليه السلام ، فلما عاد إليه الرجل قال له :

« أمنوا فقطنوا (2287) ، أم جبنوا فظعنوا (2288) ؟ » فقال الرجل : بل ظعنوا يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام :

« بعدا لهم كما بعدت ثمود » أما لو أشرعت (2289) الأسنّة إليهم ،

و صبّت السّيوف على هاماتهم (2290) ، لقد ندموا على ما كان منهم . إنّ الشّيطان اليوم قد استفلّهم (2291) ، و هو غدا متبرّىء منهم ، و متخلّ عنهم . فحسبهم بخروجهم « (2292) من الهدى ، و ارتكاسهم (2293) في الضّلال و العمى ، و صدّهم (2229) عن الحقّ ، و جماحهم (2295) في التّيه (2296)

----

(711) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 687 ، ط كمپاني و ص 635 ، ط تبريز .

[185]

بيان

« قطن بالمكان » أقام . و قوله عليه السلام « بعدا » منصوب على المصدر ، و هو ضدّ القرب و الهلاك . قوله عليه السلام « قد استفلّهم » في بعض النسخ بالقاف ، أي حملهم ، أو اتّخذهم قليلا ، و سهل عليه أمرهم ، و في أكثر النسخ بالفاء ، أي وجدهم فلاّ لا خير فيهم ، أو مفلولين منهزمين ، و في بعضها « استفزّهم » أي استخفّهم ، و في بعضها « استقبلهم » أي قبلهم . و المراد بالغد اليوم الّذي تصبّ السيوف على هاماتهم ، أو يوم القيامة . و قال الجوهريّ : « الرّكس » ردّ

الشيء مقلوبا ، و ارتكس فلان في أمر كان قد نجا منه . و « جمح الفرس » كمنع اعتزّ فارسه و غلبه . و « التيه » المفازة و الضلال . 712

182 و من خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال : خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة و هو قائم على حجارة ، نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، و عليه مدرعة من صوف (2297) و حمائل سيفه ليف ، و في رجليه نعلان من ليف ، و كأنّ جبينه ثفنة (2298) بعير . فقال عليه السلام :

حمد اللّه و استعانته

الحمد للّه الّذي إليه مصائر الخلق ، و عواقب الأمر . نحمده على عظيم إحسانه ، و نيّر برهانه ، و نوامي (2299) فضله و امتنانه ، حمدا يكون لحقّه قضاء ، و لشكره أداء ، و إلى ثوابه مقرّبا ، و لحسن مزيده موجبا . و نستعين به استعانة راج لفضله ، مؤمّل لنفعه ، واثق

----

(712) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 608 ، ط كمپاني و ص 560 ، ط تبريز .

بدفعه ، معترف له بالطّول (2300) ، مذعن له بالعمل و القول . و نؤمن به إيمان من رجاه موقنا ، و أناب إليه مؤمنا ، و خنع (1 . 23) له مذعنا ،

و اخلص له موحّدا ، و عظّمه ممجّدا ، و لاذبه راغبا مجتهدا .

اللّه الواحد

لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركا ، و لم يلد فيكون موروثا هالكا . و لم يتقدّمه وقت و لا زمان ، و لم يتعاوره زيادة و لا نقصان (2302) ،

بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التّدبير المتقن ، و القضاء المبرم .

فمن شواهد خلقه خلق السّماوات موطّدات (2303) بلا عمد ، قائمات بلا سند . دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات ، غير متلكّئات (2304) و لا مبطئات ، و لو لا إقرارهنّ له بالرّبوبيّة و إذعانهنّ بالطّواعية ، لما جعلهنّ موضعا لعرشه ، و لا مسكنا لملائكته ، و لا مصعدا للكلم الطّيّب و العمل الصّالح من خلقه . جعل نجومها أعلاما يستدلّ بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار . لم يمنع ضوء نورها ادلهمام (2305) سجف (2306) اللّيل المظلم ، و لا استطاعت جلابيب (2307) سواد الحنادس (2308) أن تردّ ما شاع (2309) في السّماوات من تلألؤ نور القمر .

فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج (2310) و لا ليل ساج (2311) ،

في بقاع الأرضين المتطاطئات (2312) ، و لا في يفاع السّفع (2313) المتجاورات ، و ما يتجلجل به الرّعد (2314) في أفق السّماء ، و ما تلاشت (2315) عنه بروق الغمام ، و ما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء (2316) و انهطال السّماء (2317) و يعلم مسقط القطرة و مقرّها ، و مسحب الذّرّة و مجرّها ، و ما يكفي البعوضة من قوتها ، و ما تحمل الأنثى في بطنها .

بيان

« البكاليّ » بفتح الباء و تخفيف الكاف ، منسوب إلى « بكال » قبيلة ، كذا ذكره الجوهريّ . و قال الراونديّ رحمه اللّه : منسوب إلى « بكالة » و هو اسم حيّ من همدان . و قال ابن أبي الحديد : إنّما هو « بكال » بكسر الباء ، اسم حيّ من حمير [713] . و « الثفنة » بكسر الفاء من البعير ، الركبة . « المصائر » جمع « المصير » و هو مصدر « صار إلى كذا » و معناه المرجع ، قال تعالى : « و إلى اللّه المصير » 714 .

قوله عليه السلام « مذعن له » من « أذعن له » أي خضع و ذلّ . و « الخنوع » أيضا الخضوع و الذلّ . قوله عليه السلام « و لا زمان » تأكيد للوقت ، و قيل : الوقت جزء الزمان ، و يمكن حمل أحدهما على الموجود و الآخر على الموهوم . و « التعاور » التناوب ، و يقال : « أبرم الأمر » أي أحكمه .

قوله عليه السلام « موطّلات » أي مثبتات . [715] قوله عليه السلام « و لو لا إقرارهنّ » قيل : إقرارهنّ له بالربوبيّة راجع إلى شهادة حالهنّ بالإمكان و الحاجة إلى الربّ و الانقياد لحكم قدرته ، و ظاهر أنّه لو لا إمكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن أهلا لسكنى

[713] و في القاموس : « بنى بكال » ككتاب بطن من حمير منهم نوف بن فضالة التابعي .

----

(714) آل عمران : 28 ، النور : 42 و الفاطر : 18 .

[715] في مداراتها على ثقل أجرامها .

الملائكة ، و صعود الكلم الطيّب و الأعمال الصالحة ، و لفظ الدعاء و الإقرار و الإذعان مستعارة . و ربّما يقال : إنّها محمولة على الحقيقة نظرا إلى أنّ لها أرواحا . و « الادلهمام » شدّة ظلمة الليل . و « السجف » الستر . و « الحندس من الليل » الشديد الظلمة . و « المتطاطي » المنخفض . و « اليفاع » ما ارتفع من الأرض . و « السفع » الجبال ، و سمّاها سفعا لأنّ السفعة سواد مشرب حمرة ، و كذلك لونها في الأكثر . و « التجلجل » صوت الرعد .

قوله عليه السلام « و ما تلاشت عنه » قال ابن أبي الحديد : قال ابن الأعرابي : « لشأ الرجل » إذا اتّضع و خسّ بعد رفعه ، و إذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس « تلاشي » بمعنى اضمحلّ . و قال القطب الراونديّ : « تلاشي » مركّب من لا شيء ، و لم يقف على أصل الكلمة أي يعلم ما يصوت به الرعد و يعلم ما يضمحلّ عنه البرق . فان قلت : هو سبحانه عالم بما يضيئه البرق و بما لا يضيئه فلم خصّ عليه السلام ما يتلاشي عنه البرق ؟ قلت : لأنّ علمه بما ليس يضيء أعجب و أغرب لأنّ ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولوا الأبصار الصحيحة . 716 قوله عليه السلام « عواصف الأنواء » ، « الأنواء » جمع « نوء » و هو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية و العشرين في المغرب مع الفجر ، و طلوع رقيبه من المشرق مقابلا له من ساعته ، و مدّة النوء ثلاثة عشر يوما إلاّ الجبهة فإنّ لها أربعة عشر يوما ، و إنّما سمّي نوءا لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق أي نهض و طلع ، و قيل : أراد بالنوء الغروب و هو من الأضداد . قال أبو عبيدة : و لم يسمع في النوء أنه السقوط إلاّ في هذا الموضع . و إنّما أضاف العواصف إليها لأنّ العرب تضيف الرياح و الأمطار و الحرّ و البرد إلى الساقط منها ، أو لأنّ أكثر ما يكون عصفا فيها . و « الانهطال » الانصباب . و « سحبه » كمنعه جرّه على وجه الأرض ، و أكل و شرب أكلا و شربا شديدا . 717

----

(716) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 87 ، ط بيروت .

----

(717) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 315 316 .

توضيح

المراد بشواهد الخلق آيات الابداع و علامات التدبير المحكم ، أو ما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه و تدبيره و علمه ، أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير . و « وطدت كوعدت أطدها طدة و وطدتها توطيدا » إذا أثبتها بالوطء أو غيره حتّى تتصلّب ، و « توطيد السماوات » إحكام خلقها و إقامتها في مقامها على وفق الحكمة . و « العمد » بالتحريك ، جمع « عماد » بالكسر ، و هو ما يسند به ، أو جمع « عمود » . و « السند » بالتحريك ، ما استندت إليه و اتكأت من حائط و غيره . و « الطائع » المنقاد السلس . و « أذعن » أي انقاد و لم يستعص . و « تلكّأ » أي توقّف و اعتلّ . و « الطواعية » كثمانية الطاعة و لعلّ المراد بالملائكة المقرّبون أو الأكثر ، لأنّ منهم من يسكن الهواء و الأرض و الماء ، و صعود الكلم الطيب و العمل الصالح صعود الكتبة بصحائف أعمال العباد إلى السماوات ، و فيه إشارة إلى قوله سبحانه : إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ العَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ 718 ، و إجابتهنّ إشارة إلى قوله تعالى : ثمَّ استوى إِلَى السَّمَاء وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ للأَرْضِ ائتيَا طَوعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْتَنا طَائِعِين 719 ، و قد مرّ الكلام في تأويل الآية . و قيل : هنا إقرارهنّ بالربوبيّة له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الربّ و الانقياد لحكم قدرته ، و ظاهر أنّه لو لا إمكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن مسكنا للملائكة و لا مصعدا للكلم الطيب و العمل الصالح من الخلق . (انتهى) . و أمّا تخصيصه عليه السلام السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعلّه لكونها أكثر طاعة لكون مادّتها أقبل أو لشرفها . و « العلم » بالتحريك ، ما يهتدى به . و « المختلف » الاختلاف أي التردّد ، أو موضعه ،

أو هو من المخالفة . و « الفجّ » الطريق الواسع بين جبلين . و « القطر » الجانب و الناحية ، فالمعنى : يستدلّ بها الحياري في التردّد في فجاج الأقطار ، أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأقطار ، و ذهاب كلّ منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر

----

(718) الفاطر : 10 .

----

(719) فصّلت : 11 .

كاختلاف القوم في الآراء . و « السجف » بالكسر و بالفتح ، الستر . و « الجلباب » بالكسر ، ثوب واسع تغطّي به المرأة ثيابها كالملحفة ، و قيل : هو الخمار ، و قيل :

القميص . و « الحندس » كزبرج الشديد الظلمة . و « شاع الشيء يشيع » أي ظهر و ذاع و فشا . و « تلألأ القمر و البرق » أي لمع . 720

عود الى الحمد

و الحمد للّه الكائن قبل أن يكون كرسيّ أو عرش ، أو سماء أو أرض ،

أو جانّ أو انس . لا يدرك بوهم (2318) ، و لا يقدّر بفهم ، و لا يشغله سائل (2319) ، و لا ينقصه نائل (2320) ، و لا ينظر بعين ، و لا يحدّ بأين (2321) ، و لا يوصف بالأزواج (2322) ، و لا يخلق بعلاج (2323) ، و لا يدرك بالحواس ، و لا يقاس بالنّاس . الّذي كلّم موسى تكليما ، و أراه من آياته عظيما ، بلا جوارح و لا أدوات ، و لا نطق و لا لهوات (2324) .

بل إن كنت صادقا أيّها المتكلّف (2325) لوصف ربّك ، فصف جبريل و ميكائيل و جنود الملائكة المقرّبين ، في حجرات (2326) القدس مرجحنين (2327) ، متولّهة (2328) عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين . فإنّما يدرك بالصّفات ذوو الهيئات و الأدوات ، و من ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء .

فلا إليه إلاّ هو ، أضاء بنوره كلّ ظلام ، و أظلم بظلمته كلّ نور .

بيان

قوله عليه السلام « و لا يشغله سائل » أي عن سائل آخر . و

----

(720) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 58 ، كتاب السماء و العالم ، ص 95 .

« النائل » العطاء أي لا ينقص خزائنه عطاء . قوله عليه السلام « لا يوصف بالأزواج » أي بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج ، أو ليس فيه تركّب و ازدواج أمرين كما مرّ تحقيقه ، أو بأنّ له صاحبة .

قوله عليه السلام « تكليما » مصدر للتأكيد لإزالة توهم السامع التجوّز في كلامه تعالى ، و المراد بالآيات إمّا الآيات التسع أو الآيات الّتي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الستّ و غيره ، و يويّد الثاني قوله عليه السلام « بلا جوارح . . . » إلى قوله « و لا لهوات » إذ الظاهر تعلّقه بالتكليم ، و يحتمل تعلّقه بالجميع على اللفّ و النشر غير المرتّب .

قوله عليه السلام « مرجحنّين » أي مائلين إلى جهة التحت خضوعا لجلال الباري عزّ سلطانه و يحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم و رزانة قدرهم أو عن نزولهم وقتا بعد وقت بأمره تعالى ، قال الجزريّ : « ارجحنّ الشيء » إذا مال من ثقله و تحرّك . قوله عليه السلام « أمد حدّه » الإضافة بيانيّة ، و حمل الحدّ على النهايات و الأطراف بعيد جدّا .

قوله عليه السلام « أضاء بنوره كلّ ظلام » الظلام إمّا محسوس فإضاءته بأنوار الكواكب و النيّرين ، أو معقول و هو ظلام الجهل فإضاءته بأنوار العلم و الشرائع . قوله « و اظلم بظلمته كلّ نور » إذا جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة مضمحلّة في نور علمه ، و ظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده .

و قال ابن أبي الحديد : تحت قوله عليه السلام معنى دقيق و سرّ خفيّ و هو أنّ كلّ رذيلة في الخلق البشريّ غير مخرجة عن حدّ الإيمان مع معرفته بالأدلّة البرهانيّة غير مؤثّرة نحو أن يكون العارف بخيلا أو جبانا ، و كلّ فضيلة مع الجهل به سبحانه ليست بفضيلة في الحقيقة ، لأنّ الجهل به يكشف تلك الأنوار نحو أن يكون الجاهل به جوادا أو شجاعا . و يمكن أن يكون الظلام و النور كنايتين عن الوجود و العدم ، و يحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله « بظلمته » راجعا إلى كلّ نور

لتقدّمه رتبة فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلى أنّ النور هو ما ينسب إليه تعالى فبتلك الجهة نور ، و أمّا الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلّها ظلمة . 721 بيان : « التكلّف » التجشّم و ارتكاب الشيء على مشقّة . و « حجرة القوم » بالفتح ، ناحية دارهم ، و الجمع « حجرات » كجمرة و جمرات ، و في بعض النسخ :

« حجرات » بضمّتين ، جمع « حجرة » بالضمّ و هي الغرفة ، و قيل : الموضع المنفرد . و « ارجحنّ الشيء » كاقشعر أي مال من ثقله و تحرّك . قال في النهاية : أورد الجوهريّ هذا الحرف في حرف النون على أنّ النونين أصليّة ، و غيره يجعلهما زائدة من « رجح الشيء » كمنع إذا ثقل . قال ابن أبي الحديد : أي مائلين إلى جهة التحت خضوعا للّه سبحانه . و قال الكيدريّ : « الارجحنان » الميل ، و « ارجحنّ الشيء » اهتزّ . (انتهى) . و لعلّ المراد بحجرات القدس المواضع المعدّة لهم في السماوات ، و هي محالّ القدس و التنزّه عن المعاصي و رذائل الأخلاق . و « الوله » الحزن و الحيرة و الخوف ، و « متولّهة عقولهم » على صيغة اسم الفاعل ، أي محزونة أو حائرة أو خائفة ، و في بعض النسخ على صيغة اسم المفعول ، و الأوّل أظهر . « أن يحدّوا أحسن الخالقين » أي يدركوه بكنهه أي يدركوا مبلغ قدرته و علمه ، أو مقدار عظمته . 722

الوصية بالتقوى

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الّذي ألبسكم الرّياش (2329) ، و أسبغ عليكم المعاش ، فلو أن أحدا يجد إلى البقاء سلّما ، أو لدفع الموت سبيلا ، لكان ذلك سليمان بن داوود عليه السّلام ، الّذي سخّر له ملك الجنّ و الإنس ، مع النّبوّة و عظيم الزّلفة . فلمّا استوفى طعمته (2330) ،

----

(721) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 313 .

----

(722) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 59 ، كتاب السماء و العالم ، ص 193 .

[193]

و استكمل مدّته ، رمته قسي الفناء بنبال الموت ، و أصبحت الدّيار منه خالية ، و المساكن معطّلة ، و ورثها قوم آخرون . و إنّ لكم في القرون السّالفة لعبرة أين العمالقة و أبناء العمالقة أين الفراعنة و أبناء الفراعنة أين أصحاب مدائن الرّسّ الّذين قتلوا النّبيين ، و أطفؤوا سنن المرسلين ،

و أحيوا سنن الجبّارين أين الّذين ساروا بالجيوش ، و هزموا بالألوف ،

و عسكروا العساكر ، و مدّنوا المدائن و منها : قد لبس للحكمة جنّتها (2331) ، و أخذها بجميع أدبها ، من الإقبال عليها ، و المعرفة بها ، و التّفرّغ لها ، فهي عند نفسه ضالّته الّتي يطلبها ، و حاجته الّتي يسأل عنها . فهو مغترب إذا اغترب الإسلام ، و ضرب بعسيب ذنبه (2332) ، و ألصق الأرض بجرانه (2333) بقيّة من بقايا حجّته ، خليفة من خلائف أنبيائه .

بيان

قال ابن أبي الحديد : قالت الامامية : إنّ المراد به القائم عليه السلام المنتظر و الصوفيّة يزعمون أنّه وليّ اللّه و عندهم أنّ الدنيا لا يخلو عن الأبدال و هم أربعون و عن الأوتاد و هم سبعة و عن القطب و هو واحد . و الفلاسفة يزعمون أنّ المراد به العارف و عند أهل السنّة هو المهديّ الّذي سيخلق ، و قد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين على أنّ الدنيا و التكليف لا ينقضي إلاّ على المهديّ . 723

----

(723) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 96 ، ط بيروت .

[194]

قوله عليه السلام « فهو مغترب » أي هذا الشخص يخفى نفسه إذا ظهر الفسق و الفجور ، و اغترب الاسلام باغتراب العدل و الصلاح ، و هذا يدلّ على ما ذهبت إليه الاماميّة . و « العسيب » عظم الذنب أو منبت الشعر منه و إلصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعفه و قلّة نفعه فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه . 724

ثم قال عليه السلام :

أيّها النّاس ، إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ الأنبياء بها أممهم ، و أديت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم ، و أدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا ، و حدوتكم بالزّواجر فلم تستوسقوا (2334) . للّه أنتم أتتوقّعون إماما غيري يطأ بكم الطّريق ، و يرشدكم السّبيل ؟

ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلا ، و أقبل منها ما كان مدبرا ،

و أزمع الترحال عباد اللَّه الأخيار ، و باعوا قليلا من الدّنيا لا يبقى ،

بكثير من الآخرة لا يفنى . ما ضرّ إخواننا الّذين سفكت دماؤهم و هم بصفّين ألاّ يكونوا اليوم أحياء ؟ يسيغون الغصص و يشربون الرّنق (2335) قد و اللَّه لقوا اللَّه فوفّاهم أجورهم ، و أحلّهم دار الأمن بعد خوفهم .

أين إخواني الّذين ركبوا الطّريق ، و مضوا على الحقّ ؟ أين عمّار (2336) ؟

----

(724) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 51 ، تاريخ الامام الثاني عشر عليه السّلام ، ص 113 .

[195]

و أين ابن التّيّهان (2337) ؟ و أين ذو الشّهادتين (2338) ؟ و أين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّة ، و أبرد برؤوسهم (2339) إلى الفجرة قال : ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة ، فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :

أوّه (2340) على إخواني الّذين تلوا القرآن فأحكموه ، و تدبّروا الفرض فأقاموه ، أحيوا السّنّة و أماتوا البدعة . دعوا للجهاد فأجابوا ، و وثقوا بالقائد فاتّبعوه .

ثم نادى بأعلى صوته :

الجهاد الجهاد عباد اللَّه ألا و إنّي معسكر في يومي هذا ، فمن أراد الرّواح إلى اللَّه فليخرج قال نوف : و عقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ، و لقيس بن سعد رحمه اللَّه في عشرة آلاف ، و لأبي أيوب الانصاري في عشرة آلاف ، و لغيرهم على أعداد أخر ، و هو يريد الرجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه اللَّه ، فتراجعت العساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، تختطفها الذئاب من كل مكان

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة :]

تبيان : قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد .

و قال في النهاية : « الرياش و الريش » ما ظهر من اللباس . و قيل :

« الرياش » جمع « الريش » و يقع الرياش على الخصب و المعاش و المال المستفاد . و « أسبغ » أي أكمل و أوسع . و « المعاش و المعيشة » مكسب الإنسان الّذي يعيش به .

و « السلّم » كسكّر ما يرتقى عليه ، و استعمل هنا في الوسيلة . و كون النبوّة و الزلفة أي القرب و المنزلة من الوسائل إلى البقاء لاستجابة الدعاء معهما ، فهما مظنّتان

[196]

للتوصّل إلى البقاء في الباطن كما أنّ السلطنة الكاملة مظنّة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر . و « الطعمة » الرزق المقدّر . و « القسيّ » جمع « القوس » . و « النبل » السهام العربيّة لا واحد لها من لفظها . و قال ابن أبي الحديد : « نبال الموت » أسبابه و الإضافة البيانيّة للمبالغة بعيدة .

و « العمالقة » أولاد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . 725 و « الفراعنة » ملوك مصر . و قد مضى ذكر أصحاب الرسّ . و « عسكروا » أي جمعوا . و « مدّنوا المدائن » أي بنوها .

قوله عليه السلام « قد لبس للحكمة جنّتها » إشارة إلى القائم عليه السلام كما ذكره ابن أبي الحديد 726 نقلا عن الإماميّة . و « التفرّغ لها » أي عن العلائق و الشواغل . قوله عليه السلام « ضالّته » إشارة إلى قوله عليه السلام « الحكمة ضالّة

المؤمن » . قوله عليه السلام « فهو مغترب » أي هذا الشخص يخفى نفسه و يخملها إذا ظهر الفسق و الجور ، و اغترب الإسلام باغتراب العدل و الصلاح ، و هو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام .

و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : إنّه ذكر فتنة فقال : « إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه » إي فارق أهل الفتنة و ضرب في الأرض ذاهبا في أهل دينه ، و أتباعه يتّبعونه على رأيه و هم الأذناب . و قال الزمخشريّ :

الضرب بالذنب هيهنا مثل للإقامة و الثبات ، يعني يثبت هو و من يتبعه على الدين » .

و قال الفيروز آباديّ : « العسيب » عظم الذنب ، أو منبت الشعر منه ، و البعير إذا أعيى و تأذّى ضرب بعسيب ذنبه ، و إلصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعف الإسلام و قلّة نفعه فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه . و « جران البعير » صدره أو مقدّم عنقه .

و « بثّ الخبر » نشره . و « الحداء » سوق الإبل و الغناء لها . و « استوثقوا » استجمعوا و انضمّوا . و « الزواجر » النواهي و الايعادات . « يطأ بكم الطريق » أي

----
(725) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 93 ، ط بيروت .

----
(726) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 96 ، ط بيروت .

يذهب بكم في سبيل الحقّ . قوله عليه السلام « ما كان مقبلا » أي الهدى و الرشاد الّذي كان في أيّام الرسول صلّى اللّه عليه و آله أو في أيّام خلافته عليه السلام ، فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله عليه السلام من دار الفناء . و « ما كان مدبرا » الضلال و الفساد . و « أزمع الأمر » أي عزم عليه . و « الترحال » بالفتح ،

مبالغة في الرحلة . و كلمة « ما » في « ضرّ » نافية ، و يحتمل الاستفهام على الإنكار ،

و الفاعل « أن لا يكونوا » . و إساغة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام و مشاهدة المنكرات بحيث صار تجرّع الغصص عادة لهم ، أو عن الرضا بقضاء اللّه . و « الغصّة » ما يعترض في الحلق . و « الرنق » بالفتح و التحريك ، الكدر من الماء .

و « عمّار » هو ابن ياسر المعروف ، و قد مرّ فضله . و « ابن التيهان » بالياء المنقوطة باثنتين تحتها المشدّدة المكسورة و قبلهاتاء منقوطة باثنتين فوقها ، ذكره ابن أبي الحديد ، و جوّز فتح الياء أيضا ، و المضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة و فتح التاء و كسرها معا . و في القاموس : و « تيهان » و « تيّهان » مشدّدة الياء و يكسر و هو أبو الهيثم و اسمه مالك . و قال ابن أبي الحديد : الصحيح أنّه أدرك صفّين و شهدها مع عليّ عليه السلام و قيل : توفّي في زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله . و « ذو الشهادتين » هو خريمة بن ثابت و قصّته مشهورة ، يكنّى أبا عمارة ، شهد بدرا و ما بعدها من الشاهد ، و شهد صفّين مع عليّ عليه السلام ، فلمّا قتل عمار قاتل حتى قتل .

قوله عليه السلام « تعاقدوا » أي جعلوا الموت بينهم عقدا ، أو بايعوا على الموت ، و روي « تعاهدوا » . و « ابرد برؤوسهم » من البريد ، أي أرسل للبشارة بها . و « الفجرة » امراء عسكر الشام . و « أوه » ساكنة الواو مسكورة الهاء ، كلمة شكوى و توجّع ، و ربّما قلبوا الواو ألفا فقالوا : « آه من كذا » و « آه على كذا » و ربّما شدّدوا الواو و كسروها و سكنوا الهاء فقالوا : « أوّه من كذا » ، و ربّما حذفوا الهاء مع التشديد و كسروا الواو فقالوا : « أوّ من كذا » بلا مدّ ، و قد يقولون : « أوّه » بالمدّ و التشديد و فتح الواو و سكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية ، و ربّما أدخلوا فيه التاء ،

تارة يمدّونه و تارة لا يمدّونه فيقولون : « أوّتاه و أوّتاه » و الاسم منه الآهة بالمدّ ، ذكره الجوهريّ و ابن أبي الحديد . 727 و « إحكامه » تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسّنات ، و التّدبّر في معانيه و العمل بمقتضاه . و أراد بالقائد نفسه عليه السلام . و « الرواح إلى اللّه » الذهاب إلى الفوز برضوانه ، أو إلى لقائه بالشهادة .

و « قيس » هو من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، كان شجاعا جوادا من كبار شيعة عليّ عليه السلام ، شهد حروبه كلّها ، و أبوه سعد بن عبادة كان رئيس الخزرج و لم يبايع أبابكر ، و مات على عدم البيعة ، و المشهور أنّهم قتلوه لذلك ، و أحالوا قتله على الجنّ ، و افتروا شعرا من قبل الجنّ كما مرّ . و « أبو ايّوب » هو خالد بن سعد بن كعب الخزرجيّ من بني النجار ، شهد العقبة و بدرا و سائر المشاهد ، و عليه نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين قدم المدينة ، شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهده كلّها ، و كان على مقدّمته يوم النهروان . و « الاختطاف » أخذك الشيء بسرعة ، و المراد هنا إمّا الأخذ بالنهب و القتل و الإذلال ، أو الإغواء و الإضلال . 728

183 و من خطبة له عليه السلام في قدرة اللّه و في فضل القرآن و في الوصية بالتقوى اللّه تعالى

الحمد للّه المعروف من غير رؤية ، و الخالق من غير منصبة (2341) خلق الخلائق بقدرته ، و استعبد الأرباب بعزّته ، و ساد العظماء بجوده ،

----

(727) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 110 ، ط بيروت .

----

(728) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 695 ، ط كمپاني و ص 643 ، ط تبريز .

[199]

و هو الّذي أسكن الدّنيا خلقه . و بعث إلى الجنّ و الإنس رسله ،

ليكشفوا لهم عن غطائها ، و ليحذّروهم من ضرّائها ، و ليضربوا لهم أمثالها ، و ليبصّروهم عيوبها ، و ليهجموا (2342) عليهم بمعتبر (2343) من تصرف (2344) مصاحّها (2345) و أسقامها ، و حلالها و حرامها ، و ما أعدّ اللّه للمطيعين منهم و العصاة من جنّة و نار ، و كرامة و هوان . أحمده إلى نفسه كما استحمد (2346) إلى خلقه ، و جعل لكلّ شيء قدرا ، و لكلّ قدر أجلا ، و لكلّ أجل كتابا .

فضل القرآن

منها : فالقرآن آمر زاجر ، و صامت ناطق . حجّة اللّه على خلقه .

أخذ عليه ميثاقهم ، و ارتهن عليهم أنفسهم (2347) . أتمّ نوره ، و أكمل به دينه ، و قبض نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و قد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به . فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه ، فإنّه لم يخف عنكم شيئا من دينه ، و لم يترك شيئا رضيه أو كرهه إلاّ و جعل له علما باديا ، و آية محكمة ، تزجر عنه ، أو تدعو إليه ،

فرضاه فيما بقي واحد ، و سخطه فيما بقي واحد . و اعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ، و لن يسخط عليكم بشيء رضيه ممّن كان قبلكم ، و إنّما تسيرون في أثر بيّن ، و تتكلّمون

[200]

برجع قول قد قاله الرّجال من قبلكم . قد كفاكم مؤونة دنياكم ،

و حثّكم على الشّكر ، و افترض من ألسنتكم الذّكر .

الوصية بالتقوى

و أوصاكم بالتّقوى ، و جعلها منتهى رضاه ، و حاجته من خلقه . فاتّقوا اللّه الّذي أنتم بعينه (2348) ، و نواصيكم بيده ، و تقلّبكم في قبضته .

إن أسررتم علمه ، و إن أعلنتم كتبه ، قد و كل بذلك حفظة كراما ،

لا يسقطون حقّا ، و لا يثبتون باطلا . و اعلموا « أنّه من يتّق اللّه يجعل له مخرجا » من الفتن ، و نورا من الظّلم ، و يخلّده فيما اشتهت نفسه ،

و ينزله منزل الكرامة عنده ، في دار اصطنعها لنفسه ، ظلّها عرشه ،

و نورها بهجته ، و زوّارها ملائكته ، و رفقاؤها رسله ، فبادروا المعاد ،

و سابقوا الآجال ، فإنّ النّاس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ، و يرهقهم الأجل (2349) ، و يسدّ عنهم باب التّوبة . فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرّجعة (2350) من كان قبلكم ، و أنتم بنو سبيل ، على سفر من دار ليست بداركم ، و قد أوذنتم منها بالارتحال ، و أمرتم فيها بالزّاد و اعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرّقيق صبر على النّار ، فارحموا نفوسكم ،

فإنّكم قد جرّبتموها في مصائب الدّنيا .

أفرأيتم جزع أحدكم من الشّوكة تصيبه ، و العثرة تدميه ،

و الرّمضاء تحرقه ؟ فكيف إذا كان بين طابقين من نار ، ضجيع حجر ،

و قرين شيطان أعلمتم أنّ مالكا (2351) إذا غضب على النّار حطم بعضها بعضا لغضبه ، و إذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعا من زجرته أيّها اليفن الكبير (2352) ، الّذي قد لهزه القتير (2353) ، كيف أنت إذا التحمت أطواق النّار بعظام الأعناق ، و نشبت الجوامع (2354) حتّى أكلت لحوم السّواعد . فاللّه اللّه معشر العباد و أنتم سالمون في الصّحّة قبل الصقم ، و في الفسحة قبل الضّيق . فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها (2455) .

إيضاح

« الرمضاء » الأرض الشديدة الحرارة . و « الطابق » كهاجر و صاحب الأجرّ الكبير . و « الحطم » الكسر . و « اليفن » بالتحريك ، الشيخ الكبير و يقال : « لهزه » أي خالطه . و « القتير » كأمير الشيب أو أوّله .

قوله عليه السلام « إذا التحمت » أي التفّت عليها و انضمّت و التصفت بها . و « نشب الشيء بالشيء » أي علق . و « الجوامع » جمع « جامعة » و هي الغلّ لأنّها تجمع اليدين إلى العنق . 729

الوصية بالتهجد

أسهروا عيونكم ، و أضمروا بطونكم ،

----

(729) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 8 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 306 .

و استعملوا أقدامكم ، و أنفقوا أموالكم ، و خذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم ، و لا تبخلوا بها عنها ، فقد قال اللَّه سبحانه : « إن تنصروا اللَّه ينصركم و يثبّت اقدامكم » و قال تعالى : « من ذا الّذي يقرض اللَّه قرضا حسنا فيضاعفه له ، و له أجر كريم » . فلم يستنصركم من ذلّ ، و لم يستقرضكم من قلّ ، استنصركم « و له جنود السّماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم » . و استقرضكم « و له خزائن السّماوات و الأرض ، و هو الغنيّ الحميد » . و إنّما أراد أن « يبلوكم (2856) أيّكم أحسن عملا » . فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران اللَّه في داره . رافق بهم رسله ، و أزارهم ملائكته ، و أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس (2357) نار أبدا ، و صان أجسادهم أن تلقى لغوبا و نصبا (2358) : « ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء ، و اللَّه ذو الفضل العظيم » .

أقول ما تسمعون ، و اللَّه المستعان على نفسي و أنفسكم ، و هو حسبنا و نعم الوكيل

184 و من كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي ، و قد قال له بحيث يسمعه :

« لا حكم إلا اللَّه » ، و كان من الخوارج

اسكت قبحك اللَّه (2359) يا أثرم (2360) ، فو اللَّه لقد ظهر الحقّ فكنت

[203]

فيه ضئيلا (2361) شخصك ، خفيّا صوتك ، حتّى إذا نعر (2362) الباطل نجمت (2363) نجوم قرن الماعز .

بيان

« قبحك اللَّه » بالتخفيف و التشديد ، أي نحّاك عن الخير ، و قيل :

كسرك ، يقال : « قبحت الجوزة » أي كسرتها . « الثرم » سقوط الإنسان . و « الضئيل » الدقيق النحيف الخفي . و « نعر » أي صاح ، كناية عن ظهور الباطل و قوة أهله . و « نجم » طلع ، أي طلعت بلا شرف و لا شجاعة و لا قدم بل على غفلة . و « الماعز » واحد المعز من الغنم و هو خلاف الضأن . 730

185 و من خطبة له عليه السلام يحمد اللَّه فيها و يثني على رسوله و يصف خلقا من الحيوان

حمد اللَّه تعالى

الحمد للَّه الّذي لا تدركه الشّواهد ، و لا تحويه المشاهد ، و لا تراه النّواظر ، و لا تحجبه السّواتر ، الدّالّ على قدمه بحدوث خلقه ،

و بحدوث خلقه على وجوده ، و باشتباههم على أن لا شبه له . الّذي صدق في ميعاده ، و ارتفع عن ظلم عباده ، و قام بالقسط في خلقه ،

و عدل عليهم في حكمه . مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته ، و بما و سمها به من العجز على قدرته ، و بما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه . واحد لا بعدد (2364) ، و دائم لا بأمد (2365) ، و قائم لا بعمد .

----

(730) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 605 ، ط كمپاني و ص 558 ، ط تبريز .

[204]

تتلقّاه الأذهان لا بمشاعرة (2366) ، و تشهد له المرائي (2367) لا بمحاضرة .

لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، و بها امتنع منها ، و إليها حاكمها . ليس بذي كبر امتدّت به النّهايات فكبّرته تجسيما ، و لا بذي عظم تناهت به الغايات فعظّمته تجسيدا ، بل كبر شأنا ،

و عظم سلطانا .

الرسول الاعظم

و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله الصّفيّ ، و أمينه الرّضيّ ، صلّى اللّه عليه و آله أرسله بوجوب الحجج ، و ظهور الفلج (2368) ،

و إيضاح المنهج ، فبلّغ الرّسالة صادعا (2369) بها ، و حمل على المحجّة دالاّ عليها ، و أقام أعلام الاهتداء و منار الضّياء ، و جعل أمراس (2370) الإسلام متينة ، و عرا الإيمان و ثيقة .

بيان

قوله « بوجوب الحجج » أي تمامها و نفوذها و لزومها . و « الفلج » بالتحريك ، النصرة و الغلبة . و « المرسة » بالتحريك ، الحبل ، و جمع جمعه « أمراس » . و « المتانة » الشدّة . 731

منها في صفة خلق اصناف من الحيوان

و لو فكّروا في عظيم القدرة ، و جسيم النّعمة ، لرجعوا إلى الطّريق ،

----

(731) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 223 .

[205]

و خافوا عذاب الحريق ، و لكن القلوب عليلة ، و البصائر مدخولة ألا ينظرون إلى صغير ما خلق ، كيف أحكم خلقه ، و أتقن تركيبه ،

و فلق له السّمع و البصر ، و سوّى له العظم و البشر (2371) انظروا إلى النّملة في صغر جثّتها ، و لطافة هيئتها ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ،

و لا بمستدرك الفكر ، كيف دبّت على أرضها ، و صبّت على رزقها ،

تنقل الحبّة إلى جحرها ، و تعدّها في مستقرّها . تجمع في حرّها لبردها ،

و في وردها لصدرها (2372) مكفول برزقها ، مرزوقة بوفقها (2373) ، لا يغفلها المنّان ، و لا يحرمها الدّيّان ، و لو في الصّفا (2374) اليابس ،

و الحجر الجامس و لو فكّرت في مجاري أكلها ، في علوها و سفلها ، و ما في الجوف من شراسيف (2375) بطنها ، و ما في الرّأس من عينها و أذنها ،

لقضيت من خلقها عجبا ، و لقيت من وصفها تعبا فتعالى الّذي أقامها على قوائمها ، و بناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ،

و لم يعنه على خلقها قادر و لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته . ما دلّتك الدّلالة إلاّ على أنّ فاطر النّملة هو فاطر النّخلة ،

لدقيق تفصيل كلّ شيء ، و غامض اختلاف كلّ حيّ . و ما الجليل و اللّطيف ، و الثّقيل و الخفيف ، و القويّ و الضّعيف ، في خلقه إلاّ سواء .

خلقه السماء و الكون

[206]

و كذلك السّماء و الهواء ، و الرّياح و الماء . فانظر إلى الشّمس و القمر ،

و النّبات و الشجر ، و الماء و الحجر ، و اختلاف هذا اللّيل و النّهار ، و تفجّر هذه البحار ، و كثرة هذه الجبال ، و طول هذه القلال (2376) و تفرّق هذه الغات ، و الألسن المختلفات . فالويل لمن أنكر المقدّر ، و جحد المدبّر زعموا أنّهم كالنّبات ما لهم زارع ، و لا لاختلاف صورهم صانع ، و لم يلجؤوا (2377) إلى حجّة فيما ادّعوا ، و لا تحقيق لما أوعوا (2378) ،

و هل يكون بناء من غير بان ، أو جناية من غير جان

خلقة الجرادة

و إن شئت قلت في الجرادة ، إذ خلق لها عينين حمراوين ، و أسرج لها حدقتين قمراوين (2379) ، و جعل لها السّمع الخفيّ ، و فتح لها الفم السّويّ ، و جعل لها الحسّ القويّ ، و نابين بهما تقرض ، و منجلين (2380) بهما تقبض . يرهبها الزّرّاع في زرعهم ، و لا يستطيعون ذبّها (2381) ،

و لو أجلبوا بجمعهم ، حتّى ترد الحرث في نزواتها (2382) ، و تقضي منه شهواتها . و خلقها كلّه لا يكون إصبعا مستدقّة .

فتبارك اللّه الّذي « يسجد له من في السّماوات و الأرض طوعا و كرها » ،

و يعفّر له خدّا و وجها ، و يلقي إليه بالطّاعة سلما و ضعفا ، و يعطي له

[207]

القياد رهبة و خوفا فالطّير مسخّرة لأمره ، أحصى عدد الرّيش منها و النّفس و أرسى قوائمها على النّدى (2383) و اليبس ، و قدّر أقواتها ،

و احصى أجناسها . فهذا غراب و هذا عقاب . و هذا حمام و هذا نعام .

دعا كلّ طائر باسمه ، و كفل له برزقه . و أنشأ « السّحاب الثّقال » فأهطل (2384) ديمها (2385) ، و عدّد قسمها (2386) . فبلّ الأرض بعد جفوفها ،

و أخرج نبتها بعد جدوبها (2387) .

ايضاح

« مدخولة » أي معيوبة من « الدخل » بالتحريك ، و هو العيب و الغشّ و الفساد . و « فلق » أي شقّ . و « البشر » ظاهر جلد الإنسان . « و لا بمستدرك الفكر » إمّا مصدر ميميّ أي بادراك الفكر ، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي بإدراك الفكر الّذي يدركه الإنسان بغاية سعيه ، أو اسم مكان و الباء بمعنى « في » أي في محلّ إدراكه ، و الغرض المبالغة في صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه لا بالنظر و لا بالفكر . « كيف دبّت » أي مشت . و « ضنّت » بالضاد المعجمة و النون ، أي بخلت ، و في بعض النسخ : « صبّت » بالصاد المهملة و الباء الموحّدة على بناء المجهول ، إمّا على القلب أي صبّ عليها الرزق ، أو كناية عن هجومها و اجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى فكأنّها

صبّت على الرزق ، و يمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة و هي حرارة الشوق . « لصدرها » ، « الصدر » بالتحريك ، رجوع المسافر من مقصده و الشاربة من الورد ، أي تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها ، فإنّها تخفى في شدّة الشتاء لعجزها عن البرد . و « المنّان » هو كثير المنّ و العطاء . و « الديّان » القهّار و القاضي و الحاكم و السائس و المجازي .

و « الصفا » مقصورا ، جمع « الصفاة » و هي الحجر الصلد الضخم الّذي لا ينبت . و « الجامس » اليابس الجامد ، قال الخليل في كتاب العين : « جمس الماء » جمد ، و صخرة جامسة لزمت مكانا . انتهى . و الضمير في « علوها و سفلها » إمّا راجع إلى

المجاري ، أو إلي النملة أي ارتفاع أجزاء بدنها و انخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة . و قال الجوهريّ : « الشراسيف » مقاطّ الأضلاع و هي أطرافها الّتي تشرف على البطن ،

و يقال : « الشرسوف » غضروف معلّق بكلّ ضلع ، مثل غضروف الكتف . « لقضيت من خلقها عجبا » القضاء بمعنى الأداء ، أي لأديت عجبا ، و يحتمل أن يكون بمعنى الموت أي لقضيت نحبك من شدّة تعجّبك ، و يكون « عجبا » مفعولا لأجله . « و لو ضربت » أي سرت ، كما قال تعالى : « و إذا ضربتم في الأرض » 732 . « غاياته » أي غايات فكرك . « إلاّ سواء » أي في دقّة الصنعة و غموض الخلقة ، أو في الدلالة على الفاطر و كمال قدرته و علمه . و « القلال » بالكسر ، جمع « قلّة » بالضمّ ، و هي أعلى الجبل . « زعموا أنّهم كالنبات » أي كما زعموا في النبات ، أو كنبات لا زارع له حيث لا ينسب إلى الزارع . و إن نسب إلى ربّه تعالى . « لما اوعوا » أي جمعوا و حفظوا . « و أسرج لها حدقتين » أي جعلهما مضيئتين كالسراج ، و يقال : « حدقة قمراء » أي منيرة ، كما يقال : « ليلة قمراء » أي نيّرة بضوء القمر . « بهما تقرض » بكسر الراء ، أي تقطع . و « المنجل » كمنبر ، حديدة يقضب بها الزرع ، شبّهت بها يداها . و « الذبّ » الدفع و المنع . « في نزواتها » أي و ثباتها . « و خلقها كلّه » الواو حاليّة . « سلما » بالكسر و بالتحريك أي استسلاما و انقيادا . و « أرسى » اي أثبت ، أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بهما على الأراضي اليابسة و النديّة . و « الهطل » تتابع المطر . و « الديم » بكسر الدال و فتح الياء ، جمع « الديمة » بالكسر ، و هي المطر الّذي ليس فيه رعد و لا برق . و « الجذوب » قلّة النبات و الزرع . 733 تبيين : « التفكير » إعمال النظر في الشيء ، يقال : فكر فيه كضرب و فكّر بالتشديد و أفكر و تفكّر بمعنى . و « الجسيم » العظيم . و « الحريق » اسم من الاحتراق . و « البصائر » جمع « البصيرة » و هي و البصر بالتحريك ، العلم و الخبرة ، و في بعض النسخ : « الأبصار » موضع البصائر . و « الدخل » بالتحريك ، ما داخلك من

----

(732) النساء : 101 .

----

(733) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 3 ، كتاب التوحيد ، ص 26 28 .

فساد في عقل أو جسم و العيب و الريبة ، يقال : هذا الأمر فيه دخل و دغل بمعنى ، و قد دخل كفرح و دخل على البناء للمفعول . و « الاحكام » الاتقان ، و « ركبه تركيبا » أي وضع بعضه على بعض فتركّب . و « فلق » كضرب أي شقّ فانفلق ،

و منه [قوله تعالى] : « فَالِقُ الحَبَّ وَ النَّوَى » 734 . و « استوى الشيء » اعتدل ، و « سوّيته » عدلته .

و « النملة » واحدة « النمل » ، و « الجثّة » بالضمّ للانسان ، شخصه قاعدا أو نائما ، فان كان منتصبا فهو طلّ بالتحريك ، و الشخص عام ، كذا قيل . و في القاموس :

« جثّة الانسان » شخصه . و « لطف الشيء ككرم لطافة بالفتح » و قيل : هو اسم أي صغر و دقّ ، و « الهيئة » حال الشيء و كيفيّته . و « نلته بالكسر أنيله » أي أصبته . و « اللحظ » في الاصل ، النظر بمؤخّر العين و هو أشدّ التفاتا من الشزر و في بعض النسخ : « بلحظ النظر » . و « استدرك الشيء و أدركه » بمعنى ، ذكره الجوهريّ و « استدركت ما

فات و تداركته » بمعنى ، و « استدركت الشيء بالشيء » أي حاولت إدراكه به ، و « الفكر » كعنب جمع « فكرة » بالكسر و هو إعمال النظر ،

و قيل : اسم من الافتكار كالعبرة من الاعتبار ، و في بعض النسخ : « الفكر » بسكون العين ، و مستدرك الفكر على بناء المفعول يحتمل أن يكون مصدرا أي إدراك الفكر أو يطلبها الادراك ، و لعلّه أنسب بقوله عليه السلام « بلحظ البصر » و أن يكون اسم مفعول أي بالفكر الّذي يدركه الانسان و يصل إليه أو يطلب إدراكه أي منتهى طلبه لا يصل إلى إدراك ذلك ، و أن يكون اسم مكان ، و الباء بمعنى في . و « دبّ » كفّر أي مشى رويدا . و « صبّت » على بناء المفعول من الصبّ و هو في الأصل الاراقة ، و قيل : هو على العكس ، أي صبّت رزقها عليها و الظاهر أنّه لا حاجة إليه ، أي كيف الهمت حتّى انحطّت على رزقها ، و استعير له الصبّ لهجومها عليه ، و في بعض النسخ : « و ضنّت » بالضاد المعجمة و النون على بناء المعلوم أي بخلت برزقها ، و ذكر دبيبها لأنّه متوقّف على القوائم و المفاصل و القوى الجزئية ، و تركّبها فيها

----

(734) الأنعام : 95 .

[210]

مع غاية صغرها على وجه تنتظم به حركاتها السريعة المتتابعة مظهر للقدرة و لطيف الصنعة ، و ذكر الصبّ أو الضنّة للدلالة على علمها بحاجتها إلى الرزق و حسن نظرها في الاعداد و الحفظ . و « الجحرة » بالضمّ ، الحفرة الّتي تحتفرها الهوامّ و السّباع لأنفسها .

و « أعدّه » أي هيّأه ، و « مستقرّها » موضع استقرارها . و « الورود » في الاصل ،

الاشراف على الماء للشرب ، و « الصدر » بالتحريك ، رجوع الشاربة من الورود ، كأنّ المعنى : تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها ، فانّها تظهر في المصيف و تخفى في الشتاء لعجزها عن البرد . و « كفل » كنصر و قيل : كعلم و شرف أي ضمن ،

قيل : تقول : « كفلته و به و عنه » إذا تحمّلت به . « بوفقها » أي بقدر كفايتها . 735 و « أغفلت الشيء إغفالا » أي تركته إهمالا من غير نسيان ، و « المنّان » المنعم المعطي من المنّ بمعنى العطاء لا من المنّة ، وقد يشتقّ منه و هو مذموم . و « حرمه » كمنعه ضدّ أعطاه و « الديّان » الحاكم و القاضي ، و قيل : القهّار ، و قيل : السائس و هو القائم على الشيء بما يصلحه كما تفعل الولاة و الامراء بالرعيّة ، و وجه المناسبة على الأخير واضح و لعلّه على الأوّل هو أنّ إعطاء كلّ شيء ما يستحقّه و لو على وجه التفضّل من فروع الحكم بالحق ، و على الثاني الاشعار بأنّ قهره سبحانه لا يمنعه عن العطاء كما يكون في غيره أحيانا . و « الصفا » مقصورا ، الحجارة ، و قيل : الحجر الصلد الضخم لا ينبت شيئا و الواحدة « صفاة » . و جمس و جمد بمعنى ، و قيل : أكثر ما يستعمل في الماء جمد ، و في السمن و غيره جمس ، و « صخرة جامسة » أي ثابتة في موضعها . و « الأكل » بالضمّ ، كما في بعض النسخ و بضمّتين كما في بعضها ،

المأكول ، و « الاكلة » بالضمّ ، اللقمة و « علوها و سفلها » بالضمّ فيهما في بعض النسخ ، و بالكسر في بعضها ، و الضميران كالسوابق .

قال بعض شرّاح النهج : « علوها » رأسها و ما يليه إلى الجزء المتوسّط ، و يحتمل رجوعهما إلى المجاري . و « الشراسيف » مقاط الأضلاع و هي أطرافها الّتي تشرف على البطن ، و قيل : « الشرسوف » كعصفور غضروف معلّق بكلّ ضلع

----

(735) أو بما يوافقها من الرزق .

[211]

مثل غضروف الكتف ، و لا حاجة إلى الحمل على المجاز كما يظهر من كلام بعض الشارحين . و « الاذن » بضمّتين في النسخ . و « القضاء » يكون بمعنى الأداء ،

قال اللّٰه تعالى : « فإذا قضيتم مناسككم » 736 و قال : « فإذا قضيتم الصّلاة » 737 . و « قضاء العجب » التعجّب أو التعجّب الكامل ، و قال بعض الشارحين : يحتمل أن يكون بمعنى الموت من قولهم : « قضى فلان » أي مات ، أي لقضيت نحبك من شدّة تعجّبك ، و يكون « عجبا » نصبا على المفعول له ، و لا يخفى بعده . و « الدعامة و الدعام » بالكسر فيهما ، عماد البيت ، و الخشب المنصوب للتعريش و فيه تشبيه لها بالبيت المبنيّ على الدعائم . و في بعض النسخ : « لم يعنه » . و « الضرب في الأرض » السير فيها أو الاسراع فيه . و « الدلالة » بالفتح كما في بعض النسخ و بالكسر كما في بعضها ، الاسم من قولك : « دلّه إلى الشيء و عليه » أي أرشده و سدّده . و « الغامض » خلاف الواضح ، و الغرض من الكلام دفع توهّم يسير الخلق و سهولة الابداع في بعض الأشياء للصغر و خفاء دقائق الصنع . و « الجليل » العظيم ،

يقال : « جلّ كفر جلالة » بالفتح ، أي عظم ، و الغرض استواء نسبة القدرة الكاملة إلى الأنواع ، كذلك السماء قيل : المشبّه به الأمور المتضادّة السابقة ، و المشبّه هو السماء و الهواء و الرياح و الماء و وجه الشبه هو حاجتها في خلقها و تركيبها و أحوالها المختلفة و المتفقة إلى صانع حكيم ، و يحتمل أن يكون التشبيه في استواء نسبة القدرة .

« فانظر إلى الشمس و القمر . . . الخ » أي تدبّر فيما أودع في هذه الاشياء من غرائب الصنعة و لطائف الحكمة ، و قيل : استدلال بامكان الاعراض على ثبوت الصانع بأن يقال : كلّ جسم يقبل لجسميّته المشتركة بينه و بين سائر الاجسام ما يقبله غيره من الأجسام فاذا اختلف الاجسام في الاعراض فلا بدّ من مخصّص و هو الصانع الحكيم . انتهى .

و « اختلاف الليل و النهار » تعاقبهما . و « فجّر الماء » أي فتح له طريقا فتفجّر ، و « انفجر » أي جرى و سال ، و المراد بالبحار الأنهار العظيمة أو البحار المعروفة ،

----

(736) *البقرة : 200* .

----

(737) *النساء : 103* .

و « تفجرها » جريانها لو وجدت طريقا . و « القلال » كجبال جمع « قلّة » بالضمّ ،

و هي أعلى الجبل ، و قيل : الجبل . و « تفرّق اللغات » اختلافها و تباينها كما قال عزّ و جلّ : « و اختلاف السنتكم و الوانكم » 738 . و « الويل » الحزن و الهلاك و المشقّة من العذاب ، و علم واد في جهنّم و الجملة تحتمل الاخبار و الدعاء . قال سيبويه : « الويل » مشترك بين الدعاء و الخبر .

و المراد بالنبات ما ينبت في الصحاري و الجبال من غير زرع ، و ليس المراد أنّ النبات ليس له مقدّر و لا مدبّر ، بل المعنى أنّ النبات المذكور كما أنّه ليس له مدبّر من البشر يزعمون أنّ الانسان يحصل من غير مدبر أصلا ، و قيل : المراد أنّهم قاسوا أنفسهم على النبات الّذي جعلوا من الأصول المسلّمة أنّه لا مقدّر له بل ينبت بنفسه من غير مدبّر ،

و ذكر الاختلاف في الصور لأنّه من الدلائل الواضحة على الصانع لم يلجأوا أي لم يستندوا ، و الغرض استنادهم في دعواهم إلى قياس باطل و ظنّ ضعيف كما قال عزّ و جلّ : « و ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون » 739 . و « أوعى الشيء » و « وعاه » على المجرّد كما في بعض النسخ ، أي حفظه و جمعه ، أي لم يرتّبوا العلوم الضروريّة ، و لم يحصّلوا المقدّمات على وجهها حتّى تفضي إلى نتيجة صحيحة . و « جنى فلان جناية » بالكسر ، أي جرّ جريرة على نفسه و قومه ، و يقال : « جنيت الثمرة أجنيها و اجتنيتها » أي اقتطفتها ، و اسم الفاعل منها « جان » إلاّ أنّ المصدر من الثاني « جنى » لا جناية . و الغرض دعوى الضرورة في الاحتياج إلى الصانع و الفاعل كالبناء و الجناية لا الاستناد إلى القياس .

« قلت في الجرادة » أي تكلّمت في بديع صنعتها و عجيب فطرتها . و « أسرج لها حدقتين » أي جعلهما مضيئتين كالسراج ، « قمراوين » أي منيرتين كالليلة القمرآء المضيئة بالقمر . و « جعل لها السمع الخفيّ » أي عن أعين الناظرين ، و قيل : المراد بالخفيّ اللطيف السامع لخفيّ الاصوات ، فوصف بالخفّة مجازا من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل و هو أنسب بقوله عليه السلام « و جعل لها الحسّ القويّ » ، و

----
(738) الروم : 22 .

----
(739) الجاثية : 24 .

[213]

قيل : أراد بحسّها قوّتها الوهميّة و بقوّته حذفتها فيما ألهمت إيّاه من وجوه معاشها و تصرّفها يقال : « لفلان حسّ حاذق » إذا كان ذكيّا فطنا درّاكا . و « الناب » في الاصل ، السنّ خلف الرباعيّة . و « قرض » كضرب أي قطع . و « المنجل » كمنبر حديدة يقضب بها الزرع و قيل : « المنجلان » رجلاها شبّههما بالمناجل لعوجهما و خشونتهما . و « رهبه » كعلم أي خاف . و « ذبّ عن حريمه » كمدّ أي دفع و حمى . و « أجلبوا » أي تجمّعوا و تألّبوا ، و « أجلب على فرسه » أي استحثّه للعدو بوكز أو صياح أو نحو ذلك ، « بجمعهم » أي بأجمعهم ، و كلمة « لو » للوصل . و « الحرث » الزرع . و « نزا » كدعا أي وثب . « و خلقها » الجملة حاليّة . و « استدقّ » صار دقيقا . « الّذي يسجد [له] . . . » أي حقيقة فإنّه يسجد له الملائكة و المؤمنون من الثقلين « طوعا » حالتي الشدّة و الرخاء ، و الكفرة له « كرها » حال الشدّة و الضرورة أو أعمّ منها و من السجدة المجازية و هي الخضوع و الدخول تحت ذلّ الافتقار و الحاجة كما مرّ مرارا . و « العفر » بالتحريك و قد يسكن ، وجه الارض و يطلق على التراب و « عفرة في التراب كضرب و عفره تعفيرا » أي مرغه فيه ، و كان التعفير في البعض كأهل السماوات كناية عن غاية الخضوع . و « الالقاء بالطاعة » مجاز عن الانقياد ، و في بعض النسخ : « بالطاعة إليه » . و « السلم » بالكسر كما في بعض النسخ ، الصلح و بالتحريك كما في بعضها ، الاستسلام و الانقياد . و « القياد » بالكسر ، ما يقاد به و « إعطاء القياد » الانقياد . و « الرهبة » الخوف ، و « أرسى » أي أثبت ، و « الندى » [740] البلل و المطر ، و « اليبس » بالتحريك ، ضدّ الرطوبة ، و « طريق يبس » أي لا نداوة فيه و لا بلل . و « الحمام » بالفتح ، كلّ ذي طوق من الفواخت و القماريّ و الوراشين و غيرها ، و الحمامة تقع على الذكر و الأنثى كالحيّة و النعامة ، و اسم الجنس من النعامة « نعام » بالفتح و الغرض بيان عموم علمه سبحانه و قدرته . « دعا كلّ طائر باسمه » قيل : « الدعاء » استعارة في أمر

[740] « الندى » هنا مقابل اليبس فيعمّ الماء كأنّه يريد أنّ اللّه جعل من الطير ما تثبت أرجله في الماء و منه ما لا يمشي إلّا على الأرض اليابسة .

[214]

كلّ نوع بالدخول في الوجود ، و قد عرفت أنّ ذلك الأمر يعود إلى حكم القدرة الالهيّة عليه بالدخول في الوجود كقوله تعالى : « فقال لها و للأرض ائتيا الآية » 741 .

و لمّا استعار الدعا رشّح بذكر الاسم لأنّ الشيء إنّما يدعى باسمه ، و يحتمل أن يريد الاسم اللغويّ و هو العلامة ، فإنّ لكلّ نوع من الطير خاصّة و سمة ليست للآخر ، و يكون المعنى أنّه تعالى أجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات و الخواصّ في العلم الالهيّ و اللوح المحفوظ ، و قال بعضهم : أراد أسماء الاجناس و ذلك أنّ اللّه تعالى كتب في اللوح المحفوظ كلّ لغة تواضع عليها العباد في المستقبل و ذكر الأسماء الّتي يتواضعون عليها ، و ذكر لكلّ اسم مسمّاه فعند إرادة خلقها نادى كلّ نوع باسمه فأجاب داعيه و أسرع في إجابته . و « كفل برزقه » أي ضمن . و « السحاب » جمع « سحابة » و هي الغيم . و « الهطل » بالفتح ، تتابع المطر أو الدمع و سيلانه ، و قيل : تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر ، و « الديمة » بالكسر ،

مطر يدوم في سكون بلا رعد و برق و الجمع « ديم » كعنب . و « تعديد القسم » إحصاء ما قدّر منها لكلّ بلد و أرض على وفق الحكمة . و « البلّة » بالكسر ، ضدّ الجفاف ، يقال : « بلّه فابتلّ » . و « الجفوف » بالضمّ ، الجفاف بالفتح . و « الجدوب » بالضمّ ، انقطاع المطر و يبس الارض . 742

[هذا بيان آخر في شرح جزء من الخطبة :]

إيضاح : « الدالّ على قدمه بحدوث خلقه » فيه و فيما بعده دلالة على أنّ علّة الفاقة إلى المؤثّر الحدوث ، و أنّه لا يعقل التأثير في الأزليّ القديم . [743] و كذا قوله « مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته » .

يد ، ن : حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ رضوان اللَّه عليه قال : حدّثنا أبو سعيد الحسن بن عليّ العدويّ ، قال :

----

(741) فصّلت : 11 .

----

(742) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 64 ، كتاب السماء و العالم ، ص 40 46 .

[743] الحدوث و القدم قد يستعملان بمعنى المسبوقيّة بالعدم الذاتي و مقابلها ، و قد يستعملان بمعنى المسبوقيّة بالعدم الزماني

[215]

حدثنا الهيثم بن عبد اللَّه الرمانيّ ، قال : حدّثني عليّ بن موسى الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر ابن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام ، قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس في مسجد الكوفة ، فقال :

الحمد للَّه الّذي لا من شيء كان ، و لا من شيء كون ما قد كان ، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته ، و بما وسمها به من العجز على قدرته ، و بما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه ، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّة ، و لاله شبح مثال فيوصف بكيفيّة ، و لم يغب عن شيء فيعلم بحيثيّة ، مبائن لجميع ما أحدث في الصفات ،

و ممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات ، و خارج بالكبرياء و العظمة من جميع تصرّف الحالات ، محرّم على بوارع ناقبات الفطن تحديده ، و على عوامق ثاقبات

و مقابلها . فإن كان المراد بهما في كلامه عليه السلام المعنى الأوّل كان المعنى أنّ العالم لمكان إمكانه يدلّ على وجود الواجب ، و إن كان المراد بالحدوث الزماني و بالقدم القدم الذاتيّ كان المعنى أن الحدوث الزماني في الزمانيات دليل على وجود الواجب ، و ذلك لأنّ الحدوث تغيّر و التغيّر يختصّ بالممكن و الممكن يحتاج إلى الواجب ، و أيضا الحادث مسبوق بالعدم و كلّ ما كان كذلك أمكن عدمه فاحتاج في الوجود إلى الواجب ، و إن كان المراد بهما الحدوث و القدم الزمانيّين كان المعنى أنّ الحدوث الزمانيّ في الزمانيّات يدلّ على كون الواجب قديما غير مقيّد بالزمان و ذلك لأنّ الحدوث نقص و محدوديّة و وجود الواجب تامّ و فوق التمام ، فلا يتّصف به ، و إن كان المراد بالحدوث ، الحدوث الذاتيّ و بالقدم ، القدم القدم الزمانيّ كان المعنى أنّ إمكان الخلق يدلّ على قدم الواجب و عدم تقيّده بالزمان ، لكنّه في غاية البعد . و على الأوّلين فكلامه عليه السلام ناظر إلى إثبات الواجب و على الآخرين فناظر إلى إثبات قدمه . و على كلّ حال فلا يستفاد من كلامه عليه السلام أنّ ما يحتاج إلى العلّة ينحصر في الحادث الزمانيّ بحيث لو فرض ممكن غير حادث زمانا لم يحتج إلى الواجب . فتأمّل . و أمّا تحقيق القول في أنّ ملاك الاحتياج إلى العلّة هل هو الحدوث أو الإمكان ، فله محلّ آخر .

و أمّا النكتة في جعله عليه السلام « الدالّ » صفة له سبحانه لا لخلقه مع أنّ الظاهر أنّ الخلق يدلّ بحدوثه على قدم الواجب ،

فهي أنّ الّذي يدلّ الناس إلى الحقّ حقيقة هو الحقّ سبحانه كما في الدعاء المأثور : « و أنت دلّلتني عليك و دعوتني إليك » ،

و يدلّ على ذلك روايات كثيرة و أدعية مأثورة و وجوه عقليّة يضيق المجال عن ذكرها .

[216]

الفكر تكييفه ، و على غوائص سابحات النظر تصويره ، لا تحويه الأماكن لعظمته ، و لا تذرعه المقادير لجلاله ، و لا تقطعه المقائيس لكبريائه ، ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه ،

و عن الأفهام أن تستغرقه ، و عن الأذهان أن تمتثله . قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول ، و نضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم ، و رجعت بالصغر عن السموّ إلى وصف قدرته لطائف الخصوم . واحد لا من عدد ، و دائم لا بأمد ، و قائم لا بعمد ، و ليس بجنس فتعادله الأجناس ، و لا بشبح فتضارعه الأشباح ، و لا كالأشياء فتقع عليه الصفات . قد ضلّت العقول في أمواج تيّار إدراكه ، و تحيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليّته ، و حصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته ،

و غرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته . مقتدر بالآلاء ، و ممتنع بالكبرياء ، و متملّك على الأشياء ، فلا دهر يخلقه ، و لا وصف يحيط به . قد خضعت له رواتب الصعاب في محلّ تخوم قرارها ، و أذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهق أقطارها .

مستشهد بكليّة الأجناس على ربوبيّته ، و بعجزها على قدرته ، و بفطورها على قدمته ،

و بزوالها على بقائه ، فلا لها محيص عن إدراكه إيّاها ، و لا خروج من إحاطته بها ، و لا احتجاب عن إحصائه لها ، و لا امتناع من قدرته عليها ، كفى بإتقان الصنع لها آية ،

و بمركب الطبع عليها دلالة ، و بحدوث الفطر عليها قدمة ، و باحكام الصنعة لها عبرة ،

فلا إليه حدّ منسوب ، و لا له مثل مضروب ، و لا شيء عنه بمحجوب ، تعالى عن ضرب الأمثال و الصفات المخلوقة علوّا كبيرا ، و أشهد أن لا إله إلاّ هو إيمانا بربوبيّته ،

و خلافا على من أنكره ، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، و المقرّ في خير مستقرّ ، المتناسخ من أكارم الأصلاب و مطهّرات الأرحام ، المخرج من أكرم المعادن محتدا ، و أفضل المنابت منبتا ، من أمنع ذروة [744] و أعزّ أرومة ، من الشجرة الّتي صاغ اللّه منها أنبياءه [745] ، و انتجب منها أمناءه ، الطيّبة العود ، المعتدلة العمود ، الباسقة الفروع ،

[744] « أمنع » من « منع جاره » أي حامى عنه و صانه من أن يضام ، أو من « منع الحصن » أي تعسّر الوصول إليه ، يقال :

« مكان منيع » و يقال : « امرأة منيعة » كناية عن العفيفة . و « الذروة » بضمّ الذال و كسرها و سكون الراء ، العلوّ و المكان المرتفع و أعلى الشيء . و لعلّه إشارة إلى شرف والدته صلّى اللّه عليه و آله و مجدها و علوّ نسبها و حسبها و قداستها و شدّة عفّتها .

[745] « صاغ الشيء » هيّأه على مثال مستقيم .

الناضرة الغصون [746] ، اليانعة الثمار ، الكريمة الحشا [747] ، في كرم غرست [748] و في حرم أنبتت [749] ، و فيه تشعّبت و أثمرت و عزّت و امتنعت فسمت به و شمخت حتّى أكرمه اللّه عزّ و جلّ بالروح الأمين و النور المنير ، و الكتاب المستبين ، و سخّر له البراق ، و صافحته الملائكة ، و أرعب به الأبالس ، و هدم به الأصنام و الآلهة المعبودة دونه ، سنّته الرشد ، و سيرته العدل ، و حكمه الحقّ ، صدع بما أمره ربّه ، و بلّغ ما حمّله ،

حتّى أفصح بالتوحيد دعوته ، و أظهر في الخلق أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له ،

حتّى خلصت الوحدانيّة و صفت الربوبيّة [750] ، و أظهر اللّه بالتوحيد حجّته ، و أعلى بالاسلام درجته ، و اختار اللّه عزّ و جلّ لنبيّه ما عنده من الروح و الدرجة و الوسيلة . صلّى اللّه عليه و على آله الطاهرين .

بيان : قوله عليه السلام « و لا من شيء كوّن ما قد كان » ردّ على من يقول بأنّ كلّ حادث مسبوق بالمادّة . « المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته » ،

« الاستشهاد » طلب الشهادة أي طلب من العقول بما بيّن لها من حدوث الأشياء الشهادة على أزليّته ، أو من الأشياء أنفسها بأن جعلها حادثة فهي بلسان حدوثها تشهد

[746] « نضر الشجر » أخضر و حسن و كان جميلا .

[747] « الحشا » ما انضمّت عليه الضلوع . ما في البطن . و الجمع « الأحشاء » . و يقال : « فلان في حشا فلان » أي في كنفه ،

و « فلان خيرهم حشا » أي رعاية .

[748] « الكرم » بفتح الكاف و الراء ، صفة بمعنى الكريم و الطيب ، يستوي فيه المذكّر و المؤنّث و المفرد و الجمع ، يقال : رجل كرم و نساء كرم و أرض كرم . و بسكون الراء يأتي بمعنى أرض منقاة من الحجارة .

[749] « الحرم » بفتح الحاء و الراء ، مصدر بمعنى ما يحميه الرجل و يدافع عنه ، و بالضمّتين جمع « الحريم » كلّ موضع تجب حمايته ،

و « حريم الرجل » ما يدافع عنه و يحميه ، و منه سمّيت نساء الرجل بالحريم .

[750] أي خلصت و نقيت .

[218]

على أزليّته ، و المعنى على التقديرين أنّ العقل يحكم بأنّ كلّ حادث يحتاج إلى موجد ،

و أنّه لا بدّ من أن تنتهي سلسلة الاحتياج إلى من لا يحتاج إلى موجد فيحكم بأنّ علّة العلل لا بدّ أن يكون أزليّا ، و إلاّ لكان محتاجا إلى موجد آخر بحكم المقدّمة الأولى .

« و بما و سمها به من العجز على قدرته » ، « الوسم » الكليّ ،

شبّه عليه السلام ما أظهر عليها من آثار العجز و الإمكان و الاحتياج بالسمة الّتي تكون على العبيد و النعم و تدلّ على كونها مقهورة مملوكة . « و بما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه » إذ فناؤها يدلّ على إمكانها و حدوثها فيدلّ على احتياجها إلى صانع ليس كذلك .

« لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّة » أي ليس ذا مكان حتى يكون في مكان دون مكان كما هو من لوازم المتمكّنات فيدرك بأنّه ذو أين و مكان ، بل نسبة المجرّد إلى جميع الأمكنة على السواء ، و لم يخل منه مكان من حيث الإحاطة العلمية و العلّيّة و الحفظ و التربية ، أو أنّه لم يخل منه مكان حتّى يكون إدراكه بالوصول إلى مكانه بل آثاره ظاهرة في كلّ شيء . « و لا له شبح مثال فيوصف بكيفيّة » إضافة الشبح بيانيّة ،

أي ليس له شبح مماثل له لا في الخارج و لا في الأذهان فيوصف بأنّه ذو كيفيّة من الكيفيّات الجسمانيّة أو الإمكانيّة و يحتمل أن يكون المراد بالكيفيّة الصورة العلميّة .

« و لم يغب عن شيء فيعلم بحيثيّة » أي لم يغب عن شيء من حيث العلم حتى يعلم أنّه ذو حيث و مكان إذ شأن المكانيّات أن يغيبوا عن شيء فلا يحيطوا به علما فيكون كالتأكيد للفقرة السابقة ، و يحتمل أن يكون « حيث » هنا للزمان ، قال ابن هاشم : قال الأخفش : و قد ترد « حيث » للزمان ، أي لم يغب عن شيء بالعدم ليكون وجوده مخصوصا بزمان دون زمان ، و يحتمل على هذا أن يكون إشارة إلى ما قيل من أنّه تعالى لمّا كان خارجا عن الزمان فجميع الازمنة حاضرة عنده كخيط مع ما فيه من الزمانيّات و إنّما يغيب شيء عمّا لم يأت إذا كان داخلا في الزمان . و يحتمل أن تكون الحيثية تعليليّة أي لم يجهل شيئا فيكون علمه به معلّلا بعلّة ، و على هذا يمكن أن يقرأ « يعلم » على بناء المعلوم . و في التوحيد : لم يغب عن علمه شيء .

[219]

« و ممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات » أي أظهر بما أبدع من الذوات المتغيّرة المنتقلة من حال إلى حال أنّه يمتنع إدراكه إمّا لوجوب وجود المانع من حصول حقيقته في الأذهان لما مرّ ، أو لأنّ حصوله فيها يستلزم كونه كسائر

الذوات الممكنة محلاّ للصفات المتغيّرة فيحتاج إلى صانع ، أو لأنّ العقل يحكم بمباينة الصانع للمصنوع في الصفات فلا يدرك كما تدرك تلك الذوات ، و يحتمل أن يكون الظرف متعلّقا بالادراك ، أي يمتنع عن أن يدرك بخلقه أي بمشابهتها ، أو بالصور العلميّة الّتي هي مخلوقة له .

« من جميع تصرّف الحالات » أي الصفات الحادثة المتغيّرة . « محرّم على بوارع ناقبات الفطن تحديده » ، « البوارع » جمع « البارعة » و هي الفائقة . و « النقب » الثقب ، و لعلّ المراد بالتحديد العقليّ ، و يحتمل الأعمّ . و « الثاقبات » النافذات أو المضيئات . و « التكييف » إثبات الكيف له أو الإحاطة بكيفيّة ذاته و صفاته أي كنهها . و كذا « التصوير » إثبات الصورة ، أو تصوّره بالكنه ، و الأخير فيهما أظهر .

قوله « لعظمته » أي لكونه أعظم شأنا من أن يكون محتاجا إلى المكان .

قوله عليه السلام « لجلاله » أي لكونه أجلّ قدرا عن أن يكون ذا مقدار .

قوله عليه السلام « و لا تقطعه » من « قطعه » كسمعه أي أبانه ، أو من « قطع الوادي و قطع المسافة » ، و « المقائيس » أعمّ من المقائيس الجسمانيّة و العقلانيّة . و « الكنه » بالضمّ ، جوهر الشيء و غايته و قدره و وقته و وجهه ، و « اكتنهه و أكنهه » بلغ كنهه ، ذكره الفيروز آباديّ .

قوله عليه السلام « أن تستغرقه » قال الفيروز آباديّ : « استغرق » استوعب ، و في التوحيد : « أن تستعرفه » أي تطلب معرفته . قوله عليه السلام « أن تمتثله » قال الفيروز آباديّ : « امتثله » تصوّره ، و في التوحيد : « تمثّله » . قوله « من استنباط » أي استخراج الإحاطة به و بكنهه . « طوامح العقول » أي العقول الطامحة الرفيعة ، و كلّ مرتفع طامح .

قوله عليه السلام « و نضبت » يقال : « نضب الماء نضوبا » أي غار أي

[220]

يبست بحار العلوم قبل أن تشير إلى كنه ذاته ، أو تبيّن غاية صفاته . قوله « بالصغر » بالضمّ ، أي مع الذلّ . و « السموّ » الارتفاع و العلوّ ، و لعلّ إضافة اللطائف إلى الخصوم ليست من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف ، بل المراد المناظرات اللطيفة بينهم ،

أو فكرهم الدقيقة ، أو عقولهم و نفوسهم اللّطيفة .

قوله عليه السلام « واحد لا من عدد » أي من غير أن يكون فيه تعدّد ، أو من غير أن يكون معه ثان من جنسه . و « الأمد » الغاية ، و « العمد » بالتحريك ، جمع « العمود » أي ليس قيامه قياما جسمانيّا يكون بالعمد البدنيّة أو بالاعتماد على الساقين ، أو أنّه قائم باق من غير استناد إلى سبب يعتمد عليه و يقيمه كسائر الموجودات الممكنة . قوله عليه السلام « ليس بجنس » أي ذا جنس ، فيكون ممكنا معادلا لسائر الممكنات الداخلة تحت جنسه أو أجناسها . و « الشبح » بالتحريك ،

الشخص ، و جمعه أشباح . و « المضارعة » المشابهة : و قال الجزريّ : « التيّار » موج البحر و لجّته . انتهى . و « حصر الرجل » كعلم تعب ، و « حصرت صدورهم » ضاقت ،

و كلّ من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه ، ذكرها الجوهريّ . و « الاستشعار » لبس الشعار و الثوب الّذي يلي الجسد كناية عن ملازمة الوصف ، و يحتمل أن يكون المراد به هنا طلب العلم و الشعور . و « الملكوت » الملك و العزّة و السلطان .

قوله عليه السلام « بالآلاء » أي عليها . و « التملّك » الملك قهرا ، و ضمّن معنى التسلّط و الاستيلاء ، و في بعض نسخ التوحيد : مستملك . قوله « يخلقه » من باب الإفعال من « الخلق » ضدّ الجديد . و « الراتب » الثابت ، و « الصعب » نقيض الذلول ، و « التخم » منتهى الشيء ، و الجمع « التخوم » بالضمّ . و « الرصين » المحكم الثابت ، و « أسباب السماء » مراقيها أو نواحيها أو أبوابها ، و « الشاهق » المرتفع من الجبال و الأبنية و غيرها . فرواتب الصعاب إشارة إلى الجبال الشاهقة الّتي تشبه الإبل الصعاب حيث أثبتها بعروقها إلى منتهى الأرض ، و يحتمل أن تكون إشارة إلى جميع الأسباب الأرضيّة من الأرض و الجبال و الماء و الثور و السمكة و الصخرة و غيرها حيث

[221]

أثبت كلاّ منها في مقرّها بحيث لا يزول عنه و لا يتزلزل و لا يضطرب . و إنّما عبّر عنها بالصعاب إشارة إلى أنّ من شأنها أن تضطرب و تزلزل لو لا أنّ اللّه أثبتها بقدرته . و رواصن الأسباب إشارة إلى الأسباب السماويّة من الأفلاك و الكواكب حيث رتّبها على نظام لا يختلّ و لا يتبدّل و لا يختلف ، و لذا أورد عليه السلام في الأوّل التخوم و في الثاني الشواهق . و ما بعد ذلك من الفقرات مؤكّدة لما مرّ . و « الإدراك و الإحاطة و الإحصاء » كلّ منها يحتمل أن يكون بالعلم أو بالقدرة و العلّيّة و القهر و الغلبة ، أو بالمعنى الأعمّ ، أو بالتوزيع .

قوله عليه السلام « كفى بإتقان الصنع » الباء زائدة أي كفى إحكام صنعه تعالى للأشياء لكونها آية لوجوده و صفاته الكماليّة . و « المركب » مصدر ميميّ بمعنى الركوب ، أي كفى ركوب الطبائع و غلبتها على الأشياء للدلالة على من جعل الطبائع فيها و جعلها مسخّرة لها ، و يحتمل أن يكون اسم مفعول من التركيب كما يقال : « ركّبت الفصّ في الخاتم أو عليه » ، أي كفى الطبع الّذي ركّب على الأشياء دلالة على مركّبها . و على التقديرين ردّ على الطبيعيّين المنكرين للصانع بإسناد الأشياء إلى الطبائع . و « الفطر » الخلق و الابتداء و الاختراع ، و يحتمل أن يكون هنا « الفطر » بكسر الفاء و فتح الطاء على صيغة الجمع ، أي كفى حدوث الخلق على الأشياء دلالة على قدمه .

قوله عليه السلام « فلا إليه حدّ » أي ليس له حدّ ينسب إليه . قوله « إيمانا » حال أو مفعول لأجله ، و كذا قوله « خلافا » . قوله عليه السلام « المقرّ » على صيغة المفعول ، و « خير مستقرّ » المراد به إمّا عالم الأرواح أو الأصلاب الطاهرة أو أعلى علّيّين بعد الوفاة .

قوله « المتناسخ » أي المتزايل و المنتقل . و « المحتد » بكسر التاء ، الأصل ،

يقال : « فلان في محتد صدق » ذكره الجوهريّ . و « المنبت » بكسر الباء ، موضع النبات . و « الأرومة » بفتح الهمزة و ضمّ الراء ، أصل الشجرة و « بسق النخل بسوقا »

[222]

طال ، و منه قوله تعالى : « و النّخل باسقات » 751 . و « اليانع » النضيج . و « الحشا » واحد أحشاء البطن ، و المراد هنا داخل الشجرة و يحتمل أن يكون من قولهم « أنا في حشاه » أي في كنفه و ناحيته . و « سمت و شمخت » كلاهما بمعنى ارتفعت .

و الباء في قوله « به » لتعديتهما . و المراد بالشجرة ، الإبراهيميّة ، ثمّ القرشيّة ، ثمّ الهاشميّة . و « صدع بالحقّ » تكلّم به جهارا . و « الإفصاح » البيان بفصاحة ، أي أظهر دعوته متلبّسا بالتوحيد ، و يمكن أن تقرأ « دعوته » بالرفع ليكون فاعل الإفصاح و الضمير في قوله « حجّته و درجته » راجع إلى الرسول . 752

186 و من خطبة له عليه السلام في التوحيد ، و تجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

ما وحّده من كيّفه ، و لا حقيقته أصاب من مثّله ، و لا إيّاه عنى من شبّهه ، و لا صمده (2388) من أشار إليه و توهّمه . كلّ معروف بنفسه مصنوع (2389) ، و كلّ قائم في سواه معلول . فاعل لا باضطراب آلة .

مقدّر لا بجول فكرة ، غنيّ لا باستفادة . لا تصحبه الأوقات ، و لا ترفده (2390) الأدوات ، سبق الأوقات كونه ، و العدم وجوده ، و الابتداء أزله . بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له (2391) ، و بمضادّته بين الأمور عرف أن لا ضدّ له ، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين 751 ق : 10 .

752 بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 221 .

[223]

له . ضادّ النّور بالظّلمة ، و الوضوح بالبهمة ، و الجمود بالبلل ،

و الحرور بالصّرد (2392) . مؤلّف بين متعادياتها ، مقارن بين متبايناتها ،

مقرّب بين متباعداتها ، مفرّق بين متدانياتها (2393) . لا يشمل بحدّ ،

و لا يحسب بعدّ ، و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، و تشير الآلات إلى نظائرها . منعتها « منذ » القدمة . و حمتها « قد » الأزليّة ، و جنّبتها « لو لا » التّكملة (2394) بها تجلّى صانعها للعقول ، و بها امتنع عن نظر العيون ،

و لا يجزي عليه السّكون و الحركة ، و كيف يجري عليه ما هو أجراه ،

و يعود فيه ما هو ابداه ، و يحدث فيه ما هو احدثه إذا لتفاوتت ذاته (2395) ، و لتجزّأ كنهه ، و لامتنع من الأزل معناه ، و لكان له وراء إذ وجد له أمام ، و لا لتمس التّمام إذا لزمه النّقصان . و إذا لقامت آية المصنوع فيه ، و لتحوّل دليلا بعد أن كان مدلولا عليه ، و خرج بسلطان الامتناع (2396) من أن يؤثّر فيه ما يؤثّر في غيره . الذي لا يحول و لا يزول ، و لا يجوز عليه الأفول (2397) . لم يلد فيكون مولودا (2398) ، و لم يولد فيصير محدودا . جلّ عن اتّخاذ الابناء ،

و طهر عن ملامسة النّساء . لا تناله الأوهام فتقدّره ، و لا تتوهّمه الفطن فتصوره ، و لا تدركه الحواس فتحسّه ، و لا تلمسه الأيدي فتمسّه . و لا يتغيّر بحال ، و لا يتبدّل في الأحوال . و لا تبليه اللّيالي و الأيّام ، و لا

[224]

يغيّره الضّياء و الظّلام . و لا يوصف بشيء من الأجزاء (2399) ، و لا بالجوارح و الأعضاء ، و لا بعرض من الأعراض ، و لا بالغيريّة و الأبعاض . و لا يقال : له حدّ و لا نهاية ، و لا انقطاع و لا غاية ، و لا أنّ الأشياء تحويه فتقلّه (2400) أو تهويه (2401) ، أو أنّ شيئا يحمله فيميله أو يعدّله . ليس في الأشياء بوالج (2402) ، و لا عنها بخارج . يخبر لا بلسان و لهوات (2403) ،

و يسمع لا بخروق و أدوات . يقول و لا يلفظ ، و يحفظ و لا يتحفّظ (2404) ،

و يريد و لا يضمر . يحبّ و يرضى من غير رقّة ، و يبغض و يغضب من غير مشقّة . يقول لمن أراد كونه : « كن فيكون » ، لا بصوت يقرع ،

و لا بنداء يسمع ، و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه و مثّله ، لم يكن من قبل ذلك كائنا ، و لو كان قديما لكان إلها ثانيا .

لا يقال : كان بعد أن لم يكن ، فتجري عليه الصّفات المحدثات ،

و لا يكون بينها و بينه فصل ، و لا له عليها فضل ، فيستوي الصّانع و المصنوع ، و يتكافا المبتدع و البديع . خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ، و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه . و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال ، و أرساها على غير قرار ، و أقامها بغير قوائم ،

و رفعها بغير دعائم ، و حصّنها من الأود (2405) و الاعوجاج ، و منعها من التّهافت (2406) و الانفراج (2407) . أرسى أوتادها (2408) ، و ضرب

[225]

أسدادها (2409) ، و استفاض عيونها ، و خدّ (2410) أوديتها ، فلم يهن (2411) ما بناه ، و لا ضعف ما قواه . هو الظّاهر عليها بسلطانه و عظمته ، و هو الباطن لها بعلمه و معرفته ، و العالي على كلّ شيء منها بجلاله و عزّته .

لا يعجزه شيء منها طلبه ، و لا يمتنع عليه فيغلبه ، و لا يفوته السّريع منها فيسبقه ، و لا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه . خضعت الأشياء له ، و ذلّت مستكينة لعظمته ، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه و ضرّه ، و لا كفء له فيكافئه ، و لا نظير له فيساويه . هو المفني لها بعد وجودها ، حتّى يصير موجودها كمفقودها .

و ليس فناء الدّنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها و اختراعها .

و كيف و لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها و بهائمها ، و ما كان من مراحها (2412) و سائمها (2413) ، و أصناف أسناخها (2414) و أجناسها ،

و متبلّدة (2415) أممها و أكياسها (2416) ، على إحداث بعوضة ، ما قدرت على إحداثها ، و لا عرفت كيف السّبيل إلى إيجادها ، و لتحيّرت عقولها في علم ذلك و تاهت ، و عجزت قواها و تناهت ، و رجعت خاسئة (2417) حسيرة (2418) ، عارفة بأنّها مقهورة ، مقرّة بالعجز عن إنشائها ، مذعنة بالضّعف عن إفنائها و إنّ اللّه ، سبحانه ، يعود بعد فناء الدّنيا وحده لا شيء معه . كما

[226]

كان قبل ابتدائها ، كذلك يكون بعد فنائها ، بلا وقت و لا مكان ،

و لا حين و لا زمان . عدمت عند ذلك الآجال و الأوقات ، و زالت السّنون و السّاعات . فلا شيء إلاّ اللّه الواحد القهار الّذي إليه مصير جميع الأمور . بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها ، و بغير امتناع منها كان فناؤها ، و لو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها .

لم يتكاءده (2419) صنع شيء منها إذا صنعه ، و لم يؤده (2420) منها خلق ما خلقه و برأه (2421) ، و لم يكونها لتشديد سلطان ، و لا لخوف من زوال و نقصان ، و لا للاستعانة بها على ندّ (2422) مكاثر (2423) ، و لا للاحتراز بها من ضدّ مثاور (2424) ، و لا للازدياد بها في ملكه ، و لا لمكاثرة شريك في شركه ، و لا لوحشة كانت منه ، فأراد أن يستأنس إليها .

ثمّ هو يفنيها بعد تكوينها ، لا لسأم دخل عليه في تصريفها و تدبيرها ، و لا لراحة و اصلة إليه ، و لا لثقل شيء منها عليه . لا يملّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها ، و لكنّه سبحانه دبّرها بلطفه ، و أمسكها بأمره ، و أتقنها بقدرته ، ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها ، و لا استعانة بشيء منها عليها ، و لا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس ، و لا من حال جهل و عمى إلى حال

[227]

علم و التماس ، و لا من فقر و حاجة إلى غنى و كثرة ، و لا من ذلّ وضعة إلى عزّ و قدرة .

بيان

قال بعض شرّاح النهج في قوله عليه السلام « و لتجزّأ كنهه » إشارة إلى نفي الجوهر الفرد . و قال : قوله عليه السلام « و لكان له وراء إذا كان له أمام » يؤكّد ذلك لأنّ من أثبته يقول يصحّ أن تحلّه الحركة و لا يكون أحد وجهيه غير الآخر .

فائدة اعلم أنّ الطبيعيّين و الرياضيين اتّفقوا على أنّ الأرض كرويّة بحسب الحسّ و كذا الماء المحيط بها ، و صارا بمنزلة كرة واحدة ، فالماء ليس بتامّ الاستدارة بل هو على هيئة كرة مجوّفة قطع بعض منها و ملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء بمنزلة كرة واحدة ، و مع ذلك ليس شيء من سطحيه صحيح الاستدارة ، أمّا المحدّب فلما فيه من الأمواج ، و أمّا المقعر فللتضاريس فيه من الأرض . و قد أخرج اللّه تعالى قريبا من الربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة ،

أو لبعض الأسباب المتقدّمة لتكون مسكنا للحيوانات المتنفّسة و غيرها من المركّبات المحوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور و الأشكال و ربط الأعضاء و الأوصال . و ممّا يدلّ على كرويّة الأرض ما أومأنا إليه سابقا من طلوع الكواكب و غروبها في البقاع الشرقيّة قبل طلوعها و غروبها في الغربيّة بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع في الجهتين على ما علم من ارصاد كسوفات بعينها لا سيّما القمريّة في بقاع مختلفة ، فإنّ ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور ،

و كون الاختلاف متقدّرا بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المتشابهة السائرة بحدبتها المواضع الّتي يتلو بعضها بعضا على قياس واحد بين الخافقين ، و ازدياد ارتفاع القطب و الكواكب الشماليّة و انحطاط الجنوبيّة للسائرين إلى الشمال و بالعكس للسائرين إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب و الشمال ، و تركّب الاختلافين يعطي الاستداره في

جميع الامتدادات . و يؤيّده مشاهدة استدارة أطراف المنكسف من القمر الدالّة على أنّ الفصل المشترك بين المستضيء من الأرض و ما

[228]

ينبعث منه الظلّ دائرة ، و كذلك اختلاف ساعات النهر [753] الطوال و القصار في مساكن متّفقة الطول إلى غير ذلك . و لو كانت اسطوانيّة قاعدتاها نحو القطبين لم يكن لساكني الاستدارة كوكب أبديّ الظهور ، بل إمّا الجميع طالعة غاربة أو كانت كوكب يكون من كلّ واحد من القطبين على بعد تستره القاعدتان أبديّة الخفاء و الباقية طالعة غاربة و ليس كذلك ، و أيضا فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائما كواكب كانت تظهر له ، و تظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السير ، و ذلك يدلّ على استدارتها في هاتين الجهتين أيضا . و ممّا يدلّ على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشامخة على السائرين في البحر أوّلا ثمّ ما يلي رؤوسها شيئا بعد شيء في جميع الجهات . و قالوا : التضاريس الّتي على وجه الأرض من جهة الجبال و الاغوار لا تقدح في كرويّتها الحسيّة ، إذ ارتفاع أعظم الجبال و أرفعها على ما وجدوه فرسخان و ثلث فرسخ ، و نسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقلّ من ذلك . و يظهر من كلام أكثر المتأخّرين أنّ عدم قدح تلك الأمور في كرويّتها الحسّيّة معناه أنّها لا تخلّ بشكل جملتها كالبيضة الزقت بها حبّات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها . و اعترض عليه بأنّ كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكرويّ أو البيضيّ عند الحسّ ممنوع ، و كيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كلّ منهما ما يخرج به الشكل ممّا اعتبروا فيه و عرّفوه به ؟

و ربما يوجّه بوجه آخر و هو أنّ الجبال و الوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الاحساس بجملة كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع . بيانه أنّ رؤية الأشياء تختلف بالقرب و البعد ، فيرى القريب أعظم ممّا هو الواقع و البعيد أصغر منه و هو ظاهر ، و قد أطبق القائلون بالانطباع و بخروج الشعاع كلّهم على أنّ هذا الاختلاف في رؤية المرئيّ بسبب القرب و البعد إنّما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليديّة في رأس المخروط الشعاعيّ بحسب التوهم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرئيّ ، فكلّما قرب المرئيّ عظمت تلك الزاوية ، و

[753] « النهر » بضمّتين ، جمع « النهار » .

[229]

كلّما بعد صغرت . و قد تقرّر أيضا بين محقّقيهم أنّ رؤية الشيء على ما هو عليه إنّما هو 754 في حالة يكون البعد بين الرائي و المرئيّ على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة . فبناءة على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى مرئيّ قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط و قاعدته المحيطة بالمرئيّ بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرّر في الأصول . فلمّا كان قطر الأرض أزيد من ألفي فرسخ بلا شبهة لا تكون مرئيّة على ما هي عليه من دون ألف فرسخ ، و معلوم أنّ الجبال و الوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلا يكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الّذي مهّدنا .

ثمّ إنّهم استعلموا بزعمهم مساحة الأرض و أجزاءها و دوائرها في زمان المأمون و قبله فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ ، و قصرها ألفين و خمسمائة و خمسة و أربعين فرسخا و نصف فرسخ تقريبا ، و مضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض و هي عشرون ألف ألف و ثلاثمئة و ستّون ألف فرسخ و ربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض . و أمّا القدر المعمور من الربع المسكون و هو ما بين خطّ الاستواء و الموضع الّذي عرضه بقدر تمام الميل الكلي فمساحته ثلاثة آلاف ألف و سبعمائة و خمسة و ستّين ألفا و أربعمائة و عشرين فرسخا و هو قريب من سدس سطح جميع الأرض و سدس عشره . و الفرسخ ثلاثة أميال بالاتّفاق ، و كلّ ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدّثين ، و ثلاثة آلاف عند القدماء ، و كلّ ذراع أربع و عشرون إصبعا عند المحدّثين ، و اثنان و ثلاثون عند القدماء . و كلّ إصبع بالاتّفاق مقدار ست شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة .

و ذكروا أنّ للأرض ثلاث طبقات : الأولى الأرض الصرفة المحيطة بالمركز ،

الثانية الطبقة الطينيّة و هي المجاورة للماء ، الثالثة الطبقة المنكشفة من الماء و هي الّتي تحتبس فيها الأبخرة و الأدخنة و تتولّد منها المعادن و النباتات و الحيوانات . و زعموا أنّ

----

(754) في (خ) : هي .

[230]

البسائط كلّها شفّافة لا تحجب عن إبصار ما ورائها ما عدا الكواكب ، و أنّ الأرض الصرفة المتجاوزة 755 للمركز أيضا شفّافة ، و الطبقتان الأخريان ليستا بسيطتين فهما كثيفتان . فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملوّنة كثيفة غبراء لتقبل الضياء و خلق ما فوقها من العناصر مشفّة لطيفة بالطباع لينفذ فيها و يصل إلى غيرها ساطع الشعاع ، فإنّ الكواكب و سيّما الشمس و القمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعّتها المستقيمة و المنعطفة و المنعكسة بإذن الله تعالى .

و قالوا : الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم ، و ذلك لتساوي ارتفاع الكواكب و انحطاطها مدّة ظهورها و ظهور النصف من الفلك دائما و تطابق أظلال الشمس في وقتي طلوعها و غروبها عند كونها على المدار الّذي يتساوى فيه زمان ظهورها و خفائها على خطّ مستقيم ، أو عند كونها في جزئين متقابلين من الدائرة الّتي يقطعها بسيرها الخاصّ بها ، و انخساف القمر في مقاطراته [756] الحقيقيّة للشمس ، فإنّ الأوّل يمنع ميلها إلى أحد الخافقين ، و الثاني إلى أحد السمتين ، الرأس و القدم ، و الثالث إلى أحد القطبين ، و الرابع إلى شيء منها أو من غيرها من الجهات كما لا يخفى . و كما أنّ مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها ، و ذلك لأنّ الثقال تميل بطبعها إلى الوسط كما دلّت عليه التجربة ، فهي إذن لا تتحرّك عن الوسط ، بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعا متساويا ، فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقيّ المتّحد بمركز حجمها التقريبيّ على مركز العالم و مستقرّها عند وسط العالم لتكافؤ القوى بلا تزلزل و اضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور ، و لكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لا يوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى أخرى بحركة شيء منها ، و كذا الأجزاء المبائنة لها تهوي إليها و هي تقبلها من جميع نواحيها من دون اضطراب . هذا ما ذكروه في هذا المقام ، و لا نعرف من ذلك

----

(755) في (خ) : المجاورة .

[756] « المقاطرة » مقابلة القطرين .

[231]

إلاّ كون الجميع بقدرة القادر العليم و إرادة المدبّر الحكيم كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى .

و قال الشيخ المفيد قدّس سرّه في كتاب المقالات : أقول : إنّ العالم هو السماء و الأرض و ما بينهما و فيهما من الجواهر و الأعراض ، و لست أعرف بين أهل التوحيد خلافا في ذلك .

أقول : لعلّ مراده قدّس سرّه بالسماوات ما يشمل العرش و الكرسيّ و الحجب ، و غرضه نفي الجواهر المجرّدة الّتي تقول بها الحكماء .

ثمّ قال رحمه الله : و أقول : إنّ الفلك هو المحيط بالأرض الدائر عليها و فيه الشمس و القمر و سائر النجوم ، و الأرض في وسطه بمنزلة النقطة في وسط الدائرة ،

و هذا مذهب أبي القاسم البلخيّ و جماعة كثيرة من أهل التوحيد ، و مذهب أكثر القدماء و المنجّمين و قد خالف فيه جماعة من بصريّة المعتزلة و غيرهم من أهل النحل .

و أقول : إنّ المتحرّك من الفلك إنّما يتحرّك حركة دوريّة كما يتحرّك الدائر على الكرة ، و إلى هذا ذهب البلخي و جماعة من أهل التوحيد ، و الأرض على هيئة الكرة في وسط الفلك و هي ساكنة لا تتحرك ، و علّة سكونها أنّها في المركز ، و هو مذهب أبي القاسم و أكثر القدماء و المنجّمين ، و قد خالف فيه الجبائيّ و ابنه و جماعة غيرهما من أهل الآراء و المذاهب من المقلّدة و المتكلّمين .

ثمّ قال : و أقول : إنّ العالم مملوءة من الجواهر و إنّه لا خلأ فيه ، و لو كان فيه خلأ لما صحّ فرق بين المجتمع و المتفرّق من الجواهر و الأجسام و هو مذهب أبي القاسم خاصّة من البغداديّين ، و مذهب أكثر القدماء من المتكلّمين و خالف فيه الجبائيّ و ابنه و جماعة متكلّمي أهل الحشو و الجبر و التشبيه .

ثمّ قال : و أقول : إنّ المكان هو ما أحاط بالشيء من جميع جهاته ، و لا يصحّ تحرّك الجواهر إلاّ في الأماكن ، و الوقت هو ما جعله الموقّت وقتا للشيء و ليس بحادث مخصوص و الزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجا في وجوده إلى وقت و لا زمان ، و على هذا القول سائر الموحّدين .

[232]

و سئل السيّد المرتضى رحمه اللّه : الفراغ له نهاية ؟ و القديم تعالى يعلم منتهى نهايته ؟ و هذا الفراغ أي شيء هو ؟ و كذلك الطبقة الثامنة من الأرض و الثامنة من السماء نقطع أنّ هناك فراغا أم لا ؟ فإن قلت : لا ، طالبتك بما وراء الملأ ،

القديم تعالى يعلم أنّ هناك نهاية . فإن قلت : نعم ، طالبتك أيّ شيء وراء النهاية ؟

فأجاب رحمه اللّه : إنّ الفراغ لا يوصف بأنّه منته ، و لا أنّه غير منته على وجه الحقيقة ، و إنّما يوصف بذلك مجازا و اتّساعا . و أمّا قوله « و هذا الفراغ أيّ شيء هو ؟ » فقد علمنا 757 أنّه لا جوهر و لا عرض و لا قديم و لا محدث و لا هو ذات و لا هو معلوم كالمعلومات . و أمّا الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها ، و الّذي نطق به القرآن :

« سبع سموات طباقا و من الأرض مثلهنّ » فأمّا غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل و لا شرع . انتهى .

و أقول : بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب ، و محلّه علم الكلام . 758 [إيضاح :] « لا تصحبه الأوقات » يحتمل وجهين : أحدهما نفي المصاحبة على الدوام بل وجوده سابق على الأزمان كالزمانيّات [759] كما قال : « سبق الأوقات كونه » . و ثانيهما نفي الزمانيّة عنه سبحانه مطلقا كما ذهب إليه الحكماء من أنّ الزمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر و لا يكون فيما لا تغيّر فيه أصلا ، فالمراد بسبق كونه على الأوقات عدم لحوقها له و امتناع مقارنته سبحانه لها ، و ربّما يؤيّد ذلك بقوله عليه السلام « و كيف يجري عليه ما هو أجراه ؟ » .

----

(757) في (خ) : قلنا .

----

(758) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 60 ، كتاب السماء و العالم ، ص 95 100 .

[759] يعني أنّ الزمانيّات تصحب الزمان ما دامت موجودة لكن وجود الواجب غير مقارن للزمان دائما لأنّه تعالى كان موجودا و لم يكن زمان ، فلمّا خلق الزمان صار مقارنا له ، و أمّا الحكماء فينفون مقارنته سبحانه للزمان مطلقا لأنّ الزمان أمر تدريجيّ لا يقارنه إلاّ ما شأنه الحركة و التغيّر و هو الجسم لا غير . و دلالة كلامه عليه السلام على مقالتهم لا غبار عليها .

[233]

فإنّه عليه السلام استدلّ على عدم جريان السكون و الحركة عليه بأنّه موجدهما فلا يكونان من صفاته الكماليّة ، لأنّ الفعل لا يكون كمالا للفاعل و اتّصافه بهما لا على وجه الكمال يوجب التغيّر أو النقص و هذا جار في الزمان أيضا .

و كذا قوله « و يعود فيه ما هو أبداه » أي اظهره ، فقيل : المعنى أنّه سبحانه أظهر الحركة و السكون فكانا متأخّرين عنه ذاتا ، فلو كانا من صفاته لزم أن يعود المتأخّر و يصير متقدّما لأنّ صفاته سبحانه عين ذاته فلا يجوز خلوّه عنها في مرتبة الإظهار و الإيجاد . « و يحدث فيه ما هو أحدثه » لأنّ الشيء لا يكون فاعلا و قابلا لشيء واحد ، أو لما مرّ من لزوم الاستكمال بغيره و النقص في ذاته .

« إذا لتفاوت ذاته » أي حصل الاختلاف و التغيّر في ذاته . « و لتجزّا كنهه » أي كانت حقيقته ذات أجزاء و أبعاض ، لأنّ الحركة و السكون مستلزمان للتحيّز المستلزم للجسميّة ، أو لكان فيه ما به بالقوّة و ما به بالفعل . « و لامتنع من الأزل معناه » أي ذاته المقصودة من أسمائه الحسنى ، و الامتناع من الأزل للجسميّة و حدوث ما لا ينفكّ عن الحركة و السكون .

« لا بصوت يقرع » أي يقرع الأسماع ، و « القرع » الدق ، و في بعض النسخ على بناء المجهول أي يحصل من قرع شيء « و مثّله » أي أقامه ، و قيل :

الباريء تعالى مثّل القرآن لجبرئيل عليه السلام بالكتابة في اللوح ، و يقال :

« مثّلته بين يديّ » أي أحضرته . فلمّا كان الله تعالى فعل القرآن واضحا بيّنا كأن قد مثّله للمكلّفين . انتهى . و الظاهر أنّ المراد أنّ قوله [تعالى :] « كن فيكون » 760 ليس المراد به الكلام الحقيقيّ الّذي له صوت بل كناية عن تعلّق الإرادة و تمثيل لحصول الأشياء بمحض إرادته بلا تأخر و لا توقّف على أمر .

« و لو كان قديما لكان إلها ثانيا » هذا صريح في أنّ الإمكان لا يجامع القدم و أنّ الإيجاد إنّما يكون لما هو مسبوق بالعدم [761] ، فالقول بتعدّد القدماء مع القول بإمكان

----

(760) النحل : 40 .

[761] كلامه عليه السلام صريح في أنّ القدم يلازم الألوهيّة و لا يجامع الإمكان لكنّه ليس بصريح في أنّ المراد به القدم الزمانيّ ، فإن كانت هناك قرينة عقليّة وجب حمله على القدم الذاتيّ .

بعضها قول بالنقيضين . « فتجري » على [بناء] المعلوم و في بعض النسخ على [بناء] المجهول . « عليه الصفات المحدثات » في أكثر النسخ « الصفات » معرّفة باللام ،

فالمحدثات صفة له و في بعضها بدون اللام على الإضافة و هو أنسب ، أي لو كان محدثا لجرت عليه صفات الأجسام المحدثة فلم يكن بينه و بينها فرق . و « الفصل » القطع ،

و الحاجز بين الشيئين . و « المبتدع » في بعض النسخ على صيغة الفاعل ، و في بعضها على صيغة المفعول ، فعلى الأوّل « البديع » بمعنى المبدع على بناء المفعول ، و على الثاني بمعنى « المبدع » على بناء الفاعل .

« على غير مثال خلا » أي مضى و سبق . « من غير اشتغال » أي لم يشغله إمساكها عن غيره من الأمور . و « أرساها » أي أثبتها « على غير قرار » أي مقرّ يتمكّن عليه بل قامت بأمره لا على شيء . « بغير قوائم » أي لا كدابّة تقوم بقوائمها . و « الدعامة » بالكسر ، عماد البيت الّذي يقوم عليه . و « حصّنه تحصينا » أي جعله منيعا . و « الأود » بالتحريك ، الاعوجاج ، و العطف للتفسير . و « التهافت » التساقط قطعة قطعة . « أوتادها » أي جبالها الّتي هي للأرض بمنزلة الأوتاد . « و ضرب أسدادها » ، « السدّ » بالفتح و بالضمّ الجبل و الحاجز بين الشيئين ، و قيل : بالضمّ ما كان مخلوقا لله تعالى و بالفتح ما كان من فعلنا . و « ضرب الأسداد » نصبها ،

يقال : « ضربت الخيمة » أي نصبتها ، أو تعيينها كضرب الخراج . و لعلّ المعنى خلق الجبال فيها و الأنهار الّتي هي كالحدود لها ليتميّز بعضها عن بعض على حسب اقتضاء الحكمة الكاملة . و قال الجوهريّ : « السدّ » أيضا واحد السدود و هي السحائب السود ، عن أبي زيد . « و استفاض عيونها » أي جعلها فائضة جارية . « و خدّ أوديتها » أي شقّها و منها « الأخدود » أي الحفرات المستطيلة في الأرض .

« حتّى يصير موجودها كمفقودها » لعلّ المراد بالمفقود ما لم يوجد أصلا أي حتّى يصير كأن لم يكن ، و يحتمل أن تكون الكاف زائدة .

و قوله عليه السلام « كما كان قبل ابتدائها » إلى آخر الكلام صريح في حدوث ما سوى الله تعالى و ظاهره نفي الزمان أيضا قبل العالم و عدم

[235]

زمانيّته سبحانه إلى أن يحمل على الأزمنة المعيّنة من الليالي و الأيّام و الشهور و السنين و يدلّ على فناء جميع أجزاء الدنيا بعد الوجود . و هذا أيضا ينافي القدم لأنّهم أطبقوا على أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، و أقاموا عليه البراهين العقليّة .

« لم يتكادّه » في أكثر النسخ على صيغة التفاعل و في بعضها على صيغة التفعّل ، و كلاهما بمعنى نفي المشقّة . و في بعض النسخ : « لم يتكاره » على صيغة التفاعل من الكره ، يقال : فعل الأمر على تكرّه و تكاره أي على تسخّط و عدم الرضا به . و الغرض أنّه سبحانه لم يكن مجبورا مكرها في خلق الأشياء .

و « آده الأمر يؤده » أثقله . و « برأه » أي خلقه . و « تشديد السلطان » إحكام السلطنة و حفظها عن تطرّق الخلل فيها . و « الندّ » بالكسر ، المثل ، قالوا : و لا يكون الندّ إلاّ مخالفا . و « المكاثرة » المغالبة بالكثرة . و « الضدّ » بالكسر ، النظير و الكفو ، و قيل : مثل الشيء و خلافه ، و هو من الأضداد . و « الثور » بالفتح ، الهيجان و الوثب ،

و « ثاوره » أي واثبه . و « الشرك » بالكسر ، الاسم من « شركته كعلمت في البيع و الميراث شركة » ، و في النسخ : « في شركة » بالتاء موضع الضمير . « و الاستئناس » اتّخاذ الأنيس ضدّ الاستيحاش .

و « السأم » بالتحريك ، الملال . و « التصريف » التغيير و تحويل الشيء من حال إلى حال و من وجه إلى وجه . و « الثقل » بالكسر كما في بعض النسخ و كعنب كما في بعضها ، ضدّ الخفّة . و « لم يملّه » على صيغة الإفعال ، أي لم يجعله سئما ، و في بعض النسخ : « و لا يملّه » . و ذكر السرعة لأنّ الإفناء لا يستدعي زمانا طويلا إذا كان عن قدرة كاملة ، أو لأنّه إذا كان عن ملالة من البقاء يكون بسرعة . و « أتقنها » أحكمها . و « الالتماس » الطلب ، و المراد طلب علم مجهول . و « الضعة » بالفتح كما في النسخ و بالكسر ، انحطاط الدرجة ضدّ الرفعة . و الضمير في قوله عليه السلام « يعيدها » راجع إلى الدنيا كالضمائر السابقة ، و جوّز بعض شارحي النهج عودها إلى « الأمور » في قوله عليه السلام « إليه مصير جميع الأمور » و على أيّ حال ظاهره انعدام جميع المخلوقات حتّى الأرواح و الملائكة ثمّ عودها فيدلّ على جواز إعادة

[236]

المعدوم ، و قد سبق الكلام فيه في المجلّد الثالث . 762 أقول : قد مرّت الخطبة بتمامها و شرحها في كتاب التوحيد .

تتميم : اعلم أنّ ظاهر هذا الخبر فناء جميع المخلوقات عند انقضاء العالم كما هو مذهب جماعة من المتكلّمين ، قال شارح المواقف : قد سبقت في مباحث الجسم إشارة إلى أنّ الأجسام باقية غير متزايلة على ما يراه النظّام ، و قابلة للفناء غير دائمة البقاء على ما يراه الفلاسفة قولا بأنّها ازليّة أبديّة . و الجاحظ و جمع من الكراميّة قولا بأنّها أبديّة غير أزليّة ، و توقّف أصحاب أبي الحسين في صحّة الفناء ، و اختلف القائلون بها في أنّ الفناء بإعدام معدم أو بحدوث ضدّ أو بانتفاء شرط . أمّا الأوّل فذهب القاضي و بعض المعتزلة إلى أنّ الله تعالى يعدم العالم بلا واسطة فيصير معدوما كما أوجده كذلك فصار موجودا ، و ذهب أبو الهذيل إلى أنّه تعالى يقول له : افن فيفنى ، كما قال له :

كن فكان . و أمّا الثاني فذهب جمهور المعتزلة إلى أنّ فناء الجوهر بحدوث ضدّ له هو الفناء ، فذهب ابن اخشيد إلى أنّ الفناء و إن لم يكن متحيّزا لكنّه يكون حاصلا في جهة معيّنة ، فإذا أحدثه الله تعالى فيها عدمت الجواهر بأسرها ، و ذهب ابن شبيب إلى أنّ الله تعالى يحدث في كلّ جوهر فناء ثمّ ذلك الفناء يقتضي عدم الجوهر في الزمان الثاني ، و ذهب أبو عليّ و أتباعه إلى أنّه يخلق بعدد كلّ جوهر فناء لا في محلّ فتفنى الجواهر ، و قال أبو هاشم و أشياعه : يخلق فناء واحد لا في محلّ فيفني به الجواهر بأسرها . و أمّا الثالث و هو أنّ فناء الجوهر بانقطاع شرط وجوده فزعم بشر أنّ ذلك الشرط بقاء يخلقه الله تعالى لا في محلّ ، فإذا لم يخلقه الله تعالى عدم الجوهر . و ذهب الأكثرون من أصحابنا و الكلبيّ من المعتزلة إلى أنّه بقاء قائم به يخلقه الله حالا فحالا ، فإذا لم يخلقه الله تعالى فيه انتفى الجوهر . و قال إمام الحرمين : إنّها الأعراض الّتي يجب اتّصاف الجسم بها ، فإذا لم يخلقها الله تعالى فيه فنى . و قال القاضي في أحد قوليه : هو الأكوان الّتي يخلقها الله في الجسم حالا فحالا ، فمتى لم يخلقها الله فيه انعدم . و قال النظام : إنّه ليس بباق بل يخلق الله حالا فحالا فمتى لم يخلق

----

(762) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 57 ، كتاب السماء و العالم ، ص 30 .

[237]

فنى .

و أكثر هذه الأقاويل من قبيل الأباطيل ، سيّما القول بكون الفناء أمرا محقّقا في الخارج ضدّا للبقاء قائما بنفسه أو بالجوهر ، و كون البقاء موجودا لا في محلّ ، و لعلّ وجه البطلان غنيّ عن البيان .

ثمّ القائلون بصحّة الفناء و بحقّيّة حشر الأجساد اختلفوا في أنّ ذلك بالإيجاد بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرّق الأجزاء ؟ و الحقّ التوقّف ، و هو اختيار إمام الحرمين حيث قال : يجوز عقلا أن تعدم الجواهر ثمّ تعاد ، و أن تبقى و تزول أعراضها المعهودة ثمّ تعاد بنيتها و لم يدلّ قاطع سمعيّ على تعيين أحدهما ، فلا يبعد أن يغيّر أجساد العباد على صفة أجسام التراب ، ثمّ يعاد تركيبها إلى ما عهد ، و لا يحيل أن يعدم منها شيء ثمّ يعاد ، و اللّه أعلم .

احتجّ الأوّلون بوجوه :

الأوّل : الإجماع على ذلك قبل ظهور المخالفين كبعض المتأخّرين من المعتزلة و أهل السنّة . و ردّ بالمنع كيف و قد أطبقت معتزلة بغداد على خلافه ؟ نعم كان الصحابة يجمعون على بقاء الحقّ و فناء الخلق بمعنى هلاك الأشياء و موت الأحياء و تفرّق الأجزاء لا بمعنى انعدام الجواهر بالكليّة لأنّ الظاهر أنّهم لم يكونوا يخوضون في هذه التدقيقات .

الثاني : هو قوله تعالى : « هو الأوّل و الآخر » 763 أي في الوجود ، و لا يتصوّر ذلك إلاّ بانعدام ما سواه ، و ليس بعد القيامة وفاقا فيكون قبلها ، و أجيب بأنّه يجوز أن يكون المعنى : هو مبدء كلّ موجود و غاية كلّ مقصود ، أو هو المتوحّد في الألوهيّة ، أو في صفات الكمال ، كما إذا قيل لك : هذا اوّل من زارك أو آخرهم ؟ فنقول : هو الأوّل و الآخر ، و تريد أنّه لا زائر سواه ، أو هو الأوّل و الآخر بالنسبة إلى كلّ حيّ ، بمعنى أنّه يبقى بعد موت جميع الأحياء ، أو هو الأوّل خلقا و الآخر رزقا ، كما قال [تعالى] :

« خلقكم ثمّ رزقكم » 764 . و بالجملة فليس المراد أنّه آخر كلّ شيء بحسب الزمان

----

(763) الحديد : 3 .

----

(764) الروم : 40 .

[238]

للاتّفاق على أبديّة الجنّة و من فيها .

الثالث : قوله تعالى : « كلّ شيء هالك إلاّ وجهه » 765 فإنّ المراد به الانعدام ، لا الخروج عن كونه منتفعا به لأنّ الشيء بعد التفرّق يبقى دليلا على الصانع ، و ذلك من أعظم المنافع . و أجيب بأنّ المعنى أنّه هالك في حدّ ذاته لكونه ممكنا لا يستحقّ الوجود إلاّ بالنظر إلى العلّة ، أو المراد بالهلاك الموت ، أو الخروج عن الانتفاع المقصود به اللائق بحاله ، كما يقال : هلك الطعام إذا لم يبق صالحا للأكل و إن صلح لمنفعة أخرى . و معلوم أن ليس مقصود الباري تعالى من كلّ جوهر الدلالة عليه و إن صلح ذلك كما أنّ من كتب كتابا ليس مقصوده بكلّ كلمة الدلالة على الكاتب . أو المراد الموت كما في قوله تعالى : « إن امرؤ هلك » 766 ، و قيل : معناه :

كلّ عمل لم يقصد به وجه اللّه تعالى فهو هالك أي غير مثاب عليه .

الرابع : قوله تعالى : « و هو الّذي يبدؤ الخلق ثمّ يعيده » 767 [و قوله تعالى :] « كما بدأنا أوّل خلق نعيده » 768 . و البدؤ من العدم فكذا العود ، و أيضا إعادة الخلق بعد إبدائه لا يتصوّر بدون تخلّل العدم . و أجيب بأنّا لا نسلّم أنّ المراد بإبداء الخلق الايجاد و الإخراج عن العدم ، بل الجمع و التركيب على ما يشعر به قوله تعالى : « و بدأ خلق الإنسان من طين » 769 . و لهذا يوصف بكونه مرئيّا مشاهدا كقوله تعالى : « أو لم يروا كيف يبدىء اللّه الخلق [ثمّ يعيده ، إنّ ذلك على اللّه يسير] قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » 770 .

و أمّا القول بأنّ الخلق حقيقة في التركيب تمسّكا بمثل قوله تعالى :

« خلقكم من تراب » 771 أي ركّبكم [و قوله تعالى :] « و تخلقون إفكا » 772 أي تركّبونه ، فلا يكون حقيقة في الإيجاد دفعا للاشتراك ، فضعيف جدّا لإطباق أهل اللّغة على أنّه إحداث و إيجاد مع تقدير ، سواء كان عن مادّة كما في خلقكم من تراب أو بدونه كما في خلق اللّه العالم .

----

(765) القصص : 88 .

----

(766) النساء : 176 .

----

(767) الروم : 27 .

----

(768) الأنبياء : 104 .

----

(769) السجدة : 7 .

----

(770) العنكبوت : 19 20 .

----

(771) الفاطر : 13 .

----

(772) العنكبوت : 17 .

[239]

الخامس : قوله تعالى : « كل من عليها فان » 773 و الفناء هو العدم . و اجيب بالمنع بل هو خروج الشيء من الصفة الّتي ينتفع به عندهما كما يقال : فنى زاد القوم و فنى الطعام و الشراب . و لذا يستعمل في الموت مثل أفناهم الحرب . و قيل :

معنى الآية : كلّ من على وجه الأرض من الأحياء فهو ميّت .

قال الامام : و لو سلّم كون الفناء و الهلاك بمعنى العدم فلا بدّ في الآيتين من تأويل ، إذ لو حملتا على ظاهرهما لزم كون الكلّ هالكا فانيا في الحال و ليس كذلك ،

و ليس التأويل بكونه آئلا إلى العدم على ما ذكرتم أولى من التأويل بكونه قابلا له ، و هذه منه إشارة إلى ما اتّفق عليه أئمّة العربيّة من كون اسم الفاعل و نحوه مجازا في الاستقبال ، و أنّه لا بدّ من الاتّصاف بالمعنى المشتقّ منه . و إنّما الخلاف في أنّه هل يشترط بقاء ذلك المعنى ؟ و قد توهم صاحب التلخيص أنّه كالمضارع يشترك بين الحال و الاستقبال ، فاعترض بأنّ حمله على الاستقبال ليس تأويلا و صرفا عن الظاهر .

و احتجّ الآخرون بوجوه :

الأوّل : أنّه لو كان كذلك لما كان الجزاء واصلا إلى مستحقّه ، و اللازم باطل عندنا سمعا للنصوص الواردة في أنّ اللّه لا يضيع اجر من أحسن عملا ، و عقلا عند المعتزلة لما سبق من وجوب ثواب المطيع و عقاب العاصي . و بيان اللزوم أنّ المنشأ لا يكون هو المبتدأ بل مثله لامتناع إعادة المعدوم بعينه . و ردّ بالمنع و قد مرّ بيان ضعف أدلّته ، و لو سلّم فلا يقوم على من يقوم ببقاء الروح أو الأجزاء الأصليّة و إعدام البواقي ثمّ إيجادها و إن لم يكن الثاني هو الأوّل بعينه بل مغايرا له في وصفه الابتداء و الإعادة أو باعتبار آخر ، و لا شكّ أن العمدة في الاستحقاق هو الروح على ما مرّ ، و قد يقرّر بأنّها لو

عدمت لما علم إيصال الجزاء إلى مستحقّه لأنّه لا يعلم أنّ ذلك المحشور هو الأوّل أعيد بعينه أم مثل له خلق على صفته . أمّا على تقدير الفناء بالكلّيّة فظاهر ، و أمّا على تقدير بقاء الروح و الأجزاء الأصليّة فلانعدام التركيب و الهيئات و الصفات

----

(773) الرحمن : 26 .

[240]

الّتي بها يتمايز المسلمون سيّما على قول من يجعل الروح أيضا من قبيل الأجسام ، و اللازم منتف لأنّ الأدلّة قائمة على وصول الجزاء إلى المستحقّ .

لا يقال : لعلّ اللّه يحفظ الروح و الأجزاء الأصليّة عن التفرّق و الانحلال ، بل الحكمة تقتضي ذلك ليعلم وصول الحقّ إلى المستحقّ لأنّا نقول : المقصود إبطال رأي من يقول بفناء الأجساد بجميع الأجزاء بل أجسام العالم بأسرها ثمّ الإيجاد و قد حصل و لو سلّم فقد علمت أنّ العمدة في الحشر هو الأجزاء الأصليّة لا الفضليّة و قد سلّمتم أنّها لا تتفرّق فضلا عن الانعدام بالكلّيّة ، بل الجواب أنّ المعلوم بالأدلّة هو أنّ اللّه تعالى يوصل الجزاء إلى المستحقّ و لا دلالة على أنّا نعلم ذلك عند الإيصال البتّة و كفى باللّه عليما . و لو سلّم فلعلّ اللّه تعالى يخلق علما ضروريا او طريقا جليّا جزئيّا أو كليّا .

الثاني : و هو للمعتزلة أنّ فعل الحكيم لا بدّ أن يكون لغرض لامتناع العبث عليه و لا يتصوّر له غرض في الإعدام إذ لا منفعة فيه لأحد لأنّها إنّما تكون مع الوجود بل الحياة ، و ليس به أيضا جزاء المستحق كالعذاب و السؤال و الحساب و نحو ذلك و هذا ظاهر . و ردّ بمنع انحصار الغرض في المنفعة و الجزاء ، فلعلّ لله في ذلك حكما و مصالح لا يعلمها غيره ، على أنّ في الإخبار بالإعدام لطفا للمكلّفين و إظهارا لغاية العظمة و الاستغناء و التفرّد بالدوام و البقاء ، ثمّ الإعدام تحقيق لذلك و تصديق .

الثالث : النصوص الدالّة على كون النشور بالإحياء بعد الموت و الجمع بعد التفريق كقوله تعالى : « وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتى الآية » 774 و كقوله تعالى : أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها » إلى قوله : وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً 775 و كقوله تعالى : كَذلِكَ النُّشُورُ 776 [و قوله تعالى :] وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ 777 و [قوله تعالى] كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ 778 بعد ما ذكر بدء الخلق من الطين و على وجه نرى و نشاهد مثل [قوله تعالى :] أَ وَ لَمْ يَرَوْا

----

(774) البقرة : 260 .

----

(775) البقرة : 259 .

----

(776) الفاطر : 9 .

----

(777) الروم : 19 .

----

(778) الأعراف : 29 .

[241]

كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ [ثمّ ، يُعِيدُهُ ، إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق » 779 ، و كقوله تعالى : يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ 780 . إلى غير ذلك من الآيات المشعرة بالتفريق دون الإعدام .

و الجواب أنّها لا تنفي الانعدام و إن لم تدلّ عليه ، و إنّما سيقت لكيفيّة الإحياء بعد الموت و الجمع بعد التفريق لأنّ السؤال وقع عن ذلك ، و لأنّه أظهر في باديء النظر و الشواهد عليه أكثر ، ثمّ هي معارضة بالآيات المشعرة بالإعدام و الفناء . و انتهى كلامه .

و الحقّ أنّه لا يمكن الجزم في تلك المسألة بأحد الجانبين لتعارض الظواهر فيها ،

و على تقدير ثبوته لا يتوقّف انعدامها على شيء سوى تعلّق إرادة الربّ تعالى باعدامها ، و أكثر متكلّمي الإماميّة على عدم الانعدام بالكلّيّة لا سيّما في الاجساد . [781] قال المحقق الطوسيّ رحمه اللّه في التجريد : و السمع دلّ عليه و يتأوّل في المكلّف بالتفريق كما في قصّة إبراهيم عليه السلام . انتهى .

و أمّا الصور فيجب الإيمان به على ما ورد في النصوص الصريحة ، و تأويله بأنّه جمع للصورة كما مرّ من الطبرسيّ و قد سبقه الشيخ المفيد رحمه اللّه فهو خروج عن ظواهر الآيات بل صريحها ، إذ لا يتأتى ذلك في النفخة الأولى ، و يأبى عنه أيضا توحيد الضمير في قوله تعالى : « و نفخ فيه أخرى » 782 و إطراح للنصوص الصحيحة

----

(779) العنكبوت : 19 20 .

----

(780) القارعة : 4 5 .

[781] لمّا كان انعدام كلّ شيء إلاّ اللّه سبحانه يبطل التقدّم و التأخر و كلّ معنى حقيقيّ و يبطل به النسبة بين الدنيا و الآخرة و المبدأ و المعاد و جميع المعارف الالهيّة المبيّنة تلو ذلك في الكتاب و السنّة القطعيّة لم يكن مجال لاحتماله ، و ما ظاهره ذلك من النصوص مبيّن بما يعارضه . و أمّا أحاديث الصور فهي آحاد لا تبلغ حدّ التواتر و لا يؤيّد الكتاب تفاصيل ما فيها من صفة الصور و الأمور المذكورة مع نفخة و لا دليل على حجيّة الآحاد في غير الاحكام الفرعيّة من المعارف الأصليّة لا من طريق سيرة العقلاء و لا من طريق الشرع على ما بيّن في الاصول . فالواجب هو الايمان باجمال ما أريد من الصور لوروده في كتاب اللّه . و أمّا الأخبار ،

فالواجب تسليمها و عدم طرحها لعدم مخالفتها الكتاب و الضرورة و إرجاع علمها إلى اللّه و رسوله و الأئمة من أهل بيته صلوات اللّه عليهم أجمعين . ط

----

(782) الزمر : 68 .

الصريحة من غير حاجة . و قد قال سيّد الساجدين صلوات اللّه عليه في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة : و إسرافيل صاحب الصور الشاخص الّذي ينتظر منك الإذن و حلول الأمر فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور . 783

187 و من خطبة له عليه السلام و هي في ذكر الملاحم

ألا بأبي و أمي ، هم من عدّة أسماؤهم في السّماء معروفة و في الأرض مجهولة . ألا فتوقّعوا ما يكون من إدبار أموركم ، و انقطاع وصلكم ،

و استعمال صغاركم . ذاك حيث تكون ضربة السّيف على المؤمن أهون من الدّرهم من حلّه . ذاك حيث يكون المعطى اعظم أجرا من المعطي .

ذاك حيث تسكرون من غير شراب ، بل من النّعمة و النّعيم ، و تحلفون من غير اضطرار ، و تكذبون من غير إحراج (2425) . ذاك إذا عضّكم البلاء كما يعضّ القتب (2426) غارب البعير (2427) . ما أطول هذا العناء ،

و أبعد هذا الرّجاء أيّها النّاس ، ألقوا هذه الأزمّة (2428) الّتي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم ، و لا تصدّعوا (2429) على سلطانكم فتذمّوا غبّ فعالكم . و لا

----

(783) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 6 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 331 .

تقتحموا ما استقبلتم من فور نار (2430) الفتنة ، و أميطوا عن سننها (2431) ،

و خلّوا قصد السّبيل (2432) لها : فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ،

و يسلم فيها غير المسلم .

إنّما مثلي بينكم كمثل السّراج في الظّلمة ، يستضيء به من و لجها . فاسمعوا أيّها النّاس وعوا ، و أحضروا آذان قلوبكم تفهموا . إيضاح : قال ابن أبي الحديد : قالت الإماميّة : هذه العدّة هم الأئمّة الأحد عشر من ولده عليه السلام ، و قال غيرهم ، إنّه عنى الأبدال الّذين هم أولياء اللّه . 784 انتهى .

و ظاهر أنّ ذكر انتظار فرج الشيعة كما اعترف به بعد هذا لا ارتباط له بحكاية الأبدال . و أمّا كون أسمائهم في الأرض مجهولة فلعلّ المراد به أنّ أكثر الناس لا يعرفون قدرهم و منزلتهم ، فلا ينافي معرفة الخواصّ لهم و إن كانوا أيضا لا يعرفونهم حقّ معرفتهم ، أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد الكلام ، و التخصيص في الاحتمال الأخير أقلّ منه في الأوّل .

قوله عليه السلام « و انقطاع وصلكم » جمع « وصلة » أي تفرّق أموركم المنظّمة . و المراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ و أرباب التجارب في الأعمال و الولايات . قوله عليه السلام « حيث يكون المعطى » على بناء المجهول « أعظم أجرا من المعطي » على بناء الفاعل ، لأنّ أكثر الأموال في ذلك الزمان يكون من الحرام ، و أيضا لا يعطونها على الوجه المأمور به للأغراض الفاسدة . و أمّا المعطى فلمّا كان فقيرا يأخذ المال لسدّ خلّته لا يلزمه البحث عن المال و حلّه و حرمته ، فكان أعظم أجرا من المعطى . و قيل : لأنّ صاحب المال لمّا كان يصرفه في أغلب الأحوال في الفساد فإذا أخذه الفقير فقد فوّت عليه صرفه في القبائح فقد كفّه بأخذ المال من

----

(784) شرح النهج لابن أبى الحديد ، ج 13 ص 96 ، ط بيروت .

ارتكاب القبيح ، و لا يخلو من بعد .

و « النّعمة » بالفتح ، غضارة العيش ، و في بعض النسخ بالكسر ، أي الخفض و الدعة و المال . قوله عليه السلام « من غير إحراج » أي من غير اضطرار إلى الكذب ، و روي بالواو . قوله عليه السلام « إذا عضّكم البلاء » يقال : « عضّ اللقمة » كسمع و منع أي أمسكها بأسنانه ، و « عضّ بصاحبه » أي لزمه ، و « عض الزمان و الحرب » شدّتهما . و « القتب » بالتحريك ، معروف . و « الغارب » ما بين العنق و السنام .

و قال ابن أبي الحديد : هذا الكلام غير متصل بما قبله كما هو عادة الرضيّ . و قد ذكر عليه السلام بين ذلك ما ينال من شيعته من البؤس و القنوط و مشقّة انتظار الفرج . و قوله عليه السلام « ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء » حكاية كلام شيعته عليه السلام . 785 انتهى . فيكون المراد بالرجاء رجاء ظهور القائم عليه السلام . و قال ابن ميثم : و يح تمل أن يكون الكلام متّصلا ، أو يكون قوله عليه السلام « ما أطول هذا العناء » كلاما مستأنفا في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه و إقبالهم على الدنيا و إتعابهم أنفسهم في طلبها ، و تنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها و بعد الرجاء لما يرجى منها . قوله عليه السلام « ألقوا » أي ألقوا من أيديكم أزمّة الآراء الفاسدة و الأعمال الكاسدة الّتي هي كالنوق و المراكب في حمل التبعات و الآثام . « و لا تصدّعوا » أي لا تتفرّقوا . و « السلطان » الأمير و الإمام .

و « غبّ كلّ شيء » عاقبته . و « فور نار الفتنة » وهجها و غليانها . و « أميطوا » أي تنحّوا . و « السّنن » الطريقة . قوله عليه السلام « و خلّوا » أي دعوها تسلك طريقها ، و لا تتعرّضوا لها فتكونوا حطبا لنارها . 786

----

(785) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 97 ، ط بيروت .

----

(786) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 713 ، ط كمباني و ص 660 ، ط تبريز .

[245]

188 و من خطبة له عليه السلام في الوصية بأمور

التقوى

أوصيكم ، أيّها النّاس ، بتقوى اللّه و كثرة حمده على آلائه إليكم ، و نعمائه عليكم ، و بلائه (2433) لديكم . فكم خصّكم بنعمة ،

و تداركم برحمة أعورتم (2434) له فستركم ، و تعرّضتم لأخذه (2435) فأمهلكم

الموت

و أوصيكم بذكر الموت و إقلال الغفلة عنه . و كيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم (2436) ، و طمعكم فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم ، حملوا إلى قبورهم غير راكبين ، و أنزلوا فيها غير نازلين ، فكأنّهم لم يكونوا للدّنيا عمّارا ، و كأنّ الآخرة لم تزل لهم دارا . أوحشوا ما كانوا يوطنون (2437) ، و أوطنوا ما كانوا يوحشون (2438) ، و اشتغلوا بما فارقوا ، و أضاعوا ما إليه انتقلوا . لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ، و لا في حسن يستطيعون ازديادا . أنسوا بالدّنيا فغرّتهم ، و وثقوا بها فصرعتهم .

[246]

سرعة النفاد

فسابقوا رحمكم اللّه إلى منازلكم الّتي أمرتم أن تعمروها ،

و الّتي رغبتم فيها ، و دعيتم إليها . و استتموا نعم اللّه عليكم بالصّبر على طاعته . و المجانبة لمعصيته . فإنّ غدا من اليوم قريب . ما أسرع السّاعات في اليوم ، و أسرع الأيّام في الشّهر ، و أسرع الشّهور في السّنة ، و أسرع السّنين في العمر

189 و من كلام له عليه السلام في الايمان و وجوب الهجرة

اقسام الايمان

فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرّا في القلوب ، و منه ما يكون عواري (2439) بين القلوب و الصّدور « إلى أجل معلوم » . فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت . فعند ذلك يقع حدّ البراءة .

وجوب الهجرة

و الهجرة قائمة على حدّها الأوّل (2440) . ما كان للّه في أهل الأرض حاجة من مستسرّ (2441) الإمّة (2442) و معلنها . لا يقع اسم الهجرة على أحد

[247]

بمعرفة الحجّة في الارض . فمن عرفها و أقرّ بها فهو مهاجر . و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه و وعاها قلبه .

صعوبة الايمان

إنّ أمرنا صعب مستصعب ، لا يحمله إلاّ عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان ، و لا يعي حديثنا إلاّ صدور أمينة ، و أحلام (2443) رزينة .

علم الوصي

أيّها النّاس ، سلوني قبل أن تفقدوني ، فلأنا بطرق السّماء أعلم منّي بطرق الأرض ، قبل أن تشغر (2444) برجلها فتنة تطأ في خطامها (2445) ،

و تذهب بأحلام قومها

بيان

قال ابن عبد البر في الاستيعاب [787] و غيره : أجمع الناس كلّهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة و لا أحد من العلماء هذا الكلام .

و قال ابن ميثم : كنّي بشغر رجلها عن خلوّ تلك الفتنة من مدبّر . [788] قال

[787] قال ابن عبد البرّ : حدّثنا قاسم ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا احمد بن زهير ، حدّثنا مسلم بن ابراهيم ، حدّثنا شعبة عن أبي اسحاق ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن علقمة ، عن عبد اللّه ، قال : كنّا نتحدّث أن أقضى أهل المدينة علـيّ بن أبي طالب .

قال أحمد بن زهير : و أخبرنا ابراهيم بن بشار ، قال : حدّثنا سفيان بن عيينة ، حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ما كان أحد من الناس يقول : « سلوني » غير علـيّ بن أبي طالب . الاستيعاب ، ج 3 ، ص 39 .

[788] و قال بعض الشراح : الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها . شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 201 ، ط بيروت .

[248]

الجوهريّ : « بلدة شاعرة برجلها » إذا لم تمنع من غارة أحد . و « شغر البلد » أي خلا من الناس . و قال ابن الأثير : « شغر الكلب » رفع إحدى رجليه ليبول ، و قيل :

« الشغر » البعد . و قيل : الاتّساع . و منه حديث عليّ عليه السلام : قبل أن تشغر برجلها فتنة . انتهى .

و قوله عليه السلام « تطأ في خطامها » قال ابن ميثم 789 : استعارة بوصف الناقة الّتي أرسلت خطامها و خلت عن القائد في طريقها فهي تخبط و تعثر و تطأمن لقيت من الناس على غير نظام من حالها . « و تذهب بأحلام قومها » قال بعض الشارحين : أي يتحيّر أهل زمانها فلا يهتدون إلى طريق التخلّص عنها ، و يحتمل أن يريد أنّهم يأتون إليها سراعا رغبة و رهبة من غير معرفة بكونها فتنة . 790 [هذا بيان آخر في شرح الكلام :] بيان : « العواريّ » جمع « العاريّة » بالتشديد فيهما كأنّها منسوبة إلى العار ،

فإنّ طلبها عار و عيب . قال ابن ميثم رحمه اللّه : قوله عليه السلام « فمن الايمان . . . » إلى آخره قسمة للايمان إلى قسمين : أحدهما الثابت المستقرّ في القلوب الّذي صار ملكة ، و ثانيهما ما كان في معرض الغير و الانتقال . و استعار عليه

السلام لفظ « العواريّ » لكونه في معرض الاسترجاع و الردّ . و كنّى عليه السلام بكونه بين القلوب و الصدور عن كونه غير مستقرّ في القلوب و لا متمكّن من جواهر النفوس . 791 و قال ابن أبي الحديد : أراد عليه السلام من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص و منه ما يكون على سبيل النفاق . 792 و قوله عليه السلام « الى أجل معلوم » ترشيح لاستعارة العواريّ و هذه

----

(789) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 201 ، ط بيروت .

----

(790) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 10 ، كتاب الاحتجاج ، ص 128 .

----

(791) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 193 ، ط بيروت .

----

(792) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 102 ، ط بيروت .

[249]

القسمة إلى القسمين هي الموجودة في نسخة الرضيّ رضي اللّه عنه بخطّه و في نسخ كثير من الشارحين و نسخ كثيرة معتبرة ثلاثة أقسام هكذا : « فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرّا في القلوب ، و منه ما يكون عواريّ [في القلوب ، و منه ما يكون عواريّ] 793 بين القلوب و الصدور إلى أجل معلوم » .

و قال ابن ابي الحديد في بيانها 794 : إنّ الايمان إمّا أن يكون ثابتا مستقرّا بالبرهان و هو الايمان الحقيقيّ ، أو ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلي ككثير ممّن لم يحقق العلوم العقليّة و هو الّذي عبّر عليه السلام عنه بقوله « عواريّ في القلوب » فهو و إن كان في القلب الّذي هو محلّ الايمان الحقيقي إلاّ أنّ حكمه حكم العارية في البيت و إمّا أن يستند إلى تقليد و حسن ظنّ بالأسلاف . و قد جعله عليه السلام عواري بين القلوب و الصدور ، لأنّه دون الثاني فلم يجعله حالاّ في القلب . و ردّ قوله عليه السلام إلى أجل معلوم إلى القسمين الأخيرين لأنّ من لم يبلغ درجة البرهان ربما ينحطّ إلى درجة المقلّد ، فيكون إيمان كلّ منهما إلى أجل معلوم ، لكونه في معرض الزوال .

« فاذا كانت لكم براءة . . . » الخ قيل : أي إذا أردتم التبري من أحد فاجعلوه موقوفا إلى حال الموت ، و لا تسارعوا إلى البراءة منه قبل الموت ، لأنّه يجوز أن يتوب و يرجع ، فاذا مات و لم يتب جازت البراءة منه ، لأنّه ليس له بعد الموت حالة تنتظر . و ينبغي أن تحمل هذه البراءة على البراءة المطلقة لجواز التبري من الفاسق و هو حيّ و من الكافر و هو حيّ ، لكن بشرط الاتّصاف بأحد الوصفين ، بخلاف ما بعد الموت .

و قيل : المعنى : انتظروا حتّى يأتيه الموت فانّه ربما يكون معتقدا للحقّ و يكتم إيمانه لغرض دنيويّ ، و قيل : هذا إشارة إلى ما كان يفعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في الصلاة على المنافقين ، فاذا كبّر أربعا كانوا يعلمون أنّه منافق ، و إذا

----

(793) ساقط من نسخة الكمباني .

----

(794) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 102 ، ط بيروت .

[250]

كبّر خمسا كانوا يعلمون أنّه مؤمن ، فأشار عليه السلام إلى أنّه عند الموت تقع البراءة و تصحّ بعلامة تكبيراته الأربع . و كلا الوجهين كما ترى .

و الظاهر أنّ المراد بالبراءة قطع العلائق الايمانيّة الّتي يجوز معها الاستغفار كما يومىء إليه قوله سبحانه : مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كَانُوا أولي قُرْبَى . . . 795 إلى قوله تعالى : فَلَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ 796 « و الهجرة قائمة . . . » الخ ، و أصل الهجرة المأمور بها الخروج من دار الحرب إلى دار الاسلام . و قال في النهاية : فيه لا هجرة بعد الفتح و لكن جهادونيّة . و في حديث آخر : « لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة » . « الهجرة » في الأصل اسم من « الهجر » ضدّ الوصل ، و قد هجره هجرا و هجرانا . ثمّ غلب على الخروج من أرض إلى أرض و ترك الأولى للثانية ، يقال منه : هاجر مهاجرة .

و الهجرة هجرتان :

إحداهما الّتي وعد اللّه عليها الجنّة في قوله إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُومنِينَ أَنفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةُ 797 . فكان الرجل يأتي النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و يدع أهله و ماله لا يرجع في شيء منه ، و ينقطع بنفسه إلى مهاجره ، و كان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يكره أن يموت الرجل بالأرض الّتي هاجر منها ، فمن ثمّ قال : « لكنّ البائس سعد بن خولة » ، يرثي له أن مات بمكّة [798] ، و قال حين قدم مكّة : « اللّهمّ لا تجعل منايانا بها » . فلمّا فتحت مكّة صارت دار إسلام كالمدينة ، و انقطعت الهجرة .

و الهجرة الثانية من هاجر من الأعراب و غزا مع المسلمين ، و لم يفعل كما فعل

----

(795) التوبة : 113 .

----

(796) التوبة : 114 .

----

(797) التوبة : 111 .

[798] أي يترقّق و يشفق عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن مات سعد بن خولة بمكّة في حجّة الوداع حين قال : لكنّ البائس سعد بن خولة قد مات في الارض الّتي هاجر منها . راجع ترجمته في الاستيعاب بذيل الاصابة ، ج 2 ، ص 41 .

أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر و ليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة ، و هو المراد بقوله : « لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة » . فهذا وجه الجمع بين الحديثين ، و إذا أطلق في الحديث ذكر الهجرتين فانّما يراد بهما هجرة الحبشة و هجرة المدينة . 799 انتهى .

و قال ابن أبي الحديد : هذا كلام من أسرار الوصيّة يختصّ به عليّ عليه السلام لأنّ الناس يروون أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال : « لا هجرة بعد الفتح » ، فشفّع عمّه العبّاس في نعيم بن مسعود الأشجعيّ أن يستثنيه فاستثناه ، و هذه الهجرة الّتي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام ليست تلك بل هي الهجرة إلى الامام . و قال بعض الأصحاب : تجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الاسلام مع المكنة و يستحبّ للقادر على إظهارها تحرّزا عن تكثير سواد المشركين ، و المراد بها الأمور الّتي تختصّ بالاسلام كالأذان و الاقامة و صوم شهر رمضان و غير ذلك . و ألحق بعضهم ببلاد الشرك بلاد الخلاف الّتي لا يتمكّن فيها المؤمن إقامة شعائر الايمان مع الامكان . و لو تعذّرت الهجرة لمرض أو عدم نفقة أو غير ذلك فلا حرج لقوله تعالى : إِلاّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً 800 .

و الظاهر أنّ قوله عليه السلام « ما كان للّه في أهل الأرض حاجة » كناية عن بقاء التكليف كما يدلّ عليه قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله : « لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة » . و للتجوّز مجال واسع و في الصحيفة السجاديّة : « و لا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ، و لا حاجة بك إليه » . و قيل : كلمة « ما » هيهنا نافية و وجّهوه بتوجيهات ركيكة . و « السرّ » ما يكتم و « استسرّ » أي استتر و اختفى ، فالمختفي حينئذ كمن لا يختفي بل يعلن نفسه لأنّه لا يخاف و لا يتّقي لدينه

----

(799) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 103 ، ط بيروت .

----

(800) النساء : 98 99 .

[252]

أو غيره ، و قيل : أي ممّن أسرّ دينه أو أظهره و أعلنه ، و « من » لبيان الجنس ، و قيل :

زائدة ، و لو حذفت لجرّ المستسرّ بدلا من أهل الأرض .

« لا يقع اسم الهجرة . . . » الخ ، أي يشترط في صدق الهجرة معرفة الامام و الاقرار به . و المراد بقوله « فمن عرفها . . . » الخ أنّه مهاجر بشرط الخروج إلى الامام و السفر إليه أو المراد بالمعرفة المعرفة المستندة إلى المشاهدة و العيان ، و يحتمل أن يكون المراد أن مجرّد معرفة الامام و الاقرار بوجوب اتّباعه كاف في إطلاق اسم الهجرة كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام و يدلّ عليه بعض أخبارنا ، فمعرفة الامام و الاقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله .

و قال بعض الأصحاب : الهجرة في زمان الغيبة سكنى الأمصار لأنّها تقابل البادية مسكن الأعراب . و الأمصار أقرب إلى تحصيل الكمالات من القرى و البوادي فانّ الغالب على أهلها الجفاء و الغلظة و البعد عن العلوم و الكمالات كما روي عن النبي صلى اللّه عليه و آله أنّ الجفاء و القسوة في الفدّادين [801] ، و قيل : هي الخروج إلى طلب العلوم فيعمّ الخروج عن القرى و البوادي ، و الخروج عن بلد لا يمكن فيه طلب العلم .

« و لا يقع اسم الاستضعاف . . . » الخ ، « الاستضعاف » عدّ الشيء ضعيفا أو وجدانه ضعيفا و « استضعفه » أي طلب ضعفه . و « الحجّة » الدليل و البرهان ، و يعبّر به عن الامام لأنّه دليل الحقّ ، و المراد به هنا إمّا دليل الحقّ من أصول الدين أو الأعمّ أو الامام بتقدير مضاف أي حجّة الحجّة .

قال القطب الراونديّ رحمه اللّه : يمكن أن يشير بهذا الكلام إلى إحدى آيتين :

إحداهما : « إنّ الّذين توفيهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟

قالوا : كنّا مستضعفين في الارض . قالوا : أ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهاجِرُوا فيها ؟

[801] « الفدادون » الجمالون و الرعيان و البقارون و الحمارون و الفلاّحون و أصحاب الوبر و الّذين تعلو أصواتهم في حروثهم و مواشيهم و المكثرون من الابل .

[253]

فأولئك مأويهم جهنّم و ساءت مصيرا » 802 . فيكون مراده عليه السلام على هذا أنّه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام و بلغته أحكامه و وعاها قلبه ، و إن بقي في ولده و أهله لم يتجشّم السفر إلى الامام ، كما صدق على هؤلاء المذكورين في الآية .

و الثانية قوله تعالى بعد ذلك : « إلاّ المستضعفين من الرجال و النساء الآية » 803 . فيكون مراده على هذا أنّ من عرف الامام و سمع مقالته و وعاها قلبه لا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما صدق على هؤلاء ، إذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول المهاجرة بالأبدان دون من بعدهم ، بل يقنع منهم بمعرفته و العلم بقوله بدون المهاجرة إليه بالبدن .

و قال ابن ميثم رحمه اللّه بعد حكاية كلامه : و أقول : يحتمل أن يريد بقوله ذلك أنّه لا عذر لمن بلغته دعوة الحجّة فسمعتها أذنه في تأخيره عن النهوض و المهاجرة إليه مع قدرته على ذلك و لا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان حتّى يكون ذلك عذرا له ، بل يكون في تأخّره ملوما مستحقّا للعقاب كالّذين

قالوا : كنّا مستضعفين في الأرض ، و يكون مخصوصا بالقادرين على النهوض دون العاجزين ، فانّ اسم الاستضعاف صادق عليهم 804 انتهى .

و أقول : سيأتي شرح هذا الكلام في أخبار كثيرة و أنّ المراد به أنّ المستضعف المعذور في معرفة الامام في زمان الهدنة في الجملة ، إنّما هو إذا لم تبلغة الحجّة و اختلاف الناس فيه ، أو بلغه و لم يكن له عقل يتميّز به بين الحقّ و الباطل ،

كما سنذكر تفصيله إن شاء اللّه تعالى .

« إنّ أمرنا صعب مستصعب » ، « الصعب » العسر و الأبيّ الّذي لا ينقاد بسهولة ضدّ الذلول ، و « استصعب الأمر » أي صار صعبا ، و « استصعبت الأمر » أي

----

(802) النساء : 97 .

----

(803) النساء : 98 .

----

(804) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 198 ، ط بيروت .

وجدته صعبا . و « حملته و احتملته » بمعنى ، و « حمّلته » بالتشديد ، فاحتمله . و « الامتحان » الاختبار و « امتحن اللّه قلبه » أي شرحه و وسّعه .

قال ابن أبي الحديد : قال اللّه تعالى : « أولئك الّذين امتحن اللّه قلوبهم للتّقوى » 805 يقال : « امتحن فلان لأمر كذا » أي جرّب للنهوض به ، فهو قويّ على احتمال مشاقّه و يجوز أن يكون بمعنى المعرفة لأنّ تحقيقك الشيء إنّما يكون باختباره ،

فوضع موضعها فيتعلّق اللام بمحذوف ، أي كائنة له ، و هي اللام التي في قولك « أنت لهذا الأمر » أي مختصّ به و يكون مع معمولها منصوبة على الحال ، و يجوز أن يكون المعنى : ضرب اللّه قلوبهم بأنواع المحن لأجل التقوى ، أي ليثبّت و يظهر تقواها و يعلم أنّهم متّقون ، لأنّ التقوى لا يعلم إلاّ عند الصبر على المحن و الشدائد أو أخلص قلوبهم للتقوى أي أذابه و صفّاه . و « وعيت الحديث » أي حفظته و فهمته و الغرض حفظ الحديث عن الإذاعة و ضبط الأسرار عن إفضائها إلى غير أهلها أو الاذعان الكامل به ،

و عدم التزلزل عند العجز عن المعرفة التفصيليّة به ، فيكون كالتفسير لما قبله . و « الحلم » بالكسر ، الأناة و العقل . و « الرزانة » الوقار .

و حاصل الكلام أنّ شأنهم و ما هم عليه من الكمال و القدرة على خوارق العادات صعب لا يحصل لغيرهم ، مستصعب الفهم على الخلق ، أو فهم علومهم و إدراك أسرارهم مشكل يستصعبه أكثر الخلق ، فلا يقبله حقّ القبول بحيث لا يخرج إلى طرف الافراط بالغلوّ أو التفريط بعدم التصديق ، أو القول بعدم الحقّ لسوء الفهم إلاّ قلب عبد شرحه اللّه و صفّاه للايمان ، فيحمل كلّما يأتون به على وجهه إذا وجد له محملا و يصدّق إجمالا بكلّ ما عجز عن معرفته تفصيلا و يردّ علمه إليهم عليهم السّلام .

و المراد بطرق السماء الطرق الّتي يصعد منها الملائكة و يرفع فيها أعمال العباد ،

أو منازل سكّان السماوات و مراتبهم ، أو الأمور المستقبلة و ما خفي على الناس ممّا لا يعلم إلاّ بتعليم ربّانيّ فانّ مجاري نزولها في السماء ، أو أحكام الدين و قواعد الشريعة و

----

(805) الحجرات : 3 .

على ما يقابل كلّ واحد منها يحمل طرق الأرض .

و « شغر البلد » كمنع إذا خلا من حافظ يمنعه ، و « بلدة شاغرة برجلها » لم تمنع عن غارة أحد ، و « شغرت المرأة » رفعت رجلها للنكاح ، و « شغرتها » فعلت بها ذلك ، يتعدّى و لا يتعدّى ، و « شغر الكلب » إذا رفع أحد رجليه ليبول ، و قيل :

« الشغر » البعد و الاتّساع ، و قيل كنّي بشغر رجلها عن خلوّ تلك الفتنة عن مدبّر يردّها و يحفظ الأمور و ينظم الدين . و يحتمل أن يكون كناية عن شمولها للبلاد و العباد من الشغر بمعنى الاتّساع ، أو من شغر الكلب ، أو من شغرة المرأة كناية عن تكشّفها و عدم مبالاتها بظهور عيوبها و إبداء سوءتها . و « الوطء » الدوس بالرجل . و « الخطم » بالفتح من الدابّة ، مقدّم أنفها ، و « الخطام » ككتاب ما يوضع في أنف البعير ليقتاد به . و الوطء في الخطام كناية عن فقد القائد و إذا خلت الناقة من القائد تعثر و تخبط ، و تفسد ما تمرّ عليه بقوائمها .

« و تذهب بأحلام قومها » أي تفسد عقول أهلها فكانت أفعالهم على خلاف ما يقتضيه العقل ، فالمراد بأهلها المفسدون ، أو يتحيّر أهل زمانها فلا يهتدون إلى طريق التخلّص عنها ، فأهلها من أصابته البليّة ، أو يأتي أهل ذلك الزمان إليها رغبة و رهبة و لا يتفحّصون عن كونها فتنة لغفلتهم عن وجه الحقّ فيها . 806

190 و من خطبة له عليه السلام يحمد اللّه و يثني على نبيه و يعظ بالتقوى

حمد اللّه

أحمده شكرا لإنعامه ، و أستعينه على وظائف حقوقه ، عزيز الجند ،

عظيم المجد .

----

(806) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 227 234 .

الثناء على النبي

و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله ، دعا إلى طاعته ، و قاهر أعداءه جهادا عن دينه ، لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه ، و التماس لإطفاء نوره .

بيان

« لا يثنيه » أي لا يصرفه و لا يعطفه . 807

العظة بالتقوى

فاعتصموا بتقوى اللّه ، فإنّ لها حبلا وثيقا عروته ، و عقلا (2446) منيعا ذروته (2447) . و بادروا (2448) الموت و غمراته (2449) ، و امهدوا (2450) له قبل حلوله ، و أعدّوا له قبل نزوله : فإنّ الغاية القيامة ، و كفى بذلك واعظا لمن عقل ، و معتبرا لمن جهل و قبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس (2451) ، و شدّة الإبلاس (2452) ، و هول المطّلع (2453) ، و روعات الفزع و اختلاف الأضلاع (2454) ، و استكاك الأسماع (2455) ، و ظلمة اللّحد (2456) ، و خيفة الوعد ، و غم الضّريح ،

و ردم الصّفيح (2457) .

بيان

« الأرماس » جمع « الرمس » و هو القبر . و « الإبلاس » اليأس و الانكسار و الحزن . و قال الجزريّ : « المطّلع » مكان الاطّلاع من الموضع العالي ، و منه الحديث : « لافتديت من هول المطلع » أي الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من

----

(807) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ص 223 .

[257]

أمر الآخرة عقيب الموت ، فشبّهه بالمطّلع الّذي يشرف عليه من موضع عال . و « اختلاف الأضلاع » كناية عن ضغطة القبر ، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع و اختلافها . و « الضريح » الشقّ في وسط القبر ، و اللحد في الجانب . و « الصفيح » الحجر ، و المراد بردمه هنا سدّ القبر به . 808 [إنّ ما سيأتي هنا بحوث و دراسات في أحوال البرزخ و القبر و عذابه و سؤاله بمناسبة البحث حول القيامة .] [تذييل] ثم اعلم أن عذاب البرزخ و ثوابه ممّا اتّفقت عليه الأمّة سلفا و خلفا ، و قال به أكثر أهل الملل و لم ينكره من المسلمين إلاّ شرذمة قليلة لا عبرة بهم ، و قد انعقد الإجماع على خلافهم سابقا و لا حقا . و الأحاديث الواردة فيه من طرق العامّة و الخاصّة متواترة المضمون ، و كذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملّيين و الفلاسفة ، و لم ينكره إلاّ فرقة قليلة كالقائلين بأنّ النفس هي المزاج و أمثاله ممن لا يعبأبهم و لا بكلامهم ، و قد عرفت ما يدلّ عليه من الأخبار الجليّة و قد أقيمت عليه البراهين العقليّة ، و لنذكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين .

قال نصير الملّة و الدين قدّس اللّه روحه في التجريد : عذاب القبر واقع لإمكانه و تواتر السمع بوقوعه .

و قال العلاّمة الحلّيّ نورّ اللّه ضريحه في شرحه : نقل عن ضرار أنّه أنكر عذاب القبر ، و الإجماع على خلافه .

و قال الشيخ المفيد رحمه اللّه في أجوبة المسائل السرويّة حيث سئل :

ما قوله أدام اللّه تأييده في عذاب القبر و كيفيّته ؟ و متى يكون ؟ و هل تردّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا ؟ و هل يكون العذاب في القبر أن يكون بين النفختين ؟ الجواب : الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل .

و قد ورد عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّهم قالوا : ليس يعذّب في القبر كلّ

----

(808) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 6 ، كتاب العدل و الايمان ، ص 244 .

[258]

ميّت ، و إنّما يعذّب من جملتهم من محض الكفر محضا ، و لا ينعّم كلّ ماض لسبيله ، و إنّما ينعّم منهم من محض الإيمان محضا ، فأمّا ما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى عنهم . و كذلك روي أنّه لا يسأل في قبره إلاّ هذان الصنفان خاصّة ، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه . فأمّا عذاب الكافر في قبره و نعيم المؤمنين فيه فانّ الخبر أيضا قد ورد بأنّ اللّه تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنّة من جنّاته ينعّمه فيها إلى يوم الساعة ، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الّذي بلي في التراب و تمزّق ثمّ أعاده إليه و حشره إلى الموقف ، و أمر به إلى جنّة الخلد ، فلا يزال منعّما ببقاء اللّه عزّ و جلّ غير أن جسده الّذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا ، بل تعدل طباعه ، و تحسن صورته ، فلا يهرم مع تعديل الطباع ، و لا يمسّه نصب في الجنّة و لا لغوب ، و الكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محلّ عذاب يعاقب به ،

و نار يعذّب بها حتّى الساعة ، ثمّ أنشيء جسده الّذي فارقه في القبر و يعاد إليه ، ثمّ يعذّب به في الآخرة عذاب الأبد ، و يركّب أيضا جسده تركيبا لا يفنى معه ، و قد قال اللّه عزّ و جلّ اسمه : النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوا وَ عَشِيّاً وَ يَوْمَ تَقُومُ

السَّاعَةُ ادخِلُوا آلَ فِرعُونَ أشَدَّ العَذَاب 809 و قال في قصة الشهداء : و لا تحسبن الّذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » 810 . فدلّ على أنّ العذاب و الثواب يكونان قبل يوم القيامة و بعدها ، و الخبر وارد بأنّه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا ، و الروح ههنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط ، و ليس بعبارة عن الحياة الّتي يصحّ معها العلم و القدرة لأنّ هذه الحياة عرض لا يبقى و لا يصحّ الإعادة فيه فهذا ما عوّل عليه بالنقل و جاء به الخبر على ما بيّنّاه .

ثمّ سئل رحمه اللّه : ما قوله أدام اللّه تمكينه في معنى قول اللّه تعالى : « و لا تحسبن الّذين قتلوا في سبيل اللّه امواتا بل احياء عند ربّهم يرزقون » 811 ؟ أهم أحياء في الحقيقة على ما تقتضيه الآية ام الآية مجاز ؟ و أنّ أجسادهم الآن في قبورهم أم في الجنّة ؟

----

(809) الغافر : 46 .

----

(810) آل عمران : 169 .

----

(811) آل عمران : 169 .

فإنّ المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون : إنّ اللّه تعالى ينزع من جسد كلّ واحد منهم أجزاء قدر ما يتعلّق به الروح ، و إنّه تعالى يرزقهم على ما نطقت به الآية ، و ما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى .

الجواب : هذا المحكيّ عن أصحاب أبي هاشم لأنّ المحفوظ عنه الإنسان المخاطب المأمور المنهيّ هو البنية الّتي لا تصحّ الحياة إلاّ بها و ما سوى ذلك من الجسد ليس بإنسان و لا يتوجّه إليه أمر و لا نهي و لا تكليف ، و إن كان القوم يزعمون أنّ تلك البنية لا تفارق ما جاورها من الجسد فيعذّب أو ينعّم فهو مقال يستمرّ على أنّ البنية الّتي ذكروها هو المكلّف المأمور المنهيّ و باقي جسده في القبر : إلاّ أنّهم لم يذكروا كيف يعذّب من عذّب و يثاب من أثيب ؟ أفي دار غير الدنيا أم فيها ؟ و هل يحيى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت ؟ ثمّ لم يحك عنهم في أي محلّ يعذّبون و يثابون ؟ و فيما قالوه من ذلك فليس به أثر و لا يدلّ عليه العقل ، و إنّما هو يخرج منهم على الظنّ و الحساب ، و من بنى مذهبه على الظنّ في مثل هذا الباب كان بمقالته مفتريا ، ثمّ الّذي يفسد قولهم من بعد ما دلّ على أنّ الإنسان المأمور المنهيّ هو الجوهر البسيط ، و أنّ الأجزاء المؤلّفة لا يصحّ أن تكون فعّالة ، و دلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب ، و فيما أومأنا إليه منها كفاية فيما تعلّق به السؤال و باللّه التوفيق .

و سئل عنه قدّس اللّه روحه في المسائل العكبريّة عن قول اللّه تعالى : « و لا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل اللّه الآية » 812 هل يكون الرزق لغير جسم ؟ و ما صورة هذه الحياة ؟ فإنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئا ، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن و الكافر .

فأجاب رحمه اللّه بأنّ الرزق لا يكون عندنا إلاّ للحيوان ، و الحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد ، و تعذّر عليهم كثير من الأفعال إلاّ بها ، فإن أغنوا عنها بعد الوفاة جاز أن يرزقوا مع عدمها رزقا يحصل لهم به اللذات ، و إن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء . فأمّا

----

(812) آل عمران : 169 .

قوله « ما صورة هذه الحياة ؟ » فالحياة لا صورة لها لأنها عرض من الأعراض و هي تقوم بالذات الفعّالة دون الأجساد الّتي تقوم بها حياة النموّدون الحياة التي هي شرط في العلم و القدرة و نحوهما من الأعراض . و قوله « إنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئا » فليس ذلك كما ظنّ ، و لو كان كما توهم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر و ترفع عن

بعض ، كما توجد حياة النموّ لبعض الأجساد و ترفع من بعض بالاتفاق ، و لو قلنا : « إنّ الحياة بعد النقلة من هذه الدار تعمّ أهل الكفر و الإيمان » لم يفسد ذلك علينا أصلا في الدين ، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطا في وصول اللذّات إليهم ،

و الحياة لأهل الكفر شرطا في وصول الآلام إليهم بالعقاب . انتهى .

و قال شارح المقاصد : اتّفق الإسلاميّون على حقيقة سؤال منكر و نكير في القبر و عذاب الكفّار و بعض العصاة فيه ، و نسب خلافه إلى بعض المعتزلة ، قال بعض المتأخّرين منهم : حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو ، و إنّما نسب إلى المعتزلة و هم برآء منه لمخالطة ضرار إيّاهم ، و تبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحقّ و نحوه ، قال في المواقف : و قال المحقّق الدوّانيّ في شرح العقائد العضديّة :

عذاب القبر للمؤمن و الفاسق و الكافر حقّ لقوله تعالى : « النّار يعرضون عليها غدوّا و عشيّا الآية » 813 .

و قوله : « ربّنا امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين » 814 ، و لقوله صلّى اللّه عليه و آله : « إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشي ، إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة ، و إن كان من أهل النار فمن النار ، فيقال : هذا مقعدك حتّى نبعثك يوم القيامة » ، و قوله صلّى اللّه عليه و آله : « استنزهوا من البول فإنّ عامّة عذاب القبر منه » ، و قوله صلّى اللّه عليه و آله : « القبر إمّا روضة من رياض الجنّة ، أو حفرة من حفر النيران » . و نقل العلاّمة التفتازانيّ عن السيّد أبي الشجاع أنّ الصبيان يسألون و كذا الأنبياء عليهم السلام و قيل : إنّ الأنبياء لا يسألون لأنّ السؤال على ما ورد في الحديث عن ربّه و عن دينه و عن نبيّه ، و لا يعقل

----

(813) الغافر : 46 .

----

(814) الغافر : 11 .

السؤال عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله من نفس النبيّ ، و أنت خبير بأنّه لا يدلّ على عدم السؤال مطلقا بل عدم السؤال عن نبيّه فقط ، و ذلك أيضا في الّذي لا يكون على ملّة نبيّ آخر .

و اختلف الناس في عذاب القبر فأنكره قوم بالكلّيّة و أثبته آخرون ، ثمّ اختلف هؤلاء فمنهم من أثبت التعذيب و أنكر الإحياء و هو خلاف العقل ، و بعضهم لم يثبت العذاب بالفعل بل قال : تجتمع الآلام في جسده فإذا حشر أحسّ بها دفعة ، و هذا إنكار لعذاب القبر حقيقة ، و منهم من قال بإحيائه لكن من غير إعادة الروح ، و منهم من قال بالإحياء و إعادة الروح و لا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه حتى انّ المأكول في بطن الحيوانات يحيى و يسأل و ينعّم و يعذّب و لا ينبغي أن ينكر لأنّ من أخفى النار في الشجرة الأخضر قادر على إخفاء العذاب و النعيم .

قال الإمام الغزّاليّ في الإحياء : اعلم أنّ لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا .

أحدها و هو الأظهر و الأصحّ أن تصدّق بأنّ الحيّة مثلا موجودة تلدغ الميّت و لكنّا لا نشاهد ذلك ، فإنّ ذلك العين لا يصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوتيّة ، و كلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت ، أما ترى أنّ الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام ، و ما كانوا يشاهدونه ، و يؤمنون أنّه صلّى اللّه عليه و آله يشاهده ؟ فإن كنت لا تؤمن بهذا ، فتصحيح الإيمان بالملائكة و الوحي عليك أوجب ، و إن أمنت به و جوّزت أن يشاهد النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ما لا تشاهده الأمّة فكيف لا تجوّز هذا في الميّت ؟ .

المقام الثاني أن تتذكّر أمر النائم فإنّه يرى في نومه حيّة تلدغه و هو يتألم بذلك حتّى يرى في نومه يصيح و يعرق جبينه ، و قد ينزعج من مكانه . كل ذلك يدرك من نفسه و يتأذّى به كما يتأذّى اليقظان ، و أنت ترى ظاهره ساكنا و لا ترى في حواليه حيّة ، و الحيّة موجودة في حقّه ، و العذاب حاصل ، و لكنّه في حقّك غير مشاهد ، و إن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حيّة تتخيّل أو تشاهد .

المقام الثالث أنّ الحيّة بنفسها لا تؤلم بل الّذي يلقاك منها هو السمّ ، ثمّ السمّ ليس هو الألم ، بل عذابك في الأثر الّذي يحصل فيك من السمّ ، فلو حصل مثل ذلك من غير سمّ فكان ذلك العذاب قد توفّر ، و قد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلاّ بأن يضاف إلى السبب الّذي يفضي إليه في العادة ، و الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات و مؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالام لدغ الحيّات من غير وجود الحيّات .

فإن قلت : ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة ؟ فاعلم أنّ من الناس من لم يثبت إلاّ الثالث ، و إنّما الحقّ الّذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أنّ كلّ ذلك في حيّز الإمكان ، و أنّ من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته و جهله باتّساع قدرة اللّه و عجائب تدبيره منكر من أفعال اللّه تعالى ما لم يأنس به و لم يألفه و ذلك جهل و قصور ، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن و التصديق بها واجب ، و ربّ عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة . هذا هو الحقّ فصدّق به .

ثمّ قال : و سؤال منكر و نكير حقّ لقوله صلّى اللّه عليه و آله : « إذا أقبر الميّت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : منكر و للآخر : نكير ، يقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنا فيقول ، هو عبد اللّه و رسوله ، أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أشهد أنّ محمّدا رسول اللّه ، فيقولان : قد كنّا نعلم أنّك تقول هذا ، ثمّ يفسح في قبره سبعين ذراعا في سبعين ذراعا ، ثم ينوّر له فيه ، ثم يقال له : نم ، فيقول :

أرجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان : نم كنومة العروس الّذي لا يوقظه إلاّ أحبّ أهله ،

حتّى يبعثه اللّه من مضجعه ذلك . و إن كان منافقا قال : سمعت الناس يقولون ،

فقلت مثله ، لا أدري فيقولان : قد كنّا نعلم أنّك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه ، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيه معذّبا حتّى يبعثه اللّه من مضجعه ذلك .

و أنكر الجبائيّ و ابنه و البلخيّ تسمية الملكين منكرا و نكيرا و قالوا : إنّما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل ، و النكير إنّما هو تقريع الكافر ، و هو

[263]

خلاف ظاهر الحديث . و الأحاديث الصحيحة الدالّة على عذاب القبر و نعيمه و سؤال الملكين أكثر من أن تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حدّ التواتر و إن كان كلّ منها خبر الآحاد ، و اتّفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف . و أنكره مطلقا ضرار بن عمرو و أكثر متأخّري المعتزلة و بعض الروافض متمسّكين بأنّ الميّت جماد فلا يعذّب ،

و ما سبق حجّة عليهم ، و من تأمّل عجائب الملك و الملكوت و غرائب صنعه تعالى لم يستنكف عن قبول أمثال هذا ، فإنّ للنفس نشآت و في كلّ نشأة تشاهد صورا تقتضيها تلك النشأة ، فكما أنّها تشاهد في المنام أمورا لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أمورا لم تكن تشاهد في الحياة . و إلى هذا يشير من قال : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . انتهى كلامه .

و لا يخفى على أحد أنّ ما نسبه هو و غيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلا مرية . و لا يوجد من ذلك في كتبهم عين و لا أثر ، و قد سمعت بعض كلماتهم في ذلك ، و لعلّه رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الإسماعيليّة ، و غيرهم الملصقين بهذه الفرقة المحقّة فنسب ذلك إليهم مجملا ، و هذا تدليس قبيح و لا سيّما من الفضلاء .

ثمّ اعلم أنّه روى العامّة في كتبهم عن أبي أمامة الباهليّ أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال : « إذا مات أحدكم و سوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم عند قبره ثم ليقل : يا فلان بن فلانة فإنّه يسمع و لا يجيب ، ثمّ ليقل : يا فلان بن فلانة الثانية فيستوي قاعدا ، ثمّ ليقل : يا فلان بن فلانة ، فإنّه يقول : أرشدنا رحمك اللّه ،

فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا إله إلاّ اللّه ، و أنّ محمّدا عبده و رسوله ، و أنّك رضيت باللّه ربّا ، و بالإسلام دينا ، و بمحمّد نبيّا ، و بالقرآن إماما . فإنّ منكرا و نكيرا يتأخر كلّ واحد منهما فيقول : انطلق فما يقعدنا عند هذا و قد لقّن حجّته ؟ » فقال : يا رسول اللّه فإن لم يعرف أمّه ؟

قال : فلينسبه إلى حوّاء .

و قال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه : قد يتوهم أنّ القول بتعلّق

[264]

الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصريّة بأشباح أخر كما دلّت عليه الأحاديث قول بالتناسخ ، و هذا توهّم سخيف لأنّ التناسخ الّذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أخر في هذا العالم ، إمّا عنصريّة كما يزعم بعضهم و يقسّمه إلى النسخ و المسخ و الفسخ و الرسخ ، أو فلكيّة ابتداء أو بعد تردّدها في الأبدان العنصريّة على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلّها .

و أمّا القول بتعلّقها في عالم آخر بأبدان مثاليّة مدّة البرزخ إلى أن تقوم قيامها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأوليّة بإذن مبدعها إمّا بجمع أجزائها المتشتّتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوّل مرّة فليس من التناسخ في شيء ، و إن سمّيته تناسخا فلا مشاحّة في التسمية إذا اختلف المسمّى ، و ليس إنكارنا على التناسخيّة و حكمنا بتكفيرهم بمجرّد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر ، فإنّ المعاد الجسمانيّ كذلك عند كثير من أهل الإسلام ، بل بقولهم بقدم النفوس و تردّدها في أجسام هذا العالم و إنكارهم المعاد الجسمانيّ في النشأة الأخرويّة . . .

قال الفخر الرازيّ في نهاية العقول : إن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم ، و التناسخيّة يقولون بقدمها و ردها إليها في هذا العالم و ينكرون الآخرة و الجنّة و النار ، و إنّما كفروا من أجل هذا الإنكار . انتهى كلامه ملخّصا . فقد ظهر البون البعيد بين القولين . انتهى كلامه . زاد الله في إكرامه .

ثمّ اعلم أنّ مقتضى قواعد العدليّة و ظواهر النصوص الماضية و الآتية أنّه إنّما يسأل في القبر المكلّفون الكاملون لا الأطفال و المجانين و المستضعفون ، و أمّا الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام و إن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقّن و أمثالهم و ما مرّ أنّه يسأل و هو مضغوط على بعض محتملاته و غيره ممّا يدلّ على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم ، لكن لمّا لم نر فيه نصّا صريحا فالأولى عدم التعرض له نفيا و إثباتا ، و لذا لم يتعرّض له علماءنا رضوان الله عليهم .

قال صاحب المحجّة البيضاء في مذهب آل العباء : اختلف أهل السنة في أنّ الأنبياء عليهم السلام هل يسألون في القبر أم لا ؟ و كذا في الأطفال ؟ فقيل :

[265]

الأصحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يسألون . و قال الصفّار : ليس في هذا نصّ و لا خبر و لا دليل فانتفي ذلك عنهم ، و ما روي عنه صلّى الله عليه و آله من الاستعاذة عن عذاب القبر فذلك للمبالغة في إظهار الافتقار إلى الله تعالى و قيل : هو تحكّم محض لجواز أن يقال : « آمن الرّسول بما أنزل اليه من ربّه » 815 فكما جاز أن يسأل المؤمن عمّا آمن به فيقال : من ربّك و ما دينك ؟ فكذا الرسول يسأل عمّا آمن به . فعلم أنّ حمل الاستعاذة على المبالغة تحكّم بغير دليل ، و لأنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله صاحب عهدة عظيمة لأنّه إنّما بعث لبيان الشرائع و صرف القلوب إلى الله تعالى فلم لا يجوز أن يسأل عمّا كان في عهدته ؟ حتّى قيل : و سؤالهما الأنبياء بهذه العبارة : على ما ذا تركتم أمّتكم ؟

و الحقّ أنّ الأئمّة كالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين في هذه الأمور كلّها ، و لم أر في كتب الإماميّة هذه المسألة لا نفيا و لا إثباتا ، و الّذي يطمئنّ إليه قلبي أنّهم مع الأئمّة سلام الله عليهم مستثنون من هذه الأحكام . انتهى .

و قال الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد : اعتقادنا في المساءلة في القبر أنها حق لا بدّ منها ، فمن أجاب بالصواب فإذا بروح و ريحان في قبره و بجنّة نعيم في الآخرة و من لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره و تصلية جحيم في الآخرة . و أكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة و سوء الخلق و الاستخفاف بالبول ، و أشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجّام ، و يكون ذلك كفّارة لما بقي عليه من الذنوب الّتي تكفّرها الهموم و الغموم و الأمراض و شدّة النزف عند الموت .

فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه بعد ما فرغت النساء من غسلها و حمل جنازتها على عاتقه حتّى أوردها قبرها ، ثمّ وضعها و دخل القبر و اضطجع فيه ثمّ قام فأخذها على يديه و وضعها في قبرها ، ثمّ انكبّ عليها يناجيها طويلا و يقول لها : ابنك ابنك ، ثمّ خرج و سوى عليها التراب ، ثمّ انكبّ على قبرها فسمعوه و هو يقول : اللّهم إنّي أودعتها إيّاك . ثمّ انصرف .

----

(815) البقرة : 285 .

[266]

فقال له المسلمون : يا رسول اللّٰه إنّا رأيناك صنعت اليوم شيئا لم تصنعه قبل اليوم ؟ فقال : اليوم فقدت برّ أبي طالب إنّها كانت يكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها و ولدها ، و إنّي ذكرت القيامة و أنّ الناس يحشرون عراة فقالت و اسوأتاه فضمنت لها أن يبعثها اللّٰه تعالى كاسية ، و ذكرت ضغطة القبر فقالت : و اضعفاه فضمنت لها أن يكفيها اللّٰه تعالى ذلك فكفّنتها بقميصي و اضطجعت في قبرها لذلك و انكببت عليها فلقّنتها ما تسأل عنه ، و إنّما سئلت عن ربّها فقالت : اللّٰه ، و سئلت عن نبيّها فأجابت ، و سئلت عن وليّها و إمامها فارتج عليها ، فقلت لها : ابنك ابنك .

أقول : و قال الشيخ المفيد نورّ اللّٰه ضريحه في شرح هذا الكلام : جاءت الأخبار الصحيحة عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله أنّ الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم ، و ألفاظ الأخبار بذلك متقاربة ، فمنها أنّ ملكين للّٰه تعالى يقال لهما : ناكر و نكير ، ينزلان على الميّت فيسألانه عن ربّه و نبيّه و دينه و إمامه فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم ، و إن أرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب . و قيل في بعض الأخبار : إنّ اسمي الملكين اللّذين ينزلان على المؤمن مبشر و بشير . و قيل : إنّه إنّما سمّي ملكا الكافر ناكرا و نكيرا لأنّه ينكر الحقّ و ينكر ما يأتيانه به و يكرهه ، و سمّي ملكا المؤمن مبشرا و بشيرا لأنّهما يبشّرانه من اللّٰه تعالى بالرضا و الثواب المقيم . و إنّ هذين الاسمين ليسا بلقب لهما ، و إنّهما عبارة عن فعلهما ، و هذه امور تتقارب بعضها من بعض و لا تستحيل معانيها و اللّٰه أعلم بحقيقة الأمر فيها .

و قد قلنا فيما سلف : إنّما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا ، و من سوى هذين فيلهى عنه و بيّنّا أنّ الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه .

فصل

و ليس ينزل الملكان إلاّ على حيّ و لا يسألان إلاّ من يفهم المسألة و يعرف معناها ، و هذا يدلّ على أنّ اللّٰه تعالى يحيي العبد بعد موته للمساءلة ، و يديم

[267]

حياته بنعيم إن كان يستحقّه ، أو بعذاب إن كان يستحقّه [816] نعوذ باللّٰه من سخطه و نسأله التوفيق لما يرضيه برحمته و الغرض من نزول الملكين و مساءلتهما العبد أنّ اللّٰه يوكّل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم و ملائكة العذاب ، و ليس للملائكة طريق إلى ما يستحقّه العبد إلاّ بإعلام اللّٰه تعالى ذلك لهم ، فالملكان اللّذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم و الآخر من ملائكة العذاب ، فإذا هبطا لما وكلا به استفهما حال العبد بالمساءلة فإن أجاب بما يستحقّ به النعيم قام بذلك ملك النعيم و عرج عنه ملك العذاب ، و إن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب وكل به ملك العذاب و عرج عنه ملك النعيم . و قد قيل : إنّ الملائكة الموكّلين بالنعيم و العقاب غير الملكين الموكّلين بالمساءلة ، و إنّما يعرف ملائكة النعيم و ملائكة العقاب ما يستحقّه العبد من جهة ملكي المساءلة ، فإذا ساءلا العبد و ظهر منه ما يستحقّ به الجزاء تولّى منه ذلك ملائكة الجزاء و عرج ملكا المساءلة إلى مكانهما من السماء . و هذا كلّه جائز و لسنا نقطع بأحد دون صاحبه ، إذ الأخبار فيه متكافئة و العادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقّف و التجويز .

فصل

و إنّما وكل اللّٰه تعالى ملائكة المساءلة و ملائكة العذاب و النعيم بالخلق تعبّدا لهم بذلك ، كما وكل الكتبة من الملائكة عليهم السلام بحفظ أعمال الخلق و كتبها و نسخها و رفعها تعبّدا لهم بذلك ، و كما تعبّد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم و طائفة منهم بإهلاك الأمم ، و طائفة يحمل العرش ، و طائفة بالطواف حول البيت المعمور ، و طائفة بالتسبيح ، و طائفة بالاستغفار للمؤمنين ، و طائفة بتنعيم أهل الجنّة ، و طائفة بتعذيب أهل النار و التعبّد لهم بذلك ليثيبهم عليها . و لم يتعبّد اللّٰه الملائكة بذلك عبثا كما لم يتعبّد البشر و الجنّ بما تعبّدهم به لعبا بل تعبّد الكلّ للجزاء و ما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى و التزامهم شكر النعمة عليهم .

[816] لعلّ المراد أنّ الانسان لا يبطل بعد الموت و لا ينعدم بالكلّيّة ، بل له نوع من الحياة غير الحياة الحسّيّة الّتي يفقدها بالموت ،

قال صلّى اللّه عليه و آله : « و إنّما تنتقلون من دار إلى دار الحديث » . و أمّا الروايات الدالة على إدخال الروح فيه إلى حقويه في القبر ، فهي تمثيل للمساءلة كما أنّ الروايات الدالة على قولهما له « نم نومة العروس » و إنا متهما له و غير ذلك تمثيل لمكثه في القبر في انتظار البعث . ط

[268]

و قد كان اللّه تعالى قادرا على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة و ينعّم المطيع من غير واسطة ، لكنّه علّق ذلك على الوسائط لما ذكرناه و بيّنّا وجه الحكمة فيه و وصفناه .

و طريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو السمع ، و طريق العلم بردّ الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل ، إذ لا تصحّ مساءلة الأموات و استخبار الجمادات ، و إنّما يحسن الكلام للحيّ العاقل لما يكلّم به و تقريره و إلزامه بما يقدر عليه ، مع أنّه قد جاء في الخبر أنّ كلّ مساءل ترد اليه الحياة عند مساءلتهم ليفهم ما يقال له ، فالخبر بذلك أكد ما في العقل ، و لو لم يرد بذلك خبر لكفى حجّة العقل فيه على ما بيّنّاه . انتهى كلامه رحمه اللّه .

و أقول : لمّا كانت هذه المسألة من أعظم الأصول الإسلامية و قد أكثرت المتفلسفة و الملاحدة الشبه فيها و رام بعض من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه تأويلها و تحريفها أطنبت الكلام فيها بعض الإطناب و أرجو من فضل ربّي أن يوفّقني لأن أعمل في ذلك رسالة مفردة عن هذا الكتاب ، و اللّه الموفّق لكلّ خير و صواب . و قد أثبتنا الأخبار النافعة في هذا المقصد الأقصى في باب الاحتضار ، و باب الجريدتين ،

و باب الدفن ، و باب التلقين و غيرها من أبواب الجنائز ، و باب أحوال أولاد آدم ، و أبواب معجزات الأئمة عليهم السلام و غرائب أحوالهم . و سيأتي خبر طويل في تكلّم سلمان مع بعض الأموات في باب أحواله رضي اللّه عنه ، و سيأتي في أكثر الأبواب ما يناسب الباب لا سيّما في باب فضل فاطمة بنت أسد رضي اللّه عنها ،

و باب فضل ليلة الجمعة و يومها ، و أبواب المواعظ ، و أبواب فضائل الأعمال و غيرها ممّا تطول الإشارة إليها فكيف ذكرها . 817 .

----

(817) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 6 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 271 .

[269]

فاللّه

فاللّه اللّه عباد اللّه فإنّ الدّنيا ماضية بكم على سنن (2458) ، و أنتم و السّاعة في قرن (2459) . و كأنّها قد جاءت بأشراطها (2460) ، و أزفت (2461) بأفراطها (2462) ، و وقفت بكم على صراطها . و كأنّها قد أشرفت بزلازلها ، و أناخت بكلاكلها (2463) ، و انصرمت (2464) الدّنيا بأهلها ،

و أخرجتهم من حضنها ، فكانت كيوم مضى ، أو شهر انقضى ، و صار جديدها رثّا (2465) ، و سمينها غثّا (2466) . في موقف ضنك المقام ،

و أمور مشتبهة عظام ، و نار شديد كلبها (2467) ، عال لجبها (2468) ،

ساطع لهبها ، متغيّظ (2469) زفيرها (2470) ، متأجّج سعيرها ، بعيد خمودها ، ذاك (2471) وقودها مخوف وعيدها ، عم قرارها (2472) ،

مظلمة أقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة أمورها . « و سيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمرا » . قد أمن العذاب ، و انقطع العتاب ، و زحزحوا عن النّار ، و اطمأنّت بهم الدّار ، و رضوا المثوى و القرار . الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية ، و

أعينهم باكية ، و كان ليلهم في دنياهم نهارا ، تخشّعا و استغفارا ، و كان نهارهم ليلا ، توحّشا (2473) و انقطاعا . فجعل اللَّه لهم الجنّة مآبا ، و الجزاء ثوابا ، « و كانوا أحقّ بها و اهلها » في ملك دائم ، و نعيم قائم .

بيان

« على سنن » أي على طريقة الأمم الماضية يهلككم كما أهلكهم . و « القرن » حبل يشدّ به البعيران . « بأفراطها » أي مقدّماتها . و « الكلاكل » جمع

[270]

« الكلكل » و هو الصدر ، و يقال للأمر الثقيل : « قد أناخ عليهم بكلكله » أي هدّهم و رضّهم كما يهدّ البعير البارك من تحته إذا انيخ عليه بصدره ، و الجمع باعتبار تعدّد أهوالها . و « الحضن » بالكسر ، الجنب . و « الرثّ » البالي . و « الغثّ » المهزول . و « الضنك » الضيق . و « الكلب » الشدّة و الأذى . و « اللجب » الصوت . و « التغيّظ » الهيجان و الغليان . و « الذكاء » شدة و هج النار . و « حمى التّنور » اشتد حرّها . و « زحزحه عن كذا » باعده . 818

الرعاية

فارعوا عباد اللَّه ما برعايته يفوز فائزكم ، و بإضاعته يخسر مبطلكم .

و بادروا آجالكم بأعمالكم ، فإنّكم مرتهنون بما أسلفتم ، و مدينون بما قدّمتم . و كأن قد نزل بكم المخوف ، فلا رجعة تنالون ، و لا عثرة تقالون . استعملنا اللَّه و إيّاكم بطاعته و طاعة رسوله ، و عفا عنّا و عنكم بفضل رحمته .

الزموا الأرض (2474) ، و اصبروا على البلاء . و لا تحرّكوا بأيديكم و سيوفكم في هوى ألسنتكم ، و لا تستعجلوا بما لم يعجّله اللَّه لكم .

فإنّه من مات منكم على فراشه و هو على معرفة حقّ ربّه و حقّ رسوله و أهل بيته مات شهيدا ، و وقع أجره على اللَّه ، و استوجب ثواب ما نوى من صالح عمله ، و قامت النّيّة مقام إصلاته (2475) لسيفه ،

فإنّ لكلّ شيء مدّة و أجلا .

----

(818) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 7 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 207 .

[271]

191 و من خطبة له عليه السلام يحمد اللَّه و يثني على نبيه و يوصي بالزهد و التقوى

حمد الله

الحمد للَّه الفاشي (2476) في الخلق حمده ، و الغالب جنده ، و المتعالي جده (2477) . أحمده على نعمه التّؤام (2478) ، و آلائه العظام . الّذي عظم حلمه فعفا ، و عدل في كلّ ما قضى ، و علم ما يمضي و ما مضى ، مبتدع الخلائق بعلمه ، و منشئهم بحكمه (2479) ، بلا اقتداء و لا تعليم . و لا احتذاء لمثال صانع حكيم ، و لا اصابة خطأ ، و لا حضرة ملأ .

الرسول الاعظم

و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، ابتعثه و النّاس يضربون في غمرة (2480) ،

و يموجون في حيرة . قد قادتهم أزمّة (2481) الحين (2482) ، و استغلقت على أفئدتهم أقفال الرّين (2483) .

بيان

« الضرب » السير السريع ، و « الضارب » السابح . و « الغمزة » الماء الكثير . و « الحين » الهلاك . و « استغلقت » أي تعسّر فتحها . و « الرين » الطبع و التغطية . 819

----

(819) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله ، ص 227 .

[272]

الوصية بالزهد و التقوى

عباد اللّه أوصيكم بتقوى اللّه فإنّها حقّ اللّه عليكم ، و الموجبة على اللّه حقّكم ، و أن تستعينوا عليها باللّه ، و تستعينوا بها على اللّه :

فإنّ التّقوى في اليوم الحرز و الجنّة ، و في غد الطّريق إلى الجنّة .

مسلكها واضح ، و سالكها رابح ، و مستودعها (2484) حافظ . لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين منكم و الغابرين ، لحاجتهم إليها غدا ، إذا أعاد اللّه ما أبدى ، و أخذ ما أعطى ، و سأل عمّا أسدى (2485) .

فما أقلّ من قبلها ، و حملها حقّ حملها أولئك الأقلّون عددا ، و هم أهل صفة اللّه سبحانه إذ يقول : « و قليل من عبادي الشّكور » .

فأهطعوا (2486) بأسماعكم إليها ، و ألظّوا (2487) بجدّكم عليها ، و اعتاضوها من كلّ سلف خلفا ، و من كلّ مخالف موافقا . أيقظوا بها نومكم ،

و اقطعوا بها يومكم ، و اشعروها قلوبكم ، و ارحضوا (2488) بها ذنوبكم ،

و داووا بها الأسقام ، و بادروا بها الحمام ، و اعتبروا بمن أضاعها ،

و لا يعتبرنّ بكم من أطاعها . ألا فصونوها و تصونوا (2489) بها ، و كونوا عن الدّنيا نزّاها (2490) ، و إلى الآخرة ولّاها (2491) . و لا تضعوا من رفعته التّقوى ، و لا ترفعوا من رفعته الدّنيا . و لا تشيموا (2492) بارقها (2493) ، و لا تسمعوا ناطقها ، و لا تجيبوا ناعقها ، و لا تستضيئوا

[273]

بإشراقها ، و لا تفتنوا بأعلاقها (2494) ، فإنّ برقها خالب (2495) ، و نطقها كاذب ، و أموالها محروبة (2496) ، و أعلاقها مسلوبة . ألا و هي المتصدّية (2497) العنون (2498) ، و الجامحة الحرون (2499) ، و المائنة الخؤون (2500) ، و الجحود الكنود (2501) ، و العنود الصّدود (2502) ، و الحيود الميود (2503) . حالها انتقال ، و وطأتها زلزال ، و عزّها ذلّ ، وجدها هزل ، و علوها سفل . دار حرب (2504) و سلب ، و نهب و عطب . أهلها على ساق و سياق (2505) ، و لحاق و فراق (2506) . قد تحيّرت مذاهبها (2507) ،

و أعجزت مهاربها (2508) ، و خابت مطالبها ، فأسلمتهم المعاقل ، و لفظتهم المنازل ، و أعيتهم المحاول (2509) : فمن ناج معقور (2510) ، و لحم مجزور (2511) ، و شلو (2512) مذبوح ، و دم مسفوح (2513) ، و عاض على يديه ، و صافق بكفّيه ، و مرتفق بخدّيه (2514) ، و زار (2515) على رأيه ، و راجع عن عزمه ، و قد أدبرت الحيلة ، و أقبلت الغيلة (2516) ،

« و لات حين مناص » (2517) . هيهات هيهات قد فات ما فات ، و ذهب ما ذهب ، و مضت الدّنيا لحال بالها (2518) ، « فما بكت عليهم السّماء و الأرض و ما كانوا منظرين (2519) .

192 و من خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة (2520)

[274]

و هي تتضمن ذم إبليس لعنه اللَّه ، على استكباره و تركه السجود لآدم عليه السلام ،

و أنه اول من اظهر العصبية (2521) و تبع الحمية ، و تحذير الناس من سوك طريقته .

حمد اللّه

الحمد للَّه الّذي لبس العزّ و الكبرياء ، و اختارهما لنفسه دون خلقه ، و جعلهما حمى (2522) و حرما على غيره ، و اصطفاهما (2523) لجلاله .

راس العصيان

و جعل اللّعنة على من نازعه فيهما من عباده . ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين ، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين ، فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب ، و محجوبات الغيوب :

« إنّي خالق بشرا من طين فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلّهم اجمعون إلا ابليس » اعترضته الحميّة فافتخر على آدم بخلقه ، و تعصّب عليه لأصله . فعدوّ اللَّه إمام المتعصّبين ، و سلف المستكبرين ، الّذي وضع أساس العصبية ،

و نازع اللَّه رداء الجبريّة ، و ادرع لباس التّعزّز ، و خلع قناع التّذلّل .

ألا ترون كيف صغّره اللَّه بتكبّره ، و وضعه بترفّعه ، فجعله في الدّنيا مدحورا ، و أعدّ له في الآخرة سعيرا ؟

ابتلاء اللَّه لخلقه

[275]

و لو أراد اللَّه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ،

و يبهر العقول رواؤه (2524) ، و طيب يأخذ الأنفاس عرفه (2525) ، لفعل .

و لو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة ، و لخفّت البلوى فيه على الملائكة .

و لكنّ اللَّه سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله ، تمييزا بالاختبار لهم ، و نفيا للاستكبار عنهم ، و إبعادا للخيلاء منهم .

طلب العبرة

فاعتبروا بما كان من فعل اللَّه بإبليس إذ أحبط (2526) عمله الطّويل ،

وجهده الجهيد ، و كان قد عبد اللَّه ستّة آلاف سنة ، لا يدرى أمن سني الدّنيا أم من سني الآخرة ، عن كبر ساعة واحدة . فمن ذا بعد إبليس يسلم على اللَّه بمثل معصيته ؟ كلاّ ، ما كان اللَّه سبحانه ليدخل الجنّة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا . إنّ حكمه في أهل السّماء و أهل الأرض لواحد . و ما بين اللَّه و بين أحد من خلقه هوادة (2527) في إباحة حمى حرّمه على العالمين .

بيان

« لا يدرى » على صيغة المجهول ، و في بعض النسخ على المتكلم المعلوم ،

فعلى الأوّل لا يدلّ على عدم علمه عليه السلام و على الثاني أيضا المراد به غيره و أدخل نفسه تغليبا ، و الابهام لمصلحة كعدم تحاشي السامعين من طول المدّة أو غيره .

قوله عليه السلام « اخرج به منها ملكا » ظاهره أنّ ابليس كان من الملائكة ، و يمكن الجواب بأنّ إطلاق الملك عليه لكونه من الملائكة بالولاء . و قال

[276]

بعض شراح النهج : « يسلم على اللّه » أي يرجع اليه سالما من طرده و لعنه ، تقول :

« سلم عليّ هذا الشيء » إذا رجع إليك سالما و لم يلحقه تلف ، و الباء للمصاحبة كما في قوله « بأمر » و أمّا الباء في « به » فيحتمل المصاحبة و السببيّة و قد مرّ تمام الخطبة و شرحها . 820

التحذير من الشيطان

فاحذروا عباد اللّه عدوّ اللّه أن يعديكم بدائه (2528) ، و أن يستفزّكم (2529) بندائه ، و أن يجلب عليكم بخيله و رجله (2530) . فلعمري لقد فوّق (2531) لكم سهم الوعيد ، و أغرق (2532) إليكم بالنّزع (2533) الشّديد ،

و رماكم من مكان قريب ، فقال : « ربّ بما أغويتني لأزيّننّ لهم في الأرض و لأغوينّهم أجمعين » ، قذفا بغيب بعيد ، و رجما بظنّ غير مصيب ، صدّقه به أبناء الحميّة ، و إخوان العصبيّة ، و فرسان الكبر و الجاهليّة . حتّى إذا انقادت له الجامحة (2534) منكم ، و استحكمت الطّماعيّة (2535) منه فيكم ، فنجمت (2536) الحال من السّرّ الخفيّ إلى الأمر الجلي ، استفحل سلطانه عليكم ، و دلف (2537) بجنوده نحوكم ،

فأقحموكم (2538) و لجات (2539) الذّلّ ، و أحلّوكم ورطات القتل ،

و أوطؤوكم (2540) إثخان (2541) الجراحة ، طعنا في عيونكم ، و حزّا في

----

(820) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 63 ، كتاب السماء و العالم ، ص 214 .

[277]

حلوقكم ، و دقّا لمناخركم ، و قصدا لمقاتلكم ، و سوقا بخزائم (2542) القهر إلى النّار المعدّة لكم . فأصبح أعظم في دينكم حرجا ، و أورى (2543) في دنياكم قدحا ، من الّذين أصبحتم لهم مناصبين (2544) ، و عليهم متألّبين (2545) . فاجعلوا عليه حدّكم (2546) ، و له جدّكم (2547) ، فلعمر اللّه لقد فخر على أصلكم ، و وقع في حسبكم ، و دفع في نسبكم ،

و أجلب بخيله عليكم ، و قصد برجله سبيلكم ، يقتنصونكم بكلّ مكان ، و يضربون منكم كلّ بنان (2548) . لا تمتنعون بحيلة ، و لا تدفعون بعزيمة ، في حومة ذلّ (2549) ، و حلقة ضيق ، و عرصة موت ،

و جولة بلاء . فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبيّة و أحقاد الجاهليّة ، فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشّيطان و نخواته (2550) ، و نزغاته (2551) و نفثاته (2552) . و اعتمدوا وضع التّذلّل على رؤوسكم ، و إلقاء التّعزّز تحت أقدامكم ، و خلع التّكبّر من أعناقكم ، و اتّخذوا التّواضع مسلحة (2553) بينكم و بين عدوّكم إبليس و جنوده ، فإنّ له من كلّ أمّة جنودا و أعوانا ، و رجلا و فرسانا ، و لا تكونوا كالمتكبّر على ابن أمّه من غير ما فضل جعله

اللَّه فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد ، و قدحت الحميّة في قلبه من نار الغضب ، و نفخ الشّيطان في أنفه من ريح الكبر الّذي أعقبه

[278]

اللَّه به النّدامة ، و ألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة .

التحذير من الكبر

ألا و قد أمعنتم (2554) في البغي ، و أفسدتم في الأرض ، مصارحة (2555) للَّه بالمناصبة ، و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة . فاللَّه اللَّه في كبر الحميّة و فخر الجاهليّة فإنّه ملاقح (2556) الشّنآن (2557) ، و منافخ الشّيطان ،

الّتي خدع بها الأمم الماضية ، و القرون الخالية . حتّى اعنقوا (2558) في حنادس (2559) جهالته ، و مهاوي (2560) ضلالته ، ذللا (2561) عن سياقه ،

سلسا (2562) في قياده . أمرا تشابهت القلوب فيه ، و تتابعت القرون عليه ، و كبرا تضايقت الصدور به .

التحذير من طاعة الكبرا .

ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم و كبرائكم الّذين تكبّروا عن حسبهم ، و ترفّعوا فوق نسبهم ، و ألقوا الهجينة (2563) على ربّهم ،

و جاحدوا اللَّه على ما صنع بهم ، مكابرة لقضائه ، و مغالبة لآلائه (2564) .

فإنّهم قواعد أساس العصبيّة ، و دعائم أركان الفتنة ، و سيوف عتزاء (2565) الجاهليّة . فاتّقوا اللَّه و لا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا ، و لا لفضله عندكم حسّادا . و لا تطيعوا الأدعياء (2566) الّذين شربتم

[279]

بصفوكم كدرهم (2567) ، و خلطتم بصحّتكم مرضهم ، و أدخلتم في حقّكم باطلهم ، و هم أساس (2568) الفسوق ، و أحلاس العقوق (2569) اتّخذهم إبليس مطايا ضلال ، و جندا بهم يصول على النّاس ، و تراجمة ينطق على ألسنتهم ، استراقا لعقولكم و دخولا في عيونكم ، و نفثا في أسماعكم . فجعلكم مرمى نبله (2570) ، و موطىء قدمه ، و مأخذ يده .

العبرة بالماضين

فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس اللَّه وصولاته ،

و وقائعه و مثلاته (2571) ، و اتّعظوا بمثاوي خدودهم (2572) ، و مصارع جنوبهم (2573) ، و استعيذوا باللَّه من لواقح الكبر (2574) ، كما تستعيذونه من طوارق الدّهر . فلو رخّص اللَّه في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه و أوليائه ، و لكنّه سبحانه كرّه اليهم التّكابر ، و رضي لهم التّواضع ، فألصقوا بالأرض خدودهم ، و عفّروا في التّراب وجوههم . و خفضوا أجنحتهم للمؤمنين ، و كانوا قوما مستضعفين . قد اختبرهم اللَّه بالمخمصة (2575) ، و ابتلاهم بالمجهدة (2576) ،

و امتحنهم بالمخاوف ، و مخضهم (2577) بالمكاره . فلا تعتبروا الرّضى و السّخط بالمال و الولد جهلا بمواقع الفتنة ، و الاختبار في موضع

[280]

الغنى و الاقتدار ، فقد قال سبحانه و تعالى : « أيحسبون أنّ ما نمدّهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون » فإنّ اللّٰه سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم .

تواضع الانبياء

و لقد دخل موسى بن عمران و معه أخوه هارون عليهما السّلام على فرعون ، و عليهما مدارع الصّوف . و بأيديهما العصيّ ، فشرطا له إن اسلم بقاء ملكه ، و دوام عزّه ، فقال : « ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ ، و بقاء الملك ، و هما بما ترون من حال الفقر و الذّلّ ، فهلاّ ألقي عليهما اساورة من ذهب » ؟ إعظاما للذّهب و جمعه ، و احتقارا للصّوف و لبسه و لو أراد اللّٰه سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذّهبان (2578) ،

و معادن العقيان (2579) ، و مغارس الجنان ، و أن يحشر معهم طيور السّماء و وحوش الأرضين لفعل ، و لو فعل لسقط البلاء (2580) ، و بطل الجزاء ،

و اضمحلّت الأنباء ، و لما وجب للقابلين أجور المبتلين . و لا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين ، و لا لزمت الأسماء معانيها . و لكنّ اللّٰه

[281]

سبحانه جعل رسله أولي قوّة في عزائمهم . و ضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم ، مع قناعة تملأ القلوب و العيون غنى . و خصاصة (2581) تملأ الأبصار و الأسماع أذى .

و لو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام ، و عزّة لا تضام ، و ملك تمدّ نحوه أعناق الرّجال ، و تشدّ إليه عقد الرّحال ، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار ، و أبعد لهم في الاستكبار ، و لآمنوا عن رهبة قاهرة لهم ، أو رغبة مائلة بهم ، فكانت النّيات مشتركة ، و الحسنات مقتسمة . و لكنّ اللّٰه سبحانه أراد أن يكون الاتّباع لرسله ، و التّصديق بكتبه ، و الخشوع لوجهه ، و الاستكانة لأمره ، و الاستسلام لطاعته ، أمورا له خاصّة ، لا تشوبها من غيرها شائبة . و كلّما كانت البلوى و الاختبار أعظم كانت المثوبة و الجزاء أجزل .

الكعبة المقدسة

ألا ترون أنّ اللّٰه سبحانه ، اختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات اللّٰه عليه ، إلى الآخرين من هذا العالم ، بأحجار لا تضر و لا تنفع ، و لا تبصر و لا تسمع ، فجعلها بيته الحرام « الّذي جعله للنّاس قياما » . ثمّ

[282]

وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا ، و أقلّ نتائق (2582) الدّنيا مدرا (2583) ،

و أضيق بطون الأودية قطرا . بين جبال خشنة ، و رمال دمثة (2584) ،

و عيون وشلة (2585) ، و قرى منقطعة ، لا يزكو بها خفّ ، و لا حافر و لا ظلف (2586) . ثمّ امر آدم عليه السّلام و ولده أن يثنوا أعطافهم (2587) نحوه ، فصار مثابة لمنتجع (2588) أسفارهم ، و غاية لملقى (2589) رحالهم . تهوي (2590) إليه ثمار الأفئدة من مفاوز (2591) قفار سحيقة (2592) و مهاوي (2593) فجاج (2594) عميقة ، و جزائر بحار منقطعة ، حتّى يهزّوا مناكبهم (2595) ذللا يهلّلون للّٰه حوله ، و يرملون (2596) على أقدامهم شعثا (2597) غبرا (2598) له . قد نبذوا السّرابيل (2599) وراء ظهورهم ، و شوّهوا بإعفاء الشّعور (2600) محاسن خلقهم ، ابتلاء عظيما ،

و امتحانا شديدا ، و اختبارا مبينا ، و تمحيصا بليغا ، جعله اللّٰه سببا لرحمته ، و وصلة إلى جنّته . و لو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ،

و مشاعره العظام ، بين جنّات و أنهار ، و سهل و قرار (2601) ، جمّ (2602) الأشجار داني الثّمار ، ملتفّ البنى (2603) ، متّصل القرى ، بين برّة (2604) سمراء ،

و روضة خضراء ، و أرياف (2605) محدقة ، و عراص (2606) مغدقة (2607) ،

و رياض ناضرة ، و طرق عامرة ، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء . و لو كان الإساس (2608) المحمول عليها ، و الأحجار

[283]

المرفوع بها ، بين زمردة خضراء ، و ياقوتة حمراء ، و نور و ضياء ،

لخفّف ذلك مصارعة الشّكّ في الصّدور ، و لوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ، و لنفى معتلج (2609) الرّيب من النّاس ، و لكنّ اللّه يختبر عباده بأنواع الشّدائد ، و يتعبّدهم بأنواع المجاهد ، و يبتليهم بضروب المكاره ، إخراجا للتّكبر من قلوبهم ، و إسكانا للتّذلّل في نفوسهم ، و ليجعل ذلك أبوابا فتحا (2610) إلى فضله ، و أسبابا ذللا لعفوه .

عود الى التحذير

فاللّه اللّه في عاجل البغي ، و آجل و خامة الظّلم ، و سوء عاقبة الكبر ، فإنّها مصيدة إبليس العظمى ، و مكيدته الكبرى ، الّتي تساور (2611) قلوب الرجال مساورة السّموم القاتلة ، فما تكدي (2612) أبدا ، و لا تشوي (2613) أحدا ، لا عالما لعلمه ، و لا مقلاّ في طمره (2614) .

و عن ذلك ما حرس اللّه عباده المؤمنين بالصّلوات و الزّكوات ، و مجاهدة الصيّام في الأيّام المفروضات ، تسكينا لأطرافهم (2615) ، و تخشيعا لأبصارهم ، و تذليلا لنفوسهم ، و تخفيضا لقوبهم ، و إذهابا للخيلاء عنهم ، و لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه (2616) بالتّراب تواضعا ،

و التصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغرا ، و لحوق البطون

[284]

بالمتون (2617) من الصّيام تذلّلا ، مع ما في الزّكاة من صرف ثمرات الأرض و غير ذلك إلى أهل المسكنة و الفقر .

فضائل الفرائض

انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع (2618) نواجم (2619) الفخر ،

و قدع (2620) طوالع الكبر و لقد نظرت فما وجدت أحدا من العالمين يتعصّب لشيء من الأشياء إلاّ عن علّة تحتمل تمويه الجهلاء ،

أو حجّة تليط (2621) بعقول السّفهاء غيركم ، فإنّكم تتعصّبون لأمر ما يعرف له سبب و لا علّة . أمّا إبليس فتعصّب على آدم لأصله ، و طعن عليه في خلقته ، فقال : أنا ناريّ و أنت طينيّ .

عصبية المال

و أمّا الاغنياء من مترفة (2622) الأمم ، فتعصّبوا لآثار مواقع النّعم (2623) ، فقالوا : « نحن أكثر أموالا و أولادا و ما نحن بمعذّبين » .

فإن كان لا بدّ من العصبيّة فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ، و محامد الأفعال ، و محاسن الأمور ، الّتي تفاضلت فيها المجداء و النّجداء من بيوتات العرب و يعاسيب (2624) القبائل ، بالأخلاق الرّغيبة (2625) ،

و الأحلام (2126) العظيمة ، و الأخطار الجليلة ، و الآثار المحمودة .

فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار (2627) ، و الوفاء بالذّمام (2628) ،

[285]

و الطّاعة للبرّ ، و المعصية للكبر ، و الأخذ بالفضل ، و الكفّ عن البغي ، و الإعظام للقتل ، و الإنصاف للخلق ، و الكظم للغيظ ،

و اجتناب الفساد في الارض .

بيان

« الأساورة » جمع للأسورة الّتي هي جمع السوار . و « الذهبان » بالكسر و الضمّ ، جمع « الذهب » . و « العقيان » بالكسر ، و هو الذهب الخالص ، و قيل : ما ينبت منه نباتا . و « البلاء » الامتحان . و « اضمحلّ الأنباء » أي سقط الوعد و الوعيد .

قال الثعلبيّ : قال العلماء بأخبار الماضين : لمّا كلم اللّه موسى و بعثه إلى مصر خرج و لا علم له بالطريق ، و كان اللّه تعالى يهديه و يدلّه و ليس معه زاد و لا سلاح و لا حمولة [821] و لا شيء غير عصاه و مدرعة صوف و قلنسوة من صوف و نعلين ،

يظلّ صائما ، و يبيت قائما ، و يستعين بالصيد و بقول الأرض حتّى ورد مصر ، و لمّا قرب مصر أوحى اللّه سبحانه إلى أخيه هارون يبشّره بقدوم موسى و يخبره أنّه قد جعله لموسى وزيرا و رسولا معه إلى فرعون ، و أمره أن يمرّ يوم السبت لغرّة ذي الحجّة متنكرا إلى شاطيء النيل ليلتقي في تلك الساعة بموسى .

قال : فخرج هارون و أقبل موسى عليه السلام فالتقيا على شطّ النيل قبل طلوع الشمس ، فاتّفق أنّه كان يوم ورود الأسد الماء ، و كان لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حولها ، و كانت ترد الماء غبّا ، و كان فرعون إذا ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سورا ، في كلّ سور رساتيق و أنهار [822] و مزارع و أرض واسعة ، في ربض كلّ سور [823] سبعون ألف مقاتل ، و من وراء تلك المدينة غيضة [824] تولّى فرعون غرسها بنفسه و عمل فيها و سقاها بالنيل ، ثمّ أسكنها الاسد فنسلت [825] و توالدت

[821] في المصدر بعد ذلك : و لا صاحب له و لا شيء . ا ه . م .

[822] في المصدر : و كان بين كلّ سورين بساتين و أنهار . ا ه . م .

[823] « الربض » ما حول المدينة من بيوت و مساكن ، سور المدينة . و في المصدر : و أرض واسعة في ربض لكلّ سور . ا ه . 824 « الغيضة » مجتمع الشجر في مغيض الماء ، الأجمة .

[825] في المصدر : فتناسلت . م .

[286]

حتّى كثرت ، ثمّ اتّخذها جندا من جنوده تحرسه ، و جعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضي من يسلكها إلى أبواب من أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طريق غيرها ، فمن أخطأ وقع في الغيضة فأكلته الاسد [826] و كانت الاسود إذا وردت النيل ظلّت عليها يومها كلّها ثمّ تصدر مع اللّيل .

قال : فالتقى موسى و هارون يوم ورودها ، فلمّا أبصرتهما الاسد مدّت أعناقها و رؤوسها إليهما و شخصت أبصارها نحوهما ، و قذف اللّه تعالى في قلوبها الرعب ،

فانطلقت نحو الغيضة منهزمة هاربة على وجوهها تطأ بعضها بعضا حتّى اندست في الغيضة ، و كان لها ساسة يسوسونها و ذادة يذودونها و يشلونها بالناس [827] فلمّا أصابها ما أصابها خاف ساستها فرعون و لم يشعروا من أين أتوا ، فانطلق موسى و هارون عليهما السلام في تلك المسبعة [828] حتّى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الّذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون ، و كان منه يدخل و منه يخرج ، و ذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجّة بيوم ، فأقاما عليه سبعة أيّام . فكلّمهما واحد من الحرّاس و زبرهما [829] و قال لهما : هل تدريان لمن هذا الباب ؟ فقال موسى عليه السلام : إنّ هذا الباب و الأرض كلّها و ما فيها لربّ العالمين ، و أهلها عبيد له ، فسمع ذلك الرجل قولا لم يسمع مثله قطّ و لم يظنّ أنّ أحدا من الناس يفصح بمثله ، فلمّا سمع ما سمع أسرع إلى كبرائه الّذين فوقه فقال لهم : سمعت اليوم قولا و عاينت عجبا من رجلين هو أعظم عندي و أفظع و أشنع ممّا أصابنا في الاسد ، و ما كانا ليقدما على ما أقدما عليه إلاّ بسحر عظيم ، و أخبرهم القصّة فلا يزال ذلك يتداول بينهم حتّى انتهى إلى فرعون .

و قال السدّيّ بإسناده : سار موسى عليه السلام بأهله نحو مصر حتّى أتاها ليلا فتضيّف امّه و هي لا تعرفه ، و إنّما أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل و نزل في جانب الدار ، فجاء هارون فلمّا أبصر ضيفه سأل عنه امّه ، فأخبرته أنّه ضيف

[826] في المصدر : فتأكله الأسود . م

[827] في المصدر : و يسلّطونها على الناس . م

[828] في المصدر : في تلك الغيضة . م

[829] « زبره عن الأمر » منعه و نهاه عنه ، « زبر السائل » انتهره . و ليست هذه الكلمة في المصدر .

[287]

فدعاه فأكل معه فلمّا أن فعد تحدّثا فسأله هارون فقال : من أنت ؟

فقال : أنا موسى .

فقال كلّ واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلمّا أن تعارفا قال له موسى : يا هارون انطلق معي إلى فرعون ، فإنّ اللّه عزّ و جلّ قد أرسلنا إليه .

فقال هارون : سمعا و طاعة .

فقامت أمّهما فصاحت [830] و قالت : أنشدكما اللّه أن تذهبا [831] إلى فرعون فيقتلكما .

فأتيا و مضيا [832] لأمر اللّه سبحانه فانطلقا إليه ليلا فأتيا الباب و التمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون و فزع البواب ، و قال فرعون : من هذا الّذي يضرب بأبي هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البوّاب فكلّمهما ، فقال له موسى : أنا رسول ربّ العالمين .

فأتى [833] فرعون فأخبره و قال : إنّ ههنا إنسانا مجنونا يزعم أنّه رسول ربّ العالمين .

و قال محمّد بن إسحاق بن يسار : خرج موسى لمّا بعثه اللّه سبحانه حين قدم مصر على فرعون هو و أخوه هارون حتّى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه و هما يقولان : إنا رسولا ربّ العالمين ، فأذنوا بنا هذا الرجل [834] ، فمكثا سنتين يغدوان إلى بابه و يروحان لا يعلم بهما و لا يجتزيء أحد على أن يخبره بشأنهما حتّى دخل عليه بطّال له يلعب عنده و يضحكه فقال له : أيّها الملك إنّ على بابك رجلا [835] يقول قولا عجيبا يزعم أنّ له إلها غيرك .

[830] في المصدر : فصاحت و ضجّت . ا ه . م

[831] في المصدر : أن لا تذهبا . م

[832] في المصدر : فأبيا عليها و مضيا . م

[833] في المصدر : ففزع البواب و أتى . ا ه . م

[834] المصدر خال من هذه الجملة . م

[835] في المصدر : رجلين ، و هكذا ثنّي جميع الضمائر الآتية . م

فقال : ببابي ؟ [836] أدخلوه .

فدخل موسى و معه هارون عليهما السلام على فرعون . 837 قالوا : فلمّا أذن فرعون لموسى و هارون دخلا عليه فلمّا وقفا عنده دعا موسى بدعاء و هو : « لا إله إلاّ اللّه الحليم الكريم لا اله الاّ اللّه العليّ العظيم سبحان اللّه ربّ السموات السبع و ربّ الأرضين السبع و ما فيهنّ و ما بينهنّ و ربّ العرش العظيم و سلام على المرسلين و الحمد للّه ربّ العالمين . اللّهمّ إنّي أدرؤك [838] في نحره و أعوذ بك من شرّه و أستعينك [839] عليه فاكفنيه بما شئت » .

قال : فتحوّل ما بقلب موسى من الخوف أمنا ، و كذلك من دعا بهذا الدعاء و هو خائف آمن اللّه خوفه ، و نفّس كربته ، و هوّ عليه سكرات الموت .

ثمّ قال فرعون لموسى : من أنت ؟

قال : أنا رسول ربّ العالمين .

فتأمّله فرعون فعرفه فقال له : ألم نربّك فينا وليدا و لبثت فينا من عمرك سنين و فعلت فعلتك الّتي فعلت و أنت من الكافرين » 840 معناه : على ديننا هذا الّذي تعيبه [841] .

فقال موسى : فعلتها إذا و أنا من الضّالّين » 842 المخطئين [843] و لم أرد بذلك القتل ، « ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربّي حكما » أي نبوّة [844] « و

[836] المصدر خال من هذه الكلمة . م

----

(837) العرائس : ص 114 115 . م

[838] في المصدر : أدره بك . م

[839] في المصدر : و أستعين بك . م

----

(840) الشعراء : 18 19 .

[841] أي معنى « و لبثت فينا من عمرك سنين » أنّك لبثت على ديننا الّذي تعيبه .

----

(842) الشعراء : 20 .

[843] في المصدر : أي من المخطئين . م

[844] المصدر خال عن قوله أي نبوة . م

جعلني من المرسلين » 845 . ثمّ أقبل موسى ينكر عليه ما ذكر فقال : و تلك نعمة تمنّها عليّ أن عبدت بني اسرائيل » 846 أي اتّخذتهم عبيدا تنزع أبناءهم من أيديهم تسترقّ من شئت [847] أي إنّما صيّرني إليك ذلك .

قال فرعون : و ما ربّ العالمين قال ربّ السموات و الارض و ما بينهما إن كنتم موقنين » 848 .

قال فرعون لمن حوله : ألا تستمعون ؟ » 849 إنكارا لما قال .

قال موسى : « ربّكم و ربّ آبائكم الأوّلين » 850 .

فقال فرعون : « إنّ رسولكم الّذي أرسل إليكم لمجنون » 851 يعني ما هذا بكلام صحيح [852] إذ يزعم أنّ لكم إلها غيري .

قال موسى : « ربّ المشرق و المغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون » [853] .

فقال فرعون لموسى : « لئن اتّخذت إليها غيري لأجعلنّك من المسجونين قال : أ و لو جئتك بشيء مبين » 854 تعرف به صدقي و كذبك ، و حقّي و باطلك .

قال فرعون : « فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين » 855 فاتحة فاها قد ملأت ما بين سماطي فرعون [856] ، واضعة لحييها الأسفل في الأرض و الأعلى في سور القصر حتّى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ، ثمّ توجّهت نحو فرعون ليأخذه فارفضّ [857] عنها الناس و ذعر عنها فرعون ، و وثب عن سريره و أحدث حتّى قام به بطنه [858] في يومه ذلك أربعين مرّة و كان فيما يزعمون لا يسعل و لا يصدع [859] و لا يصيبه آفة ممّا يصيب الناس ، و كان يقوم في

----

(845) الشعراء : 21 .

----

(846) الشعراء : 22 .

[847] في المصدر بعد ذلك : و تقتل من شئت . م .

----

(848) الشعراء : 23 24 .

----

(849) الشعراء : 25 .

----

(850) الشعراء : 26 .

----

(851) الشعراء : 27 .

[852] في المصدر : ما هذا بكلام رجل صحيح العقل . م .

----

(853) الشعراء : 28 .

----
(854) الشعراء : 29 30 .

----
(855) الشعراء : 31 32 .

[856] أي جانباه . و في المصدر : قد ملأت ما بين جانبي القصر .

[857] في المصدر : فانفضّ . م

[858] في المصدر : قام من بطنه . م

[859] في المصدر : لا يسعل و لا يتمخّط و لا يتصدّع رأسه . م

أربعين يوما مرّة ، و كان أكثر ما يأكل الموز لكيلا يكون له ثفل [860] فيحتاج إلى القيام و كان هذه الأشياء ممّا زيّن له أن قال ما قال ، لأنّه ليس له من الناس شبيه .

قالوا : فلمّا قصدته الحيّة صاح : يا موسى أنشدك باللّه و حرمة الرضاع إلاّ أخذتها و كففتها عنّي ، و إنّي أومن بك و أرسل معك بني إسرائيل .

فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ، ثمّ نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج ، لها شعاع كشعاع الشمس ، فقال له فرعون : هذه يدك .

فلمّا قالها فرعون أدخلها موسى جيبه ثمّ أخرجها الثانية ، لها نور ساطع في السماء تكلّ منها الأبصار ، و قد أضاءت ما حولها ، يدخل نورها في البيوت ، و يرى من الكوى من وراء الحجب ، فلم يستطع فرعون النظر إليها ، ثمّ ردّها موسى إلى جيبه ثمّ أخرجها فإذا هي على لونها الأوّل .

قالوا : فهمّ فرعون بتصديقه ، فقام إليه هامان و جلس بين يديه فقال له : بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد ؟ فقال فرعون لموسى : أمهلني اليوم إلى غد .

و أوحى اللّه تعالى إلى موسى أن قل لفرعون : إنّك إن آمنت باللّه وحده عمرتك في ملك و رددت [861] شابّا طريّا .

فاستنظره فرعون . فلمّا كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربّه .

فقال له هامان : و اللّه ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ، و نفخ في منخره ، ثمّ قال له هامان : أنا أردّك شابّا ، فأتاه بالوسمة فخضبه بها [862] فلمّا دخل عليه موسى فرآه على تلك الحالة هاله ذلك ،

[860] في نسخة : ثقل .

[861] في المصدر : ورددتك . م

[862] في المصدر : فأتاه بالوشم فخضبه به . م

فأوحى اللّه تعالى : لا يهولنّك ما رأيت فإنّه لم يلبث إلاّ قليلا حتى يعود إلى الحالة الأولى .

و في بعض الروايات أنّ موسى و هارون لمّا انصرفا من عند فرعون أصابهما المطر في الطريق ، فأتيا على عجوز من أقرباء أمّهما ، و وجّه فرعون الطلب في أثرهما ،

فلمّا دخل عليهما الليل ناما في دارها و جاءت الطلب إلى الباب و العجوز منتبهة ، فلمّا أحسّت بهم خافت عليهما فخرجت العصا من صير الباب و العجوز تنظر [863] فقاتلتهم حتّى قتلت منهم سبعة أنفس ، ثمّ عادت و دخلت الدار ، فلمّا انتبه موسى و هارون أخبرتهما بقصّة الطلب و نكاية العصا منهم [864] فامنت بهما و صدّقتهما . 865 توضيح : « الغيضة » موضع تنبت فيه الأشجار الكثيرة . و « ربض المدينة » بالتحريك ، ما حولها . و « الاندساس » الاختفاء . و « أشليت الكلب على الصيد » أغريته . و « الطفيشل » كسميدع نوع من المرق . و « الارفضاض » التفرّق . و « الطلب » بالتحريك ، جمع طالب . و « الصير » بالكسر ، شقّ الباب .

ثمّ قال الثعلبيّ : قالت العلماء بأخبار الأنبياء : إنّ موسى و هارون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما و ما أتيا به من سلطان اللّه سبحانه على السحر و قال للملأ من حوله [866] : « إن هذان لساحران يريدان » 867 إلى [868] قوله :

« فماذا تأمرون » [869] أقتلهما ؟ [870] فقال العبد الصالح خربيل [871] مؤمن آل فرعون :

[863] في المصدر : من جانب الباب و العجوز تنظر إليها . م

[864] في نسخة : و نكاية العصا فيهم .

----

(865) العرائس : 116 . م

[866] في نسخة : قال للملأمن قومه . و في المصدر : قال للملأ حوله ، و كلّها باطل لأنّ ما في القرآن هو : « قالوا : إن هذان لساحران يريدان » يعني : قال الملأ . فالصحيح هنا هو : و قال الملأحوله .

----

(867) طه : 63 .

[868] الظاهر هو أنّ « إلى » ههنا غلط لأنّ الآية الآتية أي « فماذا تامرون » تكون في سورة الشعراء ، و إن كانت ترتبط بالآية السابقة . فالصحيح هو أن يكون : و قوله .

----

(869) الشعراء : 35 .

[870] في المصدر : قالوا : أقتلهما ؟ م

[871] في المصدر : حزقيل . م

« ا تقتلون رجلا أن يقول ربّي اللّه و قد جاءكم بالبيّنات من ربّكم » 872 إلى قوله :

« فمن ينصرنا من بأس اللّه إن جاءنا » 873 قال فرعون : « ما أريكم إلاّ ما أرى و ما أهديكم إلاّ سبيل الرّشاد » 874 . و قال الملأ من قوم فرعون : « أرجه و أخاه و ابعث في المدائن حاشرين ياتوك بكلّ سحّار عليهم » 875 و كانت لفرعون مدائن فيها السحرة عدّة للأمر إذا حربه [876] .

و قال ابن عبّاس : قال فرعون لمّا رأى من سلطان اللّه في اليد و العصا [877] : إنّا لا نغالب موسى إلاّ بمن هو مثله . فأخذ غلمانا من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرماء [878] يعلّمونهم السحر كما يعلّم الصبيان (الكتابة خ ل) في الكتاب ،

فعلّموهم سحرا كثيرا . و واعد فرعون موسى موعدا فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم و معهم معلّمهم ، فقالوا له [879] : ماذا صنعت ؟ فقال : قد علّمتهم سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمر من السماء فإنّه لا طاقة لهم به . ثمّ بعث فرعون الشرطيّ في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا إلاّ أتى به [880] .

و اختلفوا في عدد السحرة [881] الذين جمعهم فرعون ، فقال مقاتل : كانوا اثنين و سبعين ساحرا ، اثنان منهم من القبط و هما رأسا القوم ، و سبعون من بني إسرائيل ، و قال الكلبيّ : كانوا سبعين ساحرا غير رئيسهم ، و كان الّذي يعلّمهم ذلك رجلين مجوسيين من أهل نينوى ، و قال كعب : كانوا اثني عشر ألفا ، و قال السدّيّ : كانوا بعضا و ثلاثين ألفا ، و قال عكرمة : سبعين ألفا ، و قال محمّد بن المنكدر : ثمانين ألفا .

----

(872) الغافر : 28 .

----

(873) الغافر : 29 .

----

(874) الغافر : 29 .

----

(875) الشعراء : 36 37 .

[876] « حزبه » أمر ، أي أصابه . و في المصدر : معدّة للأمر إذا أحزنه . م

[877] في المصدر بعد ذلك : ما رأى . م

[878] في المصدر : الغرقاء . م

[879] في المصدر : فجيء بهم و معهم معلّمهم فقال له . م

[880] في المصدر : فلم يتركوا في مملكته ساحرا إلاّ أتوا به . م

[881] في المصدر : عدّة السحرة . م

[293]

فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم إلاّ ساحر ماهر ، ثمّ اختار منهم سبعمائة ،

ثمّ اختار من أولئك السبعمائة سبعين من كبرائهم و علمائهم ، قال مقاتل : و كان رئيس السحرة أخوين بأقصى مدائن مصر . فلمّا جاءهما رسول فرعون قالا لأمّهما :

دلّينا على قبر أبينا . فدلّتهما عليه ، فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما ، فقالا : إنّ الملك وجّه إلينا أن نقدّم عليه لأنّه أتاه رجلان ليس معهما رجال و لا سلاح و لهما عزّ و منعة و قد ضاق الملك ذرعا [882] من عزّهما ، و معهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لهما شيء ، تبلع الحديد و الخشب و الحجر ، فأجابهما أبوهما : انظرا إذاهما ناما فإن قدرتما أن تسلاّ العصا فسلاّها ، فإنّ الساحر لا يعمل سحره و هو نائم ، و إن عملت العصا و هما نائمان فذلّك أمر ربّ العالمين ، و لا طاقة لكما بهما و لا للملك و لا لجميع أهل الدنيا ، فأتياهما في خفية و هما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا .

قالوا : ثمّ واعدوه يوم الزينة و كان يوم سوق لهم ، عن سعيد بن جبير ، و قال ابن عبّاس : كان يوم عاشوراء ، و وافق ذلك يوم السبت في أوّل يوم من السنة و هو يوم النيروز ، و كان يوم عيد لهم يجتمع إليه الناس من الآفاق ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : و كان اجتماعهم للميقات بالإسكندريّة ، و يقال : بلغ ذنب الحيّة من وراء البحيرة [883] يومئذ .

قالوا : ثم قال السحرة لفرعون : « أئنّ لنا لأجرا إن كنّا نحن الغالبين » 884 .

قال فرعون : « و إنّكم إذا لمن المقرّبين » 885 عندي في المنزلة .

فلمّا اجتمع الناس جاء موسى و هو متّكيء على عصاه و معه أخوه هارون حتّى أتى [886] الجمع و فرعون في مجلسه مع أشراف قومه ، فقال موسى عليه السلام للسحرة حين جاءهم : « ويلكم لا تفتروا على اللّه كذبا فيسحتكم بعذاب و قد

[882] *أي ضاق صدره و ضعفت طاقته .*

[883] *في المصدر : بلغ ذنب الحيّة الجزيرة من وراء البحرة . م*

----

(884) الشعراء : 41 .

----

(885) الشعراء : 42 .

[886] *في المصدر : حتّى أتيا المجمع . م*

[294]

خاب من افترى » 887 .

فتناجى السحرة بينهم و قال بعضهم لبعض : ما هذا بقول ساحر ، فذلك قوله تعالى : « فتنازعوا أمرهم بينهم و اسرّوا النّجوى » 888 .

فقالت السحرة : لنأتينّك اليوم بسحر لم تر مثله ، و قالوا : « بعزّة فرعون إنّا لنحن الغالبون » 889 ، و كانوا قد جاؤوا بالعصي و الحبال تحملها ستّون بعيرا [890] ،

فلمّا أبوا إلاّ الإصرار على السحر قالوا لموسى : « إمّا أن تلقي و إمّا أن نكون أوّل من القى ؟

قال : بل القوا » 891 أنتم ، فألقوا حبالهم و عصيّهم فإذا هي حيّات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسعى ، فذلك قوله تعالى : « يخيّل اليه من سحرهم انّها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى » 892 و قال : و اللّه إن كانت لعصيّا في أيديهم و لقد عادت حيّات و ما يعدّون عصاي هذه ، أو كما حدّث نفسه [893] فأوحى اللّه تعالى إليه : « لا تخف إنك أنت الأعلى و ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنّما صنعوا كيد ساحر و لا يفلح الساحر حيث اتى » 894 ففرّج عن موسى و ألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان مبين ، كأعظم ما يكون أسود مدلهم [895] على أربع قوائم قصار غلاظ شداد ، و هو أعظم و أطول من البختيّ ، و له ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه و عنقه و كاهله ، لا يضرب ذنبه على شيء إلاّ حطمه و قصمه ، و يكسر بقوائمه الصخور الصمّ الصلاب ، و يطحن كلّ شيء ، و يضرم حيطان البيوت

----

(887) طه : 61 .

----

(888) طه : 62 .

----

(889) الشعراء : 44 .

[890] قال اليعقوبي : فعملوا من جلود البقر حبالا مجوّفة و عصيّا مجوفة و يزوّقونها و يصيرون فيها الزبيق ثمّ أحموا المواضع الّتي أرادوا أن يلقوا فيها الحبال و العصى ، ثمّ جلس فرعون فألقى السحرة حبالهم و عصيّهم ، فلمّا حمى الزبيق تحرّك و مشت الحبال و العصى .

----

(891) طه : 65 66 .

----

(892) طه : 66 67 .

[893] في المصدر : فلمّا حدّث نفسه . م

----

(894) طه : 68 69 .

[895] في المصدر : كأعظم ما يكون من الثعابين ، أسود مدلهم . م

بنفسه نارا ، و له عينان تلتهبان نارا ، و منخران تنفخان سموما ، و على مفرقه شعر كأمثال الرماح ، و صارت الشعبتان له فما سعته اثنا عشر ذراعا ، و فيه أنياب و أضراس ، و له فحيح و كشيش و صرير و صريف ، فاستعرضت ما ألقى السحرة من حبالهم و عصيّهم و هي حيّات [896] في عين فرعون و أعين الناس ، تسعى تلقفها و تبتلعها واحدا واحدا حتّى ما يرى بالوادي قليل و لا كثير ممّا ألقوا ، و انهزم الناس فزعين هاربين منقلبين ، فتزاحموا و تضاغطوا و وطيء بعضهم بعضا حتّى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام و مواطيء الأقدام خمسة و عشرون ألفا ، و انهزم فرعون فيمن انهزم منخوبا [897] مرعوبا عازبا عقله [898] و قد استطلق بطنه في يومه ذلك عن أربعمائة جلسة [899] ثمّ بعد ذلك إلى أربعين مرّة في اليوم و الليلة على الدوام إلى أن هلك فلمّا انهزم الناس و عاين السحرة ما عاينوا و قالوا : لو كان سحرا لما غلبنا ، و لما خفي علينا أمره و لئن كان سحرا فأين حبالنا و عصينا ؟ فألقوا سجّدا و قالوا : « آمنا بربّ العالمين ربّ موسى و هارون » 900 و كان فيهم اثنان و سبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر ، و كانوا علماء السحرة ، و كان رئيس جماعتهم أربعة نفر [901] : سابور و عادور و حطحط [902] و مصفا ، و هم الّذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان اللّه تعالى ، ثمّ آمنت السحرة كلّهم .

فلمّا رأى فرعون ذلك أسف و قال لهم متجلّدا : « آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ إنّه لكبيركم الّذي علّمكم السّحر فلاقطّعنّ أيديكم و أرجلكم من خلاف و لاصلّبنّكم في جذوع النّخل و لتعلمنّ ايّنا اشدّ عذابا و ابقى » 903 .

[896] في المصدر : و هي تخيّل . م

[897] « نخب » كان منزوع الفؤاد جبانا ، و « المنخوب » الجبان الذاهب القلب . و في المصدر : متخوفا . م

[898] في المصدر : ذاهبا عقله .

[899] في المصدر : أربعمائة مرّة . م

----

(900) الشعراء : 47 48 و الأعراف : 121 122 .

[901] هكذا في النسخ و في تاريخ الطبريّ . و في المصدر : خمسة نفر ، و زاد « حفظ » .

[902] في المصدر : و حفظ و خطط . و في نسخة من العرائس : « غادر » بدل « عادور » .

----
(903) طه : 71 .

[296]

فقالوا : « لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات و الّذي فطرنا فاقض ما أنت قاض » 904 إلى قوله تعالى : « و اللَّه خير و ابقى » 905 .

فقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف و صلبهم على جذوع النخل ، و هو أوّل من فعل ذلك ، فاصبحوا سحرة كفرة و أمسوا شهداء بررة ، و رجع فرعون مغلوبا [906] معلولا ، ثمّ أبى إلاّ إقامة على الكفر و التمادي فيه ، فتابع اللَّه تعالى عليه بالآيات و أخذه و قومه بالسنين إلى أن أهلكهم . و خرج موسى عليه السلام راجعا إلى قومه و العصا على حالها حيّة تتبعه و تبصبص حوله و تلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه ، و الناس ينظرون إليها ينخزلون و يتضاغطون حتّى دخل موسى عسكر بني إسرائيل و أخذ برأسها فإذا هي عصاه كما كانت أوّل مرّة ، و شتّت اللَّه على فرعون أمره ، و لم يجد على موسى سبيلا ، فاعتزل موسى في مدينته و لحق بقومه و عسكروا مجتمعين إلى أن صاروا ظاهرين ظافرين . 907 بيان : « المدلهمّ » المظلم . و « فحيح الأفعي » صوتها من فيها . و « الكشيش » صوتها من جلدها . و « المنخوب » الجبال الّذي لا فؤاد له .

ثمّ قال الثعلبيّ : فلمّا خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عزم على بناء صرح يقوى به سلطانه : فقال : « يا هامان ابن لي صرحا الآية » . 908 فجمع العمّال و الفعلة حتّى اجتمع له خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع و الاجراء ممّن يطبخ الآجرّ و الجصّ و ينجر الخشب و الأبواب و يضرب المسامير ، فلم يزل يبني ذلك الصرح إلى أن فرغ منه في سبع سنين و ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق اللَّه السموات و الأرض ، فبعث اللَّه عزّ و جلّ جبرئيل و ضرب بجناحه الصرح فقطعه ثلاث قطع : وقعت قطعة منها في البحر ، و اخرى في الهند ، و اخرى في المغرب .

و قال الضحاك : بعثه اللَّه وقت الغروب [909] فقذف به على عسكر فرعون

----
(904) طه : 72 .

----
(905) طه : 73 .

[906] في المصدر : مغلوبا مهزوما مكسورا . م

----
(907) العرائس ، ص 116 118 . م

----
(908) الغافر : 36 .

[909] المصدر خال عن قوله : وقت الغروب . م

[297]

فقتل منهم ألف ألف رجل [910] .

و قالوا : و لم يبق أحد عمل فيه شيئا إلاّ أصابه موت أو حريق أو عاهة ، ثمّ إنّ فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى فأراه اللَّه الآيات . 911 فلمّا لم يؤمن أوحى اللَّه تعالى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كلّ أربعة أهل أبيات في بيت ، ثمّ اذبحوا أولاد الضأن و اضربوا بدمائها على الأبواب ، فإنّي مرسل على أعدائكم عذابا و إنّي سآمر الملائكة [912] فلا يدخل بيتا على بابه دم ، و سآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم و أموالهم فتسلمون أنتم و يهلكون هم ، ثمّ اخبزوا خبزا فطيرا [913] فإنّه أسرع لكم ، ثمّ اسر بعبادي حتّى تنتهي بهم إلى البحر فيأتيك أمري . ففعلت ذلك بنو إسرائيل .

فقالت القبط لبني إسرائيل : لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم ؟

فقالوا : إن اللَّه سبحانه مرسل عذابا فنسلم و تهلكون .

فقالت القبط : فما يعرفكم ربّكم إلاّ بهذه العلامات ؟

فقالوا : هكذا أمرنا نبيّنا .

فاصبحوا و قد طعن أبكار آل فرعون و ماتوا كلّهم في ليلة واحدة و كانوا سبعين ألفا ، و اشتغلوا بدفنهم و بما نالهم من الحزن على المصيبة .

و سرى موسى بقومه متوجّهين إلى البحر و هم ستمائة ألف و عشرون ألفا لا يعدّ فيهم ابن سبعين سنة لكبره و لا ابن عشرين سنة لصغره ، و هم المقاتلة سوى الذرّيّة ، و كان موسى عليه السلام على الساقة ، و هارون على المقدّمة .

فلمّا فرغت القبط من دفن أبكارهم و بلغهم خروج بني إسرائيل ، قال فرعون : هذا عمل موسى قتلوا أبكارنا من أنفسنا و أموالنا ، ثمّ خرجوا و لم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتّى ذهبوا بأموالنا معهم ، فنادى في قومه كما قال اللَّه سبحانه :

« فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَ انَّهُمْ لَنا لَغَائِطُونَ .

[910] في المصدر : ألفي ألف رجل . م

----

(911) العرائس ، ص 119 . م

[912] في المصدر : سأرسل الملائكة . م

[913] في المصدر : ثمّ أخبزوا فطيرا . م

[298]

وَ إنَّا لَجَميعٌ حَاذِرُونَ » 914 . ثمّ تبعهم فرعون بجنوده و على مقدّمته هامان في ألف ألف و سبعمائة ألف ، كلّ رجل على حصان و على رأسه بيضة و بيده حربة .

و قال ابن جريح : أرسل فرعون في أثر موسى و قومه ألف ألف و خمسمائة ألف ملك مسوّر [915] مع كلّ ملك ألف ، ثمّ خرج فرعون خلفهم في الدهم [916] و كانوا مائة ألف رجل كلّ واحد منهم راكبا حصانا أدهم ، فكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم ، و ذلك حين طلعت الشمس و أشرقت ، كما قال اللَّه سبحانه :

« فأتبعوهم مشرقين » 917 .

فلمّا تراءى الجمعان و رأت بنو إسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا : يا موسى أين ما وعدتنا من النصر و الظفر ؟ هذا البحر أمامنا ، إن دخلناه غرقنا ، و فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا ، و لقد أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا .

فقال موسى : استعينوا [918] باللَّه و اصبروا إنّ الأرض للَّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين » 919 . و قال : « عسى ربكم أن يهلك عدوّكم و يستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون (الاعراف : 129) . 920 قالوا : فلمّا انتهى موسى عليه السلام إلى البحر هاجت الريح ترمي بموج كالجبال ، فقال له يوشع بن نون : يا مكلّم اللَّه [921] أين أمرت و قد غشينا فرعون و البحر أمامنا ؟

فقال موسى : ههنا .

فخاض يوشع الماء و جاز البحر ما يواري حافر دابّته الماء .

و قال خربيل [922] : يا مكلّم اللّه أين أمرت ؟

قال : ههنا .

----

(914) الشعراء : 53 56 .

[915] « ملك مسوّر » مسود قدير .

[916] « الدهم » العدد الكثير .

----

(917) الشعراء : 60 .

[918] في المصدر : فقال موسى لقومه : يا قوم استعينوا . ا ه . م

----

(919) الأعراف : 128 .

----

(920) العرائس ، ص 123 . م

[921] في المصدر : يا كليم اللّه . م

[922] في المصدر : « حزقيل » في المواضع .

فكبح فرسه بلجامه [923] حتّى طار الزبد من شدقيه ثمّ أقحمه البحر فرسب في الماء و ذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا ، فأوحى اللّه سبحانه إلى موسى : « أن اضرب بعصاك البحر » 924 ، فضرب فلم يطعه فأوحى اللّه إليه أن كنّه ،

فضرب موسى بعصاه ثانيا و قال : انفلق أبا خالد [925] « فانفلق فكان كلّ فرق كالطّود العظيم » 926 . فإذا خربيل واقف على فرسه لم يبتلّ سرجه و لا لبده . و ظهر في البحر اثنا عشر طريقا لاثني عشر سبطا ، لكلّ سبط طريق ، و أرسل اللّه الريح و الشمس على قعر البحر حتّى صار يبسا .

و عن عبد اللّه بن سلام أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر قال : « يا من كان قبل كلّ شيء ، و المكوّن لكلّ شيء ، و الكائن بعد كلّ شيء اجعل لنا مخرجا » .

و عن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : إنّه قال عند ذلك : « اللهمّ لك الحمد و إليك المشتكى و أنت المستعان [927] و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم » .

قالوا : فخاضت بنو إسرائيل البحر كلّ سبط في طريق و عن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا و قال كلّ سبط ، قد قتل إخواننا .

فأوحى اللّه سبحانه إلى جبال الماء أن تشبّكي فصار الماء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض ، و يسمع بعضهم كلام بعض حتّى عبروا البحر سالمين ، و لمّا خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدّمة عسكر فرعون إليه ، و أراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأولى فأوحى اللّه سبحانه أن : « اترك البحر ر هوا إنّهم جند مغرقون » 928 .

فلمّا وصل فرعون قال لقومه : انظروا إلى البحر قد انفلق لهيبتي حتى ادرك أعدائي و عبيدي ، و لم تكن في خيل فرعون انثى فجاء جبرئيل على فرس انثى و عليه عمامة سوداء و تقدّمهم و خاض البحر و ظنّ أصحاب فرعون أنّه منهم ، فلمّا سمعت

[923] « كبح الدابّة باللجام » جذبها به لتقف و لا تجرى .

----

(924) الشعراء : 63 .

[925] هذا كنية للبحر .

----

(926) الشعراء : 63 .

[927] في المصدر بعد ذلك : و عليك التكلان . م

----

(928) الدخان : 24 .

[300]

الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها ، و جاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم [929] و يقول لهم : الحقوا بأصحابكم . فلمّا أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان و قال : إنّي قد أتيت هذا الموضع مرارا و مالي عهد بهذه الطرق ، و إنّي لا آمن أن يكون هذا مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا و هلاك أصحابنا . فلم يطعه فرعون و ذهب حاملا [930] على حصانه أن يدخل البحر ، فامتنع و نفر حتّى جاء جبرئيل على رمكة بيضاء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون ، فلمّا توافوا في البحر و همّ أوّلهم بالخروج أمر اللّه البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين بمرأى من بني إسرائيل .

قالوا : فلمّا سمعت بنو إسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى : ما هذه الوجبة ؟ [931] فقال لهم : إنّ اللّه سبحانه قد أهلك فرعون و كلّ من كان معه .

فقالوا : إنّ فرعون لا يموت لأنّه خلق خلق من لا يموت ، ألم تر أنّه كان يلبث كذا و كذا يوما يحتاج إلى شيء ممّا يحتاج إليه الإنسان ؟ فأمر اللّه سبحانه البحر فألقاه على نجوة من الأرض و عليه درعه حتّى نظر إليه بنو إسرائيل .

و يقال : لو لم يخرجه اللّه تعالى ببدنه لشكّ فيه بعض الناس ، فبعث موسى جندين عظيمين من بني إسرائيل كلّ جند اثنا عشر ألفا إلى مدائن فرعون ، و هي يومئذ خالية من أهلها لم يبق منهم إلاّ النساء و الصبيان و الزمنى و المرضى و الهرمي ، و أمّر على الجند بن يوشع بن نون و كالب بن يوفنا [932] فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم و كنوزهم ، و حملوا من ذلك ما استقلّت به الحمولة [933] عنها ، و ما لم يطيقوا حملها باعوه من قوم آخرين ، فذلك قوله تعالى : كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نِعْمَةٍ كَانُوا فِيها فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوماً آخَرِينَ 934 . ثمّ

[929] أي يسوقهم شديدا . و في المصدر : يستحثّهم .

[930] في المصدر : معاجلا . م

[931] « الوجبة » السقطة مع الهدة ، أو صوت الساقط . و في المصدر : هذه الضوضاء .

[932] تقدّم الخلاف في ضبطه .

[933] أي ما أطاقته الحمولة .

----

(934) الدخان : 25 28 .

[301]

إن يوشع استخلف على قوم فرعون رجلا منهم و عاد إلى موسى بمن معه سالمين غانمين .

(935 تذنيب : قال السيّد المرتضى قدّس سرّه : فإن قيل : كيف جاز لموسى أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال و العصيّ و ذلك كفر و سحر و تلبيس و تمويه ، و الأمر بمثله لا يحسن ؟

قلنا : لا بدّ من أن يكون في أمره عليه السلام بذلك شرط ، فكأنّه قال :

ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقّين ، و كان فيما تفعلونه حجّة ، و حذف الشرط لدلالة الكلام عليه و اقتضاء الحال له ، و يمكن أن يكون على سبيل التحدّي بأن يكون دعاهم إلى الإلقاء على وجه يساويه فيه ، و لا يخيّلون فيما ألقوه السعي و التصرّف من غير ان يكون له حقيقة لأن ذلك غير مساو لما ظهر على يده من انقلاب الجماد حيّة على الحقيقة دون التخييل ، و إذا كان ذلك ليس في مقدورهم فإنّما تحدّاهم به ليظهر حجّته . 936 أقول : يمكن أن يقال : الأمر بالسحر إذا كان مشتملا على بيان بطلانه و ظهور المعجزة و عدم مبالاته بما صنعوا مع أنّ القوم لا ينتهون عنه بعدم أمره بل بنهيه أيضا ليس بقبيح [937] ، فيمكن أن يكون مخصّصا لعمومات النهي عن الأمر بالسحر إن كانت و لو كان لمحض دليل العقل ، فلا يحكم في خصوص تلك الصورة بشيء من القبح ، أو يقال : إنّه لم يكن المراد به الأمر حقيقة بل كان الغرض عدم خوفه و مبالاته بما سحروا به ، فيمكن إرجاعه إلى أمر التسوية ، و قيل : إنّه لم يأمر بالسحر بل بالإلقاء و هو أعمّ منه .

ثمّ قال السيّد : فإن قيل : فمن أي شيء خاف موسى عليه السلام ؟

أو ليس خوفه يقتضي شكّه في صحّة ما أتى به ؟

----

(935) العرائس ، ص 123 126 ، و فيه : غانمين شاكرين . م

----

(936) تنزيه الأنبياء ، ص 70 71 . م

[937] بل ربما يمكن أن يقال بحسن ذلك ، إذ فيه إبطال الباطل و إرشاد الجاهل إلى بطلان عملهم و أنّ عمله ليس من سنخ عملهم و سحرهم ، بل هو من عند اللّه ، و عمله من صنع اللّه .

[302]

قلنا : إنّما رأى من قوّة التلبيس و التخييل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر [938] فأمنه اللّه تعالى من ذلك ، و بيّن له أنّ حجّته ستتّضح للقوم بقوله تعالى : « لا تخف إنّك أنت الأعلى » (طه : 68) . 939 أقول : قد مرّ خبر في علّة ذلك الخوف في إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ، [940] و قيل كان لا يلقي العصا إلاّ بوحي ، و لمّا أبطأ الوحي خاف تفرّق بعض الناس قبل أن يؤمر بالإلقاء ، و قيل : كان خوفه ابتداء على مقتضى الجبلّة البشريّة .

ثمّ قال السيّد رحمه اللّه 941 : فإن قيل : فما معنى قوله : « ربّنا إنّك آتيت فرعون و ملاه الآية » 942 ؟

قلنا : أما قوله : « ليضلّوا عن سبيلك » 943 فيه وجوه :

أوّلها : أنّه أراد : لئلاّ يضلّوا ، فحذف . و هذا له نظائر كثيرة في القرآن و كلام العرب فمن ذلك قوله : « أن تضل إحديهما » [944] و إنّما أراد : لئلاّ تضلّ . و قوله :

« أن تقولوا يوم القيمة » 945 و قوله : « أن تميد بكم » 946 و قال الشاعر :

نزلتم منزل الأضياف منّا فعجّلنا القرى أن تشتمونا

[938] أي لم يحقّق النظر فيما صنعوا .

----

(939) تنزيه الأنبياء ، ص 71 . م

[940] و هو خبر اسماعيل بن الفضل الهاشميّ ، سأل عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن موسى بن عمران لمّا رأى حبالهم و عصيّهم كيف أوجس في نفسه خيفة و لم يوجسها ابراهيم ؟

قال : إنّ ابراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق كان مستندا إلى ما في صلبه من أنوار حجج اللّه عزّ و جلّ و لم يكن موسى عليه السلام كذلك .

----

(941) تنزيه الأنبياء ، ص 73 75 . و قد لخّصه المصنّف . م

----

(942) يونس : 88 .

----

(943) يونس : 88 .

[944] البقرة : 282 . و الظاهر أنّ الآية لا تحتاج إلى تقدير و المعنى هو أن تنسى إحدى المرأتين فتذكرها الأخرى .

----

(945) الأعراف : 172 .

----

(946) النحل : 15 و لقمان : 10 .

[303]

و ثانيها : أنّ اللاّم ههنا هي لام العاقبة و ليست بلام الغرض كقوله :

« ليكون لهم عدوّا و حزنا » 947 .

و ثالثها : أن يكون مخرج الكلام مخرج النفي و الإنكار على من زعم أنّ اللّه تعالى فعل ذلك ليضلّهم .

و رابعها : أن يكون أراد الاستفهام فحذف حرفه المختصّ به . 948 و احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات (2629) بسوء الأفعال ، و ذميم الأعمال . فتذكّروا في الخير و الشّرّ أحوالهم ، و احذروا أن تكونوا أمثالهم .

فإذا تفكرتم في تفاوت (2630) حاليهم ، فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم ، و زاحت الأعداء له عنهم ، و مدّت (2631) العافية به عليهم ،

و انقادت النّعمة له معهم ، و وصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة ، و اللّزوم للألفة ، و التّحاض عليها ، و التّواصي بها ، و اجتنبوا كلّ امر كسر فقرتهم (2632) ، و أوهن (2633) منّتهم (2634) ، من تضاغن القلوب ، و تشاحن الصّدور ، و تدابر النّفوس ، و تخاذل الأيدي

----

(947) القصص : 8 .

----

(948) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 13 ، كتاب النبوّة ، ص 141 .

[304]

و تدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا في حال التّمحيص (2635) و البلاء . ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء ، و أجهد العباد بلاء ، و أضيق أهل الدّنيا حالا . أتّخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب ، و جرّعوهم المرار (2636) ، فلم تبرح الحال بهم في ذلّ الهلكة و قهر الغلبة ، لا يجدون حيلة في امتناع ، و لا سبيلا إلى دفاع . حتّى إذا رأى اللّه سبحانه جدّ الصّبر منهم على الأذى في محبّته ، و الاحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فرجا ، فأبدلهم العزّ مكان الذّلّ ، و الأمن مكان الخوف ،

فصاروا ملوكا حكّاما ، و أئمّة أعلاما ، و قد بلغت الكرامة من اللّه لهم ما لم تذهب الآمال إليه بهم .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء (2637) مجتمعة ، و الأهواء مؤتلفة ، و القلوب معتدلة ، و الأيدي مترادفة ، و السّيوف متناصرة ،

و البصائر نافذة ، و العزائم واحدة . ألم يكونوا أربابا (2638) في أقطار الأرضين ، و ملوكا على رقاب العالمين فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم ، حين وقعت الفرقة ، و تشتّتت الألفة ، و اختلفت الكلمة و الأفئدة ، و تشعّبوا مختلفين ، و تفرّقوا متحاربين ، قد خلع اللّه عنهم لباس كرامته ، و سلبهم غضارة نعمته (2639) و بقي قصص

[305]

أخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين .

الاعتبار بالامم

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل و بني إسحاق و بني إسرائيل عليهم السّلام . فما أشدّ اعتدال (2640) الأحوال ، و أقرب اشتباه (2641) الأمثال تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم و تفرّقهم ، ليالي كانت الأكاسرة و القياصرة أربابا لهم ، يحتازونهم (2642) عن ريف الآفاق ، و بحر العراق ، و خضرة الدّنيا ، إلى منابت الشّيح ، و مها في (2643) الرّيح ،

و نكد (2644) المعاش ، فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر (2645) و وبر (2646) ،

أذلّ الأمم دارا ، و أجدبهم قرارا ، لا يأوون (2647) إلى جناح دعوة يعتصمون بها ، و لا إلى ظلّ ألفة يعتمدون على عزّها . فالأحوال مضطربة ، و الأيدي مختلفة ، و الكثرة متفرّقة ، في بلاء أزل (2648) ،

و أطباق جهل من بنات موؤودة (2649) ، و أصنام معبودة ، و أرحام مقطوعة ، و غارات مشنونة (2650) .

النعمة برسول اللّه

فانظروا إلى مواقع نعم اللّه عليهم حين بعث إليهم رسولا ،

فعقد بملّته طاعتهم ، و جمع على دعوته ألفتهم : كيف نشرت النّعمة

[306]

عليهم جناح كرامتها ، و أسالت لهم جداول نعيمها ، و التفّت الملّة بهم (2651) في عوائد (2652) بركتها ، فاصبحوا في نعمتها غرقين ، و في خضرة عيشها فكهين (2653) . قد تربّعت (2654) الأمور بهم ، في ظلّ سلطان قاهر ، و آوتهم الحال إلى كنف عزّ غالب ،

و تعطّفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت . فهم حكّام على العالمين ،

و ملوك في أطراف الأرضين . يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ، و يمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة (2655) ، و لا تقرع لهم صفاة (2656) .

لوم العصاة

ألا و إنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة ، و ثلمتم (2657) حصن اللّه المضروب عليكم ، بأحكام الجاهليّة . فإنّ اللّه سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة الّتي ينتقلون في ظلّها ، و يأوون إلى كنفها ، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة ، لأنّها أرجح من كلّ ثمن ، و أجلّ من كلّ خطير .

و اعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعرابا ، و بعد الموالاة (2658) أحزابا .

ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه ، و لا تعرفون من الإيمان إلاّ رسمه .

[307]

تقولون : النّار و لا العار كأنّكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه انتها كالحريمه ، و نقضا لميثاقه الّذي وضعه اللّه لكم حرما في أرضه ، و أمنا بين خلقه . و إنّكم إن لجاتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر ، ثمّ لا جبرائيل و لا ميكائيل و لا مهاجرون و لا أنصار ينصرونكم إلاّ المقارعة بالسيف حتى يحكم اللّه بينكم .

و إنّ عندكم الأمثال من بأس اللّه و قوارعه ، و أيّامه و وقائعه ، فلا تستبطئوا وعيده جهلا بأخذه ، و تهاونا ببطشه ، و يأسا من بأسه .

فإنّ اللّه سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر . فلعن اللّه السّفهاء لركوب المعاصي و الحلماء لترك التّناهي ألا و قد قطعتم قيد الإسلام ، و عطّلتم حدوده ، و أمتم أحكامه .

ألا و قد أمرني اللّه بقتال أهل البغي و النّكث (2659) و الفساد في الأرض ،

فأمّا النّاكثون فقد قاتلت ، و أمّا القاسطون (2660) فقد جاهدت ، و أمّا المارقة (2661) فقد دوّخت (2662) و أمّا شيطان الردهة (2663) فقد كفيته بصعقة (2664) سمعت لها وجبة (2665) قلبه و رجّة صدره (2666) ، و بقيت بقيّة من أهل البغي . و لئن أذن اللّه في الكرّة عليهم لأديلنّ منهم (2667) إلاّ ما يتشذّر (2668) في أطراف البلاد تشذّرا

[308]

فضل الوحي

أنا وضعت في الصّغر بكلاكل (2669) العرب ، و كسرت نواجم (2670) قرون ربيعة و مضر . و قد علمتم موضعي من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالقرابة القريبة ، و المنزلة الخصيصة . و ضعني في حجره و أنا ولد يضمني إلى صدره . و يكنفني في فراشه ، و يمسني جسده ،

و يشمّني عرفه (2671) . و كان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه ، و ما وجد لي كذبة في قول ، و لا خطلة (2672) في فعل . و لقد قرن اللّه به صلّى اللّه عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، و محاسن أخلاق العالم ، ليله و نهاره . و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل (2673) أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما (2674) ، و يأمرني بالاقتداء به . و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء (2675) فأراه ، و لا يراه غيري . و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و خديجة و أنا ثالثهما . أرى نور الوحي و الرّسالة ، و أشمّ ريح النّبوّة .

و لقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحي عليه صلّى اللّه عليه و آله فقلت : يا رسول اللّه ما هذه الرّنّة ؟ فقال : « هذا الشّيطان قد أيس من عبادته . إنّك تسمع ما أسمع ، و ترى ما أرى ، إلا أنّك

[309]

لست بنبيّ ، و لكنّك لوزير و إنّك لعلى خير » . و لقد كنت معه صلّى اللّه عليه و آله لمّا أتاه الملأ من قريش ، فقالوا له : يا محمّد ،

إنّك قد ادّعيت عظيما لم يدّعه آباؤك و لا أحد من بيتك ، و نحن نسألك أمرا إن أنت أجبتنا إليه و أريتناه ، علمنا أنّك نبيّ و رسول ،

و إن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب . فقال صلّى اللّه عليه و آله :

« و ما تسألون ؟ » قالوا : تدعو لنا هذه الشّجرة حتّى تنقلع بعروقها و تقف بين يديك ، فقال صلّى اللّه عليه و آله : « إنّ اللّه على كلّ شيء قدير ، فإن فعل اللّه لكم ذلك ، أتؤمنون و تشهدون بالحقّ ؟ » قالوا :

نعم ، قال : « فإنّي سأريكم ما تطلبون ، و إنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون (2676) إلى خير ، و إنّ فيكم من يطرح في القليب (2677) ، و من يحزّب الأحزاب » . ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله : « يا أيّتها الشّجرة إن كنت تؤمنين باللّه و اليوم الآخر ، و تعلمين أنّي رسول اللّه ، فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن اللّه » . فو الّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها ، و جاءت و لها دوي شديد ، و قصف (2678) كقصف أجنحة الطّير ، حتّى وقفت بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مرفرفة ،

و ألقت بغصنها الأعلى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، و ببعض أغصانها على منكبي ، و كنت عن يمينه صلّى اللّه عليه و آله ، فلمّا

[310]

نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّا و استكبارا : فمرها فليأتك نصفها و يبقى نصفها ، فأمرها بذلك ، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشدّه دويّا ، فكادت تلتفّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، فقالوا كفرا و عتوا : فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان ،

فأمره صلّى اللّه عليه و آله فرجع ، فقلت أنا : لا إله إلاّ اللّه ، إنّي أوّل مؤمن بك يا رسول اللّه ، و أوّل من أقرّ بأنّ الشّجرة فعلت ما فعلت بأمر اللّه تعالى تصديقا بنبوّتك ، و إجلالا لكلمتك . فقال القوم كلّهم : بل ساحر كذّاب ، عجيب السّحر خفيف فيه ، و هل يصدّقك في أمرك إلاّ مثل هذا (يعنونني) و إنّي لمن قوم لا تأخذهم في اللّه لومة لائم ، سيماهم سيما الصّدّيقين ، و كلامهم كلام الأبرار ،

عمّار (2679) اللّيل و منار النّهار . متمسكون بحبل القرآن ، يحيون سنن اللّه و سنن رسوله ، لا يستكبرون و لا يعلون ، و لا يغلّون (2680) و لا يفسدون . قلوبهم في الجنان ، و أجسادهم في العمل

[توضيحات حول المسائل المطروحة في نهاية الخطبة]

[1 كيفيّة ولادة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و معيشته و سلوكه و آدابه] أقول : قال عبد الحميد بن أبي الحديد : روي أن بعض أصحاب أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام سأله عن قول اللّه تعالى : « إلاّ من ارتضى

[311]

من رسول فإنّه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا » 949 فقال عليه السلام :

يوكّل اللّه تعالى بأنبيآئه ملائكة يحصون أعمالهم و يؤدّون إليهم تبليغهم الرسالة ، و وكلّ بمحمّد ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات و مكارم الأخلاق و يصدّه عن الشرّ و مساوي الأخلاق ، و هو الّذي كان يناديه : السّلام عليك يا محمد يا رسول اللّه ، و هو شابّ لم يبلغ درجة الرسالة بعد ، فيظنّ أن ذلك من الحجر و الأرض ،

فيتأمّل فلا يرى شيئا .

و روى الطبريّ في التاريخ عن محمّد بن الحنفيّة ، و عن أبيه عليّ عليه السلام قال : سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول : ما هممت بشيء ممّا كان أهل الجاهليّة يعملون به غير مرّتين ، كلّ ذلك يحول اللّه بيني و بين ما أريد من ذلك ، ثمّ ما هممت بسوء حتّى أكرمني اللّه برسالته ، قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكّة : لو أبصرت لي غنمي حتّى أدخل مكّة فأسمر [950] بها كما يسمر الشّباب ، فخرجت أريد ذلك حتّى إذا جئت أوّل دار من دور مكّة سمعت عزفا [951] بالدفّ و المزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذا فلان تزوج ابنة فلان . فجلست أنظر إليهم ، فضرب اللّه على أذني ، فكنت [952] فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس ، فجئت [953] إلى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما صنعت شيئا ثمّ أخبرته الخبر ، ثمّ قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، فقال : افعل . فخرجت فسمعت حين دخلت مكّة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة ، فجلست أنظر فضرب اللّه على أذني ، فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ، ثمّ ما هممت بعدها بسوء حتّى أكرمني اللّه برسالته .

و روى محمّد بن حبيب في أماليه قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : أذكر و أنا غلام ابن سبع سنين ، و قد بنى ابن جذعان دارا له بمكّة ، فجئت مع الغلمان

----

(949) الجنّ : 27 .

[950] « سمر » لم ينم و تحدّث ليلا .

[951] « العزف » صوت الدف و الطنبور و العود و غيرها من آلات الطرب .

[952] في المصدر : فنمت . و هو الموجود في تاريخ الطبري أيضا .

[953] في المصدر : فرجعت ، و في الطبريّ : فجئت . راجع تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص 34 .

نأخذ التراب و المدر في حجورنا فننقله فملأت حجري ترابا ، فانكشفت عورتي ، فسمعت نداء من فوق رأسي : يا محمّد أرخ إزارك فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئا إلاّ أنّي أسمع الصوت ، فتماسكت لم أرخه ، فكأنّ إنسانا ضربني على ظهري فخررت لوجهي ، و انحلّ إزاري و سقط [954] التراب إلى الأرض فقمت إلى دار أبي طالب عمّي و لم أعد .

فأمّا حديث مجاورته صلّى اللّه عليه و آله بحرآء فمشهور ، و قد ورد في الكتب الصحاح أنّه كان يجاور في حراء من كلّ سنة شهرا ، و كان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من حرآء كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء اللّه من ذلك ، ثمّ يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة الّتي أكرمه اللّه تعالى فيها بالرسالة فجاور في حرآء في شهر رمضان و معه أهله خديجة و عليّ بن أبي طالب و خادم لهم ،

فجاءه جبرئيل بالرسالة ، قال صلّى اللّه عليه و آله : جاءني و أنا نائم بنمط [955] فيه كتاب فقال : اقرأ قلت : ما أقرأ ؟ ففتّني [956] حتّى ظننت أنّه الموت ثمّ أرسلني فقال :

« اقرأ باسم ربّك الّذي خلق . . . » إلى قوله : « علم الإنسان ما لم يعلم » 957 . فقرأته ثمّ انصرف عنّي ، فهببت [958] من نومي ، و كأنّما كتب في قلبي كتاب . و ذكر تمام الحديث .

و أمّا حديث « أنّ الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذ إلاّ النبيّ و هو [959] عليهما السلام و خديجة » فخبر عفيف الكنديّ مشهور [960] ، و قد ذكرناه من

[954] في المصدر : و انحلّ إزاري فسترني و سقط .

[955] « النمط » ضرب من البسط ، و عاء كالسفط . و الظاهر أنّ المراد هنا الثاني .

[956] في المصدر : « فغتني » بالغين ، أي خنقني .

----

(957) العلق : 5 1 .

[958] أي فاستيقظت . و في المصدر : فانتبهت .

[959] أي عليّ عليه السلام .

[960] هذا الحديث مشهور بين العامّة و الخاصّة ، بل متواتر و عليه أصحابنا الإماميّة من سالف الزمان إلى الآن . و تقدّم ذلك و يأتي في أحاديث كثيرة في محلّه .

قبل ، و أنّ أبا طالب قال له : أتدري من هذا ؟ قال : لا . قال : هذا محمّد [961] بن عبد اللّه بن عبد المطّلب ، و هذا ابني علي بن أبي طالب ، و هذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمّد ابن أخي ، و أيم اللّه ما أعلم على الأرض كلّها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . 962 .

و قال أيضا : روى محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة النبوية ، و رواه أيضا محمّد ابن جرير الطبريّ في تاريخه قال : كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعديّة امّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الّتي أرضعته تحدّث أنّها خرجت من بلدها و معها زوجها و ابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمس الرضعاء بمكّة في سنة شهبآء لم تبق شيئا ، قالت : فخرجت على أتان لنا قمرآء عجفاء ، و معنا شارف لنا ما تبضّ [963] بقطرة ، و لا ننام ليلنا أجمع من بكاء صبيّنا الّذي معنا من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه ، و لا في شارفنا [964] ما يغذيه ، و لكنّا نرجوا الغيث و الفرج . فخرجت على أتاني تلك و لقد راثت بالركب ضعفا و عجفا حتّى شقّ ذلك عليهم حتّى قدمنا مكّة نلتمس الرضعاء [965] ، فما منّا امرأة إلاّ و قد عرض عليها محمّد فتأباه إذا قيل لها : إنّه يتيم ، و ذلك أنّا إنّما كنّا نرجوا المعروف من أبي الصبيّ ، فكنّا نقول : يتيم ، ما عسى أن تصنع امّه وجدّه ، فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة ذهبت معي إلاّ أخذت رضيعا غيري . فلمّا اجتمعنا للانطلاق قلت لصاحبي : و اللّه إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي لم آخذ رضيعا ، و اللّه لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه ، قال : لا عليك أن تفعلي ، و عسى اللّه أن يجعل لنا فيه بركة ، فذهبت إليه فأخذته و ما يحملني على أخذه إلاّ أنّي لم أجد غيره .

قالت : فلمّا أخذته رجعت إلى رحلي فلمّا وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي

[961] في المصدر : هذا ابن أخي محمّد .

----

(962) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 198 200 ، ط بيروت .

[963] قال الجزريّ : « ما تبضّ ببلال » أي ما يقطر منها بلبن ، يقال : « بضّ الماء » إذا قطر و سال .

[964] « الشارف » المسنّة من النوق .

[965] في المصدر : الرضاع .

بما شآء من لبن ، فرضع حتّى روى ، و شرب معه أخوه حتى روى ، و ما كنّا ننام قبل ذلك من بكاء صبيّنا جوعا ، فنام و قام زوجي الى شارفنا تلك فنظر إليها فإذا أنّها حافل فحلب منها ما شرب و شربت حتّى انتهينا ريّا و شبعا ، فبتنا بخير ليلة .

قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلمين ؟ [966] و اللّه يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة .

فقلت : و اللّه إنّي لأرجو ذلك .

ثمّ خرجنا و ركبت أتاني تلك و حملته معي عليها ، فو اللّه لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حميرهم حتّى أن صواحبي ليقلن لي : و يحك يا بنت أبي ذؤيب اربعي [967] علينا ، أليس هذه أتانك الّتي كنت خرجت عليها ؟

فأقول لهنّ : بلى و اللّه إنّها لهي .

فيقلن : و اللّه إنّ لها لشأنا .

قالت : ثمّ قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد و ما أعلم أرضا من أرض العرب أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعا ملاء لبنا [968] ، فكنّا نحتلب و نشرب و ما يحلب إنسان قطرة لبن ، و لا يجدها في ضرع حتّى أنّ الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ، فيفعلون فيروح أغنامهم جياعا ما تبضّ بقطرة ، و تروح غنمي شباعا لبّنا ، فلم نزل نعرف من اللّه الزيادة و الخير به حتّى مضت سنتاه و فصلته [969] ، فكان يشبّ شبابا لا يشبه الغلمان حتّى كان غلاما جفرا فقدمنا به على امّه آمنة بنت وهب و نحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنّا نرى من بركته . فكلّمنا أمّه و قلنا لها : لو تركتيه [970] عندنا حتّى يغلظ فإنّا نخشى عليه و باء مكّة . فلم نزل بها حتّى ردّته معنا فرجعنا به إلى بلاد

[966] في المصدر : أتعلمين ؟

[967] أي أقيمي و انتظري ، و يقال : « ربع فلان على فلان » إذا أقام و انتظره .

[968] في السيرة : شباعا لبنا . قلت : اي غزيرات اللبن .

[969] « فصل الصبيّ عن الرضاع » فطمه .

[970] في المصدر : لو تركته . و في السيرة و تاريخ الطبري : لو تركت بنيّ عندي .

[315]

بني سعد ، فو اللّه إنّه لبعد ما قدمنا بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا إذا أتانا أخوه يشدّ [971] فقال لي و لأبيه : ها هو ذاك أخي القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه و شقّا بطنه فهما يسوطانه .

قالت : فخرجت أنا و أبوه نشتدّ نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه ، فالتزمته و التزمه أبوه و قلنا : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني ،

ثمّ شقّا بطني ، فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو .

قالت : فرجعنا به إلى خبائنا ، و قال لي أبوه : يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب [972] فألحقيه بأهله [973] .

قالت : فاحتملته حتّى قدمت به على امّه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظئر [974] و قد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك ؟

فقلت لها : قد بلغ اللّه بابني و قضيت الّذي عليّ ، و تخوّفت عليه الأحداث ،

و أدّيته إليك كما تحبين .

قالت : ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك .

قالت : فلم تدعني حتّى أخبرتها الخبر .

قالت : أفتخوّفت عليه الشيطان ؟

قلت : نعم .

قالت : كلاّ و اللّٰه ما للشيطان عليه من سبيل و إنّ لابنى لشأنا ، أفلا أخبرك خبره ؟

قلت : بلى .

قالت : رأيته [975] حين حملت به أنّه خرج منّي نور أضاءت له قصور بصرى

[971] يشتدّ (خ ل) . و هو الموجود في السيرة و التاريخ .

[972] أي أصابه الجنّ ، أو طرف من الجنون .

[973] في السيرة و تاريخ الطبري : فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به .

[974] « الظئر » المرأة المرضعة .

[975] في المصدر و السيرة و التاريخ : رأيت .

[316]

من الشام ، ثمّ حملت به ، فو اللّٰه ما رأيت حملا قطّ كان أخفّ و لا أيسر منه ، ثمّ وقع حين ولدته و إنّه واضع يديه بالأرض ، و رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك ، و انطلقي راشدة . 976 و روى الطبريّ في تاريخه عن شدّاد بن أوس ، قال : سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله يحدّث عن نفسه و يذكر ما جرى له و هو طفل في أرض بني سعد بن بكر ، قال : لمّا ولدت استرضعت في بني سعد ، فبينا أنا ذات يوم منتبذا من أهلي في بطن و ادمع أتراب [977] لي من الصبيان نتقاذف بالجلّة إذا أتاني رهط ثلاثة ، معهم طست من ذهب مملوة ثلجا ، فأخذوني من بين أصحابي ، فخرج أصحابي هرابا حتّى انتهوا إلى شفير [978] الوادي ، ثمّ عادوا إلى الرهط فقالوا : ما رابكم إلى هذا الغلام فإنّه ليس منّا ، هذا ابن سيّد قريش و هو مسترضع فينا غلام يتيم ليس له أب ،

فماذا يردّ عليكم قتله ؟ و ماذا تصيبون من ذلك ؟ و لكن إن كنتم لا بدّ قاتليه فاختاروا منّا أيّنا شئتم فاقتلوه مكانه و دعوا هذا الغلام ، فإنّه يتيم .

فلمّا رأى الصبيان أنّ القوم لا يحيرون لهم جوابا [979] انطلقوا هرابا مسرعين إلى الحيّ يؤذنوهم و يستصرخونهم على القوم ، فعمد أحدهم فأضجعني إضجاعا لطيفا ، ثمّ شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي و أنا أنظر إليه فلم أجد لذلك مسّا [980] ، ثمّ أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج ، فأنعم غسلها [981] ثمّ أعادها مكانها ، ثمّ قام الثاني منهم فقال لصاحبه : تنحّ فنحّاه عنّي ، ثمّ أدخل يده في جوفي و أخرج قلبي و أنا أنظر إليه فصدعه ، ثمّ أخرج منه مضغة سوداء فرماها ، ثمّ قال بيده : يمنة منه ، و 99760 شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 201 204 ، ط بيروت ، و السيرة لابن هشام ، ج 1 ، ص 173 177 ، و تاريخ الطبريّ ، ج 1 ، ص 573 579 .

[977] « أتراب » أصدقاء ، أو من ولد معه .

[978] « شفير الوادي » ناحيته من أعلاه .

[979] « أحار الجواب » ردّه .

[980] في المصدر : و لم أجد لذلك حسّا .

[981] أي بالغ في ذلك و أجاد .

كأنّه يتناول شيئا فإذا في يده خاتم من نور تحار أبصار الناظرين دونه ، فختم به قلبي ،

ثمّ أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ، ثمّ قال الثالث لصاحبه : تنحّ عنه فأمر يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي ، فالتام ذلك الشقّ ، ثمّ أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضا لطيفا و قال للأوّل الّذي شقّ بطني : زنه بعشرة من أمّته .

فوزنني بهم فرجحتهم . فقال : دعوه فلو و زنتموه بأمّته كلّها لرجحهم . ثمّ ضمّوني إلى صدورهم و قبّلوا رأسي و ما بين عينيّ ، و قالوا : يا حبيب [982] لا ترع إنّك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرّت عيناك . فبينا أنا كذلك إذا أنا بالحيّ قد جاؤوا بحذافيرهم ،

و اذا امّي و هي ظئري أمام الحيّ تهتف بأعلى صوتها و تقول : يا ضعيفاه فانكبّ عليّ أولئك الرهط فقبّلوا رأسي و بين عيني و قالوا : حبّذا أنت من ضعيف . ثم قالت ظئري : يا وحيداه فانكبّوا علي و ضمّوني إلى صدورهم و قبّلوا رأسي و بين عينيّ ،

ثمّ قالوا : حبّذا أنت من وحيد ، و ما أنت بوحيد ، إنّ اللّه و ملائكته معك و المؤمنين من أهل الأرض . ثمّ قالت ظئري : يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك . فانكبّوا عليّ و ضمّوني إلى صدورهم و قبّلوا رأسي و ما بين عينيّ و قالوا :

حبّذا أنت من يتيم ، ما أكرمك على اللّه ، لو تعلم ما يراد بك من الخير .

قال : فوصل الحيّ إلى شفير الوادي فلمّا بصرت بي أمّي و هي ظئري قالت :

يا بني لا أراك حيّا بعد [983] ، فجاءت حتّى انكبّت عليّ و ضمّتني إلى صدرها ،

فو الّذي نفسي بيده إنّي لفي حجرها قد ضمّتني إليها و إنّ يدي لفي يد بعضهم ، فجعلت ألتفت إليهم و ظننت أنّ القوم يبصرونهم ، فإذاهم لا يبصرونهم ، فيقول بعض القوم : إنّ هذا الغلام قد أصابه لم أوطائف من الجنّ ، فانطلقوا به إلى كاهن بني فلان حتّى ينظر إليه و يداويه .

فقلت : ما بي شيء ممّا يذكر ، إنّ نفسي سليمة [984] و إنّ فؤادي صحيح

[982] في المصدر : يا حبيب اللّه .

[983] في المصدر و تاريخ الطبريّ : ألا أراك حيا بعد ؟

[984] في تاريخ الطبريّ : إنّ آرائي صحيحة .

ليست بي قلبة .

فقال أبى و هو زوج ظئري : ألا ترون كلامه صحيحا ؟ إنّى لأرجو أن لا يكون على ابني بأس .

فاتّفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن ، فاحتملوني حتّى ذهبوا بي إليه فقصّوا عليه قصّتي ، فقال : اسكتوا حتّى أسمع من الغلام فهو أعلم بأمره منكم .

فسألني فقصصت عليه أمري و أنا يومئذ ابن خمس سنين ، فلمّا سمع قولي وثب و قال : يا للعرب اقتلوا هذا الغلام ، فهو و اللات و العزّى لئن عاش ليبدلنّ دينكم ، و ليخالفنّ أمركم ، و ليأتينّكم بما لم تسمعوا به قطّ .

فانتزعتني ظئري من حجره و قالت : لو علمت [985] أنّ هذا يكون من قولك ما أتيتك به [986] ثمّ احتملوني . فأصبحت و قد صار في جسدي أثر الشقّ ما بين صدري إلى منتهى عانتي كأنّه الشراك . 987 بيان : أقول رواه الكازرونيّ في المنتقى بأسانيد [988] و لنشرح بعض ألفاظها :

« الرضعاء » جمع « رضيع » . و قال الجزريّ : في حديث حليمة : « في سنة شهباء » أي ذات قحط و جدب ، و قال : « القمراء » الشديدة البياض . قولها « راثت » من « الريث » ، بمعنى الإبطاء ، و في أكثر رواياتهم : « و لقد أذمّت » قال الجزريّ : و منه

[985] في تاريخ الطبريّ : فاقتصصت عليه أمري ما بين أوّله و آخره ، فلمّا سمع وثب إليّ و ضمّني إلى صدره ، ثمّ نادى بأعلى صوته : يا للعرب يا للعرب اقتلوا هذا الغلام و اقتلوني معه ، فو اللات و العزّى لئن تركتموه و أدرك ، ليبدّلنّ دينكم و ليسفّهنّ عقولكم و عقول آبائكم و ليخالفنّ أمركم و ليأتينّكم بدين لم تسمعوا بمثله قطّ .

فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره و قالت : لأنت أعته و أجنّ من ابني هذا ، فلو علمت .

[986] في تاريخ الطبريّ بعد ذلك : فاطلب لنفسك من يقتلك ، فأنا غير قاتلي هذا الغلام ، ثمّ احتملوني فأدّوني إلى أهلى ،

فأصبحت مفزعا ممّا فعل بي و أصبح أثر الشقّ . ا ه

(987 شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 204 207 ، ط بيروت ، و تاريخ الطبريّ ، ج 1 ، ص 575 577 .

[988] المنتقى في مولود المصطفى ، الباب الثّاني و الثالث من القسم الثاني . قلت : ذكرت سابقا أنّ حديث شقّ الصدر ممّا رواه

حديث حليمة « فلقد أذمّت بالركب » أي حبستهم لانقطاع سيرها ، كأنّها حملت الناس على ذمّها . انتهى . و « العجف » الهزال . « حتّى انتهينا ريّا » أي بلغنا غايته .

« لقطعت بالركب » أي من سرعة سيرها و شدّة تقدّمها انقطع الركب عنها . و « اربعي » أي ارفقي بنا و انتظري بنا . و « اللبن » بمعنى اللّبون .

و قال الجزريّ : في حديث حليمة : « كان يشبّ في اليوم شباب الصبيّ في الشهر فبلغ ستّا و هو جفر » ، « استجفر الصبيّ » إذا قوى على الأكل ، و أصله في أولاد المعز إذا بلغ أربعة أشهر و فصل عن أمّه و أخذ في الرعي ، قيل له : « جفر » و الأنثى « جفرة » . انتهى .

و « البهم » جمع « بهمة » و هي أولاد الضأن . و « السوط » خلط الشيء بعضه ببعض ، و « المسواط » ما يساط به القدر ليختلط بعضه ببعض . قوله « منتقعا » أي متغيّرا . و « الجلّة » بالفتح ، البعر . قوله « مارابكم » [989] أي ما شكّكم ، و معناه ها هنا : ما دعاكم إلى أخذ هذا . قوله « ماذا يردّ عليكم » أي ما ينفعكم ذلك . قوله « فأنعم غسلها » أي بالغ فيه . قوله « ثمّ قال بيده يمنة » أي أشار بيده ، أو مدّها إلى جانب يمينه . و « القلبة » الداء . 990 [2 كيفيّة عبادة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قبل البعثة] تذنيب : اعلم أنّ علماء الخاصّة و العامّة اختلفوا في أن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله هل كان قبل بعثته متعبّدا بشريعة أم لا ؟

العامّة ، و الإماميّة لا يقول به ، و هذا أيضا كما ترى من مرويّاتهم .

[989] في المصدر و تاريخ الطبري : ما إربكم .

----

(990) بحار الأنوار : الطبعة الجديدة ، ج 15 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 361 369 .

[320]

قال العلاّمة قدّس اللّه روحه في شرحه على مختصر ابن الحاجب : اختلف الناس في أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله هل كان متعبّدا بشرع أحد من الأنبياء قبله قبل النبوّة أم لا ؟

فذهب جماعة إلى أنّه كان متعبّدا و نفاه آخرون كأبي الحسين البصري و غيره و توقّف الغزاليّ و القاضي عبد الجبّار ، و المثبتون اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنّه كان متعبّدا بشرع نوح عليه السلام و آخرون قالوا بشرع ابراهيم عليه السلام و آخرون بشرع موسى عليه السلام و آخرون بشرع عيسى عليه السلام و آخرون قالوا : بما ثبت أنّه شرع .

و استدلّ المصنّف على أنّه كان متعبّدا بشرع من قبله بما نقل نقلا يقارب التواتر أنّه كان يصلّي و يحجّ و يعتمر و يطوف بالبيت و يتجنّب الميتة و يذكّي و يأكل اللحم و يركب الحمار و هذه أمور لا يدركها العقل فلا مصير إليها إلاّ من الشرع ،

و استدلّ آخرون على هذا المذهب أيضا بأنّ عيسى عليه السلام كان مبعوثا إلى جميع المكلّفين ، و النبيّ صلّى اللّه عليه و آله كان من المكلّفين ، فيكون عيسى عليه السلام مبعوثا إليه .

و الجواب : لا نسلّم عموم دعوة من تقدّمه .

و احتجّ المخالف بأنّه لو كان متعبّدا بشرع من قبله لكان مخالطا لأهل تلك الشريعة قضاء للعادة الجارية بذلك أو لزمته المخالطة لأرباب تلك الشريعة بحيث يستفيد منهم الأحكام ، و لمّا كان التالي باطلا إجماعا فكذا المقدّم .

و الجواب : لا نسلّم وجوب المخالطة لأنّ الشرع المنقول إليه عمّن تقدّمه إن كان متواترا فلا يحتاج إلى المخالطة و المناظرة ، و إن كان آحادا فهو غير مقبول خصوصا مع اعتقاده بأنّ أهل زمانه صلّى اللّه عليه و آله كانوا في غاية الإلحاد .

[321]

سلّمنا أنّه كان يلزم المخالطة ، لكن المخالطة قد لا تحصل لموانع تمنع منها ،

فيحتمل [991] ترك المخالطة لمن يقاربه من أرباب الشرائع المتقدّمة على تلك الموانع ،

جمعا بين الأدلة . انتهى .

و قال المرتضى رضي اللّه عنه في كتاب الذريعة : هل كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله متعبّدا بشرائع من تقدّمه من الأنبياء عليهم السلام ؟

في هذا الباب مسألتان : إحداهما قبل النبوّة ، و الأخرى بعدها . و في المسألة الأولى ثلاثة مذاهب :

أحدها أنّه صلّى اللّه عليه و آله ما كان متعبّدا قطعا ، و الآخر أنّه كان متعبّدا قطعا ، و الثالث التوقّف و هذا هو الصحيح ، و الّذي يدلّ عليه أنّ العبادة بالشرائع تابعة لما يعلمه اللّه تعالى من المصلحة بها في التكليف العقليّ ، و لا يمتنع أن يعلم اللّه تعالى أن لا مصلحة للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله قبل نبوّته في العبادة بشيء من الشرائع ، كما أنّه غير ممتنع أن يعلم أنّ له صلّى اللّه عليه و آله في ذلك مصلحة . و إذا كان كلّ واحد من الأمرين جائزا و لا دلالة توجب القطع على أحدهما ، وجب التوقّف .

و ليس لمن قطع على أنّه ما كان متعبّدا ان يتعلّق بأنه لو كان تعبّد [992] صلّى اللّه عليه و آله بشيء من الشرائع لكان فيه متّبعا لصاحب تلك الشريعة و مقتديا به ، و ذلك لا يجوز لأنّه أفضل الخلق و اتباع الأفضل للمفضول قبيح ، و ذلك أنّه غير

ممتنع أن يوجب اللّه تعالى عليه صلّى اللّه عليه و آله بعض ما قامت عليه الحجّة به من بعض الشرائع المتقدّمة لا على وجه الاقتداء بغيره فيها و لا الاتّباع . و ليس لمن قطع على أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان متعبّدا أن يتعلّق بأنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يطوف بالبيت و يحجّ و يعتمر و يذكّي و يأكل المذكّى و يركب البهائم و يحمل عليها ، و ذلك أنّه لم يثبت عنه صلّى اللّه عليه و آله أنّه قبل النبوّة حجّ

[991] فيحمل (خ ل) .

[992] لعلّ الصحيح : لو كان تعبّد .

أو اعتمر ، و لو ثبت لقطع به على أنّه كان متعبّدا ، و بالتظنّي لا يثبت مثل ذلك ، و لم يثبت أيضا أنّه صلى اللّه عليه و آله تولّى التذكيه بيده . و قد قيل أيضا إنّه لو ثبت أنّه ذكّي بيده لجاز أن يكون من شرع غيره في ذلك الوقت أن يستعين بغيره في الذكاة ، فذكّى على سبيل المعونة لغيره . و أكل لحم المذكى لا شبهة في أنّه غير موقوف على الشرع ، لأنّه بعد الذكاة قدر صار مثل كلّ مباح من المأكل و ركوب البهائم و الحمل عليها يحسن عقلا إذا وقع التكفّل بما يحتاج إليه من علف و غيره ، و لم يثبت أنّه صلّى اللّه عليه و آله فعل من ذلك ما لا يستباح بالعقل فعله ، و ليس علمه صلّى اللّه عليه و آله بأنّ غيره نبيّ بالدليل يقتضي كونه متعبّدا بشريعته ، بل لا بدّ من أمر زائد على هذا العلم .

فأمّا المسألة الثانية : فالصحيح أنّه صلّى اللّه عليه و آله ما كان متعبّدا بشريعة نبيّ تقدّم ، و سندلّ عليه بعون اللّه ، و ذهب كثير من الفقهاء إلى أنّه كان متعبّدا . و لا بدّ قبل الكلام في هذه المسألة من بيان جواز أن يتعبّد اللّه تعالى نبيّا بمثل شريعة النبيّ الأوّل ، لأنّ ذلك إذا لم يجز سقط الكلام في هذا الوجه من المسألة .

و قد قيل : إنّ ذلك يجوز على شرطين : إمّا بأن تندرس الأولى فيجدّدها الثاني ، أو بأن يزيد فيها ما لم يكن منها ، و يمنعون من جواز ذلك على غير أحد هذين الشرطين و يدّعون أنّ بعثته على خلاف ما شرطوه تكون عبثا ، و لا يجب النظر في معجزته و لا بدّ من وجوب النظر في المعجزات .

و ليس الأمر على ما قالوه ، لأنّ بعثة النبيّ الثاني لا تكون عبثا ، إذا علم اللّه تعالى أنّه يؤمن عندها و ينتفع من لم ينتفع بالأوّل ، و لو لم يكن الأمر أيضا كذلك كانت البعثة الثانية على سبيل ترادف الأدلّة الدالّة على أمر واحد ، و لا يقول أحد : إنّ نصب الأدلّة على هذا الوجه يكون عبثا .

فأمّا الوجه الثاني ، فإنّا لا نسلّم لهم أنّ النظر في معجز كلّ نبيّ يبعث لا بدّ من أن يكون واجبا ، لأنّ ذلك يختلف ، فإن خاف المكلّف من ضرر إن هو لم ينظر

وجب النظر عليه ، و إن لم يخف لم يكن واجبا . و قد استقصينا هذا الكلام و فرغناه في كتاب الذخيرة .

و الّذي يحقّق هذه المسألة أنّ تعبّده صلّى اللّه عليه و آله بشرع من تقدّمه لا بدّ فيه من معرفة أمرين : أحدهما نفس الشرع و الآخر كونه متعبّدا به ، و ليس يخلو من أن يكون علم صلّى اللّه عليه و آله كلا الأمرين بالوحي النازل عليه و الكتاب المسلّم إليه ، أو يكون علم الامرين من جهة النبيّ المتقدّم ، أو يكون علم أحدهما من هذا الوجه و الآخر من غير ذلك الوجه .

و الوجه الأوّل يوجب أن لا يكون متعبّدا بشرائعهم إذا فرضنا أنّه بالوحي إليه علم الشرع و التعبّد معا ، و أكثر ما في ذلك أن يكون تعبّد بمثل شرائعهم ، و إنما يضاف الشرع إلى الرسول إذا حمله و لزمه أداءه ، و يقال في غيره ، إنّه متعبّد بشرعه متى دعاه إلى اتّباعه و ألزمه الانقياد له ، فيكون مبعوثا إليه ، و إذا فرضنا أنّ القرآن و الوحي وردا ببيان الشرع و إيجاب الاتّباع فذلك شرعه صلّى اللّه عليه و آله لا يجب إضافته إلى غيره .

و أمّا الوجه الثاني فهو و إن كان خارجا من أقوال الفقهاء المخالفين لنا في هذه المسألة فاسد من جهة أنّ نقل اليهود و من جرى مجراهم من الأمم الماضية قد بيّن في مواضع أنّه ليس بحجة لانقراضهم و عدم العلم باستواء أوّلهم و آخرهم ، و أيضا فإنّه صلّى اللّه عليه و آله مع فضله على الخلق لا يجوز أن يكون متّبعا لغيره من الأنبياء المتقدّمين عليهم السلام ، ثمّ

هذا القول يقتضي أن لا يكون صلّى اللّه عليه و آله بأن يكون من أمّة ذلك النبيّ بأولى منّا ، و لا بأن تكون متعبّدين بشرعه بأولى من أن يكون متعبدا بشرعنا ، لأنّ حاله كحالنا في أنّنا من أمّة ذلك النبيّ .

و بهذه الوجوه الّتي ذكرناها نبطل القسمين الّذين فرغناهما ، و ممّا يدلّ على حجّة ما ذكرناه و فساد قول مخالفينا أنّه قد ثبت عنه صلّى اللّه عليه و آله توقّفه في أحكام معلوم أنّ بيانها في التوراة و انتظاره فيها نزول الوحي ، و لو كان متعبّدا بشريعة موسى عليه السلام لما جرى ذلك ، و أيضا فلو كان الأمر على ما قالوه لكان يجب أن

[324]

يجعل صلّى اللّه عليه و آله كتب من تقدّمه في الأحكام بمنزلة الأدلّة الشرعيّة ، و معلوم خلافه ، و أيضا فقد نبّه صلّى اللّه عليه و آله في خبر معاذ على الأدلّة فلم يذكر في جملتها التوراة و الإنجيل ، و أيضا فإنّ كلّ شريعته مضافة إليه بالإجماع و لو كان متعبّدا بشرع غيره لما جاز ذلك ، و أيضا فلا خلاف بين الأمّة في أنّه صلّى اللّه عليه و آله لم يؤدّ إلينا من أصول الشرائع إلاّ ما أوحي إليه و حمله ، و أيضا فإنّه لا خلاف في أنّ شريعته صلّى اللّه عليه و آله ناسخة لكلّ الشرائع المتقدمة من غير استثناء ، فلو كان الأمر كما قالوه لما صحّ هذا الإطلاق ، و أيضا فإنّ شرائع من تقدّيم مختلفة متضادّة فلا يصحّ كونه متعبّدا بكلها فلا بدّ من تخصيص و دليل يقتضيه ، فإن ادّعوا أنّه متعبّد بشريعة عيسى عليه السلام بأنّها ناسخة لشريعة من تقدّم فذلك منهم ينقض تعلّقهم بتعرّفه صلّى اللّه عليه و آله من اليهود في التوراة ، فأمّا رجوعه في رجم المحصن إليها فلم يكن لأنّه كان متعبّدا بذلك ، لأنّه لو كان الرجوع لهذه العلّة لرجع صلّى اللّه عليه و آله في غير هذا الحكم إليها ، و إنّما رجع لأمر آخر ، و قد قيل :

إنّ سبب الرجوع أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان خبّر بأنّ حكمه في الرجم يوافق ما في التوراة فرجع إليها تصديقا لخبره و تحقيقا لقوله صلّى اللّه عليه و آله . انتهى .

و قال المحقّق أبو القاسم الحلّيّ طيّب اللّه رمسه في أصوله : شريعة من قبلنا هل هي حجّة في شرعنا ؟

قال قوم : نعم ما لم يثبت نسخ ذلك الحكم بعينه . و أنكر الباقون ذلك و هو الحقّ . لنا وجوه :

الأوّل : قوله تعالى : « و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى » 993 .

الثاني : لو كان متعبّدا بشرع غيره لكان ذلك الغير أفضل ، لأنّه يكون تابعا لصاحب ذلك الشرع ، و ذلك باطل بالاتّفاق .

الثالث : لو كان متعبّدا بشرع غيره لوجب عليه البحث عن ذلك الشرع ، لكن ذلك باطل ، لأنّه لو وجب لفعله ، و لو فعله لاشتهر ، و لوجب على الصحابة و التابعين

----

(993) النجم : 4 3 .

[325]

بعده و المسلمين إلى يومنا هذا متابعته صلّى اللّه عليه و آله على الخوض فيه ، و نحن نعلم من الدين خلاف ذلك .

الرابع : لو كان متعبّدا بشرع من قبله لكان طريقه إلى ذلك إمّا الوحي أو النقل ، و يلزم من الأوّل أن يكون شرعا له لا شرعا لغيره ، و من الثاني التعويل على نقل اليهود و هو باطل ، لأنّه ليس بمتواتر لما تطرّق إليه من القدح المانع من إفادة اليقين ، و نقل الآحاد منهم لا يوجب العمل لعدم الثقة .

و احتجّ الآخرون بقوله تعالى : « فبهديهم اقتده » 994 و بقوله : « ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفا » 995 و بقوله : « شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحا » 996 و بقوله : « إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النّبيّين » 997 و بقوله : « إنّا أنزلنا التّورية فيها هدى و نور يحكم بها النّبيون » 998 و بأنّه صلّى اللّه عليه و آله رجع في معرفة الرجم في الزنا إلى التورية .

أجاب الأوّلون عن الآية الأولى بأنّها تتضمّن الأمر بالاهتداء بهديهم كلّهم ،

فلا يكون ذلك إشارة إلى شرعهم ، لأنّه مختلف ، فيجب صرفه إلى ما اتّفقوا عليه و هو دلائل العقائد العقليّة دون الفروع الشرعية .

و عن الثاني بأنّ ملّة إبراهيم عليه السلام المراد بها العقليّات دون الشرعيّات [999] يدلّ على ذلك قوله [تعالى] : « و من يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه » 1000 ، فلو أراد الشرعيّات لما جاز نسخ شيء منها ، و

----

(994) الأنعام : 90 .

----

(995) النحل : 123 .

----

(996) الشورى : 13 .

----

(997) النساء : 163 .

----

(998) المائدة : 44 .

[999] و ربما يقال : إنّ هذا التوجيه لا ينطبق على مثل قوله تعالى : « و ما جعل عليكم في الدّين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين » (حجّ : 78) حيث ظاهره عدم الحرج في الفروع ، إلاّ أن يقال ذلك أيضا في الحرج الشديد المنتفى عقلا فيكون من العقليّات أيضا .

(1000) البقرة : 130 .

[326]

قد نسخ كثير من شرعه ، فتعيّن أنّ المراد منه العقليات .

و عن الآية الثالثة أنّه لا يلزم من وصيّة نوح عليه السلام بشرعنا أنّه أمره به ، بل يحتمل أن يكون وصايته به أمرا منه بقبوله عند أعقابهم إلى زمانه صلّى اللّه عليه و آله ، أو وصّى به بمعنى أطلعه عليه و أمره بحفظه ، و لو سلّمنا أنّ المراد : شرع لنا ما شرح لنوح عليه السلام لاحتمل أن يكون المراد به من الاستدلال بالمعقول على العقائد الدينيّة ، و لو لم يحتمل ذلك لم يبعد أن يتّفق الشرعان ، ثمّ لا يكون شرعه حجّة علينا من حيث ورد على نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله بطريق الوحي ، فلا تكون شريعته شريعة لنا باعتبار ورودها عنه .

و عن الآية الرابعة أنّ المساواة في الوحي لا تستلزم المساواة في الشرع .

و عن الآية الخامسة أنّ ظاهرها يقتضي اشتراك الأنبياء جميعا في الحكم بها ،

و ذلك غير مراد ، لأنّ إبراهيم و نوحا و إدريس و آدم عليهم السلام لم يحكموا بها لتقدّمهم على نزولها ، فيكون المراد أنّ الانبياء يحكمون بصحّة ورودها عن اللّه و أنّ فيها نورا و هدى ، و لا يلزم أن يكونوا متعبّدين بالعمل بها ، كما أن كثيرا من آيات القرآن منسوخة و هي عندنا نور و هدى ، و أمّا رجوعه صلّى اللّه عليه و آله في تعرّف حدّ الرجم فلا نسلّم أنّ مراجعته إلى التورية لتعرّفه ، بل لم لا يجوز أن يكون ذلك لإقامة الحجّة على من أنكر وجوده في التورية . انتهى .

أقول : إنّما أوردنا دلائل القول في نفي تعبّده صلّى اللّه عليه و آله بعد البعثة بشريعة من قبله لاشتراكها مع ما نحن فيه في أكثر الدلائل ، فإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الّذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة و الآثار المستفيضة هو أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان قبل بعثته مذ أكمل اللّه عقله في بدو سنّة نبيّا مؤيّدا بروح القدس ، يكلّمه الملك ، و يسمع الصوت ، و يرى في المنام ،

ثمّ بعد أربعين سنة صار رسولا ، و كلّمه الملك معاينة ، و نزل عليه القرآن ، و أمر بالتبليغ ، و كان يعبد اللّه قبل ذلك بصنوف العبادات إمّا موافقا لما أمر به الناس بعد التبليغ و هو أظهر [1001] ، أو على وجه آخر ، إمّا

[1001] لأنّه لو كان على وجه آخر لكان يتغيّر بعد ما أمر بتبليغه ، و لو كان ذلك لنقل إلينا ، و حيث لم ينقل صحّ أن نقول : إنّه كان موافقا لما أمر به الناس بعد .

[327]

مطابقا لشريعة إبراهيم عليه السلام ، أو غيره ممّن تقدّمه من الأنبياء عليهم السلام لا على وجه كونه تابعا لهم و عاملا بشريعتهم ، بل بأنّ ما أوحي إليه صلّى اللّه عليه و آله كان مطابقا لبعض شرائعهم ، أو على وجه آخر نسخ بما نزل عليه بعد الإرسال .

و لا أظنّ أن يخفي صحّة ما ذكرت على ذي فطرة مستقيمة و فطنة غير سقيمة بعد الإحاطة بما أسلفنا من الأخبار في هذا الباب و أبواب أحوال الأنبياء عليهم السلام و ما سنذكره بعد ذلك في كتاب الإمامة . و لنذكر بعض الوجوه لزيادة الاطمئنان على وجه الإجمال :

الأوّل : أنّ ما ذكرنا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام من خطبته القاصعة المشهورة بين العامّة و الخاصّة يدلّ على أنّه صلّى اللّه عليه و آله من لدن كان فطيما كان مؤيّدا بأعظم ملك يعلّمه مكارم الأخلاق و محاسن الآداب ، و ليس هذا إلاّ معنى النبوّة كما عرفت في الأخبار الواردة في معنى النبوّة . و هذا الخبر مؤيّد بأخبار كثيرة سبقت في الأبواب السابقة في باب منشأه صلّى اللّه عليه و آله و باب تزويج خديجة و غيرها من الأبواب .

الثاني : الأخبار المستفيضة الدالّة على أنّهم عليهم السلام مؤيّدون بروح القدس من بدء حالهم بنحو ما مرّ من التقرير .

الثالث : صحيحة الأحول و غيرها حيث قال : « نحو ما كان رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من أسباب النبوّة قبل الوحي حتّى أتاه جبرئيل من عند اللّه بالرسالة » 1002 فدلّت على أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان نبيّا قبل الرسالة . و يؤيّده الخبر المشهور عنه صلّى اللّه عليه و آله : « كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين » أو « بين الروح و الجسد » ، و يؤيّده أيضا الأخبار الكثيرة الدالّة على أنّ اللّه تعالى اتّخذ إبراهيم عليه السلام عبدا قبل أن يتّخذه نبيّا ، و أنّ اللّه اتّخذه نبيّا قبل أن يتّخذه رسولا ، و أنّ اللّه اتّخذه رسولا قبل أن يتّخذه خليلا ، و أنّ اللّه اتّخذه خليلا قبل أن

(1002) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 266 .

[328]

يجعله إماما . 1003 الرابع : ما رواه الكلينيّ في الصحيح عن يزيد الكناسيّ ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام أكان عيسى بن مريم حين تكلّم في المهد حجّة للّه على أهل زمانه ؟

فقال : كان يومئذ نبيّا حجّة للّه غير مرسل ، أما تسمع لقوله حين قال : « إنّي عبد اللّه آتاني الكتاب و جعلني نبيّا و جعلني مباركا اينما كنت و أوصاني بالصّلاة و الزّكاة ما دمت حيا » 1004 ؟ قلت : فكان يومئذ حجّة للّه على زكريّا في تلك الحال و هو في المهد ؟

فقال : كان عيسى في تلك الحال آية للناس و رحمة من اللّه لمريم حين تكلّم فعبر عنها [1005] و كان نبيّا حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال ثمّ صمت فلم يتكلّم حتّى مضت له سنتان ، و كان زكريّا الحجّة للّه على الناس بعد صمت عيسى بسنتين ، ثمّ مات زكريّا فورثه ابنه يحيى الكتاب و الحكمة و هو صبي صغير ، أما تسمع لقوله عزّ و جلّ : « يا يحيى خذ الكتاب بقوّة و آتيناه الحكم صبيا »

(1006 ، فلمّا بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلّم بالنبوّة و الرسالة حين أوحى اللّه تعالى إليه ، فكان عيسى الحجّة على يحيى و على الناس أجمعين . . .

إلى آخر الخبر . 1007 و قد ورد في أخبار كثيرة أنّ اللّه لم يعط نبيّا فضيلة و لا كرامة و لا معجزة إلاّ و قد أعطاه نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله فكيف جاز أن يكون عيسى عليه السلام في المهد نبيّا و لم يكن نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله إلى أربعين سنة نبيّا ؟

و يؤيّده ما مرّ في أخبار ولادته صلّى اللّه عليه و آله و ما ظهر منه في تلك

(1003) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 12 ، كتاب النبوّة ، ص 12 .

(1004) مريم : 31 .

[1005] أي تكلّم عن مريم حين سكتت و أشارت إلى ابنها .

(1006) مريم : 12 .

(1007) أصول الكافي ، ج 1 ، ص 382 .

الحال من إظهار النبوّة ، و ما مرّ و سيأتي من أحوالهم و كمالهم في عالم الأظلّة و عند الميثاق ، و أنّهم كانوا يعبدون اللّه تعالى و يسبّحونه في حجب النور قبل خلق آدم عليه السلام و أنّ الملائكة منهم تعلّموا التسبيح و التهليل و التقديس إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في بدء أنوارهم . و يؤيّده ما ورد في أخبار ولادة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه عليه السلام قرأ الكتب السماويّة على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بعد ولادته ، و ما سيأتي من أنّ القائم عليه السلام في حجر أبيه عليه السلام أجاب عن المسائل الغامضة و أخبر عن الأمور الغائبة ، و كذا سائر الأئمّة عليهم السلام كما سيأتي في أخبار ولادتهم عليهم السلام و معجزاتهم ، فكيف يجوّز عاقل أن يكون النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في ذلك أدون منهم جميعا ؟

الخامس : أنّه صلّى اللّه عليه و آله بعد ما بلغ حدّ التكليف لا بدّ من أن يكون إمّا نبيّا عاملا بشريعته أو تابعا لغيره ، لما سيأتي من الأخبار المتواترة أنّ اللّه لا يخلي الزمان من حجّة و لا يرفع التكليف عن أحد ، و قد كان في زمانه أوصياء عيسى عليه السلام و أوصياء إبراهيم عليه السلام فلو لم يكن اوحي إليه بشريعة و لم يعلم أنّه نبيّ كيف جاز له أن لا يتابع أوصياء عيسى عليه السلام و لا يعمل بشريعتهم إن كان عيسى عليه السلام مبعوثا إلى الكافّة ، و إن لم يكن مبعوثا إلى الكافّة و كان شريعة إبراهيم عليه السلام باقيا في بني إسماعيل كما هو الظاهر ،

فكان عليه أن يتّبع أوصياء إبراهيم عليه السلام و يكونوا حجّة عليه صلّى اللّه عليه و آله و هو باطل بوجهين :

أحدهما أنّه يلزم أن يكونوا أفضل منه كما مرّ تقريره .

و ثانيهما ما مرّ من نفي كونه محجوبا بأبي طالب و بأبيه 1008 بل كانا مستودعين للوصايا .

السادس : أنّه لا شكّ في أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يعبد الله قبل بعثته بما لا يعلم إلاّ بالشرع كالطواف و الحجّ و غيرهما كما سيأتي أنّه صلّى اللّه عليه و آله

(1008) راجع البحار ، الطبعة الجديدة ، ج 17 ، ص 140 و ج 35 ، ص 73 .

حجّ عشرين حجّة مستسرّا [1009] و قد ورد في أخبار كثيرة أنه صلّى اللَّه عليه و آله كان يطوف و أنّه كان يعبد اللَّه في حراء ، و أنّه كان يراعي الآداب المنقولة من التسمية و التحميد عند الأكل و غيره . 1010 و كيف يجوّز ذو مسكة من العقل على اللَّه تعالى أن يهمل أفضل أنبيائه أربعين سنة بغير عبادة ؟ و المكابرة في ذلك سفسطة ، فلا يخلوا إمّا أن يكون عاملا بشريعة مختصّة به أوحى اللَّه إليه ، و هو المطلوب ، أو عاملا بشريعة غيره و هو لا يخلو من وجوه :

الأوّل : أن يكون علم وجوب عمله بشريعة غيره و كيفيّة الشريعة من الوحي و هو المطلوب أيضا ، لأنّه صلّى اللَّه عليه و آله حينئذ يكون عاملا بشريعة نفسه موافقا لشريعة من تقدّمه كما مرّ تقريره في كلام السيّد رحمه اللَّه .

الثاني : أن يكون علمهما جميعا من شريعة غيره ، و هو باطل كما عرفت بوجهين :

أحدهما أنّه يلزم كون من يعمل بشريعته أفضل منه .

و ثانيهما أنّه معلوم أنّه صلّى اللَّه عليه و آله لم يراجع في شيء من الأمور إلى غيره و لم يخالط أهل الكتاب ، و كان هذا من معجزاته صلّى اللَّه عليه و آله أنّه أتى بالقصص مع أنّه لم يخالط العلماء و لم يتعلّم منهم ، كما مرّ في وجوه إعجاز القرآن ، و قد قال تعالى : « هو الّذي بعث في الامّيين رسولا منهم » 1011 ، و المكابرة في هذا أيضا ممّا لا يأتي به عاقل .

الثالث : أنّه صلى اللَّه عليه و آله علم وجوب العمل بشريعة من قبله

[1009] و في خبر غياث بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام : لم يحجّ النبيّ بعد قدوم المدنية إلاّ واحدة ، و قد حجّ بمكّة مع قومه حجّات . و في خبر عبد اللَّه بن أبي يعفور عن أبي عبد اللَّه عليه السلام أنّه صلّى اللَّه عليه و آله حجّ عشر حجّات مستسرا . و في خبر عمر بن يزيد عنه عليه السلام : حجّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله غير حجّة الوداع عشرين حجّة . و غير ذلك ممّا أوردها الشيخ الحرّ العامليّ في كتاب وسائل الشيعة ، باب استحباب تكرار الحجّ و العمرة ، فراجعه .

(1010) راجع البحار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 .

(1011) الجمعة : 2 .

بالوحي و أخذ الشريعة من أربابها ، و هذا مع تضمّنه للمطلوب كما عرفت إذا لا يلزم منه إلاّ أن يكون نبيّا أوحي إليه أن يعمل بشريعة موافقة لشريعة من تقدّمه باطل بما عرفت من العلم بعدم رجوعه صلّى اللَّه عليه و آله إلى أرباب الشرائع قطّ في شيء من أموره ، و أما عكس ذلك فهو غير متصوّر إذ لا يجوّز عاقل أن يوحي اللَّه إلى عبده بكيفيّة شريعة لأن يعمل بها و لا يأمره بالعمل بها حتّى يلزمه الرجوع في ذلك إلى غيره ، مع أنّه يلزم أن يكون تابعا لغيره مفضولا و قد عرفت بطلانه . ثمّ إنّ قول من ذهب إلى أنّه صلّى اللَّه عليه و آله كان عاملا بالشرائع المنسوخة كشريعة نوح و موسى عليهما السلام فهو أشدّ فسادا ، لأنّه بعد نسخ شرائعهم كيف جاز له صلّى اللَّه عليه و آله العمل بها إلاّ بأن يعلم بالوحي أنّه يلزمه العمل بها ، و مع ذلك لا يكون عاملا بتلك الشريعة ، بل بشريعة نفسه موافقا لشرائعهم كما عرفت .

و أمّا استدلالهم بقوله تعالى : « ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان » 1012 ، فلا يدلّ إلاّ على أنّه صلّى اللَّه عليه و آله كان في حال لم يكن يعلم القرآن و بعض شرائع الإيمان ، و لعلّ ذلك كان في حال ولادته قبل تأييده بروح القدس ، كما دلّت عليه رواية أبي حمزة 1013 و غيرها ، و هذا لا ينافي نبوّته قبل الرسالة و العمل بشريعة نفسه قبل نزول الكتاب .

و بعد ما قرّرنا المطلوب في هذا الباب و ما ذكرنا من الدلائل لا يخفى عليك ضعف بعض ما نقلنا في ذلك عن بعض الأعاظم و لا نتعرّض للقدح فيها بعد وضوح الحقّ ، و لو أردنا الاستقصاء في إيراد الدلائل و دفع الشبهة لطال الكلام ، و لخرجنا عن مقصودنا من الكتاب ، و اللَّه الموفّق للصواب . 1014

[هذا بيان في شرح الجزء الآخر من الخطبة]

بيان : « الكلاكل » الصدور ، الواحدة « كلكل » و المعنى : أنّي أذللتهم و

(1012) الشورى : 52 .

(1013) راجع البحار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، ص 265 و 266 ، الحديث تحت رقم 22 و 26 .

(1014) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله ص 271 281 .

[332]

صرعتهم إلى الأرض ، أو أنختهم للحمل عليهم . و « نجم النبت » أي طلع و ظهر ، قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة : فإن قلت : أمّا قهره لمضر فمعلوم فما حال ربيعة و لم يعرف [1015] أنّه قتل منهم أحدا ؟ قلت : بلى قد قتل بيده و بجيشه كثيرا من رؤسائهم في صفّين و الجمل و قد تقدّم ذكر أسمائهم من قبل ، و هذه الخطبة خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان . و « العرف » بالفتح ، الريح الطيّبة . و « مضغ الشيء يمضغه » بفتح الضاد . و « الخطلة في الفعل » الخطاء فيه و إيقاعه على غير وجهه . و « حراء » [بالمدّ و التخفيف] جبل بمكّة معروف . و « الرنة » الصوت . و « القرابة القريبة » بينه و بين رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ، و « المنزلة الخصيصة » أنّه ابن عمّه دنيا [1016] و أنّ أبويهما أخوان لأب و أمّ دون غيرهما من بني عبد المطّلب إلاّ الزبير .

ثمّ إنّ أباه كفل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله دون غيره من الأعمام و ربّاه من بني هاشم ، ثمّ ما كان بينهما من المصاهرة الّتي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار . و نحن نذكر ما ذكره أرباب السيرة من معاني هذا الفصل .

روى الطبريّ في تاريخه ، قال : حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال :

حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني عبد اللَّه بن نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان من نعمة اللَّه عزّ و جلّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام و ما صنع اللَّه له و أراد به من الخير أنّ قريشا أصابتهم أزمة شديدة . . .

و ساق الحديث إلى آخر ما مرّ برواية الصدوق .

ثمّ قال الطبريّ : قال ابن حميد : قال : حدّثنا محمّد بن اسحاق ، قال : كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة و خرج معه عليّ بن أبي طالب عليه السلام مستخفيا من عمّه أبي طالب و من جميع أعمامه و سائر قومه ، فيصلّيان الصلوات فيها . فإذا أمسيا ، رجعا فمكثا ما شاء اللَّه أن يمكثا .

ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصلّيان ، فقال لرسول اللَّه صلّى اللَّه

[1015] في المصدر : و لم نعرف .

[1016] أي أنّه ابن عمّه لحا لاصق النسب .

[333]

عليه و آله : يا ابن أخي ما هذا الّذي أراك تدين به ؟

قال : يا عمّ هذا دين اللَّه و دين ملائكته و دين رسله و دين أبينا إبراهيم ، أو كما قال : بعثني اللَّه به رسولا إلى العباد و أنت يا عمّ أحقّ من بذلت له النصيحة و دعوته إلى الهدى و أحقّ من أجابني إليه و أعانني عليه ، أو كما قال . . .

فقال أبو طالب : يا ابن أخي إنّي لا أستطيع أن أفارق ديني و دين آبائي و ما كانوا عليه ، و لكن لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت .

قال الطبريّ : و قد روى هؤلاء المذكورون أنّ أبا طالب قال لعليّ عليه السلام يا بنيّ ما هذا الّذي أنت عليه ؟

فقال : يا أبة آمنت باللّه و برسوله و صدّقت بما جاء به و صلّيت للّه معه .

قال : فزعموا أنّه قال له : أما إنّه لا يدعو إلاّ إلى خير فألزمه .

و روى الطبريّ في تاريخه أيضا ، قال : حدّثنا أحمد بن الحسين الترمذيّ ، قال :

حدّثنا عبد اللّه بن موسى ، قال : أخبرنا العلاء ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد اللّه قال : سمعت عليّا عليه السلام يقول : أنا عبد اللّه و أخو رسوله و أنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلاّ كاذب مفتر ، صلّيت قبل الناس سبع سنين .

و في غير رواية الطبريّ : أنا الصدّيق الأكبر و أنا الفاروق الأوّل ، و أسلمت قبل إسلام أبي بكر و صلّيت قبل صلاته سبع سنين ، كأنّه عليه السلام لم يرتض أن يذكر عمرو لا رآه أهلا للمقايسة بينه و بينه ، و ذلك لأنّ إسلام عمر كان متأخّرا .

و روى الفضل بن العبّاس ، قال : سألت أبي عن ولد رسول اللّه الذكور :

أيّهم كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله له أشدّ حبّا ؟

فقال : عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فقلت له : سألتك عن بنيه ؟

فقال : إنّه كان أحبّ عليه من بنيه جميعا و أرأف ، ما رأيناه زايله يوما من الدهر منذ كان طفلا إلاّ أن يكون في سفر لخديجة ، و ما رأينا أبا أبرّ بابن منه لعليّ و لا ابنا أطوع لأب من عليّ له .

[334]

و روى الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، قال : سمعت زيدا أبي يقول : كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يمضغ اللحمة و التمرة حتى تلين فيجعلها في فم عليّ عليه السلام و هو صغير في حجره .

و روى جبير بن مطعم ، قال : قال أبي لنا و نحن صبيان بمكّة : ألا ترون حبّ هذا الغلام يعني عليّا لمحمّد و اتّباعه له دون أبيه ؟ و اللاّت و العزّى لوددت أنّه ابني بفتيان بني نوفل جميعا . 1017 بيان : قال ابن أبي الحديد : و أمّا رنّة الشيطان ، فروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : كنت مع رسول اللّه صبيحة الليلة الّتي أسري به فيها و هو بالحجر يصلّي ، فلمّا قضى صلاته و قضيت صلاتي سمعت رنّة شديدة ، فقلت : يا رسول اللّه ما هذه الرنّة ؟

قال : ألا تعلم ؟ هذه رنّة الشيطان ، علم أنّه أسري بي الليلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض .

و قد روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ما يشابه هذا لمّا بايعه الأنصار السبعون ليلة العقبة ، سمع من العقبة صوت عال في جوف الليل : يا أهل مكّة هذا مذمّم و الصباة معه قد أجمعوا على حربكم .

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للأنصار : ألا تسمعون ما يقول هذا أزب الكعبة يعني شيطانها و قد روي أزيب العقبة ؟ ثمّ التفت إليه فقال : أتسمع يا عدوّ اللّه ؟ أما و اللّه لا فرغنّ لك . 1018 انتهى .

أقول : و هاتان الرنتان غير ما ورد في الخبر ، و هي إحدى الرنّتين اللتين مضتا في الخبرين . 1019

(1017) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 38 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 322 . فراجع أيضا شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 198 201 ، ط بيروت .

(1018) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 209 ، ط بيروت .

(1019) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 223 .

[هذا أيضا بيان آخر قصير في شرح الجزء الأخير من الخطبة :] قب : مرسلا مثله مع اختصار . 1020 بيان : « الدويّ » صوت ليس بالعالي كصوت النحل و نحوه . و « قصف الرعد و غيره قصيفا » اشتد صوته . و « رفرف الطائر بجناحيه » إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه . و « العتوّ » التكبّر و التجبّر . 1021

[هذا بيان كامل في شرح تمام الخطبة :]

بيان : « بهره » غلبه . و « الرواء » بضمّ الراء و الهمز و المدّ ، المنظر الحسن . و « العرف » بالفتح ، الريح الطيّبة . قوله عليه السلام « لا يدرى » أي لا يدريه أكثر الناس .

قوله عليه السلام « بأمر » الباء للاستصحاب . قوله عليه السلام « ملكا » أي في الظاهر ، لكونه في السماء و مخلوطا بهم .

و قال الجزريّ : « الهوادة » الرخصة و السكون . و « المحابّاة » و قال : « هذا شيء حمى » أي محظور لا يقرب . و « أعداء الداء » أي أصابه مثل ما بصاحب الداء .

و « الاستفزاز » الإزعاج و الاستنهاض على خفّة و إسراع . و « الرجل » اسم جمع لراجل .

قوله عليه السلام « لقد فوّق » أي وضع فوق سهمه على الوتر . « و أغرق » أي استوفى مدّ القوس و بالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد ، و وقع سهامه أشدّ .

قوله « من مكان قريب » لقربه بهم و جريانه منهم مجرى الدم . قوله عليه السلام « بظنّ مصيب » في بعض النسخ « غير مصيب » و وجّه بوجوه :

الأوّل : أنّه قال ما قال لا على وجه العلم ، بل على سبيل التوهّم ، و « المصيب » الحقّ هو العلم دون التوهّم أو الظنّ و إن اتّفق وقوعهما .

الثاني : أنّ قوله : « لاغوينّهم » 1022 بمعنى الشرك أو الكفر ، و الّذين

(1020) ابن شهر آشوب : المناقب .

(1021) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 17 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 389 .

(1022) الحجر : 39 .

استثناهم المعصومون من المعاصي ، و لا ريب في كون هذا الظنّ غير مصيب . [1023] الثالث : أنّه عليه السلام إنّما قال ذلك لأنّ غوايتهم كان منهم اختيارا ،

و تصديق أبناء الحميّة له يعود إلى وقوع الغواية منهم على وفق ظنّه ، فكان ظنّه في نسبتها إليه خطأ و بعبارة أخرى لمّا ظنّ أنّه قادر على إجبارهم على المعاصي و سلب اختيارهم حكم عليه السلام بخطائه ، و لعلّ هذا أصوب .

قوله عليه السلام « الجامحة » أي النفوس الجامحة 1024 من « جمح الفرس » إذا اعتزّ راكبه و غلبه . و كلّ ما طلع و ظهر فقد نجم . و « استفحل » أي قوي و اشتدّ .

و « دلف » أي تقدّم . و « قحم في الأمر » رمى بنفسه فيه من غير رويّة .

و « الولجة » بالتحريك ، موضع أو كهف يستتر فيه المارّة من مطر و غيره . و « الورطات » المهالك .

قوله عليه السلام « إثخان الجراحة » أي جعلكم واطئين لإثخانها و هو كثرتها كما قيل فهو مفعول ثان للإيطاء ، و يحتمل أن يكون مفعولا أوّلا و هو أظهر .

و « الحزّ » القطع . و « الخزائم » جمع « خزامة » و هي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير فيشدّ فيها الزمام . و « ورى الزند » أي خرجت ناره . و « القدح » إخراجها من الزند . و « تألّبوا » تجمّعوا .

قوله عليه السلام « يقتنصونكم » أي يتصيّدونكم . و « الحومة » معظم .

الماء و الحرب و غيرهما ، و موضع الجارّ و المجرور نصب على الحال ، أي يقتنصونكم في حومة ذلّ . و « الجولة » الموضع الّذي تجول فيه . و « النزغ » الإفساد . و في النهاية :

« المسلحة » القوم الّذين يحفظون الثغير من العدوّ ، لأنّهم يكونون ذوي سلاح ، أو لأنّهم يسكنون المسلحة » و هي كالثغر و المرقب يرقبون العدوّ لئلاّ يطرقهم على غفلة . انتهى .

و كلمة « ما » في قوله عليه السلام « من غير ما فضل » زائدة للتأكيد . و

[1023] لأنّه لا يظفر بإغواء الجميع بهذا المعنى .

(1024) في هامش المطبوع : أي الأنفس الجامحة ، أو الأخلاق الجامعة . من شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 210 ،

ط بيروت .

« أمعن في الطلب » أي جدّ و أبعد . و « المصارحة » المكاشفة . و « المناصبة » المعاداة .

و « أعنق » أسرع . و « ليلة ظلماء حندس » أي شديدة الظلمة . و « المهواة » الوهدة يتردّى الصيد فيها . و « ذللا » بضمّتين ، جمع « ذلول » و « سلسا » كذلك جمع « سلس » و هما بمعنى سهل الانقياد .

قوله عليه السلام « أمراء » أي اعتمدوا أمرا . قوله عليه السلام « تضايقت الصدور به » كناية عن كثرته . قوله عليه السلام « تكبّروا عن حسبهم » قيل : أي جهلوا أصلهم أنّه الطين المنتن فتكبّروا .

قوله عليه السلام « و ألقوا الهجينة » أي نسبوا ما في الإنسان من القبائح إلى ربّهم ، أو نسبوا الخطاء إليه تعالى فيما اختار لهم من خليفة الحقّ 1025 قوله عليه السلام « مكابرة لقضائه » أي لحكمه عليهم بمتابعة أئمّة الحقّ ،

أو لما أوجب عليهم من شكر النعمة . و « الآلاء » الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام .

و « اعتزاء الجاهليّة » نداؤهم : يا لفلان فيسمّون قبيلتهم فيدعونهم إلى المقاتلة و إثارة الفتنة . [1026] قوله « لنعمه عليكم أضدادا » لعلّ المعنى أنّ تلك الخصال توجب زوال النعم عنكم ، فكأنكم أضداد و حسّاد لنعم اللّه عليكم .

قوله عليه السلام « شربتم بصفوكم » أي شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم ، أو متلبّسين بصفوكم . و « الأحلاس » جمع « حلس » بالكسر ، و هو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له ، فقيل لكلّ ملازم أمر هو حلس ذلك الأمر ،

ذكره الجزريّ .

و « النفث » النفخ ، استعير هنا لوساوس الشيطان ، و في بعض النسخ « نثّا » من « نثّ الحديث » إذا أفشاه . و « مصارع جنوبهم » مساقطها . و « لواقح الكبر » ما يوجب حصوله . و « خفض الجناح » كناية عن لين الجانب و حسن الخلق و الشفقة . و

[1025] و قيل : أي انّهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق اللّه لهم .

[1026] و قيل : تفاخرهم بأنسابهم ، كلّ منهم ينتسب إلى أبيه و ما فوقه من أجداده ، و كثيرا ما يجرّ التفاخر إلى الحرب ، و هي إنّما تكون بدعوة الرؤساء فهم سيوفها .

[338]

« المخمصة » الجوع . و « المجهدة » المشقّة . و « محصهم » بالمهملتين ، أي خلّصهم و طهّرهم ، و بالمعجمتين ، أي حرّكهم و زلزلهم . و « الذهبان » بالضمّ و الكسر ، جمع الذهب . و « العقيان » بالكسر ، الذهب الخالص . و « البلاء » الامتحان . و « الإنباء » الإخبار بالوعد و الوعيد .

قوله عليه السلام « و لا لزمت الأسماء معانيها » أي كانت تنفكّ الأسماء عن المعاني فتصدق الأسماء بدون مسمّياتها ، كالمؤمن و المسلم و الزاهد و غيرها . و « الخصاصة » الفقر . و « ضامه حقّه » انتقصه . و « الضيم » الظلم .

قوله عليه السلام « تمتد نحوه » أي يؤمّله المؤمّلون و يرجوه الراجون ، فإنّ كلّ من أمل شيئا يطمح إليه بصره و يسافر برغبته إليه ، فكنّي عن ذلك بمدّ العنق و شدّ عقد الرجال .

قوله عليه السلام « فكانت النيّات مشتركة » أي بين اللّه و بين ما يأملون من الشهوات ، غير خالصة له تعالى . و حسناتهم مقتسمة بينه تعالى و بين تلك الشهوات ، أو المعنى أنهم لو كانوا كذلك لآمن بهم جلّ الخلق للرغبة و الرهبة ، فلم يتميّز المؤمن و المنافق ، و المخلص و المرائي . و « جبل و عر » أي غليظ حزن .

قوله عليه السلام « و أقلّ نتائق الدنيا » قال ابن أبي الحديد : أصل هذه اللفظة من قولهم « امرأة نتاق » أي كثيرة الحبل و الولادة ، يقال : « ضيعة منتاق » أي كثيرة الريع ، فجعل عليه السلام الضياع ذوات المدر الّتي يثار للحرث نتائق و قال : إنّ مكّة أقلّها صلاحا للزرع ، لأنّ أرضها حجريّة . [1027] و « القطر » الجانب .

قوله عليه السلام « دمثة » أي سهلة ، و كلّما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن يثبت و من أن يزكو به الدواب لأنّها تتعب في المشي به . قوله « و شلة » أي

[1027] قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام « اقلّ نتائق الدنيا مدرا » : « النتائق » جمع « نتيقة » فعلية بمعنى مفعولة من « النتق » و هو أن يقلع الشيء فترفعه من مكانه لترمى به ، هذا هو الأصل ، و أراد بها ههنا البلاد لرفع بنائها و شهرتها في موضعها . انتهى . و ما ذكرناه في الأصل ، ذكر ابن أبي الحديد و لعلّه أوفق منه رحمه اللّه . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 13 ،

ص 158 ، ط بيروت .

[339]

قليلة الماء . قوله « أعطافهم » ، « عطفا الرجل » جانباه . أي [أن] يميلوا جوانبهم معرضين عن كلّ شيء متوجّهين نحوه . و « المثابة » المرجع . و « النجعة » في الأصل ،

طلب الكلاء ، ثمّ سمّي كلّ من قصد أمرا يروم النفع فيه منتجعا . و « ثمرة الفؤاد » هي سويداء القلب . و « السحيق » البعيد . و « الفجّ » الطريق بين الجبلين . و « هزّ المناكب » كناية عن السفر إليه مشتاقين . [1028] و قوله « يهلّلون » أي يرفعون أصواتهم بالتلبية . و « الرمل » سعي فوق المشي . و « السرابيل » جمع « السربال » و هو القميص ، أي خلعوا المخيط .

قوله « ملتفّ البني » أي مشتبك العمارة . [1029] و « البرّة » الواحدة من البرّ و هو الحنطة . و « الأرياف » جمع « ريف » و هو كلّ أرض فيها زرع و نخل ، و قيل : هو ما قارب الماء من الأرض . و « المحدقة » المطيفة [1030] . و « الغدق » الماء الكثير . و « النظارة » الحسن . و « مضارعة الشكّ » مقاربته ، و في بعض النسخ بالصاد المهملة [1031] . و « الاعتلاج » الاضطراب .

قوله عليه السلام « فتحا » بضمّتين ، أي مفتوحة . و قوله « ذللا » أي سهلة . و « وخامة العاقبة » رداءتها .

قوله عليه السّلام « فإنّها » قيل : الضمير يعود إلى مجموع البغي و الظلم و الكبر ، و قيل : إلى الأخير باعتبار جعله « مصيدة » و هي بسكون الصاد و فتح الياء ،

آلة يصطاد بها . و « المساورة » المواثبة . قوله عليه السّلام « ما تكدي » [1032] أي لا تردّ عن تأثيرها . و يقال : « رمى فأشوى » إذا لم يصب المقتل .

قوله عليه السلام « ما حرس اللّه » ما زائدة . قوله عليه السّلام « عتاق الوجوه » إمّا من العتق بمعنى الحرّيّة . أو بمعنى الكرم ، و « العتيق » الكريم من كلّ شيء و الخيار من كلّ شيء . و « النواجم » جمع « ناجمة » و هو ما يطلع و يظهر

[1028] و قيل : أي يحرّكوا مناكبهم ، أي رؤوس أكنافهم للّه ، يرفعون أصواتهم بالتلبية و ذلك في السعي و الطواف .

[1029] و قيل : أي كثير العمران .

[1030] أي المحيطة من كلّ جهة .

[1031] و في المصدر بالسين المهملة .

[1032] من « أكدى الرجل » أي لم يظفر بحاجته .

[340]

من الكبر . و « القدع » الكفّ و المنع . و يقال : « لاط حبّه بقلبي يليط » إذا لصق . و « مواقع النعم » الأموال و الاولاد ، و آثارها هي الترفّه و الغناء و التلذّذ بها ، و يحتمل أن يكون الموقع مصدرا . و « المجداء » جمع « ماجد » و « المجد » الشرف في الآباء ، و الحسب و الكرم يكونان في الرجل و إن لم يكونا في آبائه . و « النجداء » الشجعان ، واحدهم « نجيد » . و « بيوتات العرب » قبائلها . و « اليعسوب » السيّد و الرئيس و المقدّم . و « الرغيبة » المرغوبة . قوله عليه السّلام « لخلال الحمد » أي الخصال المحمودة .

قوله عليه السّلام « و مدّت العافية » على البناء للمفعول و هو ظاهر ،

أو على البناء للفاعل من قولهم : « مدّ الماء » إذا جرى و سال . قوله عليه السّلام « و وصلت » استعار الوصل لاجتماعهم عن كرامة اللّه لهم حال كونهم على ذلك الأمر ، و رشح بذكر الحبل . و « التحاضّ » تفاعل من « الحضّ » و

هو الحثّ و التحريض . و « تواصى القوم » أي أوصى بعضهم بعضا . و « الفقرة » واحدة « فقر » الظهر ، و يقال لمن أصابته مصيبة شديدة : قد كسرت فقرته . و « المنّة » بالضمّ ، القوّة . و « الأعباء » الأثقال .

قوله عليه السّلام « فساموهم » أي الزموهم . و « المرار » بالضمّ ، شجر مرّ ، و استعير شرب الماء المرّ لكلّ من يلقى شدّة .

قوله عليه السلام « و بلغت الكرامة » ، قوله « بهم » متعلّق بقوله « بلغت » و قوله « لهم » بالكرامة ، و قوله « إليه » [متعلّق] بقوله « لم تذهب » [1033] . و « الأملاء » جمع « الملأ » أي الجماعات و الأشراف . و « الترافد » التعاون .

قوله عليه السّلام « متحازبين » أي مختلفين أحزابا . و « غضارة النعمة طيبها و لذّتها . قوله عليه السّلام « فما أشدّ اعتدال الأحوال » أي ما أشبه الأشياء بعضها ببعض و إنّ حالكم لشبيهة بحال أولئك .

قوله عليه السلام « يحتازونهم » أي يبعدونهم . و « بحر العراق » دجلة و الفرات ، أمّا الأكاسرة فطردوهم عن بحر العراق ، و القياصرة عن الشام و ما فيه من

[1033] و بقوله « ما لم تبلغ » على ما في المصدر .

المراعي و المنتجع . و « الشيح » نبت معروف . و « منابت الشيح » أرض العرب . و « مهافي الريح » المواضع الّتي تهفو فيها الريح ، أي تهبّ و هي الفيافي و الصحاري . و « نكد المعاش » ضيقه و قلّته و « العالة » جمع « عائل » و هو الفقير . و « الدبر » بالتحريك ، الجرح الّذي يكون في ظهر البعير . [1034] و « الجدب » قلّة الزرع و الشجر . و « الأزل » الضيق و الشدّة .

قوله « و إطباق جهل » بكسر الهمزة ، أي جهل عامّ مطبق عليهم ، أو بفتحها ،

أي جهل متراكم بعضه فوق بعض . و « و أد البنات » قتلهنّ . و « شنّ الغارة عليهم » تفريقها عليهم من جميع جهاتهم . قوله عليه السّلام « و التفت الملّة » أي كانوا متفرّقين ، فالتفّت ملّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله بهم فجمعتهم ، يقال : « التفّ الحبل بالحطب » أي جمعه ، و « التفّ الحطب بالحبل » أي اجتمع به . و قوله « في عوائد حال » أي جمعتهم الملّة كائنة في عوائد بركتها .

قوله عليه السّلام « فكهين » أي أشرين مرحين [1035] فكاهة صادرة عن خضرة عيش النعمة . قوله عليه السّلام « قد تربّعت » أي أقامت . و يقال :

« تعطّف الدهر على فلان » أي أقبل حظّه و سعادته بعد أن لم يكن كذلك . و « الذرى » الأعالي .

قوله عليه السّلام « لا يغمز » يقال : « غمزه بيده » أي نخسه . و « القناة » الرمح ، و يكنّى عن العزيز الّذي لا يضام ، فيقال : « لا يغمز له قناة » أي هو صلب ،

و القناة إذا لم تكن في يد الغامز كانت أبعد عن الحطم و الكسر .

و قوله « لا تقرع لهم صفاة » مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزّته و قوّته . و « الصفاة » الصخرة و الحجر الأملس .

و قوله « بأحكام » متعلّق بثلمتم ، و قوله « بنعمة » متعلّق بقوله « امتنّ » . قوله

[1034] و « الوبر » شعر الجمال ، و المراد أنّهم كانوا رعاة ظاعنين من واد إلى آخر ، لم تكن لهم بلدة و لا حاضرة يعيشون فيها .

[1035] « أشر » بطر ، أي أخذته دهشة و حيرة عند هجوم النعمة ، أو طغى بالنعمة ، أو عندها فصرفها إلى غير وجهها فهو أشر .

و « مرح الرجل » اشتدّ فرحه و نشاطه حتّى جاوز القدر و تبختر و اختال ، فهو مرح .

[342]

« النار و لا العار » أي ادخلوا النار و لا تلتزموا العار . [1036] و قال الجوهريّ : « كفأت الإناء » قلبته ، و زعم ابن الأعرابيّ أنّ « أكفأته » لغة و « كفأت القوم كفاء » إذا أرادوا وجها فصرفتهم عنه إلى غيره . قوله « إلى غيره » الضمير عائد إلى الإسلام أو إلى اللّه .

قوله « فلا تستبطئوا » أي فلا تستبعدوا . قوله « الترك التناهي » يقال :

« تناهوا عن المنكر » أي نهى بعضهم بعضا . و « دوّخه » أي ذلّله . و « شيطان الردهة » هو ذو الثدية [1037] . فقد روي أنّه رماه اللّه يوم النهر بصاعقة . [1038] و « الردهة » نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء . و إنّما سمّي بذلك لأنّه وجد بعد موته في حفرة ، و قيل : هو أحد الأبالسة . و « الوجبة » اضطراب القلب . و « الرجّة » الحركة و الزلزلة . و « أدلت من فلان » أي قهرته و غلبته . و « التشذّر » التبدّد و التفرّق . و « الكلاكل » الصدور [1039] ، الواحدة « كلكل » أي أنا أذللتهم و صرعتهم إلى الأرض .

و « النواجم » جمع « ناجمة » و هي ماعلا قدرة و طارصيته . و « الخطل » خفّة و سرعة ، و يقال للأحمق العجل : خطل . قوله « لا تفيئون » أي لا ترجعون .

قوله عليه السّلام « في القليب » أي قليب بدر [1040] . و « الدويّ » صوت ليس بالعالي . و « قصف الطير » اشتدّ صوته . و « رفرف الطائر بجناحيه » إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه . و « العتوّ » التكبّر و التجبّر .

قوله « خفيف فيه » أي سريع . قوله عليه السّلام « و لا يغلّون » كلّ من خان خفية في شيء فقد غلّ .

[1036] هكذا في النسخ ، و لعلّ الأصوب هو أن يقال : أي ندخل النار و لا نلتزم العار .

[1037] في هامش المطبوع : « ذو الثدية » لقب رجل اسمه « ثرمله » . فمن قال في الثدي أنّه مذكّر يقول : إنّما أدخلوا الهاء في التصغير لأنّ معناه اليد و ذلك أنّ يده كانت قصيرة مقدار الثدي ، يدلّ على ذلك أنّهم كانوا يقولون فيه ذو اليدية و ذو الثدية جميعا ،

من الصحاح .

[1038] في هامش المطبوع : « ذو الثدية » كسمية ، لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج ، أو هو بالمثنّاة تحت . منه طاب ثراه .

[1039] قيل : « القرن » القوّة و الشدة ، و إنّما ذكره لتشبّههم بالثور ، كما ذكر الكلل لتشبيههم بالجمل . منه رحمه اللّه .

[1040] طرح فيه نيّف و عشرون من أكابر قريش .

[343]

أقول : إنما أوردت هذه الخطبة الشريفة بطولها لاشتمالها على جمل قصص الأنبياء عليهم السّلام و علل أحوالهم و أطوارهم و بعثتهم و التنبيه على فائدة الرجوع إلى قصصهم و النظر في أحوالهم و أحوال أممهم و غير ذلك من الفوائد الّتي لا تحصى و لا تخفى على من تأمّل فيها . صلوات اللّه على الخطيب بها . 1041

193 و من خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين

روي أن صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلا عابدا ، فقال له ،

يا أمير المؤمنين ، صف لي المتقين حتى كأني أنظر اليهم . فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال : يا همام ، اتق اللّه و أحسن : ف « ان اللّه مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون » . فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد اللّه و أثنى عليه ، و صلى على النبي صلى اللّه عليه و آله ثم قال عليه السلام .

أما بعد ، فإنّ اللّه سبحانه و تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّا عن طاعتهم ، آمنا من معصيتهم ، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه ، و لا تنفعه طاعة من أطاعه . فقسم بينهم معايشهم ، و وضعهم من الدّنيا مواضعهم . فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل : منطقهم الصّواب ،

و ملبسهم الاقتصاد (2681) ، و مشيهم التّواضع . غضّوا أبصارهم (2682) عمّا حرّم اللّه عليهم ، و وقفوا أسماعهم على العلم النّافع لهم .

نزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالّتي نزّلت في الرّخاء (2683) . و لو لا

(1041) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 14 ، كتاب النبوّة ، ص 477 484 .

الأجل الّذي كتب اللّه عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين ، شوقا إلى الثّواب ، و خوفا من العقاب . عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم و الجنّة كمن قد رآها ،

فهم فيها منعّمون ، و هم و النّار كمن قد رآها ، فهم فيها معذّبون .

قلوبهم محزونة ، و شرورهم مأمونة ، و أجسادهم نحيفة ، و حاجاتهم خفيفة ، و أنفسهم عفيفة . صبروا أيّاما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة .

تجارة مربحة (2684) يسرها لهم ربّهم . أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها ،

و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها . أمّا اللّيل فصاقّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلا (2685) . يحزنون به أنفسهم و يستثيرون (2686) به دواء دائهم . فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا ،

و تطلّعت نفوسهم إليها شوقا ، و ظنّوا أنها نصب أعينهم . و إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، و ظنّوا أنّ زفير (2687) جهنّم و شهيقها (2688) في أصول آذانهم ، فهم حانون (2689) على أوساطهم ، مفترشون لجباههم (2690) و أكفّهم و ركبهم ، و أطراف أقدامهم ، يطلبون إلى اللّه تعالى في فكاك رقابهم (2691) . و أمّا النّهار فحلماء علماء ، أبرار أتقياء . قد براهم الخوف بري القداح (2692) ينظر إليهم النّاظر فيحسبهم مرضى ، و ما بالقوم من مرض ،

و يقول : لقد خولطوا (2693) و لقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون من أعمالهم القليل ، و لا يستكثرون الكثير . فهم لأنفسهم متّهمون ، و من أعمالهم مشفقون (2694) إذا زكّي (2695) أحد منهم خاف ممّا يقال له ، فيقول :

أنا أعلم بنفسي من غيري ، و ربّي أعلم بي منّي بنفسي اللّهمّ لا تؤاخذني بما يقولون ، و اجعلني أفضل ممّا يظنّون ، و اغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين ، و حزما في لين ،

و إيمانا في يقين ، و حرصا في علم ، و علما في حلم ، و قصدا في غنى (2696) ، و خشوعا في عبادة ، و تجمّلا (2697) في فاقة ، و صبرا في شدّة ، و طلبا في حلال ، و نشاطا في هدى ، و تحرّجا (2698) عن طمع .

بعمل الأعمال الصّالحة و هو على و جل . يسمي و همّه الشّكر ، و يصبح و همه الذّكر . يبيت حذرا و يصبح فرحا ، حذرا لمّا حذّر من الغفلة ، و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمة . إن استصعبت (2699) عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ . قرّة عينه فيما لا يزول ، و زهادته فيما لا يبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، و القول

[346]

بالعمل . تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ،

منزورا (2700) أكله ، سهلا أمره ، حريزا دينه (2701) ، ميّتة شهوته ،

مكظوما غيظه . الخير منه مأمول ، و الشّرّ منه مأمون . إن كان في الغافلين كتب في الذّاكرين ، و إن كان في الذّاكرين لم يكتب من الغافلين . يعفو عمّن ظلمه ، و يعطي من حرمه ، و يصل من قطعه ،

بعيدا فحشه (2702) ، ليّنا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ،

مقبلا خيره ، مدبرا شرّه . في الزّلازل (2703) وقور (2704) ، و في المكاره صبور ، و في الرّخاء شكور . لا يحيف على من يبغض ، و لا يأثم فيمن يحبّ . يعترف بالحقّ قبل أن يشهد عليه ، لا يضيع ما استحفظ ،

و لا ينسى ما ذكر و لا ينابز بالألقاب (2705) ، و لا يضارّ بالجار ، و لا يشمت بالمصائب ، و لا يدخل في الباطل ، و لا يخرج من الحقّ . إن صمت لم يغمّه صمته ، و إن ضحك لم يعل صوته ، و إن بغي عليه صبر حتّى يكون اللَّه هو الّذي ينتقم له . نفسه منه في عناء ،

و النّاس منه في راحة . أتعب نفسه لآخرته ، و أرواح النّاس من نفسه .

بعده عمّن تباعد عنه زهد و نزاهة ، و دنوه ممّن دنا منه لين و رحمة .

ليس تباعده بكبر و عظمة ، و لا دنوه بمكر و خديعة . قال : فصعق همام صعقة (2706) كانت نفسه فيها .

[347]

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما و اللَّه لقد كنت أخافها عليه .

ثمّ قال : أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ؟ فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : ويحك ، إنّ لكلّ أجل وقتا لا يعدوه ، و سببا لا يتجاوزه . فمهلا ، لا تعد لمثلها ، فإنّما نفث الشّيطان على لسانك

تبيين

قال الكيدري : « الهمّام » البعيد الهمّة و كان السائل كاسمه .

و قال ابن أبي الحديد : همّام ، هو همّام بن شريح بن يزيد بن مرّة و كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السّلام و أوليائه ، و كان ناسكا عابدا و تثاقله عن جوابه لأنّه علم أنّ المصلحة في تأخير الجواب ، و كأنّه حضر المجلس من لا يحبّ عليه السّلام أن يجيب و هو حاضر . و لعلّه بتثاقله عليه السّلام يشتدّ شوق همّام إلى سماع الموعظة . و لعلّه من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة ، لا عن وقت الحاجة . 1042 و قال ابن ميثم : تثاقله عليه السّلام لخوفه على همّام كما يدلّ عليه قوله عليه السّلام « أما و اللَّه لقد كنت أخافها عليه » . 1043 و أقول : هذا أظهر .

« اتّق اللَّه و أحسن » أي ليس عليك أن تعرف صفات المتّقين على التفصيل و لعلّ الأصلح لك القناعة بما تعرفه مجملا من صفاتهم و مراعاة التقوى و الاحسان ، و كأنّ المراد بالتقوى الاجتناب عمّا نهى اللَّه عنه ، و بالاحسان فعل ما أمر اللَّه به ،

فالكلمة جامعة لصفات المتّقين و فضائلهم .

(1042) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 134 ، ط بيروت .

(1043) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 413 ، ط بيروت .

« حتّى عزم عليه » ، « عزمت على فلان » أقسمت عليه ، و « عزمت على الأمر » أي قطعت عليه و أردت فعله حتما ، فالضمير في « عليه » يحتمل عوده إليه عليه السّلام و إلى ما سأله من الوصف على التفصيل ، و الأوّل أظهر ، و رواية الصدوق تعيّنه [1044] .

و التعرّض للغنا و الأمن [1045] لدفع توهم أنّ مدح المتّقين الترغيب في الطاعة و التخويف من المعصية لانتفاعه سبحانه و دفع المضرّة عنه ، و ليس المعنى أنّ أفعال اللَّه سبحانه ليست معلّلة بالأعراض كما زعمه الحكماء ، بل إشارة إلى ما ذكره المتكلّمون من أنّ الغرض لا يعود إليه سبحانه بل إلى العباد ، لأنّه أراد أن يثيبهم في الاخرة ، و الثواب هو النفع المقارن للتعظيم و الإجلال ، و فعله لمن لا يستحقّ أصلا قبيح عقلا ، فلذا كلّفهم و بعث إليهم الرسل و وعدهم و أوعدهم و عرضه للمثوبات الدائمة الجليلة . و تفصيل ذلك في كتب الكلام .

و « المعايش » بالياء ، جمع « معيشة » و هي ما يعاش به أو فيه و ما يكون به الحياة ، قال اللَّه تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا » [1046] .

و « مواضع الخلق » مراتبهم ، قال اللَّه تعالى : « و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات » [1047] و هي إشارة إلى الدّرجات الدنيويّة كالغنا و الفقر و الصحة و المرض ، أو الدينيّة لاختلاف استعداداتهم و قابليّاتهم في العلم و العمل ، أو الأعمّ منهما و هو أظهر ،

و التفريع يؤيّد الأخيرين .

« منطقهم الصواب » ، « المنطق » النطق أي لا يقولون إلاّ حقّا و يحترزون عن الكذب و الفحش و الغيبة و سائر الأقاويل الباطلة ، و قيل : أي لا يتكلّمون إلاّ في مقام التكلّم كذكر اللَّه تعالى و اظهار حقّ و إبطال باطل ، و كأنّ الابتداء بالمنطق لكون النفع و الضرر في القول أكثر في الأغلب من أعمال سائر الجوارح .

[1044] حيث قال : فقال همّام : « يا أمير المؤمنين أسألك بالّذي أكرمك بما خصّك . . . » الخ . و الرواية في الأمالي ،

ص 340 ، مجلس 84 .

[1045] يعني في قوله عليه السلام « خلقهم غنيّا عن طاعتهم ، آمنا من معصيتهم . . . » الخ .

(1046) الزخرف : 32 .

(1047) الزخرف : 32 .

و « الملبس » بفتح الباء ، ما يلبس . و « الاقتصاد » التوسّط بين طرفي الافراط و التفريط ، و المعنى أنّهم لا يلبسون ما يلحقهم بدرجة المترفين ، و لا ما يلحقهم بأهل الخسّة و الدناءة ، أو يصير سببا لشهرتهم بالزهد كما هو دأب المتصوفين ، أو المعنى أنّ الاقتصاد في الأقوال و الأفعال صار شعارا لهم محيطا بهم ، كاللباس للانسان كما مرّ .

« و مشيهم التواضع » أي لا يمشون مشى المختالين و المتكبّرين ، كما قال عزّ و جلّ : « و لا تمش في الأرض مرحا الآية » 1048 ، أو المراد أنّ سيرتهم و سلوكهم بين الخلق أو في سبيل اللّه بالتواضع و التذلّل . « غضّوا أبصارهم » ، « غضّ فلان طرفه » كمدّ أي خفضه ، و كذلك غضّ من صوته ، و كلّ شيء كففته فقد غضضته .

و « وقفت » كضربت أي دمت قائما ، و « وقفته أنا وقفا » أي فعلت به ما وقف و « وقفت الرجل عن الشيء وقفا » أي منعته عنه ، و « وقفت الدار وقفا » أي حسبتها في سبيل اللّه . و المراد الاقتصار على استماع العلم النافع ، و فيه إيماء إلى ذمّ الاصغاء إلى القصص الكاذبة ، بل و كثير من الصادقة ، كما سيأتي إن شاء اللّه .

و « الرخاء » بالفتح ، سعة العيش ، قال القطب الراونديّ رحمه اللّه :

يعني أنّ المتقين يتعبون أبدانهم في الطاعات ، فيطيبون نفسا بتلك المشقّة الّتي يحتملونها مثل طيب قلب الّذي نزلت نفسه في الرخاء . و لا بدّ من تقدير مضاف لأنّ تشبيه الجمع بالواحد لا يصحّ ، أي كلّ واحد منهم إذا نزل في البلاء يكون كالرجل الّذي نزلت نفسه في الرخاء ، و نحوه قوله تعالى : « مثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق » 1049 . قال : و يجوز أن يكون « الّذي » بمعنى ما المصدرية كقوله تعالى : « و خضتم كالّذي خاضوا » 1050 أي نزوله في البلاء كنزوله في الرخاء .

و قال ابن ميثم : يحتمل أن يكون المراد بالّذي ، الّذين ، فحذف النون كما في قوله تعالى : « و خضتم كالّذي خاضوا » 1051 .

(1048) *الإسراء : 37 .*

(1049) *البقرة : 171 .*

(1050) *التوبة : 69 .*

(1051) *شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 415 ، ط بيروت . و الآية ، كما سبق ، في التوبة : 69 .*

و قال ابن أبي الحديد : موضع كالّذي نصب لأنّه صفة مصدر محذوف و المراد كالنزول الّذي ، و قد حذف العائد إليه و هو الهاء في « نزلته » كقولك : « ضربت الّذي ضربت » أي ضربت الّذي ضربته ، و تقدير الكلام : نزلت أنفسهم منهم في حال البلاء نزولا كالنزول الّذي نزلته منهم في حال الرخاء . 1052 و قال الكيدري قدّس سرّه : « نزّلت أنفسهم . . . الخ » لأنّهم كسروا سورة الشهوة البهيمية و طيّبوا عن أنفسهم نفسا و وقفوا أشباحهم و أرواحهم على مرضاة اللّه و حبسوها في سبيله ، فلا مطمح لهم الى ما فيه نصيب أنفسهم ، بل جلّ عنايتهم مصروفة إلى تحصيل ما خلقوا لأجله من إعداد زاد المعاد ، و الاقبال بكلّ الوجوه على عبادة ربّ العباد ، و التفاتهم إلى الأبدان يكون على طريق الطبع كالتفات سالك البادية للحجّ الحقيقيّ إلى رعي الجمل ، و علموا يقينا أنّ ما أصابهم من الكدّ في الطريق و إن كان عظيما فإنّه كلا شيء في جنب ما يصلون به إليه من لقاء المحبوب و نيل المطلوب ، فالمحن عندهم كالملح و البليّة كالنعم .

و قوله « كالّذي » نظير قوله تعالى : « و خضتم كالّذي خاضوا » 1053 و بيت الحماسة : عسى الأيّام أن يرجعن يوما كالّذي كانوا .

أي نزلت في البلاء كالنزول الّذي نزلت في الرخاء . انتهى .

و المراد بالبلاء المرض و الضيق و نحوهما أو الأعمّ من احتمال المشقّة أيضا و ليس مخصوصا به و طيب قلوبهم للرضا بقضاء اللَّه كما في المجالس [1054] : « فصغر ما دونه في أعينهم » في اختلاف التعبير دلالة على أنّ الخالق تمكّن في قلوبهم بخلاف ما دونه فلم يتجاوز أعينهم .

« فهم و الجنّة » قال الراونديّ رحمه اللَّه : الواو بمعنى « مع » و قال ابن أبي الحديد بنصب « الجنّة » و قد روي بالرفع على أنّه معطوف على هم ، و الأوّل أحسن . و

(1052) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 142 ، ط بيروت .

(1053) التوبة : 69 .

[1054] حيث قال : نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالّتي نزلت منهم في الرخاء . رضي منهم عن اللَّه بالقضاء .

قوله « كمن قدرآها » و قوله « فهم فيما منعّمون » إمّا كلاهما لقوّة الايمان و اليقين ، أو لشدّة الخوف و الرجاء ، أو الرؤية إشارة إلى قوّة اليقين ، و « التنعّم و العذاب » أي شدّة الرجاء و الخوف و هما أيضا من فروع اليقين ، و اختار الوالد قدّس سرّه الأخير ، و قال الكيدريّ : أي حصل لهم من العلوم اليقينيّة ما يجري مجرى الضروريّة كما قال عليه السّلام : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا » . و روي « و الجنّة » بالنصب فيكون الواو بمعنى مع و يكون خبر المبتدأ الكاف في « كمن رآها » .

« قلوبهم محزونة » حزن قلوبهم للخوف من العقاب لاحتمال التقصير و عدم شرائط القبول ، كما قال عزّ و جلّ : وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ 1055 . و الأمن من شرورهم لأنّهم لا يهمّون بظلم أحد ، كما ورد في الخبر : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده » . و قيل لأنّ أفعالهم حسنة في الواقع و إن كانت سيّئة في الظاهر ، و هو بعيد .

« نحيفة » أي مهزولة لكثرة الصيام و السهر و الرياضات ، أو للخوف أو لهما و خفّة حاجاتهم لقلّة الرغبة في الدنيا و ترك اتّباع الهوى و قصر الأمل و قناعتهم بما رزقهم اللَّه .

و « العفّة » كفّ النفس عن المحرّمات ، بل عن الشبهات و المكروهات أيضا .

و جملة « أعقبتهم » صفة للأيّام . و « تجارة » عطف بيان للراحة ، أو بدل منه ، أو منصوب على المدح ، أو على الحال ، أو على تقدير فعل ، أي اتّجروا تجارة .

قال الراونديّ رحمه اللَّه : نصب المصدر مع حذف فعله كثير في الكلام .

و « ربح الرجل في تجارته » كعلم ، و يسند إلى التجارة مجازا ، قال تعالى :

فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ 1056 .

و قال الأزهري : « ربح الرجل في تجارته » أي صادف سوقا ذات ربح و « أربحت الرجل إرباحا » أعطيته ربحا ، فالتجارة المربحة كأنّها تعطي ربحا أو هي الرابحة من أفعل بمعنى فعل .

(1055) المؤمنون : 60 .

(1056) البقرة : 16 .

[352]

و قال الكيدريّ : « تجارة » انتصابه على المصدر من معنى الكلام السابق ،

لأنّ مضمون قوله « صبروا أيّاما . . . الخ » يدلّ على أنّهم اتّجروا بذلك أو يكون منصوبا بفعل مضمر يفسّره ما بعده ، أي يسر لهم ربّهم تجارة ، أو على المدح أو التخصيص ، أي أعني تجارة ، أو أخصّ تجارة ، و جعلها بدلا من « راحة » على ما زعم صاحب المنهاج ليس بالقوي لأنّ التجارة المربحة ليست بنفس الراحة ، و إنّما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة . انتهى .

« أرادتهم الدنيا » أي أقبلت إليهم من الوجوه المذمومة أو مطلقا و تمكّنوا من تحصيلها بكسب المال و الجاه فلم يقبلوها و لم يسعوا في تحصيلها ، و قيل : و يحتمل أن يراد أهل الدنيا . و « أسره » كضربه أي شدّه و حبسه . و « الفدية » زخارف الدنيا و ملاذّها الّتي سلّموها إلى الدنيا بالترك و الإعراض عنها .

أقول : و نقل الكيدريّ قدّس سرّه رواية تمثّل الدنيا لأمير المؤمنين عليه السّلام و إعراضه عنها كما سننقلها عنه في باب ذمّ الدنيا ، ثمّ قال : فهذا معنى قوله عليه السّلام « أرادتهم الدنيا و لم يريدوها » . و إذا تدبّرت الخلال المذكورة في هذه الخطبة وجدت أمير المؤمنين عليه السّلام هو الموصوف بها كلّها . و قد أوردت هذه الأبيات و أمثالها في « أنوار العقول من أشعار وصيّ الرسول » .

فأمّا أسرها إيّاهم ، فلأنّ أرواح الأولياء قدسيّة و مقامها في العالم الجسد أي على خلاف مقتضى طبيعتها فهى غريبة في هذا العالم و صغوها بالكلّيّة إلى عالمها فهي أسيرة هنا من حيث الغربة و عدم الملاءمة ، فدائما يستعدّ و يتهيّأ للسفر الحقيقيّ و يزيل المثبطات و يرفعها من البين ، و ذلك فداءها .

« أمّا الليل » في بعض النسخ بالنصب على حذف حرف الجرّ ، أي أمّا حالهم في الليل ، فالمقصود تفصيل حالهم في الليل و النهار ، و في بعض النسخ بالرفع ،

فالغرض تفصيل حال ليلهم و نهارهم . و « الصفّ » ترتيب الجمع على صفّ ، و « صفّ القدمين » وضعهما في الصلاة بحيث يتحاذى الإبهامان و يتساوى البعد بين الصدر و العقب .

[353]

و في بعض النسخ : « تالون » مكان « تالين » . « يرتّلونه » أي القرآن ، و روي : « يرتّلونها » فالضمير لأجزاء القرآن . « و رتّل القرآن ترتيلا » 1057 أي أحسن تأليفه ، و عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه « حفظ الوقوف و أداء الحروف ، و هو جامع لما يعتبره القرّاء » .

و « الحزن » الهمّ و « حزنه الأمر » كنصر أي جعله حزينا و « حزن » كعلم أي صار حزينا ، و « حزّنه تحزينا » جعل فيه حزنا ، و في أكثر النسخ على التفعيل و في بعضها كينصرون . و تحزين النفوس بآيات الوعيد ظاهر ، و أمّا آيات الوعد فللخوف من الحرمان و عدم الاستعداد .

و « ثار الغبار » إذا سطع وهاج ، و « ثار القطا » إذا نهضت من موضعها ، و « أثار الغبار و استثاره » هيّجه . و لعلّ المراد بالدواء العلم و بالداء الجهل . و استثارة العلم بالتدبّر و التذكّر ، قال في النهاية : في الحديث : « أثيروا القرآن فإنّ فيه علم الأوّلين و الآخرين » . و يحتمل أن يراد استثارة العلم الكامنة في النفس على حسب الاستعداد و الكمال بالتدبّر و التفكّر و التذكّر .

و قال الوالد قدّس سرّه : المراد أنّهم يداوون بآيات الخوف داء الرجاء الغالب الّذي كاد أن يبلغ حدّ الاغترار و الأمن لمكر اللّه ، و بآيات الرجاء داء الخوف إذا قرب من القنوط ، و بما يستكمل اليقين داء الشبهة ، و بالعبر داء القسوة و بما ينفّر عن الدنيا و الميل إليها داء الرغبة فيها و نحو ذلك .

و « ركن إلى الشيء » كنصر كما في النسخ و كعلم أيضا أي مال و سكن . و « التطلّع إلى الشيء » الاستشراف له و الانتظار لوروده . و « نصب الشيء » رفعه و أن يستقبل به شيء ، و الكلمة منصوبة على الظرفيّة أي ظنّوا أنّها فيما نصب بين أيديهم ، و في بعض النسخ مرفوعة على أنّها خبر أنّ .

و قال الكيدريّ : « و تطلّعت نفوسهم إليها » أي كادت تطلع شموس نفوسهم من أفق عوالم أبدانهم ، فتصعد إلى العالم العلويّ شوقا إلى ما وعدوا به في تلك

(1057) *المزمّل : 4* .

[354]

الآيات ، من أخاير الذخائر و عظائم الكرائم . و انتصاب « نصب أعينهم » على الظرف أي في موضع يقابل أعينهم ، و يجوز فيه الرفع .

و قال الراونديّ رحمه اللَّه : الظنّ هنا بمعنى اليقين ، قال تعالى : أَلاَ يَظُنُّ أُولِئكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ 1058 أي أيقنوا أنّ الجنّة معدّة لهم بين أيديهم .

و قال ابن أبي الحديد : و يمكن أن يكون على حقيقته .

و « صغي إليه » كرضي أي مال ، و « أصغى سمعه إليه » أي أماله ، و « زفير النار » صوت توقّدها ، و « الزفير » أيضا إخراج النفس بعد مدّة فالمراد زفير أهل جهنّم . و « الشهيق » تردّد البكاء في الصدر مع سماع الصوت من الحلق ، و « شهيق الحمار » صوته . و كونهما في أصول الآذان كناية عن تمكّنها في الآذان .

« حانون أوساطهم » ، « حتى ظهره يحنيه و يحنوه » أي عطفه فانحنى ، و حنوهم على أوساطهم وصف لحال ركوعهم . و « الافتراش » البسط على الأرض ، و هو وصف لحال سجودهم .

قال الكيدريّ : « فهم حانون » أي منعطفون للركوع ، و « حنى » قد جاء متعدّيا و لازما و تعديته أكثر ، فيكون تقديره « حانون ظهورهم على أوساطهم » .

« يطلبون إلى اللَّه » أي يسألونه راغبين و متوجّهين إليه . و « فكّ الرقبة » كمدّ أي أعتقها و « [فكّ] الأسير » خلّصه .

« و أمّا النهار » بالنصب و الرفع كما تقدّم . قال الكيدريّ : « أمّا النهار » انتصابه على الظرفيّة و تعلّقه بما بعده من الصفات كحلماء و غيره . و « حلماء » خبر مبتدأ محذوف ، أي فهم حلماء في النهار ، و يجوز فيه الرفع على تقدير « أمّا النهار فهم حلماء فيه » فيكون مبتدأ و الجملة بعده خبره و فيها ضمير مقدّر يعود إليه . و « الحلماء » ذوو الأناة أو العقلاء . و « برى السهم يبريه » أي نحته . و « القداح » جمع « قدح » بالكسر فيهما ، و هو السهم قبل أن يراش و ينصّل ، و هو كناية عن نحافة البدن و ضعف الجسد ، أو زوال الآمال و المطالب الدنيويّة .

(1058) *المطفّفين : 4* .

[355]

و « خولط فلان في عقله » إذا اختلّ عقله و صار مجنونا ، و « خالطه » أي مازجه . و قال الراونديّ و غيره : المعنى : يظنّ الناظر بهم الجنون و ما بهم من جنّة ، بل مازج قلوبهم أمر عظيم و هو الخوف فتولّهوا لأجله . و قيل : « و لقد خالطهم » أي صار سببا لجنونهم الّذي يظنّه الناظر . « أمر عظيم » هو الخوف .

و قال الكيدريّ : « قد براهم الخوف » أي أنضاهم و أنحفهم . « خولطوا » أي خالط عقولهم جنون .

و « الاستكثار » عدّ الشيء كثيرا . و « اتّهمت فلانا » أي ظننت فيه ما نسب إليه و « اتّهمته في قوله » أي شككت في صدقه ، و الاسم « التهمة » كرطبة ،

و السكون لغة ، و أصل التاء واو . و المراد أنّهم يظنّون بأنفسهم التقصير أو الميل إلى الدنيا ، أو عدم الإخلاص في النيّة أو الأعمّ ، أو يشكّون في شأنها و نيّاتها و يخافون أن يكون مقصودها في العبادات الرياء و السمعة و أن تجرّها العبادة إلى العجب ، فلا يعتمدون عليها .

و « الاشفاق » الخوف ، و إشفاقهم من السيئات و إن تابوا منها لاحتمال عدم قبول توبتهم ، و من الحسنات لاحتمال عدم القبول لاختلال بعض الشرائط و شوب النيّة ، أو للأعمال السيّئة و قد قال اللّه عزّ و جلّ : « إنّما يتقبّل اللّه من المتّقين » 1059 .

« إذا زكّي أحدهم » ، « التزكية » المدح ، و خوفهم من الوقوع في العجب و الاتكال على العمل و سؤال عدم المؤاخذة لذلك ، و يحتمل أن يكون كناية عن عدم الرضا بما يقولون ، و التبري من التزكية و ظنّ البراءة بالنفس فإنّ النفس أمارة بالسوء إلاّ ما رحم اللّه .

« و اجعلني أفضل ممّا يظنّون » أي وفّقني لدرجة فوق ما يظنّون بي من حسن العمل و القبول .

و قال ابن أبي الحديد : قد قاله لقوم مرّ عليهم ، و هم مختلفون في أمره فمنهم

(1059) المائدة : 27 .

[356]

الحامد له ، و منهم الذامّ ، فقال عليه السّلام : [اللّهمّ] إن كان ما يقوله الذامّون حقّا فلا تؤاخذني به ، و إن كان ما يقوله الحامدون حقّا فاجعلني أفضل ممّا يظنّون . 1060 « فمن علامة أحدهم أنّك ترى له » ، في بعض النسخ : « لهم » فالضمير راجع إلى معنى أحدهم . و « القوّة في الدين » أن لا يتطرّق إلى الايمان الشك ، و الشبهات و إلى الأعمال الوساوس و الخطرات ، أو أن لا يدرك العزم في الأمور الدينية ونى و لا فتور للوم و غيره ، قال تعالى : يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلَ اللَّهِ وَ لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ 1061 .

و « الحزم » بالفتح ، ضبط الأمر ، و الأخذ فيه بالثقة ، و الحذر من فواته و كأنّ المعنى أنّه لا يصير حزمه سببا لخشونته ، بل مع الحزم يداري الخلق و يلاينهم .

و « القصد » التوسّط بين طرفي الإفراط و التفريط و ترك الإسراف و التقتير ،

أي يقتصد في حال الغنا ، أو في تحصيل الغنا ، أو في الانفاق مع غنى النفس . و « التجمّل » التزيّن و تكلّف الجميل و إظهاره ، و « التجمّل في الفاقة » سلوك مسلك الأغنياء و المتجمّلين في حال الفقر ، و ذلك بترك الشكوى إلى الخلق و الابتهاج بما أعطى اللّه و إظهار الغنى عن الخلق ، أو التجمّل و التزيّن في الفاقة بما أمكن و عدم إظهار الفاقة للناس ، إلاّ ما لا يمكن ستره أو زائدا على ما هو الواقع كالفقراء الطامعين فيما في أيدى الناس .

« و الصبر في الشدّة » الصبر على شدّة الفقر أو العبادة أو المصائب أو الأعمّ . و « الطلب في الحلال » الكسب من غير الطرق الّتي نهي عنها . و « النشاط » بالفتح ،

طيب النفس للعمل و غيره . و « الهدى » الرشاد و الدلالة ، أي ينشط لهداية الناس ، أو لاهتدائه في نفسه . و « التحرّج » التأثّم ، و المعنى جعل الطمع حرجا و عدّه إثما و عيبا .

و قال ابن أبي الحديد : حرف الجرّ في بعض هذه المواضع يتعلّق بالظاهر فيكون موضعه نصبا بالمفعوليّة ، و في بعضها يتعلّق بمحذوف فيكون موضعه أيضا نصبا

(1060) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 148 ، ط بيروت .

(1061) *المائدة : 54 .*

[357]

على الصفة ، ففي قوله « في دين » يتعلّق بالظاهر أي « قوّة » يقال : فلان قويّ في كذا و على كذا ، و « في لين » يتعلّق بمحذوف أي حزما كائنا في لين ، و « في يقين » و « في علم » يتعلّق بالظاهر ، و « في » بمعنى « على » كقوله تعالى : « و لاصلّبنّكم في جذوع النّخل » 1062 . و « في غنى » يتعلّق بمحذوف ، و « في عبادة » يحتمل الأمرين ، و « في فاقة » بمحذوف . و « في شدّة » يحتمل الأمرين ، و « في حلال » يتعلّق بالظاهر و « في » بمعنى اللام ، و « في هدى » يحتملهما ، و « عن طمع » بالظاهر .

و « الوجل » الخوف ، و خوفهم من التقصير في العمل كمّا أو كيفا أو من عذاب اللَّه إشارة إلى قوله سبحانه : يُؤْتُونَ مَا آتَوْا الآية 1063 . و « الهمّ » أوّل العزم ، و ما قصده الانسان و أضمره في نفسه ، و كأنّ تخصيص الشكر بالمساء لأنّ الرزق و إفاضة النعم و الفوز بالمكاسب يكون في اليوم غالبا ، و تخصيص الذكر بالصباح لأنّ الشواغل عن الذكر في اليوم أكثر ، و كلّ يوم كأنّه وقت استيناف العمل .

و « الحذر » و « الفرح » ككتف صفتان من الحذر و الفرح ، بالتحريك .

و المراد بالفضل و الرحمة ، التوفيق و الهداية أو ما يشمل النعم الدنيويّة ، و هذا الفرح يعود إلى الشكر ، و قال بعض الشارحين : ليس المقصود تخصيص البيات بالحذر و الصباح بالفرح بل كما يقول أحدنا : يمسي و يصبح حذرا فرحا ، و كذلك تخصيص الشكر بالمساء و الذكر بالصباح ، و يحتمل أن لا يكون مقصودا .

و « الصعب » نقيض الذلول ، و « استصعبت على فلان دابّته » أي صعبت ،

و « استصعبت عليه نفسه » أي لم تطعه في العبادات المكروهة للنفس و ترك المعاصي ، لأنّ النفس أمّارة بالسوء إلاّ ما رحم اللَّه .

« و لم يعطها سؤلها فيما تحبّ » أي لم يطاوع النفس فيما تريده من هذا الأمر الّذي استصعبت عليه ، أو في غيره من اللذّات لتنقاد و تترك الاستصعاب ، إذا إطاعة النفس في لذّاتها توجب طغيانها و قوّتها في الباطل و بعدها عن اللَّه ، و لذا ترى القوّة على العبادة في المرتاضين و من أنحلتهم العبادة أكثر منها في الأقوياء و المترفين بالنعم .

(1062) *طه : 71 .*

(1063) *المؤمنون : 60 .*

[358]

و « قرّت عين فلان و أقرّ اللَّه عينه » كفر و عضّ أي سرّ و فرح ، و معناه :

أبرد اللَّه دمعة عينه لأنّ دمعة الفرح و السرور باردة ، و دمعة الحزن حارّة ، و قيل : معنى « أقرّ اللَّه عينك » بلّغك أمنيّتك حتّى ترضى نفسك و تسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره ، و قيل : معناه : أبرد اللَّه عينك بأن ينقطع بكاءها ، و قرّة عين كلّ أحد مأموله و منتهى رضاه .

و « ما لا يزول » ما عند اللَّه و الدار الآخرة . و « ما لا يبقى » الدنيا و زخارفها .

« يمزج الحلم بالعلم » أي يحمل للعلم بفضله لا لضعف النفس و عدم المبالاة بما قيل له ، أو فعل به ، أو لا يطيش في المحاورات و المباحثات مع أنّه يقول عن علم ، و قيل :

المراد بالحلم العقل ، أي يتعلّم عن تفكّر و تدبّر و لا يعتمد على الظنون و الآراء الواهية ، أو يتفكّر فيما علم و يحفظه حتّى يتمكّن في قلبه . « و القول بالعمل » أي إذا أمر الناس بمعروف أو نهاهم عن منكر عمل به ، أو يفي بالوعد ، أو يقرن الايمان بالأعمال الصالحة ، أو يجمع بين القول الجميل و الفعل الحسن .

و « النزر و المنزور » القليل . و « الأكل » كعنق الحظّ من الدنيا ، و في بعض النسخ : « أكله » بالفتح ، أي لا يمتليء من الطعام ، لأنّه من أسباب الكسل عن العبادة و كثرة النوم . و « الحرز » الموضع الحصين ، و « حرز حريز » كحصن حصين ،

و « حرزه » كنصره حفظه و المراد عدم إهماله في أمر دينه و عدم تطرّق الخلل إليه .

و « المأمول » المرجوّ .

« إن كان في الغافلين » لعلّ الغرض من القرينتين أنّه لا يزال ذاكر اللّه سواء كان مع الغافلين أو مع الذاكرين ، أمّا إذا كان في الغافلين فيذكر اللّه بقلبه أو بلسانه أيضا فيصير سببا لذكرهم أيضا ، فيكتب أنّه في الذاكرين .

و قوله عليه السّلام « لم يكتب من الغافلين » كأنّه تفنّن في العبارة ، أو المعنى أنّه ليس ذكره بمحض اللسان ليكتب من الغافلين بل قلبه أيضا مشغول بذكره تعالى .

و الغالب في الصلة و القطع الاستعمال في الرحم ، و قد يستعملان في الأعمّ

أيضا .

و « بعيدا » عود إلى السياق السابق ، و الجمل معترضة ، أو حال عن فاعل يصل ، و قد يعبّر بالبعد عن العدم ، و كذلك الغيبة و الحضور و الاقبال و الإدبار و يحتمل القلّة فإنّ التقوى غير العصمة ، و يمكن أن يراد بالإقبال الازدياد و بالإدبار الانتقاص ،

أي لا يزال يسعى فيزداد خيره و ينتقص شرّه .

و قال الوالد رحمه اللّه : يمكن أن يراد بالمعروف و المنكر الاحسان و الاساءة إلى الخلق .

و « الزلازل » الشدائد . و « الوقور » فعول من « الوقار » بالفتح ، و هو الحلم و الرزانة . و « الرخاء » سعة العيش . و « الحيف » الجور و الظلم . و المراد بالإثم الميل عن الحقّ و الغرض أنّه لا يترك الحقّ للعداوة و المحبّة إذا كان حاكما ، أو لا يجور على العدوّ و لا يساعد المحبّ بما يخرج عن الحقّ .

« لا يضيع ما استحفظ » أي ما أودع عنده من الأموال و الأسرار ، و التضييع في الأوّل بالخيانة و التفريط و في الثانية بالاذاعة و الافشاء ، و يحتمل شموله لما استحفظه اللّه من دينه و كتابه . « و لا ينسى ما ذكر » أي ما أمر بتذكره من آيات اللّه و عبره و أمثاله ، أو الأعمّ منها و من أحكام اللّه و الموت و المصير إلى اللّه و أهوال الآخرة .

و « النبز » بالتحريك ، اللقب ، قيل : و كثر فيما كان ذمّا ، و « المنابزة و التنابز » التعاير و التداعي بالألقاب . و « المضارّة » الاضرار . و « الجار » المجاور في السكنى و من آجرته من أن يظلم . و « شمت كفرح شماتة » بالفتح ، أي فرح ببليّة العدوّ . « لا يدخل في الباطل » أي في مجلس الفسق و اللهو و الفساد ، أو المراد عدم ارتكاب الباطل ، و كذا « الخروج من الحقّ » أي من مجالسه ، أو عدم ترك الحقّ .

« لم يغمّه صمته » لعلمه بمفاسد الكلام و عدم التذاذه بالباطل من القول ، أو لاشتغال قلبه حين الصمت بذكر اللّه . « لم يعل صوته » أي لا يشتدّ صوته أو يكتفي بالتبسّم ، إذ الخروج عنه يكون غالبا بالضحك بالصوت العالي ، و الواسطة نادرة . و « أراح الناس » لاشتغاله بنفسه . و « الزهد » خلاف الرغبة ، و كثيرا ما يستعمل في

عدم الرغبة في الدنيا . و « النزاهة » بالفتح ، التباعد عن كلّ قدر و مكروه ، و إنّما كان تباعده زهدا و نزاهة لأنّه إنّما يرغب عن أهل الدنيا و أهل الباطل ، و قيل :

نزاهة عن تدنّس العرض .

و « الخديعة » ككريهة الاسم من « خدعة » أي ختله و أراد به المكروه من حيث لا يعلم . و « صعق » كسمع : أي غشي عليه من صوت شديد سمعه أو من غيره ، و ربّما مات منه . « كانت نفسه فيها » أي مات بها ، و يحتمل أن يراد بالصعقة الصيحة ، كما هو الغالب في هذا المقام . و يراد بكون نفسه فيها خروج روحه بخروجها . و « ويح » كلمة رحمة و يستعمل في التعجّب كما مرّ مرارا ، و التلطّف في مثل هذا المقام من قبيل الاحسان إلى من أساء . و قد مرّ الكلام في هذا المقام و في بعض ما تقدّم في شرح رواية الكافي فلا نعيده .

و أقول : روى في تحف العقول أيضا مثله . 1064 و أقول : لمّا سلك قدوة المحقّقين ابن ميثم البحرانيّ في شرح هذا الحديث مسلكا آخر ، أردت إيراده ليطّلع الناظر في كتابنا على أكثر ما قيل في ذلك فأوردته . 1065 قال قدّس سرّه : وصف عليه السّلام المتّقين بالوصف المجمل فقال : « فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل » أي الّذين استجمعوا الفضائل المتعلّقة باصلاح قوّتي العلم و العمل ، ثمّ شرع في تفصيل تلك الفضائل و نسقها .

فالأولى : الصواب في القول و هو فضيلة العدل المتعلّقة باللّسان ، و حاصله أن لا يسكت عمّا ينبغي أن يقال فيكون مفرّطا ، و لا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطا ، بل يضع كلاّ من الكلام في موضعه اللائق به و هو أخصّ من الصدق ،

لجواز أن يصدق الانسان فيما لا ينبغي من القول .

الثانية : « و ملبسهم الاقتصاد » و هو فضيلة العدل في الملبوس ، فلا يلبس ما

(1064) تحف العقول ، ص 154 158 ، ط إسلامية .

(1065) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 414 425 .

يلحقه بدرجة المترفين و لا يلحقه بأهل الخسّة و الدناءة ممّا يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا .

الثالثة : مشي التواضع ، و التواضع ملكة تحت العفّة ، يعود إلى العدل بين رذيلتي المهانة و الكبر و مشي التواضع مستلزم للسكون و الوقار .

الرابعة : غضّ الأبصار عمّا حرّم اللَّه و هو ثمرة العفّة .

الخامسة : وقوفهم أسماعهم على سماع العلم النافع ، و هو فضيلة العدل في قوّة السمع . و العلوم النافعة ما هو كمال القوّة النظرية من العلم الالهيّ و ما يناسبه و ما هو كمال للقوّة العمليّة و هي الحكمة العمليّة .

السادسة : نزول أنفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء ، أي لا تقنط من بلاء ينزل بها و لا تبطر برخاء يصيبها ، بل مقامها في الحالين مقام الشكر . و « الّذي » صفة مصدر محذوف و الضمير العائد إليه محذوف أيضا ، و التقدير : نزلت كالنزول الّذي نزلته في الرخاء . و يحتمل أن يكون المراد ب « الّذي » « الّذين » فحذف النون كما في قوله تعالى : « كَالَّذِي خَاضُوا 1066 . و يكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم في البلاء بالّذي نزلت أنفسهم منهم في الرخاء ، و المعنى واحد .

السابعة : غلبة الشوق إلى ثواب اللّه و الخوف من عقابه على نفوسهم إلى غاية أن أرواحهم لا تستقرّ في أجسادهم من ذلك ، لو لا الآجال الّتي كتبت لهم . و هذا الشوق و الخوف إذا بلغ إلى حدّ الملكة ، فإنّه يستلزم دوام الجدّ في العمل و الاعراض عن الدنيا ، و مبدأ هما تصوّر عظمة الخالق ، و بقدر ذلك يكون تصوّر عظمة وعده و وعيده ،

و بحسب قوّة ذلك التصوّر يكون قوّة الخوف و الرجاء و هما بابان عظيمان للجنّة .

الثامنة : عظم الخالق في أنفسهم ، و ذلك بحسب الجواذب الالهيّة إلى الاستغراق في محبته و معرفته ، و بحسب تفاوت تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لأصغريّة مادونه ، و نسبته إليه في أعين بصائرهم .

و قوله « فهم و الجنّة كمن قد رآها » إلى قوله « معذّبون » إشارة إلى أنّ

(1066) التوبة : 69 .

العارف و إن كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنّة و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها ، كالّذين شاهدوا الجنّة بعين حسّهم و تنعّموا فيها و كالّذين شاهدوا النار و عذّبوا فيها . و هي مرتبة عين اليقين ، فبحسب هذه المرتبة كانت شدّة شوقهم إلى الجنّة و شدّة خوفهم من النار .

التاسعة : حزن قلوبهم ، و ذلك ثمرة الخوف الغالب .

العاشرة : كونهم مأموني الشرور ، و ذلك أنّ مبدء الشرور محبّة الدنيا و أباطيلها ، و العارفون بمعزل عن ذلك .

الحادية عشر : نحافة أجسادهم ، و مبدء ذلك كثرة الصيام و السهر و جشوبة المطعم و خشونة الملبس و هجر الملاذّ الدنيويّة الثانية عشر : خفّة حاجاتهم ، و ذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروريّ من ملبس و مأكل ، و لا أخفّ من هذه الحاجة .

الثالثة عشر : عفّة أنفسهم ، و ملكة العفّة فضيلة القوّة الشهويّة و هي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة و الفجور .

الرابعة عشر : الصبر على المكاره أيّام حياتهم من ترك الملاذّ الدنيويّة و احتمال أذى الخلق ، و قد عرفت أنّ الصبر مقاومة النفس الأمّارة بالسوء لئلاّ ينقاد إلى قبائح اللذّات . و إنّما ذكر قصر مدّة الصبر و استعقابه للراحة الطويلة ترغيبا فيه و تلك الراحة بالسعادة في الجنّة كما قال تعالى : وَ جزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً الآية 1067 . و قوله « تجارة مربحة » استعار لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة و امتثال أوامر اللّه . و وجه المشابهة كونهم متعوّضين بمتاع الدنيا و بحركاتهم في العبادة متاع الآخرة . و رشّح بلفظ الربح لأفضلية متاع الآخرة و زيادته في النفاسة على ما تركوه . و ظاهر أن ذلك بتيسير اللّه لأسبابه و إعدادهم له بالجواذب الإلهيّة .

الخامسة عشر : عدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم ، و هو إشارة إلى الزهد الحقيقيّ و هو ملكة تحت العفّة ، و كنى بارادتها لهم عن كونهم أهلا لأن يكونوا فيها

(1067) الانسان : 12 .

رؤوسا و أشرافا كقضاة و وزراء و نحو ذلك و كونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها . و يحتمل أن يريد : أرادهم أهل الدنيا ، فحذف المضاف .

السادسة عشر : افتداء من أسرته لنفسه منها ، و هو إشارة إلى من تركها و زهد فيها بعد الانهماك فيها و الاستمتاع بها ، ففكّ بذلك الترك و الإعراض و التمرّن على طاعة اللّه أغلال الهيئات الرديّة المتلبّسة منها عن عنقه . و لفظ الأسر استعارة

في تمكّن تلك الهيئات من نفوسهم ، و لفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها و المواظبة على طاعة اللّه . و إنّما عطف بالواو في قوله « و لم يريدوها » و بالفاء في قوله « ففدوا » لأنّ زهد الانسان في الدنيا كما يكون متأخّرا عن إقبالها عليه ، كذلك قد يكون متقدّما عليه لقوله صلى اللّه عليه و آله « و من جعل الآخرة أكثر همّه جمع اللّه عليه همّه و أتته الدنيا و هي راغمة » ، فلم يحسن العطف هنا بالفاء . و أمّا الفدية فلمّا لم يكن إلاّ بعد الأسر لا جرم عطفها بالفاء .

السابعة عشر : كونهم صافّين أقدامهم بالليل يتلون القرآن و يرتّلونه . . . إلى قوله « آذانهم » ، و ذلك إشارة إلى تطويع نفوسهم الأمّارة بالسوء بالعبادات و شرح لكيفيّة استيثارهم للقرآن العزيز في تلاوته و غاية ترتيلهم له بفهم مقاصده و تحزينهم لأنفسهم به عند ذكر الوعيدات من جملة استيثارهم لدواء دائهم . و لمّا كان داءهم هو الجهل و سائر الرذائل العمليّة ، كان دواء الجهل بالعلم و دواء كلّ رذيلة الحصول على الفضيلة المضادّة لها ، فهم بتلاوة القرآن يستثيرون بالتحزين الخوف عن وعيد اللّه المضادّ للانهماك في الدنيا ، و داءه العلم الّذي هو دواء الجهل ، و كذلك كلّ فضيلة حثّ القرآن عليها ، فهي دواء لما يضادّها من الرذائل . و باقي الكلام شرح لكيفيّة التحزين و التشويق .

و قوله « فهم حانون على أوساطهم » ذكر لكيفيّة ركوعهم . و قوله « مفترشون لجباههم . . . » إلى قوله « أقدامهم » إشارة إلى كيفيّة سجودهم و ذكر الأعظم السبعة و قوله « يطلبون . . . » إلى قوله « رقابهم » إشارة إلى غايتهم من عبادتهم تلك .

الثامنة عشر : من صفاتهم بالنهار كونهم حكماء و أراد الحكمة الشرعيّة و ما فيها من كمال القوّة العلميّة و العمليّة لكونها المتعارفة بين الصحابة و التابعين و روي :

« حلماء » و « الحلم » فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة و الافراط في الغضب . و إنّما خصّ الليل بالصلاة لكونها أولى بها من النهار .

التاسعة عشر : كونهم علماء و أراد كمال القوّة النظريّة بالعلم النظريّ و هو معرفة الصانع و صفاته .

العشرون : كونهم أبرارا و البرّ يعود إلى العفيف لمقابلته الفاجر .

الحادية و العشرون : كونهم أتقياء و المراد بالتقوى ههنا الخوف من اللّه . و قد مرّ ذكر العفّة و الخوف و إنّما كررهما هنا في عداد صفاتهم بالنهار و ذكرها هناك في صفاتهم المطلقة . و قوله « و قد براهم الخوف . . . » إلى قوله « عظيم » شرح لفعل الخوف الغالب بهم ، و إنّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبّرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن و وقوف القوّة الشهوية و الغاذّية عن أداء بدل ما يتحلّل و شبّه بري الخوف لهم ببري القداح ، و وجه التشبيه شدّة النحافة ، و يتبع ذلك تغير السحنات [1068] و الضعف عن الانفعالات النفسانيّة من الخوف و الحزن حتّى يحسبهم الناظر مرضى و إن لم يكن بهم مرض .

« و يقول قد خولطوا » و ذلك إشارة إلى ما يعرض لبعض العارفين عند اتّصال نفسه بالملأ الأعلى و اشتغالها عن تدبير البدن و ضبط حركاته أن يتكلّم بكلام خارج عن المتعارف يستبشع بين أهل الشريعة الظاهرة فينسب ذلك منه إلى الاختلاط و الجنون و تارة إلى الكفر و الخروج عن الدين . و قوله « و لقد خالطهم أمر عظيم » هو اشتغال أسرارهم بملاحظة جلال اللّه و مطالعة أنوار الملأ الأعلى .

الثانية و العشرون : كونهم لا يرضون [من أعمالهم] القليل إلى قوله « الكبير » و ذلك لتصوّرهم شرف غايتهم المقصودة بأعمالهم . و قوله « فهم لأنفسهم متّهمون . . . » إلى قوله « ما لا يعلمون » فتهمتهم لأنفسهم و خوفهم من أعمالهم يعود إلى شكّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم و كونها مقبولة أو واقعة على الوجه المطلوب الموصل إلى اللّه تعالى فإنّ هذا الوهم يكون مبدأ للعجب بالعبادة و التقاصر عن

[1068] « السحنة » بالتحريك ، الهيئة و اللون ، و لين البشرة ، و النعمة .

الازدياد عن العمل و التشكّك في ذلك و تهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الأمّارة يستلزم خوفها أن تلك الأعمال قاصرة عن الوجه المطلوب و غير واقعة عليه و ذلك باعث على العمل و كاسر للعجب به ، و قد عرفت أنّ العجب من المهلكات كما قال عليه السّلام : « ثلاث مهلكات : شحّ مطاع ، و هوى متّبع ، و إعجاب المرء بنفسه » .

و كذلك خوفهم من تزكية الناس لهم هو الدواء لما ينشأ من تلك التزكية من الكبر و العجب بما يزكون به ، فيكون جواب أحدهم عند تزكيته أنّي أعلم بنفسي من غيري . . . إلى آخره .

ثمّ شرع عليه السّلام بعد ذلك في علاماتهم الّتي بجملتها يعرف أحدهم .

و الصفات السابقة و إن كان كثير منها ممّا يخصّ أحدهم و يعرف به إلاّ أنّ بعضها قد يدخله الرياء فلا يدلّ على التقوى الحقّة ، فجمعها ههنا و نسقها .

فالأولى : القوّة في الدين ، و ذلك أن يقاوم في دينه الوسواس الخنّاس و لا يدخل فيه خداع الناس ، و هذا إنّما يكون في الدين العالم .

الثانية : الحزم في الامور الدنيويّة و الدينيّة و التثبّت فيها ممزوجا باللين للخلق و عدم الفضاضة عليهم كما في المثل : « لا تكن حلوا فتسترط و لا مرّا فتلفظ » [1069] . و هي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق و قد علمت أن اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله [تعالى] : وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ 1070 . و قد يكون من مهانة و ضعف يقين ، و الأوّل هو المطلوب و هو المقارن للحزم في الدين و مصالح النفس و الثاني رذيلة و لا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كلّ جاذب .

[1069] ذكره الجوهريّ في « سرط » و لفظه : لا تكن حلوا فتسترط و لا مرّا فتعقى » ، و « تعقى » بمعنى تلفظ . من قولهم « أعقيت الشيء » إذا أزلته من فيك لمرارته ، كما يقال : « أشكيت الرجل » إذا أزلته عمّا يشكوه . الصحاح ، ص 1130 .

و هكذا ذكره الميدانيّ و قال : « الاشتراط » الابتلاع . و « الاعقاء » أن تشتدّ مرارة الشيء حتّى يلفظ لمرارته . و بعضهم يروي :

« فتعقى » بوزن « فتسترط » و الصواب كسر القاف ، يقال : « أعقى الشيء » . و المعنى : لا تتجاوز الحدّ في المرارة فترمى ، و لا في الحلاء فتبلع ، أي كن متوسّطا . مجمع الأمثال ، ج 2 ، ص 232 ، تحت الرقم 3604 .

(1070) الشعراء : 115 .

الثالثة : الإيمان في اليقين ، و لمّا كان الإيمان عبارة عن التصديق بالصانع و بما وردت به الشريعة و كان ذلك التصديق قابلا للشدّة و الضعف ، فتارة يكون عن التقليد و هو الاعتقاد المطابق لا لموجب و تارة يكون عن العلم و هو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل و تارة عن العلم به مع العلم بأنّه لا يكون إلاّ كذلك و هو علم اليقين . و محقّقو السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون بعين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا و الاعراض عنها . أراد أنّ علمهم علم اليقين لا يتطرّق إليه احتمال .

الرابعة : الحرص في العلم و الازدياد منه .

الخامسة : مزج العلم و هو فضيلة القوّة الملكيّة بالحلم و هو من فضائل القوّة السبعيّة .

السادسة : القصد في الغنى و هو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا و حذف الفضول عن قدر الضرورة .

السابعة : الخشوع في العبادة و هو من ثمرة الفكر في جلال المعبود و ملاحظة عظمته الّذي هو روح العبادة .

الثامنة : التجمّل في الفاقة : و ذلك بترك الشكوى إلى الخلق و الطلب منهم و إظهار الغنى عنهم ، و ينشأ عن القناعة و الرضا و علوّ الهمّة و يعين على ذلك ملاحظة الوعد العاجل و ما أعدّ للمتّقين .

التاسعة : و كذلك الصبر في الشدّة .

العاشرة : الطلب في الحلال و ينشأ عن العفّة .

الحادية عشر : النشاط في الهدي و سلوك سبيل اللّه و ينشأ عن قوّة الاعتقاد فيما وعد المتّقون و تصوّر شرف الغاية .

الثانية عشر : عمل الصالحات على و جل ، أي من أن يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روي عن زين العابدين عليه السلام أنّه كان في التلبية و هو على راحلته و خرّ مغشيّا عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك فقال : « خشية أن يقول

لي : لا لبيك و لا سعديك » .

الثالثة عشر : أن يكون همّهم عند المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار و ما لم يرزقوا و يصبحوا و همّهم الذكر للّه ليذكرهم اللّه فيرزقهم من الكمالات النفسانيّة و البدنيّة كما قال تعالى : فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لاَ تَكْفُرُونِ 1071 .

الرابعة عشر : أن يبيت حذرا و يصبح فرحا ، و قوله « حذرا . . . » إلى قوله « الرحمة » تفسير للمحذور و ما به الفرح و ليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر و الصباح بالفرح ، بل كما يقول أحدنا : يمسي فلان و يصبح حذرا فرحا . و كذلك تخصيصه الشكر بالمساء و الذكر بالصباح يحتمل أن لا يكون مقصودا .

الخامسة عشر : « إن استصعبت . . . » إلى قوله « تحبّ » إشارة إلى مقاومته لنفسه الأمّارة بالسوء عند استصعابها عليه و قهره لها على ما تكره و عدم متابعته لها في ميولها الطبيعيّة و محابّها .

السادسة عشر : أن يرى قرّة عينه فيما لا يزول ، أي من الكمالات النفسانيّة الباقية كالعلم و الحكمة و مكارم الأخلاق المستلزمة للذّات الباقية و السعادة الدائميّة . و « قرّة عينه » كناية عن لذّته و ابتهاجه لاستلزامهما لقرار العين و بردها برؤية المطلوب و زهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا .

السابعة عشر : أن يمزج العلم بالحلم فلا يجهل و لا يطيش و القول بالعمل ، فلا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف فيقف دونه و لا ينهى عن منكر ثمّ يفعله و لا يعد فيخلف ، فيدخل في مقت اللّه كما قال تعالى : كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ 1072 .

الثامنة عشر : قصر أمله و قربه ، و ذلك لكثرة ذكر الموت و الوصول إلى اللّه .

التاسعة عشر : قلّة زلله و قد عرفت أنّ زلل العارفين يكون من باب ترك الأولى لأنّ صدور الخيرات عنهم صار ملكة و الجواذب فيهم إلى الزلل و الخطيئات نادرة تكون لضرورة منهم أو سهو ، و لا شكّ في قلّته .

(1071) البقرة : 152 .

(1072) الصفّ : 3 .

العشرون : خشوع قلبه عن تصوّر عظمة المعبود .

الحادية و العشرون : قناعة نفسه و ينشأ عن ملاحظة حكمة اللّه في قدرته و قسمته الأرزاق ، و يعين عليها تصوّر فوائدها الحاضرة و غايتها في الآخرة .

الثانية و العشرون : قلّة أكله و ذلك لما يتصوّر في البطنة من ذهاب الفطنة و زوال الرقّة و حدوث القسوة و الكسل عن العمل .

الثالثة و العشرون : سهولة أمره ، أي لا يتكلّف لأحد و لا يكلّف أحدا .

الرابعة و العشرون : حرز دينه ، فلا يهمل منه شيئا و لا يطرق إليه خللا .

الخامسة و العشرون : موت شهوته ، و لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عمّا حرم عليه و يعود إلى العفّة .

السادسة و العشرون : كظم غيظه و هو من فضائل القوّة الغضبيّة .

السابعة و العشرون : كونه « مأمول الخير » و ذلك لأكثريّة خيريّته [و كونه] « مأمون الشرور » و ذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشرور .

الثامنة و العشرون : قوله « إن كان من الغافلين . . . » إلى قوله « الغافلين » أي إن رآه الناس في أعداد الغافلين عن ذكر اللّه لتركه الذكر باللسان ، كتب عند اللّه من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر و إن تركه بلسانه ، و إن كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر أنّه لا يكتب من الغافلين . و لذكر اللّه ممادح كثيرة و هو باب عظيم من أبواب الجنّة و الاتّصال بجناب اللّه ، و قد أشرنا إلى فضيلته و أسراره .

التاسعة و العشرون : عفوه عمن ظلمه ، و العفو فضيلة تحت الشجاعة و خصّ من ظلمه ليتحقّق عفوه مع قوّة الداعي إلى الانتقام .

الثلاثون : و يعطي من حرمه و هي فضيلة تحت السخاء .

الحادية و الثلاثون : و يصل من قطعه ، و المواصلة فضيلة تحت العفّة .

الثانية و الثلاثون : بعد فحشه ، و أراد ببعد الفحش عنه أنه قلّما يخرج في أقواله إلى ما لا ينبغي .

الثالثة و الثلاثون : لينه في القول عند محاورات الناس و وعظهم و معاملتهم و

[369]

هو من أجزاء التواضع .

الرابعة و الثلاثون : غيبة منكره و حضور معروفه و ذلك للزومه حدود اللّه .

الخامسة و الثلاثون : إقبال خيره و إدبار شرّه ، و هو كقوله « الخير منه مأمول و الشرّ منه مأمون » و يحتمل باقبال خيره أخذه في الازدياد من الطاعة و تشميره فيها ، و بقدر ذلك يكون إدباره عن الشرّ لأنّ من استقبل أمرا و سعى فيه بعد عمّا يضادّه و أدبر عنه .

السادسة و الثلاثون : و قاره في الزلازل ، و كنى بها عن الأمور العظام و الفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب و أحوال الناس ، و الوقار ملكة تحت الشجاعة .

السابعة و الثلاثون : كثرة صبره في المكاره ، و ذلك عن ثباته و علوّ همّته عن أحوال الدنيا .

الثامنة و الثلاثون : كثرة شكره في الرخاء و ذلك لمحبّته المنعم الأوّل جلّت قدرته فيزداد شكره في رخائه و إن قلّ .

التاسعة و الثلاثون : كونه لا يحيف على من يبغض و هو سلب للحيف و الظلم مع قيام الداعي إليهما و هو البغض لمن يتمكّن من حيفه و ظلمه .

الأربعون : كونه لا يأثم فيمن يحبّ و هو سلب لرذيلة الفجور عنه باتّباع الهوى فيمن يحبّ ، إمّا باعطائه ما لا يستحق أو دفع ما يستحقّ عليه عنه كما يفعله قضاة السوء و أمراء الجور ، فالمتّقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي إليه و هو المحبّة لمن يحبّه ،

بل يكون على فضيلة العدل في الكلّ على السواء .

الحادية و الأربعون : اعترافه بالحقّ قبل أن يشهد عليه ، و ذلك لتحرّزه في دينه من الكذب ، إذ الشهادة إنّما يحتاج إليها مع إنكار الحقّ و ذلك كذب .

الثانية و الأربعون : كونه لا يضيع أماناته و لا يفرط فيما استحفظه اللّه من دينه و كتابه ، و ذلك لورعه و لزوم حدود اللّه .

الثالثة و الأربعون : و لا ينسى ما ذكر من آيات اللّه و عبره و أمثاله و لا يترك العمل بها ، و ذلك لمداومة ملاحظتها و كثرة إخطارها بباله و العمل لعنايته المطلوبة منه .

[370]

الرابعة و الأربعون : و لا ينابز بالألقاب ، و ذلك لملاحظته النهي في الذكر الحكيم : « و لا تنابزوا بالألقاب » 1073 و لسرّ ذلك النهي و هو كون ذلك مستلزما لإثارة الفتن و التباغض بين الناس و الفرقة المضادّة لمطلوب الشارع .

الخامسة و الأربعون : و لا يضارّ بالجار لملاحظة وصيّة اللّه تعالى به :

وَ الْجَارَ ذِي الْقُرْبَى وَ الْجَارَ الْجُنُبِ 1074 و وصيّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في المرفوع إليه : « أوصاني ربّي بالجار حتّى ظننت أنّه يورّثه » ، و لغاية ذلك و هي الألفة و الاتّحاد في الدين .

السادسة و الأربعون : و لا يشمت بالمصائب ، و ذلك لعلمه بأسرار القدر و ملاحظته لأسباب المصائب و أنّه في معرض أن تصيبه فيتصوّر أمثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره .

السابعة و الأربعون : أنّه لا يدخل في الباطل و لا يخرج عن الحقّ ، أي لا يدخل فيما يبعّد عن اللّه تعالى من باطل الدنيا و لا يخرج عمّا يقرّب إليه من مطالبه الحقّة ، و ذلك لتصوّر شرف غايته .

الثامنة و الأربعون : كونه لا يغمّه صمته لوضعه كلاّ من الصمت و الكلام في موضعه و إنّما يستلزم الغمّ الصمت عمّا ينبغي من القول و هو صمت في غير موضعه .

التاسعة و الأربعون : كونه لا يعلو ضحكه ، و ذلك لغلبة ذكر الموت و ما بعده على قلبه ، و ممّا نقل من صفات الرسول صلّى اللّه عليه و آله : كان أكثر ضحكه التبسّم و قد يفترّ أحيانا و لم يكن من أهل القهقهة و الكركرة و هما كيفيّتان للضحك .

الخمسون : صبره في البغي عليه إلى غاية انتقام اللّه له ، و ذلك منه نظرا إلى ثمرة الصبر إلى الوعد الكريم [في قوله تعالى] : ذَلِكَ وَ مَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثمّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرنَّهُ اللَّهُ الآية 1075 و قوله : وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ 1076 .

(1073) الحجرات : 11 .

(1074) النساء : 36 .

(1075) الحجّ : 60 .

(1076) النحل : 126 .

[371]

الحادية و الخمسون : كون نفسه منه في عناء ، أي نفسه الأمّارة بالسوء لمقاومته لها و قهرها و مراقبته إيّاها و الناس من أذاه في راحة لذلك .

الثانية و الخمسون : كون بعده عمن تباعد عنه لزهده فيما في أيدي الناس و نزاهته عنه ، لا عن كبر و تعظّم عليهم ، و كذلك دنوه ممّن دنا منه عن لين و رحمة منه لهم ، لا لمكر بهم و خديعة لهم عن بعض المطالب كما هو عادة الخبيث المكّار .

و هذه الصفات و العلامات قد يتداخل بعضها ، و لكن تورد بعبارة اخرى أو تذكر مفردة ثمّ تذكر ثانيا مركّبة مع غيرها . 1077

194 و من خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين

نحمده على ما وفّق له من الطّاعة ، و ذاد (2707) عنه من المعصية ،

و نسأله لمنّته تماما ، و بحبله اعتصاما . و نشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، خاض إلى رضوان اللّه كلّ غمرة (2708) ، و تجرّع فيه كلّ غصّة (2709) . و قد تلوّن له الأدنون (2710) ، و تألّب عليه الأقصون (2711) ،

و خلعت إليه العرب أعنّتها (2712) ، و ضربت إلى محاربته بطون رواحلها ،

حتّى أنزلت بساحته عداوتها ، من أبعد الدّار ، و أسحق (2713) المزار .

أوصيكم ، عباد اللّه ، بتقوى اللّه ، و أحذّركم أهل النّفاق ، فإنّهم

(1077) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 67 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 317 341 .

[372]

الضّالّون المضلّون ، و الزّالّون المزلّون (2714) ، يتلوّنون ألوانا ، و يفتنّون افتنانا (2715) ، و يعمدونكم (2716) بكلّ عماد (2717) و يرصدونكم (2718) بكلّ مرصاد (2719) . قلوبهم دويّة (2720) ، و صفاحهم (2721) نقيّة .

يمشون الخفاء (2722) ، و يدبّون (2723) الضراء . و صفهم دواء ، و قولهم شفاء ، و فعلهم الدّاء العياء (2724) . حسدة (2725) الرّخاء ، و مؤكّدو البلاء ، و مقنطوا الرّجاء . لهم بكلّ طريق صريع (2726) ، و إلى كلّ قلب شفيع ، و لكلّ شجو (2727) دموع . يتقارضون الثّناء (2728) ،

و يتراقبون الجزاء : إن سألوا الحفوا (2729) ، و إن عذلوا (2730) كشفوا ،

و إن حكموا أسرفوا . قد أعدوا لكلّ حقّ باطلا ، و لكلّ قائم مائلا ،

و لكلّ حي قاتلا ، و لكلّ باب مفتاحا ، و لكلّ ليل مصباحا . يتوصّلون إلى الطّمع باليأس ليقيموا به أسواقهم ، و ينفقوا (2731) به أعلاقهم (2732) .

يقولون فيشبّهون (2733) ، و يصفون فيموهون . قد هوّنوا الطّريق ،

و أضلعوا المضيق (2734) ، فهم لمة (2735) الشيطان ، و حمة (2736) النّيران :

« اولئك حزب الشّيطان ، ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون » .

بيان

« الغمرة » الرحمة من الماء و الناس و الشدّة ، و « خوضها » اقتحامها .

قوله عليه السلام « و قد تلوّن » أي تغيّر أقاربه ألوانا . و « تألّب » أي تجمّع عليه الأبعدون نسبا . قوله عليه السّلام و « خلعت هذا » مثل سائر أي أوجفوا إليه مسرعين لمحاربته ، لأن الخيل إذا خلعت أعنّتها كان أسرع لحريها . و « السحق »

البعد . 1078

195 و من خطبة له عليه السلام يحمد اللَّه و يثني على نبيه و يعظ

حمد اللَّه

الحمد للَّه الّذي أظهر من آثار سلطانه ، و جلال كبريائه ، ما حيّر مقل (2737) . العقول من عجائب قدرته ، وردع خطرات هماهم (2738) النّفوس عن عرفان كنه صفته .

الشهادتان

و أشهد أن لا إله إلاّ اللَّه ، شهادة إيمان و إيقان ، و إخلاص و إذعان .

و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، أرسله و أعلام الهدى دارسة ،

و مناهج الدّين طامسة (2739) ، فصدع (2740) بالحقّ ، و نصح للخلق ،

و هدى إلى الرّشد ، و أمر بالقصد (2741) ، صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم .

العظة

و اعلموا ، عباد اللَّه ، أنّه لم يخلقكم عبثا ، و لم يرسلكم هملا ،

(1078) بحار الأنوار ، الطبعة بالجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله ، ص 224 .

علم مبلغ نعمه عليكم ، و أحصى إحسانه إليكم ، فاستفتحوه (2742) ،

و استنجدوه (2743) ، و اطلبوا إليه و استمنحوه (2744) ، فما قطعكم عنه حجاب ، و لا أغلق عنكم دونه باب ، و إنه لبكلّ مكان ، و في كلّ حين و أوان ، و مع كلّ إنس و جان ، لا يثلمه (2745) العطاء ، و لا ينقصه الحباء (2746) ، و لا يستنفده سائل ، و لا يستقصيه نائل ، و لا يلويه (2747) شخص عن شخص ، و لا يلهيه صوت عن صوت ، و لا تحجزه هبة عن سلب ، و لا يشغله غضب عن رحمة ، و لا تولهه (2748) رحمة عن عقاب ، و لا يجنّه (2749) البطون عن الظّهور ، و لا يقطعه الظّهور عن البطون . قرب فنأى ، و علا فدنا ، و ظهر فبطن ، و بطن فعلن ،

و دان (2750) و لم يدن . لم يذرا (2751) الخلق باحتيال (2752) ، و لا استعان بهم لكلال (2753) .

أوصيكم ، عباد اللّه ، بتقوى اللّه ، فإنّها الزّمام (2754) و القوام (2755) ،

فتمسّكوا بوثائقها ، و اعتصموا بحقائقها ، تؤل بكم إلى أكنان (2756) الدّعة (2757) و أوطان السّعة ، و مع اقل (2758) الحرز (2759) و منازل العزّ « يوم تشخص فيه الأبصار » ، و تظلم له الأقطار ، و تعطّل فيه صروم (2760) العشار (2761) . و ينفخ في الصّور ، فتزهق كلّ مهجة ،

و تبكم كل لهجة ، و تذلّ الشّمّ (2762) الشّوامخ (2763) ، و الصّمّ (2764)

الرّواسخ (2765) ، فيصير صلدها (2766) سرابا (2767) رقرقا (2768) ، و معهدها (2769) قاعا (2770) سملقا (2771) ، فلا شفيع يشفع ، و لا حميم ينفع ، و لا معذرة تدفع .

بيان

تشبيه التقوى بالزمام إمّا لأنّها المانعة عن الخطاء و الزلل ، أو لأنّها تقود إلى الجنّة ، و سمّاها قواما لأنّه بها تقوم أمور الدنيا و الآخرة . و « الأكنان » جمع « لكنّ » و هو الستر . و « المعقل » الملجأ ، و « المعاقل » الحصون . و « الصروم » جمع « صرمة » و هي القطيعة من الإبل نحو الثلاثين . و « الشمم » محرّكة ، ارتفاع الجبل ،

أي تذلّ الجبال العالية و الأحجار الثابتة . و « الصلد » الصلب الشديد . و « الرقرقة » بصيص الشراب و تلألؤه . و « معهدها » أي ما عهد منز لا للناس و مسكنا . و « القاع » المستوي من الأرض . و « السملق » الأرض المستوية الجرداء الّتي لا شجر فيها . « فلا شفيع يشفع » أي بغير إذن اللّه ، أو للكافرين . 1079

196 و من خطبة له عليه السلام

بعثة النبي

بعثه حين لا علم قائم ، و لا منار ساطع ، و لا منهج واضح .

العظة بالزهد

أوصيكم ، عباد اللّه ، بتقوى اللّه ، و أحذركم الدّنيا ، فإنّها دار شخوص (2772) ، و محلّة تنغيص ، ساكنها ظاعن ، و قاطنها بائن (2773) ،

(1079) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 7 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 115 .

تميد (2774) بأهلها ميدان السّفينة تقصفها (2775) العواصف في لجج البحار ، فمنهم الغرق الوبق (2776) ، و منهم النّاجي على بطون الأمواج ،

تحفزه (2777) الرّياح بأذيالها ، و تحمله على أهوالها ، فما غرق منها فليس بمستدرك ، و ما نجا منها فإلى مهلك عباد اللَّه ، الآن فاعلموا ، و الألسن مطلقة ، و الأبدان صحيحة ،

و الأعضاء لدنة (2778) ، و المنقلب (2779) فسيح ، و المجال عريض ، قبل إرهاق (2780) . الفوت (2781) ، و حلول الموت . فحقّقوا عليكم نزوله ، و لا تنتظروا قدومه .

بيان

« الساطع » المرتفع . 1080

197 و من كلام له عليه السلام ينبه فيه على فضيلته لقبول قوله و أمره و نهيه

و لقد علم المستحفظون (2782) من أصحاب محمّد صلّى اللَّه عليه و آله أنّي لم أردّ على اللَّه و لا على رسوله ساعة قطّ . و لقد واسيته (2783) بنفسي في المواطن الّتي تنكص (2784) فيها الأبطال . و تتأخّر فيها الأقدام ، نجدة (2785) أكرمني اللَّه بها .

(1080) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله ، ص 224 .

و لقد قبض رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و إنّ رأسه لعلى صدري . و لقد سالت نفسه في كفّي ، فأمررتها على وجهي . و لقد وليت غسله صلّى اللَّه عليه و آله و الملائكة أعواني ، فضجّت الدّار و الأفنية (2786) : ملأ يهبط ، و ملأ يعرج ، و ما فارقت سمعي هينمة (2787) منهم ، يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه . فمن ذا أحقّ به منّي حيّا و ميّتا ؟ فانفذوا على بصائركم (2788) ، و لتصدق نيّاتكم في جهاد عدوّكم . فو الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ .

و إنّهم لعلى مزلّة (2789) الباطل . أقول ما تسمعون ، و استغفر اللَّه لي و لكم

بيان

« استحفظته الشيء » أودعته عنده و سألته أن يحفظه . و « المستحفظون » على بناء المفعول ، المطّلعون على أسرار الرسول صلّى اللَّه عليه و آله و سيرته ، الصادقون في الشهادة ، الّذين لم يغيّروا و لم يبدّلوا للأغراض الدنيويّة .

و قال ابن أبي الحديد : الظاهر أنّه عليه السّلام يؤميء في قوله « لم أردّ على اللَّه . . . الخ » إلى أمور وقعت عن غيره . 1081 ثمّ ذكر أمورا كثيرة من مخالفات عمر و معارضاته لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله .

و قال في قوله عليه السّلام « و لقد واسيته بنفسي » يقال : « واسيته و آسيته » و بالهمزة أفصح . و هذا ممّا اختصّ عليه السّلام بفضيلته غير مدافع ،

ثبت معه يوم أحد و فرّ الناس ، و ثبت معه يوم حنين و فرّ الناس ، و ثبت معه تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها و فرّ من كان بعث بها قبله . 1082 انتهى .

(1081) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 180 182 .

(1082) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص 180 182 .

و قال الجوهريّ : « نكص ينكص » رجع . و « نجدة » منصوب على المصدر لفعل محذوف ، و هي الشجاعة . « و إن رأسه لعلى صدري » قيل : لعلّه أسنده إلى صدره عند اشتداد علّته ، أو كان رأسه صلّى اللّه عليه و آله على ركبته فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه . و قد يقال : المراد بسيلان النفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس . و قيل : أراد بنفسه دمه ، يقال : إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قاء عند وفاته دما يسيرا و أنّ عليّا عليه السّلام مسح بذلك وجهه .

و لا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخصّص دم الرسول صلّى اللّه عليه و آله .

و « الضجيج » الصياح عند المكروه ، و الجزع . و « الهينمة » الكلام الخفيّ لا يفهم . و « الصلاة » تحتمل الحقيقة و الدعاء . و انتصاب قوله « حيّا و ميّتا » بالحاليّة من الضمير المجرور في « به » ، لا عن الضمير في « منّي » كما لا يخفى . قوله عليه السّلام « فانفدوا » أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم . و « المزلّة » الموضع الّذي يزلّ فيه الإنسان كالمزلقة . 1083 توضيح : « المستحفظون » الضابطون لأحوال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله المطّلعون على سيرته ، أو علماء الصحابة لأنّهم استحفظوا الكتاب و السنّة . و « النجدة » الشجاعة . و « الهينمة » الكلام الخفيّ لا يفهم . 1084 بيان : « الهينمة » الكلام الخفيّ لا يفهم . 1085

(1083) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 692 ، ط كمپاني و ص 639 ، ط تبريز .

(1084) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 38 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 318 .

(1085) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 22 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 540

198 و من خطبة له عليه السلام ينبه على إحاطة علم اللّه بالجزئيات ، ثم يحث على التقوى ،

و يبين فضل الإسلام و القرآن

علم اللّه تعالى

يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ، و معاصي العباد في الخلوات ،

و اختلاف النّينان (2790) في البحار الغامرات ، و تلاطم الماء بالرّياح العاصفات . و أشهد أنّ محمّدا نجيب اللّه (2791) ، و سفير وحيه ،

و رسول رحمته .

الوصية بالتقوى

أما بعد ، فإنّي أوصيكم بتقوى اللّه الّذي ابتداء خلقكم ، و إليه يكون معادكم ، و به نجاح طلبتكم ، و إليه منتهى رغبتكم ، و نحوه قصد سبيلكم ، و إليه مرامي مفزعكم (2792) . فإنّ تقوى اللّه دواء داء قلوبكم ، و بصر عمى أفئدتكم ، و شفاء مرض أجسادكم ، و صلاح فساد صدوركم ، و طهور دنس أنفسكم ، و جلاء عشا أبصاركم ،

و أمن فزع جأشكم (2793) ، و ضياء سواد ظلمتكم . فاجعلوا طاعة اللّه شعارا (2794) دون دثاركم (2795) ، و دخيلا دون شعاركم ، و لطيفا بين أضلاعكم ، و أميرا فوق أموركم ، و منهلا (2796) لحين ورودكم ،

و شفيعا لدرك (2797) طلبتكم (2798) ، و جنّة (2799) ليوم فزعكم ، و مصابيح

[380]

لبطون قبوركم ، و سكنا لطول وحشتكم ، و نفسا لكرب مواطنكم .

فإنّ طاعة اللّه حرز من متالف مكتنفة ، و مخاوف متوقّعة ، و أوار (2800) نيران موقدة . فمن أخذ بالتّقوى عزبت (2801) عنه الشّدائد بعد دنوها ،

و احلولت له الأمور بعد مرارتها ، و انفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها ،

و أسهلت له الصّعاب بعد إنصابها (2802) ، و هطلت عليه الكرامة بعد قحوطها ، و تحدّبت (2803) عليه الرّحمة بعد نفورها ، و تفجرت عليه النّعم بعد نضوبها (2804) ، و وبلت عليه البركة بعد إرذاذها (2805) .

فاتّقوا اللّه الّذي نفعكم بموعظته ، و وعظكم برسالته ، و امتنّ عليكم بنعمته . فعبّدوا أنفسكم لعبادته ، و اخرجوا إليه من حقّ طاعته .

فضل الاسلام

ثمّ انّ هذا الإسلام دين اللّه الّذي اصطفاه لنفسه ، و اصطنعه على عينه . و أصفاه (2806) خيرة خلقه ، و أقام دعائمه على محبّته . أذلّ الأديان بعزّته ، و وضع الملل برفعه ، و أهان أعداءه بكرامته ، و خذل محادّية (2807) بنصره ، و هدم أركان الضّلالة بركنه (2808) . و سقى من عطش من حياضه . و أتاق (2809) الحياض بمواتحه (2810) . ثمّ جعله لا انفصام

[381]

لعروقه ، و لا فكّ لحلقته ، و لا انهدام لأساسه ، و لا زوال لدعائمه ،

و لا انقلاع لشجرته ، و لا انقطاع لمدّته ، و لا عفاء (2811) لشرائعه ،

و لا جذّ (2812) لفروعه ، و لا ضنك (2813) لطرقه ، و لا وعوثة (2814) لسهولته . و لا سواد لوضحه (2815) ، و لا عوج لانتصابه ، و لا عصل (2816) في عوده ، و لا وعث (2817) لفجّة (2818) ، و لا انطفاء لمصابيحه ، و لا مرارة لحلاوته . فهو دعائم أساخ (2819) في الحقّ أسناخها (2820) ،

و ثبت لها آساسها . و ينابيع غزرت عيونها . و مصابيح شبّت نيرانها (2821) ، و منار (2822) اقتدى بها سفّارها (2823) ، و أعلام (2824) قصد بها فجاجها ، و مناهل روي بها ورّادها . جعل اللّه فيه منتهى رضوانه ، و ذروة دعائمه ، و سنام طاعته ، فهو عند اللّه وثيق الأركان ،

رفيع البنيان ، منير البرهان ، مضيء النّيران ، عزيز السّلطان .

مشرف المنار (2825) ، معوذ المثار (2826) . فشرّفوه و اتّبعوه ، و أدّوا إليه حقّه ، وضعوه مواضعه .

بيان

« الاصطفاء » الاختيار ، أي اختراه لأن يكون طريقا إلى طاعته و سبيلا إلى جنّته . و « الاصطناع » افتعال من « الصنيعة » و هي العطيّة و الكرامة و الاحسان ، و « اصطنعه » أي اختاره و اتّخذه صنيعة و « اصطنع خاتما » أي أمر أن يصنع له . و قال بعض شرّاح النهج : تقول : « اصنع لي كذا علي عيني » أي اصنعه صنعة كالتي تصنعها و أنا حاضر أشاهدها بعيني ، فالمعنى : أمر بأن يصنع الاسلام كالمصنوع المشاهد للأمر أي اسس قواعده على ما ينبغي و على علم منه بدقائقه ، و

[382]

قبل : أي على علم منه بشرفه و فضله . و قيل : أي اختاره أو أمر بأن يصنع حافظا له كما يقال في الدعاء بالحفظ و الحياطة : « عين اللّٰه عليك » . و « على » يفيد الحال على الوجوه . و « اصطفيت الشيء » أي آثرته و « اصطفيته الودّ » أي أخلصته .

« و أصفاه خيرة خلقه » أي آثر و اختار للبعثة به خيرة خلقه ، أو جعل خيرة خلقه خالصا لتبليغه دون غيره . و « الخيرة » بالكسر و كعنبة ، الاسم من « الاختيار » . و « الدعامة » بالكسر ، عماد البيات . و الضمير في « محبّته » للاسلام أو للّٰه . و « ذلّة الأديان » نسخها ، أو المراد ذلّة أهلها . و كذا « وضع الملل » و هو الحطّ ضدّ الرفع يحتملهما . و « خذله » كنصره ترك نصرته . و « المحادّة » المخالفة و منع ما يجب عليك من الحدّ بمعنى المنع . و « ركن الشيء » جانبه الّذي يستند إليه و يقوم به ، و « أركان الضلالة » العقائد المضلّة أو رؤساء أهل الضلال أو الأصنام . و « ركنه » أصوله و قواعده أو النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله أو كلمة التوحيد . و « حياضه » قوانينه أو النبيّ و الأئمّة صلوات اللّٰه عليهم أو العلماء أيضا و ماءها العلم و الهداية . و « تنق الحوض » كفرح أي امتلأ ، و « أتأقه » أملأه . و « الماتح » المستقي الّذي يستخرج الدلو . و « الحياض » هنا المستفيدون و « مواتحه » الأئمّة الآخذون شرائعه عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله أو المستنبطون من القرآن ، أو العلماء المستنبطون معالم الكتاب و السنّة بأفكارهم ، أو الآخذون عن النبيّ و الأئمة عليهم السّلام . و يحتمل أن يراد بالحياض القواعد و بالمواتح المؤسّسون لها بأمر اللّٰه المبينون لها للمستضيئين بأنوارهم ، أو يراد بالحياض أولي العلم عليهم السّلام الّذين ملأ اللّٰه صدورهم من زلال المعرفة و الهداية و بالمواتح المبلّغون عن اللّٰه من الملائكة و روح القدس و الالهامات الربّانيّة .

و « الانفصام » الانكسار أو من غير إبانة ، و « العروة » من الدلو و الكوز المقبض . و « الفكّ » الفصل . و « العفاء » الدروس و ذهاب الأثر . و « الشريعة » ما شرع اللّٰه لعباده أي سنّ و أوضح . و « الجذّ » بالجيم و الذال المعجمة ، القطع أو القطع المستأصل ، و في بعض النسخ بالحاء المهملة و هو القطع ، و في بعضها بالجيم و الدال

المهملة و هو القطع أيضا و الفعل في الجميع ك « مدّ » . و « الضنك » الضيق . و « وعوثة الطريق » تعسّر سلوكه ، و أصله من « الوعث » و هو الرمل ، و المشي فيه يشتدّ و يشقّ و منه « و عثاء السفر » لشدّته و مشقّته ، و عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله : « بعثت إليكم بالحنيفيّة السمحة السهلة البيضاء » .

و « الوضح » بالتحريك ، البياض و بياض الاسلام صفاءه عن كدر الباطل . و « نصبت الشيء » أي أقمته و رفعته فانتصب . و « العصل » بالتحريك ،

الاستواء و الاعوجاج أو الاعوجاج في صلابة . و « الفجّ » الطريق الواسع بين الجبلين .

و « طفئت النار كفرح و انطفأت » أي ذهب لهبها .

و « حلاوة الدين » لذّة القرب من اللّٰه و النعيم الدائم . و « ساخ الشيء في الأرض » أي غاب و غار . و « السنخ » بالكسر الأصل . و « الأساس » كسحاب أصل البناء . و « الينبوع » العين ينبع منه الماء أي يخرج ، و قيل : الجدول الكثير الماء و هو أنسب . و « غزر العين » ككرم أي كثر ماؤه . و « شبّت النار » على المعلوم و المجهول ، توقّدت ، لازم متعدّ ، و لا يقال : « شابّة » بل مشبوبة ، و في النسخ على المجهول . و « النيران » جمع « نار » . و « المنار » جمع « منارة » و هو العلم يهتدى به ، و قيل : « المنار و المنارة » موضع النور . و « سفر الرجل » كنصر أي خرج للارتحال فهو سافر . و « الفجّ » الطريق الواسع الواضح بين جبلين . و « المنهل » المشرب و الموضع الّذي فيه المشرب . و « روي » كرضي ضدّ العطش . و « الورّاد » الّذين يردون الماء ضدّ الصادرين . و « ذروة الشيء » بالضمّ و الكسر ، أعلاه ، و كذلك « السنام » كسحاب مأخوذ من سنام البعير . و « الوثيق » المحكم الثابت . و « ركن الشيء » بالضمّ جانبه . و « البنيان » ما يبني و مصدر « بنيت الدار و غيره » . و « البرهان » الحجّة . و « العزّة » القوّة و الغلبة و ضدّ الذلّة . و « السلطان » يحتمل الحجّة و السلطنة . و « أشرف الموضع » أي ارتفع . و « أعوزه الشيء » أي احتاج إليه فلم يقدر عليه و « أعوز فلان » إذا افتقر و « أعوزه الدهر » أي أحوجه .

و « ثار الغبار » هاج وسطع ، و « ثار به الناس » و ثبوا عليه ، و « ثار فلان إلى

الشرّ » أي نهض ، و « المثار » الموضع و المصدر . قيل : أي يعجز النّاس إثارته و إزعاجه لقوّته و ثباته ، و قال بعضهم : أي يعجز الخلق إثارة دفائنه و ما فيه من كنوز الحكمة و لا يمكنهم استقصاؤها . و روى بعض : « معوز المثال » باللاّم ، أي يعجز الخلق عن الإتيان بمثله .

« فشرّفوه » أي عدّوه شريفا و اعتقدوه كذلك . و كذلك عظّموه . و « أداء حقّه » الاتّباع الكامل . و « وضعه مواضعه » الكفّ عن تغيير أحكامه و العلم بمرتبته و مقداره الّذي جعله اللّه له ، أو العمل بجميع ما تضمّنه من الأوامر و النواهي . 1086

الرسول الاعظم

ثمّ إنّ اللّه سبحانه بعث محمدا صلّى اللّه عليه و آله بالحقّ حين دنا من الدّنيا الانقطاع ، و أقبل من الاخرة الاطّلاع (2827) ،

و أظلمت بهجتها بعد إشراق ، و قامت بأهلها على ساق ، و خشن منها مهاد (2828) ، و أزف منها قياد (2829) ، في انقطاع من مدّتها ، و اقتراب من أشراطها (2830) ، و تصرّم (2831) من أهلها ، و انفصام (2832) من حلقتها ، و انتشار (2833) من سببها ، و عفاء من أعلامها (2834) ، و تكشف من عوراتها ، و قصر من طولها .

جعله اللّه بلاغا لرسالته ، و كرامة لأمّته ، و ربيعا لأهل زمانه ،

و رفعة لأعوانه ، و شرفا لأنصاره .

(1086) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 68 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 344 .

بيان

« على ساق » أي على شدّة . و « المهاد » الفراش . قوله عليه السّلام « و أزف منها قياد » أي قرب منها انقياد للانقطاع و الزوال . و « أشراط الساعة » علاماتها . و « التصرّم » الانقضاء . و « الانفصام » الانقطاع . و كنّى بالحلقة عن نظامها و اجتماع أهلها بالنواميس و الشرائع . و « السبب » كلّ شيء يتوصّل به إلى غيره ، و انتشاره كناية عن فساد أسباب ذلك النظام . و « العفاء » الدروس و الهلاك . و يمكن أن يكون المراد بالأعلام العلماء و الصلحاء . قوله « من طولها » أي من امتدادها ، و قريء الطول بكسر الطاء و فتح الواو بمعنى الحبل . 1087

القرآن الكريم

ثمّ أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه ، و سراجا لا يخبو (2835) توقّده ، و بحرا لا يدرك قعره ، و منهاجا (2836) لا يضلّ نهجه (2837) ، و شعاعا لا يظلم ضوؤه ، و فرقانا لا يخمد برهانه ،

و تبيانا لا تهدم أركانه ، و شفاء لا تخشى أسقامه ، و عزّا لا تهزم أنصاره ، و حقّا لا تخذل أعوانه . فهو معدن الإيمان و بحبوحته (2838) ،

و ينابيع العلم و بحوره ، و رياض (2839) العدل و غدرانه (2840) ، و أثا فيّ (2841) الإسلام و بنيانه ، و أودية الحقّ و غيطانه (2842) . و بحر لا ينزفه المستنزفون (2843) ، و عيون لا ينضبها الماتحون (2844) ، و مناهل (2845) لا يغيضها (2846) الواردون ، و منازل لا يضلّ نهجها المسافرون ، و أعلام لا يعمى عنها السّائرون ، و آكام (2847) لا يجوز عنها (2848) القاصدون .

(1087) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ص 225 .

[386]

جعله اللّه ريّا لعطش العلماء ، و ربيعا لقلوب الفقهاء ، و محاج (2849) لطرق الصّلحاء ، و دواء ليس بعده داء ، و نورا ليس معه ظلمة ،

و حبلا وثيقا عروته ، و معقلا منيعا ذروته ، و عزّا لمن تولاّه ، و سلما لمن دخله ، و هدى لمن ائتمّ به ، و عذرا لمن انتحله ، و برهانا لمن تكلّم به ، و شاهدا لمن خاصم به ، و فلجا (2850) لمن حاجّ به ،

و حاملا لمن حمله ، و مطيّة لمن أعمله ، و آية لمن توسّم ، و جنّة (2851) لمن أستلأم (2852) ، و علما لمن وعى ، و حديثا لمن روى ، و حكما لمن قضى (2853) .

199 و من كلام له عليه السلام كان يوصي به اصحابه

تعاهدوا أمر الصّلاة ، و حافظوا عليها ، و استكثروا منها ، و تقرّبوا بها ، فإنّها « كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » . ألا تسمعون إلى جواب أهل النّار حين سئلوا : « ما سلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلّين » . و إنّها لتحتّ الذّنوب حتّ (2854) الورق ، و تطلقها إطلاق الرّبق (2855) ، و شبّهها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالحمّة (2856) تكون على باب الرجل ، فهو يغتسل منها في اليوم

[387]

و اللّيلة خمس مرّات ، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن (2857) ؟ و قد عرف حقّها رجال من المؤمنين الّذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ، و لا قرّة عين من ولد و لا مال . يقول اللّه سبحانه : « رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر اللّه و إقام الصّلاة و إيتاء الزّكاة » . و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نصبا (2858) بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة ، لقول اللّه سبحانه : « و أمر أهلك بالصّلاة و اصطبر عليها » ،

فكان يأمر بها أهله و يصبر عليها نفسه .

توضيح

« الحتّ » نثر الورق من الغصن . و « الربق » جمع « الربقة » و هي في الأصل عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة و يدها يمسكها ، ذكره الجزري ، أي تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة .

و قال في العين : « الحمّة » عين ماء حارّ . و قيل : التاء في « إقامة » عوض عن العين الساقطة للإعلال ، فإنّ أصله « إقوام » مصدر « أقوم » كقولك « أعرض إعراضا » فلمّا أضيف أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت التاء . قوله عليه السّلام « و يصبّر عليها نفسه » أي يحبس ، قال تعالى : « و اصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم » (النور : 37) . 1088

الزكاة

ثمّ إنّ الزّكاة جعلت مع الصّلاة قربانا لأهل الإسلام ، فمن أعطاها طيّب النّفس بها ، فإنّها تجعل له كفّارة ، و من النّار حجازا و وقاية .

(1088) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، كتاب الصلاة ، ص 224 .

[388]

فلا يتبعنّها أحد نفسه ، و لا يكثرنّ عليها لهفه ، فإنّ من أعطاها غير طيّب النّفس بها ، يرجوا بها ما هو أفضل منها ، فهو جاهل بالسّنّة ،

مغبون (2859) الأجر ، ضالّ العمل ، طويل النّدم .

الامانة

ثمّ أداء الأمانة ، فقد خاب من ليس من أهلها . إنّها عرضت على السّماوات المبنيّة ، و الأرضين المدحوّة (2860) ، و الجبال ذات الطّول المنصوبة . فلا أطول و لا أعرض ، و لا أعلى و لا أعظم منها . و لو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لامتنعن ، و لكن أشفقن من العقوبة ، و عقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ ، و هو الإنسان ، « إنّه كان ظلوما جهولا » .

علم اللَّه تعالى

إنّ اللَّه سبحانه و تعالى لا يخفى عليه ما العباد مقترفون (2861) في ليلهم و نهارهم . لطف به خبرا (2862) ، و أحاط به علما أعضاؤكم شهوده ، و جوارحكم جنوده ، و ضمائركم عيونه ، و خلواتكم عيانه (2863)

[389]

200 و من كلام له عليه السلام في معاوية

و اللَّه ما معاوية بأدهى منّي ، و لكنّه يغدر و يفجر . و لو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى النّاس ، و لكن كلّ غدرة فجرة ، و كلّ فجرة كفرة . « و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة » .

و اللَّه ما استغفل بالمكيدة ، و لا استغمز بالشّديدة (2864)

بيان

« الغمز » العصر باليد و الكبس ، أي لا ألين بالخطب الشديد ، بل اصبر عليه ، و يروى بالراء المهملة ، أي لا أستجهل بشدائد المكاره . 1089

201 و من كلام له عليه السلام يعظ بسلوك الطريق الواضح

أيّها النّاس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله ، فإنّ النّاس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير ، وجوعها طويل .

أيّها النّاس إنّما يجمع النّاس الرّضى و السّخط (2865) . و إنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم اللَّه بالعذاب لمّا عمّوه بالرّضى ، فقال سبحانه : « فعقروها فأصبحوا نادمين » ، فما كان إلاّ أن خارت (2866)

(1089) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 40 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 193 .

[390]

أرضهم بالخسفة خوار السّكّة المحماة (2867) في الارض الخوارة (2868) أيها النّاس ، من سلك الطّريق الواضح ورد الماء ، و من خالف وقع في التّيه

بيان

لما كانت العادة جارية بأن يستوحش الناس من الوحدة و قلّة الرفيق في الطريق لا سيّما إذا كان طويلا صعبا غير مأنوس ، فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق و كنّى به عمّا عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بأنّهم ليسوا على الحقّ لقلّتهم و كثرة مخالفيهم ، كما أشرنا إليه .

و أيضا قلّة العدد في الطرق الحسية مظنّة الهلاك و السلامة مع الكثرة ،

فنبّههم عليه السلام على أنّهم في طريق الهدى و السلامة و إن كانوا قليلين ، و لا يجوز مقايسة طرق الآخرة بطرق الدنيا .

ثمّ نبّه على علّة قلّة أهل طريق أهل الهدى و هي اجتماع الناس على الدنيا فقال : « فإنّ النّاس » ، و استعار للدنيا المائدة لكونهما مجتمع اللذّات ، و كنّى عن قصر مدتها بقصر شبعها ، و عن استعقاب الانهماك فيما للعذاب الطويل في الآخرة بطول جوعها .

قيل : و لفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت إلى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانيّة و هو بسبب الغفلة في الدنيا ، فلذلك نسب الجوع إليها . 1090 بيان : « الخوار » صوت البقر . و « السكة » هي الّتي يحرث بها . و « المحماة » أقوى صوتا و أسرع غوصا . 1091

(1090) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 67 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 158 .

(1091) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 11 ، كتاب النبوّة ، ص 379 .

[391]

202 و من كلام له عليه السلام روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام ، كالمناجي به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عند قبره

السّلام عليك يا رسول اللّه عنّي ، و عن ابنتك النّازلة في جوارك ،

و السّريعة اللّحاق بك قلّ ، يا رسول اللّه ، عن صفيّتك صبري ، و رق عنها تجلّدي ، إلاّ أنّ في التّأسّي (2869) لي بعظيم فرقتك ، و فادح (2870) مصيبتك ، موضع تعزّ (2871) ، فلقد وسّدتك في ملحودة (2872) قبرك ،

و فاضت بين نحري و صدري نفسك ، « فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون » .

فلقد استرجعت الوديعة ، و أخذت الرّهينة أمّا حزني فسرمد ، و أمّا ليلي فمسهّد ، (2873) إلى أن يختار اللّه لي دارك الّتي أنت بها مقيم .

و ستنبّئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها (2874) ، فأحفها (2875) السّؤال ،

و استخبرها الحال ، هذا و لم يطل العهد ، و لم يخل منك الذّكر ،

و السّلام عليكما سلام مودّع ، لا قال (2876) و لا سئم (2877) ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصّابرين .

[392]

203 و من كلام له عليه السلام في التزهيد من الدنيا و الترغيب في الاخرة

أيّها النّاس ، إنّما الدّنيا دار مجاز (2878) ، و الآخرة دار قرار ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ، و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ،

و أخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها اختبرتم ، و لغيرها خلقتم . إنّ المرء إذا هلك قال النّاس : ما ترك ؟

و قالت الملائكة : ما قدّم ؟ للّه آباؤكم فقدّموا بعضا يكن لكم قرضا ، و لا تخلفوا كلاّ فيكون فرضا عليكم .

204 و من كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به أصحابه

تجهّزوا رحمكم اللّه فقد نودي فيكم بالرّحيل ، و أقلّوا العرجة (2879) على الدّنيا ، و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد فإنّ أمامكم عقبة كؤودا (2880) ، و منازل مخوفة مهولة ، لا بدّ من الورود عليها ،

و الوقوف عندها . و اعلموا أنّ ملاحظ المنيّة (2881) نحوكم دانية (2882) ،

و كأنّكم بمخالبها و قد نشبت (2883) فيكم ، و قد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ، و معضلات المحذور . فقطّعوا علائق الدّنيا و استظهروا (2884)

[393]

بزاد التّقوى . و قد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم ، بخلاف هذه الرواية .

205 و من كلام له عليه السلام كلم به طلحة و الزبير بعد بيعته بالخلافة و قد عتبا عليه من ترك مشورتهما ،

و الاستعانة في الأمور بهما

لقد نقمتما (2885) يسيرا ، و أرجاتما (2886) كثيرا . ألا تخبراني ،

أي شيء كان لكما فيه حقّ دفعتكما عنه ؟ أم أيّ قسم استأثرت عليكما به ؟ أم أيّ حقّ رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه ، أم جهلته ، أم أخطأت بابه و اللّه ما كانت لي في الخلافة رغبة ، و لا في الولاية إربة (2887) ،

و لكنّكم دعوتموني إليها ، و حملتموني عليها ، فلمّا أفضت إليّ نظرت إلى كتاب اللّه و ما وضع لنا ، و أمرنا بالحكم به فاتّبعته ، و ما استنّ النّبيّ ، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فاقتديته ، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ، و لا رأي غيركما ، و لا وقع حكم جهلته ، فأستشيركما و إخواني من المسلمين ، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما ، و لا عن غيركما . و أمّا ما ذكرتما من أمر الأسوة (2888) ، فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ، و لا وليته هوى منّي ، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به

[394]

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد فرغ منه ، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ اللّه من قسمه ، و أمضى فيه حكمه ، فليس لكما ، و اللّه ، عندي و لا لغير كما في هذا عتبى (2889) . أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ ، و ألهمنا و إيّاكم الصّبر .

ثم قال عليه السلام ، رحم اللّه رجلا رأى حقا فأعان عليه ، أو رأى جورا فردّه ، و كان عونا بالحقّ على صاحبه .

توضيح

قال في النهاية : « نقم » إذا بلغت به الكراهة حدّ السخط . و قال ابن أبي الحديد : أي نقمتما من أحوالي اليسير و تركتما الكثير الّذي ليس لكما و لا لغيركما فيه مطعن فلم تذكراه ، فهلاّ اغتفرتما اليسير للكثير ؟ و ليس هذا اعترافا بأنّ ما نقماه موضع الطعن و العيب ، و لكنه على جهة الاحتجاج . 1092 و قال ابن ميثم : أشار باليسير الّذي نقماه إلى ترك مشهورتهما و تسويتهما لغيرهما في العطاء ، فإنّه و إن كان عندهما صعبا فهو لكونه غير حقّ في غاية السهولة .

و الكثير الّذي أرجاه ما أخّراه من حقّه و لم يوفياه إيّاه . 1093 و قال ابن ميثم : أشار باليسير الّذي نقماه إلى ترك مشهورتهما و تسويتهما لغيرهما في العطاء ، فإنّه و إن كان عندهما صعبا فهو لكونه غيرى حقّ في غاية السهولة .

و الكثير الّذي أرجاه ما أخّراه من حقّه و لم يوفياه إيّاه . 1093 و قيل يحتمل أن يريد أنّ الذي أبدياه و نقماه بعض ممّا في أنفسهما ، و قد دلّ ذلك على أنّ في أنفسهما أشياء كثيرة لم يظهراه .

و « الاستئثار » الانفراد بالشيء . و دفع الحقّ عنهما أعمّ من أن يصير إليه عليه السّلام أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل بقي بحاله في بيت المال . و « الاستئثار عليهما به » هو أن يأخذ حقّهما لنفسه . و جهل الحكم أن يكون اللّه قد حكم بحرمة شيء فأحلّه الإمام ، و جهل الباب 1094 أن يصيب في الحكم و يخطيء في الاستدلال ،

(1092) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 11 ، ص 8 ، ط بيروت .

(1093) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 10 ، ط بيروت .

(1094) كذا ، و الصواب هو أن يكون : و خطأ الباب .

أو يكون جهل الحكم بمعنى التحيّر فيه و أن لا يعلم كيف يحكم و الخطأ في الباب أن يحكم بخلاف الواقع ، و « الإربة » بالكسر ، الحاجة . و « الأسوة » بالضمّ و الكسر ،

القدوة ، أي أسوتكما بغيركما في العطاء . و يقال للأمر الّذي لا يحتاج إلى تكميل : مفروغ منه و « العتبى » الرجوع من الذنب و الإساءة . 1095

206 و من كلام له عليه السلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين ، و لكنّكم لو وصفتم أعمالهم ،

و ذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، و أبلغ في العذر ، و قلتم مكان سبّكم إيّاهم : اللّهمّ احقن دماءنا و دماءهم ، و أصلح ذات بيننا و بينهم ، و اهدهم من ضلالتهم ، حتّى يعرف الحقّ من جهله ،

و يرعوي (2890) عن الغيّ و العدوان من لهج به (2891) .

بيان

قوله عليه السّلام « و أبلغ في العذر » أي العذر في القتال معهم ،

أو في إتمام الحجّة عليهم و إبداء عذر اللّه تعالى في عقابهم . و في النهاية : « حقنت دمه » إذا منعت من قتله . و « أراقته » أي جمعته له و حبسته عليه . و « يرعوي » أي يرجع و يكفّ . و « اللهج بالشيء » الولوع به ، و « قد لهج » بالكسر ، أغري به . 1096

(1095) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 401 ، ط كمباني و ص 376 ، ط تبريز .

(1096) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 559 ، ط كمباني و ص 472 ، ط تبريز .

207 و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين و قد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب

املكوا (2892) عنّي هذا الغلام لا يهدّني (2893) ، فإنّني أنفس (2894) بهذين يعني الحسن و الحسين عليهما السّلام على الموت لئلاّ ينقطع بهما نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم . قال السيد الشريف : و قوله عليه السلام « املكوا عني هذا الغلام » من أعلى الكلام و افصحه .

بيان

في أكثر النسخ : « أملكوا » بفتح الهمزة . و قال ابن أبي الحديد : الألف في « املكوا » ألف وصل لأنّ الماضي ثلاثيّ من « ملكت الفرس و الدار أملك » بالكسر ، أي احجروا عليها كما يحجر المالك على مملوكه . و « عن » متعلّقة بمحذوف ،

تقديره : استولوا عليه و أبعدوه عنّي . و لمّا كان الملك سبب الحجر عبّر بالسبب عن المسبّب . و وجه علوّ هذا الكلام و فصاحته أنّه لما كان في « املكوا » معنى البعد أعقبه ب « عن » ، و ذلك أنّهم لا يملكونه دونه عليه السّلام إلاّ و قد أبعدوه عنه . 1097 قوله عليه السّلام « يهدّني » أي لئلا يهدّني ، و « هدّ البناء » كسره و « نفست به » بالكسر ، أي بخلت به . 1098

208 و من كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أيّها النّاس ، إنّه لم يزل أمري معكم على ما أحبّ ، حتّى نهكتكم (2895)

(1097) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 11 ، ص 25 ، ط بيروت .

(1098) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 559 ، و ص 472 ط كمباني و ، ط تبريز .

الحرب ، و قد ، و اللّه ، أخذت منكم و تركت ، و هي لعدوّكم أنهك .

لقد كنت أمس أميرا ، فأصبحت اليوم مأمورا ، و كنت أمس ناهيا ، فأصبحت اليوم منهيّا ، و قد أحببتم البقاء ، و ليس لي أن أحملكم على ما تكرهون

بيان

قال الجوهريّ : « نهكت الثوب بالفتح نهكا » لبسته حتّى خلق ،

و « نهكت من الطعام » بالغت في أكله و « نهكته الحمّى » إذا جهدته و أضنته و نقضت لحمه ، و فيه لغة أخرى : نهكته الحمّى بالكسر تنهكه نهكا و نهكة .

قوله عليه السّلام « و تركت » أن لم يستأصلكم بل فيكم بعد بقيّة . « و هي لعدوّكم أنهك » لأنّ القتل في أهل الشام كان أشدّ استحرارا ، و الوهن فيهم أظهر .

قوله عليه السّلام « و ليس لي أن أحملكم » أي لا قدرة لي عليه و إن كان يجب و عليكم إطاعتي . 1099

209 و من كلام له عليه السلام بالبصرة ، و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثي و هو من أصحابه يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

ما كنت تصنع بسعة هذه الدّار في الدّنيا ، و أنت إليها في الآخرة كنت أحوج ؟ و بلى إن شئت بلغت بها الآخرة : تقري فيها الضّيف ،

و تصل فيها الرّحم ، و تطلع (2896) منها الحقوق مطالعها ، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة .

(1099) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 545 ، ط تبريز .

[398]

فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ، أشكو أليك أخي عاصم بن زياد . قال : و ما له ؟ قال :

لبس العباءة و تخلى عن الدنيا . قال : عليّ به . فلما جاء قال :

يا عديّ (2897) نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك و ولد أترى اللَّه أحلّ لك الطّيّبات ، و هو يكره أن تاخذها أنت أهون على اللّه من ذلك قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك و جشوبة مأكلك قال : ويحك ، إنّي لست كأنت ، إنّ اللّه تعالى فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم (2898) بضعفة النّاس ، كيلا يتبيّغ (2899) بالفقير فقره

بيان

قوله « كنت أحوج » ، « كنت » ههنا زائدة ، مثل قوله تعالى :

« من كان في المهد صبيا » 1100 . و « مطالع الحقوق » وجوهها الشرعيّة . قوله عليه السّلام « عليّ به » أي أحضره ، و الأصل : اعجل به عليّ ، فحذف لعل الأمر و دلّ الباقي عليه . و « العديّ » تصغير عدوّ ، و قيل : إنّما صغّره من جهة حقارة فعله ذلك لكونه عن جهل منه ، و قيل : أريد به الاستعظام لعداوته لها ، و قيل : خرج مخرج التحنّن و الشفقة كقولهم « يا بنيّ » . قوله « لقد استهام بك الخبيث » أي جعلك الشيطان هائما ضالاّ ، و الباء زائدة . و « طعام جشب » أي غليظ . و « تبيّغ الدم بصاحبه » إذا هاج . 1101

(1100) مريم : 29 .

(1101) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 40 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 336 .

[399]

210 و من كلام له عليه السلام و قد سأله سائل عن أحاديث البدع ، و عما في أيدي الناس من اختلاف الخبر ، فقال عليه السلام :

إنّ في أيدي النّاس حقّا و باطلا ،

و صدقا و كذبا ، و ناسخا و منسوخا ،

و عامّا و خاصّا ، و محكما و متشابها ، و حفظا و وهما . و لقد كذب على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم على عهده ، حتّى قام خطيبا ،

فقال : « من كذب عليّ معتمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار » .

و إنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس :

المنافقون

رجل منافق مظهر للإيمان ، متصنّع بالإسلام ، لا يتأثّم (2900) و لا يتحرّج (2901) ، يكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متعمّدا ، فلو علم النّاس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ، و لم يصدّقوا قوله ، و لكنّهم قالوا : صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رآه ، و سمع منه ، و لقف عنه (2902) ، فيأخذون بقوله ، و قد أخبرك اللّه عن المنافقين بما أخبرك ، و وصفهم بما وصفهم به لك ، ثمّ بقوا بعده ، فتقرّبوا إلى أئمّة الضّلالة ، و الدّعاة

[400]

إلى النّار بالزّور و البهتان ، فولّوهم الأعمال ، و جعلوهم حكّاما على رقاب النّاس ، فأكلوا بهم الدّنيا ، و إنّما النّاس مع الملوك و الدّنيا ،

إلاّ من عصم اللّه ، فهذا أحد الأربعة .

الخاطئون

و رجل سمع من رسول اللّه شيئا لم يحفظه على وجهه ، فوهم (2903) فيه ، و لم يتعمّد كذبا ، فهو في يديه ، و يرويه و يعمل به ، و يقول :

أنا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه لم يقبلوه منه ، و لو علم هو أنّه كذلك لرفضه

اهل الشبهة

و رجل ثالث ، سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيئا يأمر به ، ثمّ إنّه نهى عنه ، و هو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ، ثمّ أمر به و هو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ، و لم يحفظ النّاسخ ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضة ، و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه .

الصادقون الحافظون

و آخر رابع ، لم يكذب على اللّه ، و لا على رسوله ، مبغض

[401]

للكذب خوفا من اللّه ، و تعظيما لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و لم يهم (2904) ، بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به على ما سمعه ، لم يزد فيه و لم ينقص منه ، فهو حفظ النّاسخ فعمل به ، و حفظ المنسوخ فجنّب عنه (2905) ، و عرف الخاصّ و العامّ ،

و المحكم و المتشابه (2906) ، فوضع كلّ شيء موضعه .

و قد كان يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكلام له وجهان : فكلام خاصّ ، و كلام عامّ ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى اللّه ، سبحانه ، به ، و لا ما عنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيحمله السّامع ، و يوجّهه على غير معرفة بمعناه ، و ما قصد به ، و ما خرج من أجله ، و ليس كلّ أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كان يسأله و يستفهمه ، حتى إن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي و الطّارىء ، فيسأله عليه السّلام حتّى يسمعوا ، و كان لا يمرّ

بي من ذلك شيء إلاّ سألته عنه و حفظته فهذه وجوه ما عليه النّاس في اختلافهم ، و عللهم في رواياتهم . ل : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ و عمر بن أذينة ، عن أبان بن أبي عيّاش ، عن سليم بن قيس الهلاليّ قال : قلت لأمير المؤمنين عليه السّلام : يا أمير المؤمنين إنّي سمعت من سلمان و المقداد و أبي

[402]

ذرّ شيئا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبيّ اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله غير ما في أيدي الناس ، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم و رأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الاحاديث عن نبي اللَّه صلى اللَّه عليه و آله أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أنّ ذلك كلّه باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله متعمّدين و يفسّرون القرآن بآرائهم ؟

قال : فأقبل عليّ عليه السّلام عليّ فقال : قد سألت فافهم الجواب إنّ في أيدي الناس حقّا و باطلا ، و صدقا و كذبا ، و ناسخا و منسوخا ، و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها ، و حفظا و وهما . و قد كذب على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله على عهده حتّى قام خطيبا فقال : « أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار » . ثمّ كذب عليه من بعده .

إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس :

رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالإسلام لا يتأثّم و لا يتحرّج أن يكذب على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله متعمّدا فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه و لم يصدّقوه ، و لكنّهم قالوا : هذا قد صحب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و رآه و سمع منه فأخذوا منه و هم لا يعرفون حاله و قد أخبر اللَّه عزّ و جلّ عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم ، فقال عزّ و جلّ : وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَولِهِمْ 1102 .

ثم بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلال و الدعاة إلى النار بالزور و الكذب و البهتان ،

فولّوهم الأعمال و حملوهم على رقاب الناس و أكلوا منهم الدنيا 1103 ، و إنّما الناس مع الملوك و الدنيا إلاّ من عصم اللَّه ، فهذا أحد الأربعة .

و رجل سمع من رسول اللَّه شيئا لم يحفظه على وجهه و وهم فيه و لم يتعمّد كذبا ، فهو في يده يقول به و يعمل به و يرويه و يقول : أنا سمعته من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ، فلو علم المسلمون أنّه و هم لم يقبلوه و لو علم هو أنه و هم لرفضة .

(1102) المنافقون : 4 .

(1103) و في نسخة : و أكلوا بهم الدنيا .

[403]

و رجل ثالث سمع من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله شيئا أمر به ثمّ نهى عنه و هو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر به و هو لا يعلم ، فحفظ منسوخه و لم يحفظ الناسخ ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه ، و لو علم المسلمون أنّه منسوخ لرفضوه .

و آخر رابع لم يكذب على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ، مبغض للكذب خوفا من اللَّه عزّ و جلّ و تعظيما لرسول اللَّه لم يسه 1104 ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه ، و علم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ و رفض المنسوخ . و إنّ أمر النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله مثل القرآن ناسخ و منسوخ و خاصّ و عامّ و محكم و متشابه ، و قد كان يكون من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله الكلام له وجهان : فكلام عامّ و كلام خاصّ مثل القرآن ، و قال اللَّه عزّ و جلّ في كتابه : « ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهيكم عنه فانتهوا » 1105 . فيشتبه على من لم يعرف و لم يدر ما

عنى الله به و رسوله ، و ليس كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله يسأله عن الشيء فيفهم ، كان منهم من يسأله و لا يستفهمه ، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابيّ و الطاري فيسأل رسول الله صلّى الله عليه و آله حتّى يسمعوا .

و كنت أدخل على رسول الله صلّى الله عليه و آله كلّ يوم دخلة و كلّ ليلة دخلة فيخلّيني فيها ، أدور معه حيثما دار . و قد علم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، و ربّما كان ذلك في بيتي 1106 يأتيني رسول الله صلّى الله عليه و آله أكثر ذلك في بيتي ، و كنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني و أقام عنّي نساءه فلا يبقى عنده غيري ، و إذا أتاني للخلوة معي في بيتي لم تقم عنه فاطمة و لا أحد من بنيّ . و كنت إذا سألته أجابني و إذا سكت عنه و فنيت مسائلي ابتدأني . فما نزلت على رسول الله صلّى الله عليه و آله آية من القرآن إلاّ أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطّي ، و علّمني تأويلها و تفسيرها ، و ناسخها و منسوخها ، و محكمها و متشابهها ، و خاصّها و عامّها ، و دعا الله لي أن يعطيني فهمها و حفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله و لا علما أملاه عليّ ، و كتبته منذ دعا الله لي بما دعاه ، و ما ترك شيئا علّمه الله من حلال و لا حرام ، أمر و لا نهي ، كان أو يكون ،

و لا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلاّ علّمنيه و حفّظنيه ،

(1104) في الخصال : لم ينسه .

(1105) الحشر : 7 .

(1106) و في نسخة : في شيء .

فلم أنس حرفا واحدا . ثمّ وضع صلّى الله عليه و آله يده على صدري و دعا الله لي أن يملأ قلبي علما و فهما و حكما و نورا ، فقلت : يا نبيّ الله بأبي أنت و أمّي إنّي منذ دعوت الله عزّ و جلّ لي بما دعوت لم أنس شيئا و لم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوّف عليّ النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا لست أخاف عليك النسيان و لا الجهل .

نهج ، ف : مرسلا مثله .

نى : ابن عقدة و محمّد بن همّام ، و عبد العزيز و عبد الواحد ابنا عبد الله بن يونس ، عن رجالهم ، عن عبد الرزّاق ، و همّام ، عن معمّر بن راشد ، عن أبان بن أبي عيّاش ، عن سليم مثله .

ج : عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال :

خطب أمير المؤمنين عليه السّلام و ساق الحديث . . . إلى أن قال :

فقال له رجل : إنّي سمعت من سلمان و أبي ذر الغفاريّ و المقداد أشياء من تفسير القرآن و الأحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه و آله .

ثمّ ذكر نحوا ممّا مرّ إلى قوله « حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله صلّى الله عليه و آله حتّى يسمعوا و كان لا يمر بي من ذلك شيء إلاّ سألت عنه و حفظته .

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم و عللهم في رواياتهم .

إيضاح

سيأتي الخبر بتمامه في باب العلّة الّتي من أجلها لم يغيّر أمير المؤمنين عليه السّلام بعض البدع . قوله عليه السّلام « حقّا و باطلا و صدقا و كذبا » ذكر الصدق و الكذب بعد الحقّ و الباطل من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ ،

لأنّ الصدق و الكذب من خواصّ الخبر ، و الحقّ و الباطل يصدقان على الأفعال أيضا ،

و قيل : الحقّ و الباطل هنا من خواصّ الرأي و الاعتقاد و الصدق و الكذب من خواصّ النقل و الرواية . قوله عليه السّلام « محكما و متشابها » المحكم في اللغة هو المضبوط المتقن و يطلق في الاصطلاح على ما اتّضح معناه و على ما كان محفوظا من النسخ أو التخصيص أو منهما معا و على ما كان نظمه مستقيما خاليا عن الخلل ، و ما لا يحتمل من

[405]

التأويل إلاّ وجها واحدا ، و يقابله بكلّ من هذه المعاني المتشابه . قوله عليه السّلام « و وهما » بفتح الهاء ، مصدر قولك « و همت » بالكسر ، أي غلطت و سهوت و قد روي : « وهما » بالتسكين ، مصدر « وهمت » بالفتح ، إذا ذهب وهمك إلى شيء و أنت تريد غيره ، و المعنى متقارب . قوله عليه السّلام « فليتبوأ » صيغة الأمر و معناه الخبر كقوله تعالى : قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً 1107 قوله عليه السّلام « متصنّع بالإسلام » أي متكلّف له و متدلّس به غير متّصف به في نفس الأمر . قوله عليه السّلام « لا يتأثّم » أي لا يكفّ نفسه عن موجب الإثم ، أو لا يعد نفسه آثما بالكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، و كذا قوله « لا يتحرّج » من الحرج بمعنى الضيق . قوله عليه السّلام « و قد أخبر اللّه عزّ و جلّ عن المنافقين » أي كان ظاهرهم ظاهرا حسنا و كلامهم ، كلاما مزيّقا مدلّسا يوجب اغترار الناس بهم و تصديقهم فيما ينقلونه عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و يرشد إلى ذلك أنّه سبحانه خاطب نبيّه صلّى اللّه عليه و آله بقوله : « و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » 1108 أي لصباحتهم و حسن منظرهم « و إن يقولوا تسمع لقولهم » 1109 أي تصغي إليه لذلاقة ألسنتهم . قوله عليه السّلام « فولّوهم الأعمال » أي أئمّة الضلال بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء المنافقين الولايات و سلّطوهم على الناس . و يحتمل العكس أيضا ، أي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا و الين على الناس و صنعوا ما شاؤوا و ابتدعوا ما أرادوا ، و لكنّه بعيد .

قوله عليه السّلام « ناسخ و منسوخ » قال الشيخ البهائي رحمه اللّه :

خبر ثان لإنّ ، أو خبر مبتدء محذوف أي بعضه ناسخ و بعضه منسوخ ، أو بدل من « مثل » و جرّه على البدليّة من القرآن ممكن ، فإن قيام البدل مقام المبدل منه غير لازم عند كثير من المحقّقين . قوله عليه السّلام « قد كان يكون » إسم كان ضمير الشأن و يكون تامّة و هي مع اسمها الخبر ، و له وجهان : نعت للكلام لأنّه في حكم النكرة ، أو حال منه ، و إن جعلت « يكون » ناقصة فهو خبرها . قوله عليه السّلام

[406]

« و قال اللّه » لعلّ المراد أنّهم لمّا سمعوا هذه الآية علموا وجوب اتّباعه صلّى اللّه عليه و آله و لمّا اشتبه عليهم مراده عملوا بما فهموا منه و أخطأوا فيه ، فهذا بيان لسبب خطاء الطائفة الثانية و الثالثة ، و يحتمل أن يكون ذكر الآية لبيان أنّ هذه الفرقة الرابعة المحقّة إنّما تتّبعوا 1110 جميع ما صدر عنه صلّى اللّه عليه و آله من الناسخ و المنسوخ و العامّ و الخاصّ ، لأنّ اللّه تعالى أمرهم باتّباعه في كلّ ما يصدر عنه . قوله عليه السّلام « فيشتبه » متفرّع على ما قبل الآية ، أي كان يشتبه كلام الرسول صلّى اللّه عليه و آله على من لا يعرف ، و يحتمل أن يكون المراد أنّ اللّه تعالى إنّما أمرهم بمتابعة الرسول صلّى اللّه عليه و آله فيما يأمرهم به من اتّباع أهل بيته و الرجوع إليهم فإنّهم كانوا يعرفون كلامه و يعلمون مرامه فاشتبه ذلك على من لم يعرف مراد اللّه تعالى و ظنّوا أنّه يجوز لهم العمل بما سمعوا منه بعده صلّى اللّه عليه و آله من غير رجوع إلى أهل بيته . قوله عليه السّلام « ما عنى اللّه به » الموصول مفعول « لم يدر » و يحتمل أن يكون فاعل « يشتبه » . قوله عليه السّلام « و لا يستفهمه » أي إعظاما له . قوله عليه السّلام « و الطاريء » أي الغريب الّذي أتاه عن قريب من غير انس به و بكلامه ، و إنّما كانوا يحبّون قدومهما إمّا لاستفهامهم و عدم استعظامهم إيّاه أو لأنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يتكلّم على وفق عقولهم فيوضحه حتّى يفهم غيرهم . قوله عليه السّلام « فيخليني فيها » من « الخلوة » يقال : « استخلى الملك فأخلاه » أي سأله أن يجتمع به في خلوة ففعل ، أو من « التخلية » أي يتركني أدور معه . قوله عليه السّلام « أدور معه حيثما دار » أي لا امنع عن شيء من خلواته ، أدخل معه أيّ مدخل يدخل فيه و أسير معه أينما سار ، أو المراد أنّي كنت محرما لجميع أسراره قابلا لعلومه ، أخوض معه في كلّ ما يخوض فيه من المعارف و كنت أوافقه في كلّ ما يتكلّم فيه و أفهم مراده . قوله عليه السّلام « تأويلها و تفسيرها » أي بطنها و ظهرها . 1111

(1110) كذا ، و هذا خطأ واضح و الصواب أن يكون : اتّبعوا .

(1111) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 328 233 .

[407]

211 و من خطبة له عليه السلام في عجيب صنعة الكون

و كان من اقتدار جبروته ، و بديع لطائف صنعته ، أن جعل من ماء البحر الزّاخر (2907) المتراكم المتقاصف (2908) ، يبسا جامدا (2909) ،

ثمّ فطر (2910) منه أطباقا (2911) ، ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها (2912) ،

فاستمسكت بأمره (2913) ، و قامت على حدّه (2914) . و أرسى أرضا يحملها الأخضر (2915) المثعنجر (2916) ، و القمقام (2917) المسخّر ، قد ذلّ لأمره ، و أذعن لهيبته ، و وقف الجاري منه لخشيته . و جبل (2918) جلاميدها (2919) ، و نشوز (2920) ، متونها (2921) و أطوادها (2922) ، فأرساها في مراسيها (2923) ، و ألزمها قراراتها (2924) ، فمضت رؤوسها في الهواء ، و رست أصولها في الماء ، فأنهد جبالها (2925) عن سهولها ، و أساخ (2926) قواعدها في متون أقطارها و مواضع أنصابها (2927) ، فأشهق قلالها (2928) ،

و أطال أنشازها (2929) ، و جعلها للأرض عمادا ، و أرزّها (2930) فيها أوتادا ، فسكنت على حركتها من أن تميد (2931) بأهلها ، أو تسيخ (2932) بحملها ، أو تزول عن مواضعها . فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها ، و أجمدها بعد رطوبة أكنافها ، فجعلها لخلقه مهادا ،

و بسطها لهم فراشا فوق بحر لجي راكد لا يجري (2933) و قائم

[408]

لا يسري ، تكركره (2934) الرّياح العواصف ، و تمخضه الغمام الذّوارف (2935) ، « إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى » . بيان : « الاقتدار على الشيء » القدرة عليه . و « الجبروت » فعلوت من « الجبر » و هو القهر . و « البديع » بمعنى المبدع بالفتح . و « اللطيف » الدقيق . و « زخر البحر » كمنع أي تملّأ و ارتفع . و « المتراكم » المجتمع بعضه فوق بعض .

و « تقاصف البحر » تزاحمت أمواجه . و قال ابن أبي الحديد : « اليبس » بالتحريك ،

المكان يكون رطبا ثمّ ييبس ، قال اللّه تعالى : فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً 1112 . و « اليبس » بالسكون ، اليابس خلقة ، يقال : « خطب يبس » و هكذا يقول أهل اللغة ، و فيه كلام لأنّ الحطب ليس يابسا خلقة بل كان رطبا من قبل ،

و الأصوب أن يقال : لا تكون هذه اللفظة محرّكة إلاّ في المكان خاصّة . 1113 انتهى .

و « الجامد » ضدّ الذائب ، و المراد باليبس الجامد الأرض . و « الفطر » بالفتح ، الخلق و الإنشاء . و « الأطباق » بالفتح ، جمع « طبق » بالتحريك ، و هو غطاء كلّ شيء ، و الطبق أيضا من كلّ شيء ما ساواه . و قوله عليه السّلام « ففتقها » إشارة إلى قوله تعالى : أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا 1114 . و قد مرّت الوجوه في تفسيرها ، و هذا ممّا يؤيد بعضها فتذكّر . و يدلّ على حدوث السماوات و كونها أولي طبقات منفصلة في الحقيقة متّصلة في الصورة بعضها فوق بعض ، ففتقها و فرّقها و باعد بعضها عن بعض ، فحصلت سبع سماوات متميّزات بينها أفضية للملائكة .

و « الاستمساك » الاحتباس و الاعتصام ، و الغرض عدم تفرّقها كأنّ بعضها معتصم ببعض . و « قيامها على حدّه » كناية عن وقوفها على ما حدّه لها من المكان و المقدار و الشكل و الهيئة و النهايات و الطبائع و عدم خروجها عن تلك . و الضمير في

(1112) طه : 77 .

(1113) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 11 ، ص 52 ، ط بيروت .

(1114) الأنبياء : 30 .

[409]

« حدّه » راجع إلى اللَّه أو إلى اليبس .

و قال الكيدريّ : « الأخضر » الماء ، و العرب تصفه بالخضرة . و « المثعنجر » على صيغة اسم الفاعل كما في النسخ ، السائل من ماء أو دمع ، و بفتح الجيم ، وسط البحر ، و ليس في البحر ماء يشبهه ، ذكره الفيروزآباديّ .

و قال الجزريّ في حديث عليّ عليه السّلام : « يحملها الأخضر المثعنجر » هو أكثر موضع في البحر ماء ، و الميم و النون زائدتان . و منه حديث ابن عبّاس : « فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ كالقرارة في المثعنجر » ، « القرارة » الغدير الصغير .

و « القمقام » بالفتح كما في النسخ و قد يضمّ ، البحر ، و يكون بمعنى السيّد و الأمر العظيم و العدد الكثير . و « المسخّر » في بعض النسخ بالخاء المعجمة و في بعضها بالجيم ، في القاموس : « سجر النهر » ملأه و « تسجير الماء » تفجيره . و الضمير في قوله عليه السلام « منه » راجع إلى ماء البحر أو إلى اليبس الجامد ، فيكون الدخان الّذي خلق منه السماوات مرتفعا منه . و [الضمير] في « استمسكت » إلى الأطباق ، أو إلى ما يرجع إليه الضمير في يحملها و هو اليبس الجامد و التأنيث لأنّ المراد به الأرض .

و « أذعن له » أي خضع و انقاد . و « الجاري منه » أي السائل بالطبع ، فوقوفه عدم جريانه طبعا بارادته سبحانه أو السائل منه قبل إرادته و أمره بالجمود .

و يحتمل أن تكون الضمائر في « ذلّ » و « أذعن » و « وقف » راجعة إلى الأخضر أو القمقام و هو أنسب بتذكير الضمير و الجريان .

و « جبل » كنصر و ضرب أي خلق . و « الجلمد » بالفتح و « الجلمود » بالضمّ ، الحجر العظيم الصلب . و « النشز » بالفتح ، المكان المرتفع و الجمع « نشوز » بالضمّ . و « المتن » ما صلب من الأرض و ارتفع . و « الطود » بالفتح ، الجبل أو العظيم منه ، و الضمائر راجعة إلى الأرض المعبّر عنها باليبس الجامد . و « أرسيها » أي أثبتها « في مراسيها » أي في مواضعها المعيّنة بمقتضى الحكم الإلهيّة . و « القرارة » موضع القرار . و « درست » أي ثبتت ، و في بعض النسخ : « رسبت » يقال : « رسب »

[410]

كنصر إذا ذهب إلى أسفل و إذا ثبت . و يقال : « نهد ثدي الجارية » كمنع و نصر أي كعب و أشرف . و « السهل من الأرض » ضدّ الحزان . و « ساخت قوائمه في الأرض تسوخ و تسيخ » أي دخلت فيها و غابت ، و « أساخها » غيّبها . و « قواعد البيت » أساسه . و « القطر » بالضمّ ، الناحية ، أي غيّب قواعد الجبال في متون نواحي الأرض ، و قيل : أي في جوانب أقطارها . و « النصب » بالفتح و يحرّك ، العلم المنصوب ، و بالضمّ و بضمّتين ، كلّ ما جعل علما و كلّ ما عبد من دون اللَّه ، و المراد بالأنصاف الجبال و بمواضعها الأمكنة الصالحة للجبال بمقتضى الحكمة . و « القلال » بالكسر جمع « قلّة » بالضمّ ، و هي أعلى الجبل أو أعلى كلّ شيء . و « الشاهق » المرتفع ، أي جعل قلالها مرتفعة ، و « إطالة الأنشاز » مؤكّدة لها . و « العماد » بالكسر ، الخشبة الّتي تقوم عليها البيت و الأبنية الرفيعة ، و الظاهر أنّ المراد بجعلها للأرض عمادا ما يستفاد من الفقرة التالية ، و قيل : المراد جعلها مواضع رفيعة في الأرض . و « أرز » بتقديم المهملة كنصر و ضرب و علم أي ثبت ، و « أرز » بتشديد المعجمة أي أثبت ، و في أكثر النسخ بالتخفيف و فتح العين و في بعضها بالتشديد . قال في النهاية : في كلام عليّ عليه السّلام : « أرزّها فيها أوتادا » أي أثبتها . إن كانت الزاي مخفّفة فهي

من « أرزت الشجرة تأرز » إذا أثبت في الأرض و إن كانت مشدّدة فهي من « أرزت الجرادة » إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتلقي فيها بيضها . و « رززت الشيء في الأرض رزا » أثبته فيها ، و حينئذ تكون الهمزة زائدة .

انتهى . و قيل : و روي « آرز » بالمدّ ، من قولهم « شجرة آرزة » أي ثابتة في الأرض .

« فسكنت على حركتها » أي حال حركتها الّتي هي من شأنها ، لأنّها محمولة على سائل متموّج كما قيل ، أو على أثر حركتها بتموّج الماء . « من أن تميد » أي تتحرّك و تضطرب . « أو تسيخ بحملها » أي تغوص في الماء مع ما عليها .

قال ابن أبي الحديد : لو تحرّكت الأرض فإمّا أن تتحرّك على مركزها أولا ،

و الأوّل هو المراد بقوله عليه السّلام « تميد بأهلها » و الثاني ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت و هو المراد بقوله عليه السّلام « تسيخ بحملها » و أن لا تنزل إلى تحت و هو

[411]

المراد بقوله « تزول عن مواضعها » . انتهى .

و يحتمل أن يراد بقوله عليه السّلام « تميد بأهلها » تحرّكها و اضطرابها بدون الغوص في الماء كما يكون عند الزلزلة ، و بسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها في الماء سواء كانت على المركز أم لا ، فتكون الباء للتعدية ، و بزوالها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرياح و السيول أو بتفرّق القطعات و انفصال بعضها عن بعض ، فإنّ الجبال كالعروق السارية فيها تضبطها عن التفرّق كما سيأتي ، و يويّده إيراد المواضع بلفظ الجمع .

و صيغة « فعلان » بالتحريك في المصدر ، تدلّ على الاضطراب و التقلّب و التنقّل كالميدان و النزوان و الخفقان ، و لعلّ المراد بهذا الموجان ما كان غامرا للأرض أو أكثرها و إمساكها بخلق الجبال الّتي تقدّم في الكلام . و « رطوبة أكنافها » أي جوانبها لميدانها قبل خلق الجبال . و « المهاد » بالكسر ، الفراش ، و الموضع يهيّأ للصبيّ و يوطأ . و « الفراش » ما يبسط . و « اللجّة » بالضمّ ، معظم الماء . و « ركد » كنصر أي ثبت و سكن . و « سرى عرق الشجر » كرمى أي دبّ تحت الأرض .

و قال الجوهريّ : « الكركرة » تصريف الرياح [1115] السحاب إذا جمعته بعد تفرّق و قال : « باتت تكركره الجنوب » و أصله تكرّره من التكرير [1116] و « كركرته عنّي » أي دفعته و رددته .

و « الرياح العواصف » الشديدة الهبوب . و « مخض اللبن يمخضه » مثلّثة ، أي أخذ زبدة ، و في النسخ الفتح و الضمّ . و « الغمام » جمع « غمامة » و هي السحابة البيضاء أو الأعمّ . و « ذرف الدمع » كضرب أي سال . و « ذرف عينه » أي سال دمعها ، و « ذرف العين دمعها » أي أسالها . و « من يخشى » العلماء ، كما قال سبحانه : إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ 1117 . و يحتمل أن يكون التخصيص لأجل

[1115] في الصحاح : الريح .

[1116] في الصحاح : و « كركرت بالدجاجة » صحت بها ، و « كركرته عنّي » .

(1117) الفاطر : 28 .

[412]

أنّ عدم الخشية يوجب عدم المبالاة بالعبر و الالتفات إليها . 1118

212 و من خطبة له عليه السلام كان يستنهض بها أصحابه الى جهاد أهل الشام في زمانه

اللّهمّ أيّما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة ،

و المصلحة غير المفسدة ، في الدّين و الدّنيا ، فأبى بعد سمعه لها إلاّ النّكوص عن نصرتك ، و الإبطاء عن إعزاز دينك ، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشّاهدين شهادة ، و نستشهد عليه جميع ما أسكنته أرضك و سماواتك ، ثمّ أنت بعد المغني عن نصره ، و الآخذ له بذنبه .

بيان

قال ابن ميثم : هذا الفصل من خطبة كان يستنهض عليه السّلام بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام قاله بعد تقاعدا أكثرهم عن معاوية . 1119 و « ما » في « أيّما » زائدة مؤكّدة . و في وصف المقالة بالعادلة توسّع .

و « النكوص » الرجوع قهقرى . « فإنّا نستشهدك » أي نسألك أن تشهد عليه . « ثمّ أنت بعد » أي بعد تلك الشهادة عليه . 1120

(1118) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 57 ، كتاب السماء و العالم ، ص 38 .

(1119) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 27 .

(1120) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 678 ، ط كمباني و ص 626 ، ط تبريز .

[413]

213 و من خطبة له عليه السلام

في تمجيد اللَّه و تعظيمه

الحمد للَّه العليّ عن شبه (2936) المخلوقين ، الغالب لمقال الواصفين ،

الظّاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين ، و الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين ، العالم بلا اكتساب و لا ازدياد ، و لا علم مستفاد ،

المقدّر لجميع الأمور بلا رويّة و لا ضمير ، الّذي لا تغشاه الظّلم ،

و لا يستضيء بالأنوار ، و لا يرهقه (2937) ليل ، و لا يجري عليه نهار ،

ليس إدراكه بالإبصار ، و لا علمه بالإخبار .

و منها في ذكر النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم :

أرسله بالضّياء ، و قدّمه في الاصطفاء ، فرتق (2938) به المفاتق (2939) ،

و ساور (2940) به المغالب ، و ذلّل به الصّعوبة ، و سهّل به الحزونة (2941) ،

حتّى سرّح الضّلال ، عن يمين و شمال .

بيان

قوله عليه السّلام « في الاصطفاء » أي على غيره من الأنبياء و الأوصياء . و « المفاتق » جمع « مفتق » أي أصلح به المفاسد و الأمور المنتشرة .

و « المساورة » المواثبة ، أي كسر به صلّى اللّه عليه و آله سورة من أراد الطغيان .

و « الحزن » المكان الغليظ الخشن . و « الحزونة » الخشونة . قوله عليه السّلام « حتّى سرّح الضلال » أي طرده و أسرع به ذهابا عن يمين و شمال ، من قولهم « ناقة

[314]

سرح و منسرحة » أي سريعة . 1121

214 و من خطبة له عليه السلام يصف جوهر الرسول ، و يصف العلماء ، و يعظ بالتقوى

صفة جوهر الرسول

و أشهد أنه عدل عدل ، و حكم فصل ، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، و سيّد عباده ، كلّما نسخ اللّه الخلق (2942) فرقتين جعله في خيرهما ، لم يسهم فيه عاهر (2943) ، و لا ضرب فيه (2944) فاجر .

ألا و إنّ اللّه سبحانه قد جعل للخير أهلا ، و للحقّ دعائم ،

و للطّاعة عصما (2945) . و إنّ لكم عند كلّ طاعة عونا من اللّه سبحانه يقول على الألسنة ، و يثبّت الأفئدة . فيه كفاء (2946) لمكتف ، و شفاء لمشتف .

صفة العلماء

و اعلموا أنّ عباد اللّه المستحفظين (2947) علمه ، يصونون مصونه ،

و يفجّرون عيونه . يتواصلون بالولاية (2948) ، و يتلاقون بالمحبّة ،

و يتساقون بكاس رويّة (2949) ، و يصدرون بريّة (2950) ، لا تشوبهم الرّيبة (2951) ،

(1121) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ص 225 .

[415]

و لا تسرع فيهم الغيبة . على ذلك عقد خلقهم و أخلاقهم (2952) ،

فعليه يتحابّون ، و به يتواصلون ، فكانوا كتفاضل البذر ينتقى (2953) ،

فيؤخذ منه و يلقى ، قد ميّزه التّخليص ، و هذّبه (2954) التّمحيص (2955) .

العظة بالتقوى

فليقبل امرؤ كرامة (2956) بقبولها ، و ليحذر قارعة (2957) قبل حلولها ،

و لينظر امرؤ في قصير أيّامه ، و قليل مقامه ، في منزل حتّى يستبدل به منزلا ، فليصنع لمتحوّله (2958) ، و معارف منتقله (2959) . فطوبى لذي قلب سليم ، أطاع من يهديه ، و تجنّب من يرديه ، و أصاب سبيل السّلامة ببصر من بصّره ، و طاعة هاد أمره ، و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه ، و تقطع أسبابه ، و استفتح التّوبة ، و أماط الحوبة (2960) ،

فقد أقيم على الطّريق ، و هدي نهج السّبيل .

بيان

الظاهر أنّ الضمير في « أنّه » راجع إلى اللّه ، و قيل : راجع إلى القضاء و القدر المذكور في صدر الخطبة . و « الحكم » بالتحريك ، منفّذ الحكم . و « الفصل » القطع و القضاء بين الحقّ و الباطل . و « النسخ » الإزالة و التغيير و الإبطال .

و قال ابن أبي الحديد : يعني كلّما قسم اللّه الأب الواحد إلى ابنين أعدّ خيرهما و أفضلهما لولادة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سمّى ذلك نسخا لأنّ البطن الأوّل تزول و يخلفه البطن الثاني . 1122

(1122) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 11 ، ص 67 ، ط بيروت .

« لم يسهم فيه عاهر » ، « السهم » النصيب و الحظّ ، و في النهاية : و أصله واحد السهام الّتي يضرب بها في الميسر و هي القداح ، ثمّ سمّي به ما يفوز به الفاتح سهمه .

ثمّ كثر حتّى سمّي كلّ نصيب سهما . انتهى . و « السهمة » بالضمّ ، القرابة و « المساهمة » المقارعة ، و « أسهم بينهم » أي أقرع ، و كانوا يعملون بالقرعة إذا تنازعوا في ولد و الكلمة في بعض النسخ على صيغة المجرّد ك « يمنع » و في بعضها على بناء الإفعال . و « العاهر » الزاني ، قيل : أي لم يضرب فيه العاهر بسهم و لم يكن للفجور في أصله شركة .

و قال ابن أبي الحديد 1123 : في الكلام رمز إلى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن . ثمّ حكى عن الجاحظ أنّه قال : قام عمر على المنبر فقال : إيّاكم و ذكر العيوب و الطعن في الأصول . ثمّ قال : و روى المدائنيّ هذا الخبر في كتاب امّهات الخلفاء و قال : إنّه روي عند جعفر بن محمّد عليهما السّلام بالمدينة فقال : لا تلمه يا ابن أخي إنّه أشفق أن يحدج بقصّة نفيل بن عبد العزّى و صهاك أمة الزبير بن عبد المطلب . ثمّ قال : رحم اللّه عمر إنّه لم يعد السنّة و تلا : « إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا الآية » 1124 .

أقول : قد أوردنا هذه القصّة في نسب عمر . و « الدعامة » بالكسر ، عماد البيت الّذي يقوم عليه . و « العصم » كعنب جمع « عصمة » و هي المنع و الحفظ .

و « كفاء » أصله كفاية و الاتيان بالهمزة للازدواج ، كما قالوا : الغدايا و العشايا [و] كما قال صلّى اللّه عليه و آله : « مأزورات غير مأجورات » و الأصل الواو .

و قال ابن أبي الحديد : « أهل الخير » هم المتّقون و « دعائم الحقّ » الأدلّة الموصلة إليه المثبتة له في القلوب ، و « عصم الطاعة » هي الادمان على فعلها و التمرّن عليها ، لأنّ المرون على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضي سهولة عليه . و « العون » ههنا هو اللطف المقرّب من الطاعة المبعّد من القبيح و لمّا كان العون من اللّه سبحانه مستهلا للقول أطلق عليه من باب التوسّع أنّه يقول على الألسنة و لمّا كان

(1123) نفس الهامش السابق .

(1124) *النور : 19 .*

[417]

اللّه تعالى هو الّذي يثبت كما قال : يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ 1125 نسب التثبيت إلى اللطف لأنّه من فعل اللّه .

و قال ابن ميثم 1126 : قوله عليه السّلام « ألا و إنّ اللّه » ترغيب للسامعين أن يكونوا من أهل الخير و دعائم الحقّ و عصم الطاعة و كأنّه عنى بالعون القرآن ، قال تعالى : « لنثبّت به فؤادك » 1127 .

و « فيه كفاء » أي في ذلك العون كفاية لطالبي الاكتفاء ، أي من الكمالات النفسانيّة ، « و شفاء » لمن طلب الشفاء من أمراض الرذائل الموبقة ، و يمكن أن يكون المراد بأهل الخير الأتقياء و بدعائم الحقّ النبيّ و الأئمة عليهم السّلام و بعصم الطاعة العبادات الّتي توجب التوفيق من اللّه سبحانه و ترك المعاصي الموجبة لسلبه أو الملائكة العاصمة للعباد عن اتّباع الشياطين و بالعون الملائكة المرغّبة في طاعة اللّه كما ورد في الأخبار .

و « المستحفظين » في أكثر النسخ بالنصب على صيغة اسم المفعول و هو أظهر ،

يقال : « استحفظته إيّاه » أي سألته أن يحفظه ، و في بعض النسخ على صيغة اسم الفاعل ، أي الطالبين للحفظ ، و في بعض النسخ بالرفع حملا على المحلّ و كونه خبرا بعيد و المراد بهم الأئمة عليهم السّلام كما ورد في الأدعية و الأخبار ، و قال الشراح :

المراد بهم العارفون أو الصالحون .

« يصونون مصونه » أي يكتمون ما ينبغي أن يكتم من أسرار علمه من غير أهله . و « يفجّرون عيونه » أي يفيضون ما ينبغي إفاضته على عامّة الناس ، أو كلّ علم على من هو قابل له ، أو يتّقون في مقام التقيّة و يظهرون الحقّ عند عدمها . و « الولاية » في النسخ بالكسر ، قال سيبويه : « الولاية » بالفتح المصدر و بالكسر الاسم ، و قال ابن أبي الحديد : « الولاية » بفتح الواو المحبّة و النصرة ، أي يتواصلون و هم أولياء و مثله

(1125) *ابراهيم : 27 .*

(1126) *شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 33 ، ط بيروت .*

(1127) *الفرقان : 32 .*

[318]

« و يتلاقون بالمحبّة » كما تقول : « خرجت بسلاحي » أي و أنا متسلّح أو يكون المعنى :

يتواصلون بالقلوب لا بالأجسام ، كما تقول : أنا أراك بقلبي و أزورك بخاطري و أو اصلك بضميري . انتهى .

و أقول : يحتمل أن يكون المراد ولاية أهل البيت عليهم السّلام أي بسببها ، أو متّصفين بها أو مظهرين لها . و « ماء رويّ » كغني أي كثير مروّ ،

و « روى من الماء كرضي ريّا » بالفتح و الكسر ، أي تنعّم ، و الاسم « الريّ » بالكسر . « و الريّة » في بعض النسخ بالفتح و في بعضها بالكسر ، و لعلّ المراد التساقي من المعارف و العلوم . و « الريبة » بالكسر ، التهمة و الشكّ اسم من « الريب » بالفتح ،

أي لا تخالطهم شكّ في المعارف و العقائد أو تهمة في حبّ أحدهم للآخر . و عدم إسراع الغيبة فيهم لعدم استحقاقهم للغيبة في أقوالهم و أعمالهم و اتّقائهم مواضع التهم ، أو المعنى : لا يغتابون الناس و لا يتبعون عيوبهم .

و « الخلق » يكون بمعنى التقدير و الابداع و بمعنى الطبيعة كالخليفة .

و « الأخلاق » جمع « خلق » بالضمّ و بضمّتين ، و هو السجيّة و الطبع و المروّة و الدين .

و يحتمل أن يكون المراد بالخلق ما هو بمنزلة الأصل و المشخّص للذّات و بالأخلاق الفروع و الشعب . و الضمير في « عليه » راجع إلى ما أشير إليه بذلك أو إلى العقد .

« فكانوا كتفاضل البذر » أي كان التفاضل بينهم و بين الناس كالتفاضل بين ما ينتقى من البذر أي يختار و بين ما يلقى ، فالمعنى : كالتفاضل بين الجيّد و الرديّ .

و يحتمل أن يكون المراد أنّه كان التفاضل بينهم كالتفاضل بين أفراد المختار من البذر فكما أنّه لا تفاضل يعتد به فيما بينها كذلك فيما بينهم . و « خلص الشيء » كنصر أي صار خالصا و « خلّصه » أي جعله كذلك و « خلّصه » أيضا نجاة ، و المراد بالتخليص الانتقاء المذكور أي ميّزه ذلك عن غيره ، أو المعنى : ميّزه اللّه تخليصا إيّاه عن شرور النفس و الشيطان عن غيره . و في بعض النسخ : « التلخيص » بتقديم اللام ،

و هو التبيين و « التلخيص و التهذيب » التنقية و الاصلاح . و « التمحيص » الابتلاء و الاختبار .

[419]

و « الكرامة » الاسم من التكريم و الاكرام ، و المراد بها هنا نصحه سبحانه و وعظه و تذكيره أو ما وعده اللّه على تقدير حسن العمل من المثوبة و الزلفى ، و قبول الكرامة على الثاني بالعمل الصالح الموجب للفوز بها و على الأوّل العمل بمقتضاه و بقبولها القبول الحسن اللائق بها . و « قرعه » كمنعه أي أتاه فجأة و « قرع الباب » دقّه ، و قال الأكثر : « القارعة » الموت ، و يحتمل القيامة لأنّها من أسمائها سمّيت بها لأنّها تقرع القلوب بالفزع و أعدّها اللّه للعذاب ، أو الداهية الّتي يستحقّها العاصي ، يقال : « أصابه اللّه بقارعة » أي بداهية تهلكه ، و حلولها نزولها . و « استبدلت الشيء بالشيء » أي اتّخذت الأوّل بدلا من الثاني . و المراد بالنظر التدبّر و التفكّر .

و الظرف في قوله « في منزل » متعلّق بالمقام و « حتّى » لانتهاء غاية المقام ، أي الثبات أو الاقامة ، أي ليعتبر الانسان بهذه المدّة القصيرة و إقامته القليلة في الدنيا المنتهية إلى الاستبدال بها و اتّخاذ غيرها .

و قيل : يحتمل أن تكون كلمة « في » لافادة الظرفيّة الزمانيّة و يكون قوله « في منزل » متعلّقا بالنظر و مدخول « حتّى » علّة غائيّة النظر ، أي لينظر بنظر الاعتبار و ليتأمّل مدّة حياته في الدنيا في شأن ذلك المنزل الفاني حتّى تتّخذ بدله منزلا لائقا للنزول فالاستبدال حينئذ اتّخاذ البدل المستحقّ لذلك ، أو توطين النفس على الارتحال و رفض المنزل الفاني .

« فليصنع » أي فليعمل . و « المتحوّل » بالفتح ، مكان التحوّل ، و كذلك « المنتقل » و « معارف المنتقل » قيل : هي المواضع الّتي يعرف الانتقال إليها ، و قال ابن أبي الحديد : « معارف الدار » ما يعرفه المتوسّم بها ، واحدها « معرف » مثل معاهد الدار و معالمها ، و منه : « معارف المرأة » أي ما يظهر منها كالوجه و اليدين . و قيل :

يحتمل أن يكون المراد بمعارف المنتقل ما عرف من أحواله و الأمور السانحة فيه ، فيمكن أن يكون المتحوّل و المنتقل مصدرين .

« من يهديه » يعنى نفسه و الأئمّة من ولده عليهم السّلام . « من يرديه » أي يهلكه بالقائه في مهاوي الجهل و الضلالة . و « البصر » يطلق على الحاسّة و يراد به العلم مجازا و قد يطلق على العلم ، يقال : « بصرت بالشيء » أي علمته . و يحتمل أن

[420]

تكون الاضافة لأدنى ملابسة ، أي بالبصر الحاصل للمطيع بتبصير الهادي إيّاه .

و « السبب » في الأصل الحبل . و إغلاق الأبواب بالموت ، و جوّز بعضهم أن يكون الأبواب و الأسباب عبارة عن نفسه و الأئمة من ذرّيته عليهم السّلام فإنّهم أبواب الفوز و الفلاح و الأسباب الممدودة من السماء إلى الأرض ، بهم يصل العبد إلى اللّه سبحانه . و الغلق و القطع كناية عن عدمهم أو غيبتهم عليهم السّلام .

و « استفتح التوبة » أي طلب فتحها كأنّها باب مغلق يطلب فتحها للدخول فيها ، و يمكن أن يكون من « الاستفتاح » بمعنى الاستنصار ، أي طلب أن تنصره التوبة . و « مطت كبعت و أمطت » أي تنحيت و كذلك « مطت غيري و أمطته » أي نحّيته .

و قال الأصمعيّ : مطت أنا و أمطت غيري . 1128 و « الحوبة » بالفتح ، الاثم . « فقد أقيم على الطريق » أي بهداية اللّه سبحانه . و « النهج » بالفتح ، الطريق الواضح . 1129 نهج : و أشهد أنّ محمّدا عبده و سيّد عباده ، كلّما نسخ [1130] اللّه الخلق فرقتين جعله في خيرهما ، لم يسهم فيه عاهر ، و لا ضرب فيه فاجر .

بيان : « النسخ » الإزالة و التغيير ، استعير هنا للقسمة لأنّها إزالة للمقسوم و تغيير له . و « العاهر » الزاني ، و يطلق على الذكر و الأنثى ، و كذلك الفاجر .

تذنيب : أقول : قد ذكر علماؤنا رضي اللّه عنهم بعض خصائصه صلّى اللّه عليه و آله في كتبهم و جمعها العلاّمة رحمه اللّه في كتاب التذكرة .

فلنورد ملخّص ما ذكروه رحمهم اللّه .

قال في التذكرة : فأمّا الواجبات عليه دون غيره من أمّته أمور : الأوّل السواك ، الثاني الوتر ، الثالث الاضحيّة .

(1128) راجع الصحاح ، ج 3 ، ص 1162 .

(1129) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 311 .

[1130] قيل : « نسخ الخلق » نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فرقا .

[421]

روي عنه صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال : ثلاث كتب عليّ و لم يكتب عليكم : السواك و الوتر و الأضحيّة .

و في حديث آخر : كتب عليّ الوتر و لم يكتب عليكم ، و كتب عليّ السواك و لم يكتب عليكم ، و كتبت عليّ الاضحيّة و لم تكتب عليكم .

و تردّد الشافعي [1131] في وجوب السواك عليه صلّى اللّه عليه و آله .

الرابع : قيام اللّيل لقوله تعالى : وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ 1132 .

و إن أشعر لفظ النافلة بالسنّة ، و لكنّها في اللغة الزيادة و لأنّ السنّة جبر للفريضة ،

و كان صلّى اللّه عليه و آله معصوما من النقصان في الفرائض . و اختلف الشافعيّة فقال بعضهم : كان ذلك واجبا عليه و قال بعضهم : كان واجبا عليه و على امّته فنسخ .

أقول : ذكر الوتر مع قيام الليل يشتمل على تكرار ظاهرا ، و الأصل فيه أنّ العامّة رووا حديثا عن عايشة أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال : « ثلاث علي فريضة و لكم سنّة : الوتر و السواك و قيام الليل » . و لذا جمعوا بينهما تبعا للرواية ، كما يظهر من شارح الوجيزة و تبعهم أصحابنا رضوان اللّه عليهم .

و قال الشهيد الثاني قدّس سرّه : اعلم أنّ بين قيام الليل و بين الوتر الواجبين عليه مغايرة العموم و الخصوص المطلق ، لأنّ قيام الليل بالتهجّد يحصل بالوتر و بغيره فلا يلزم من وجوبه وجوبه ، و أمّا الوتر فلمّا كان من العبادات الواقعة بالليل فهو من جملة التهجّد بل أفضله . فقد يقال : إنّ إيجابه يغنى عن إيجاب قيام الليل و جوابه أنّ قيام الليل و إن تحقّق بالوتر لكن مفهومه مغاير لمفهومه لأنّ الواجب من القيام لمّا كان يتأدّى به و بغيره . و بالكثير منه و القليل كان كلّ فرد يأتي به منه موصوفا بالوجوب لأنّه أحد أفراد الواجب الكلّيّ ، و هذا القدر لا يتأدّى بإيجاب الوتر خاصة و لا يفيد فائدته ، فلا بدّ من الجمع بينهما .

[1131] في المصدر : أصحاب الشافعيّ .

(1132) الإسراء : 79 .

[422]

ثمّ قال في التذكرة : الخامس : قضاء دين من مات معسرا لقوله صلّى اللّه عليه و آله : « من مات و خلف مالا فلورثته ، و من مات و خلف دينا أو كلا فعليّ » و إلى هذا مذهب الجمهور [1133] . و قال بعضهم : كان ذلك كرما منه ، و هذا اللفظ لا يمكن حمله على الضمان لأنّ من صحّح ضمان المجهول لم يصحّح على هذا الوجه .

و للشافعيّة وجهان في أنّ الإمام هل يجب عليه قضاء دين المعسر إذا مات و كان في بيت المال سعة تزيد على حاجة الأحياء لما في إيجابه من الترغيب في اقتراض المحتاجين .

السادس : مشاورة أولي النهي لقوله تعالى : وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ 1134 .

و قيل : إنّه لم يكن واجبا عليه ، بل أمر لاستمالة قلوبهم و هو المعتمد ، فإنّ عقل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أوفر من عقول كلّ البشر .

السابع : إنكار المنكر إذا رآه و إظهاره ، لأنّ إقراره على ذلك يوجب جوازه ،

فإنّ اللّه تعالى ضمن له النصر و الإظهار .

الثامن : كان عليه تخيير نسائه بين مفارقته و مصاحبته بقوله تعالى : « يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلا وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيما 1135 .

و الأصل فيه أنّ النبي صلّى اللّه عليه و آله آثر لنفسه الفقر و الصبر عليه ،

فأمر بتخيير نسائه [1136] بين مفارقته و اختيار زينة الدنيا و بين اختياره و الصبر على ضرّ الفقر لئلا يكون مكرها لهنّ على الضرّ و الفقر ، هذا هو المشهور . و للشافعيّة وجه في التخيير لم يكن واجبا عليه و إنّما كان مندوبا ، و المشهور الأوّل . ثمّ إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لمّا خيّرهن اخترنه و الدار الآخرة . فحرّم اللّه تعالى على رسوله التزويج عليهنّ و التبدّل بهنّ من أزواج ثمّ نسخ ذلك ليكون المنّة لرسول اللّه

[1133] في المصدر : أو كلا فإليّ . و على هذا مذهب الجمهور .

(1134) آل عمران : 159 .

(1135) الأحزاب : 28 و 29 .

[1136] في المصدر : فأمره بتخيير نسائه .

صلّى اللَّه عليه و آله بترك التزوّج عليهنّ بقوله تعالى : « إنّا أحللنا لك أزواجك اللاّتي آتيت أجورهنّ » 1137 .

قالت عايشة : إنّ النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله لم يمت حتّى أحلّ له النسآء تعني اللاّتي حظرن عليه . و قال أبو حنيفة : إنّ التحريم باق لم ينسخ . و قد روي أنّ بعض نسآء النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله طلبت منه حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضّة و طلاّها بالزعفران ، فقالت : لا أزيد إلاّ من ذهب ، فاغتمّ النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله لذلك فنزلت آية التخيير .

و قيل : إنّما خيّره لأنّه لم يمكنه التوسعة عليهنّ ، فربما يكون فيهنّ من يكره المقام معه فنزّهه عن ذلك .

و روي أنّ النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله كان يطالب بأمور لا يملكها و كان نساءه يكثرن مطالبته حتّى قال عمر : كنّا معاشر المهاجرين متسلّطين على نسائنا بمكّة و كانت نسآء الأنصار متسلّطات على الأزواج ، فاختلط نسآؤنا فيهنّ فتخلّقن بأخلاقهن ، و كلّمت امرأتي يوما فراجعتني ، فرفعت يدي لأضربها و قلت : أتراجعني يا لكعاء [1138] ؟

فقالت : إنّ نساء رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يراجعنه و هو خير منك .

فقلت : خابت حفصة و خسرت ، ثمّ أتيت حفصة و سألتها .

فقالت : إنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله قد يظلّ على بعض نسائه طول نهاره غضبانا .

فقلت : لا تغتريّ بابنة أبي قحافة ، فإنّها حبّة [1139] رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يحمل منها ما لا يحمل منك .

و قال عمر : كنت قد ناوبت رجلا من الأنصار حضور مجلس رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله ليخبر كلّ واحد منّا صاحبه فيما يجري ، فقرع الأنصاريّ باب

(1137) الأحزاب : 50 .

[1138] « اللكعاء » اللئيمة .

[1139] « الحبّة » بالكسر ، المحبوبة .

الدار يوما ، فقلت : أجاءنا غسّان ؟

و كان قد أخبرنا بأنّ غسّان تنعل خيولها لتغزونا ، فقال : أمر أفظع من ذلك ،

طلّق رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله جميع نسائه .

فخرجت من البيت و رأيت أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يبكون حوله و هو جالس و كان أنس على البيت [1140] .

فقلت : استأذن لي فلم يجب . فانصرفت فنازعتني نفسي و عاودت فلم يجب ،

حتّى فعلت ذلك ثلاثا ، فسمع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله صوتي فأذن ،

فدخلت فرأيته نائما على حصير من الليف ، فاستوى و أثر الليف في جنبيه ، فقلت : إنّ قيصر و كسرى يفرشان الديباج و الحرير .

فقال : أفي شكّ أنت يا عمر ؟ أما علمت أنّها لهم في الدنيا و لنا في الآخرة .

ثمّ قصصت عليه القصّة فابتسم لمّا سمع قولي لحفصة « لا تغترّي بابنة أبي قحافة » . ثمّ قلت : طلّقت نسآءك ؟

فقال : لا .

و روي أنّه كان آلي من نسائه شهرا فكمث في غرفة شهرا ، فنزل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ الآية 1141 فبدأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعايشة و قال : إنّي ملق إليك أمرا فلا تبادريني بالجواب حتّى تؤامري [1142] أبويك ،

و تلا الآية .

فقالت : أفيك أوامر أبوي ؟ اخترت اللّه و رسوله و الدار الآخرة .

ثمّ قالت : لا تخبر أزواجك بذلك . و كانت تريد أن يخترن .

فيفارقهنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فدار صلّى اللّه عليه و آله على نسائه و كان يخبرهنّ بما جرى لعايشة ، فاخترن بأجمعهنّ اللّه و رسوله ، و هذا التخيير

[1140] في المصدر : و كان أسامة على البيت .

(1141) الأحزاب : 28 .

[1142] أي حتّى تشاوري أبويك .

عند العامّة كناية في الطلاق و عندنا أنّه ليس له حكم .

و قال الشهيد الثاني و الشيخ عليّ رحمهما اللّه : هذا التخيير عند العامّة القائلين بوقوع الطلاق بالكناية كناية عن الطلاق ، و قال بعضهم : إنّه صريح فيه و عندنا ليس له حكم بنفسه ، بل ظاهر الآية أنّ من اختارت الحياة الدنيا و زينتها يطلّقها لقوله تعالى : إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ و أُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً 1143 .

أقول : سيأتي القول فيه في بابه .

ثمّ قال في التذكرة : و أمّا المحرّمات فقسمان :

الأوّل : ما حرّم عليه خاصّة في غير النكاح و هو أمور :

الأوّل : الزكاة المفروضة ، صيانة لمنصبه العليّ عن أوساخ أموال الناس الّتي تعطى على سبيل الترحّم و تنبيء عن ذلّ الآخذ ، و أبدل بالفيء الّذي يؤخذ على سبيل القهر و الغلبة المنبيء عن عزّ الآخذ و ذلّ المأخوذ منه ، و يشاركه [1144] في حرمتها أولوا القربى ، لكنّ التحريم عليهم بسببه أيضا فالخاصة [1145] عائدة إليه ، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : إنا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة .

أقول : قال الشهيد الثاني رحمه اللّه بعد ذكر هذا الوجه : مع أنّها لا تحرم عليهم مطلقا ، بل من غير الهاشميّ مع وفاء نصيبهم من الخمس بكفايتهم و أمّا عليه صلّى اللّه عليه و آله فإنّها تحرم مطلقا ، و لعلّ هذا أولى من الجواب السابق لأنّ ذاك مبنيّ على مساواتهم له في ذلك كما تراه العامّة ، فاشتركوا في ذلك الجواب و الجواب الثاني مختصّ بقاعدتنا .

رجعنا إلى كلام التذكرة :

الثاني : الصدقة المندوبة ، الأقرب تحريمها على رسول اللّه صلّى اللّه عليه

(1143) الأحزاب : 28 .

[1144] في المصدر : و يشاركه .

[1145] في المصدر و في غير نسخة المصنّف : فالخاصيّة .

و آله لما تقدّم و هو أحد قولي الشافعيّ تعظيما له و تكريما ، و في الثاني يجوز ، و حكم الإمام عندنا حكم النبيّ صلّى اللّه عليه و آله .

الثالث : إنّه كان صلّى اللّه عليه و آله لا يأكل الثوم و البصل و الكرّاث ، و هل كان محرما عليه ؟ الأقرب : لا ، و للشافعيّة وجهان ، لكنّه كان يمتنع منها لئلا يتأذّى بها من يناجيه من الملائكة ، روي أنّه صلّى اللّه عليه و آله أتي بقدر فيها بقول فوجد لها ريحا فقربها إلى بعض أصحابه و قال له : كل فإنّي أناجي من لا تناجي .

الرابع : إنّه صلّى اللّه عليه و آله كان لا يأكل متّكئا ، روي أنّه صلّى اللّه عليه و آله قال : أنا آكل كما تأكل العبيد و أجلس كما تجلس العبيد .

و هل كان ذلك محرّما عليه أو مكروها كما في حق الأمّة ؟ الأقرب الثاني ،

و للشافعيّ وجهان .

الخامس : يحرم عليه الخطّ و الشعر تأكيدا لحجّته و بيانا لمعجزته ، قال اللّه تعالى : وَ لاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ 1146 و قال تعالى : وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ 1147 . و قد اختلف في أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يحسنهما أم لا ؟ و أصحّ قولي الشافعيّ الثاني ، و إنّما يتّجه التحريم على الأوّل .

السادس : كان صلّى اللّه عليه و آله إذا لبس لأمة 1148 الحرب يحرم عليه نزعها حتّى يلقى العدوّ و يقاتل ، قال صلّى اللّه عليه و آله : « ما كان لنبيّ إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يلقى العدوّ » ، و هو المشهور عند الشافعيّة و لهم وجه : إنّه كان مكروها لا محرّما .

السابع : كان صلّى اللّه عليه و آله إذا ابتدأ بتطوّع حرم عليه تركه قبل إتمامه ، و فيه خلاف .

الثامن : كان يحرم أن يمدّ عينيه إلى ما متّع اللّه به الناس ، قال اللّه تعالى : وَ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ الآية 1149 .

(1146) العنكبوت : 48 .

(1147) يس : 69 .

(1148) « الأمة » الدرع .

(1149) الحجر : 88 .

التاسع : كان يحرم عليه خائنة الأعين ، قال صلّى اللّه عليه و آله : « ما كان لنبيّ أن يكون له خائنة الأعين » . و فسّروها بالإيماء إلى مباح ، من ضرب أو قتل على خلاف ما يظهر و يشعر به الحال ، و إنّما قيل له خائنة الأعين لأنّه سبب الخيانة [1150] من حيث أنّه يخفى و لا يحرم ذلك على غيره إلاّ في محظور ، و بالجملة أن يظهر خلاف ما يضمر . و طرد بعض الفقهاء ذلك في مكائدة الحروب و هو ضعيف ، و قد صحّ أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان إذا أراد سفرا ورّى بغيره .

العاشر : اختلفوا في أنّه هل كان يحرم عليه أن يصلّي على من عليه دين أم لا ؟ على قولين .

الحادي عشر : اختلفوا في أنّه هل كان يجوز أن يصلّي على من عليه دين مع وجود الضامن .

الثاني عشر : لم يكن له أن يمنّ ليستكثر ، قال اللّه تعالى : وَ لاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ 1151 أي لا تعط شيئا لتنال أكثر منه ، قال المفسّرون : إنّه كان من خواصّه صلّى اللّه عليه و آله .

الثاني : ما حرّم عليه خاصّة في النكاح و هو أمور :

الأوّل : إمساك من تكره نكاحه و ترغب عنه لأنّه صلّى اللّه عليه و آله نكح امرأة ذات جمال ، فلقّنت أن تقول لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : « أعوذ باللّه منك » و قيل لها : « إنّ هذا الكلام يعجبه » . فلمّا قالت ذلك قال صلّى اللّه عليه و آله : « لقد استعذت بمعاذ » و طلّقها .

و للشافعيّة وجه غريب : أن كان لا يحرم إمساكها لكن فارقها تكرّما منه و مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن تسع نسوة : عايشة ، و حفصة ، و امّ سلمة بنت ابن اميّة المخزوميّ ، و امّ حبيبة بنت أبي سفيان ، و ميمونة بنت الحارث الهلاليّة ،

و جويريّة بنت الحارث الخزاعيّة ، و سودة بنت زمعة ، و صفيّة بنت حيّ بن أخطب

[1150] في المصدر : لأنّه شبه الخيانة .

(1151) المدثّر : 6 .

[428]

الخيبريّة ، و زينب بنت جحش . و جميع من تزوّج بهنّ خمسة عشر و جمع بين إحدى عشرة و دخل بثلاث عشرة و فارق امرأتين في حياته : إحداهما الكلبيّة و هي الّتي رأى بكشحها بياضا ، فقال لها : الحقي بأهلك و الأخرى الّتي تعوّذت منه .

و قال : أبو عبيد : تزوّج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثمانية عشر امرأة و اتّخذ من الاماء ثلاثا . 1152 الثاني : نكاح الكفّار [1153] . عندنا لا يصحّ للمسلم على الأقوى ، لقوله تعالى : وَ لاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُوْمِنَّ 1154 و قال : وَ لاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ 1155 .

و قال بعض علمائنا : إنّه يصحّ ، و هو مذهب جماعة من العامّة ، فعندنا التحريم بطريق الأولى ثابت في حقّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله .

و اختلف في مشروعيّة له من جوّز من العامّة في حق الأمّة على قولين :

أحدهما المنع لقوله صلّى اللّه عليه و آله : « زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة » ، و الجنّة محرّمة على الكافرين ، و لأنّه اشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة ، و اللّه تعالى أكرم زوجاته إذ جعلهنّ أمّهات المؤمنين و الكافرة لا تصلح لذلك لأنّ هذه أسوة الكرامة ، و لقوله تعالى : إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ 1156 ، و لقوله « كلّ سبب و نسب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببي و نسبي » و ذلك لا يصحّ في الكافرة .

و الثاني الجواز لأنّ ذبائحهم له حلال فكذلك نساءهم . و المقدّمة الأولى ممنوعة ، فإنّ ذبائح أهل الكتاب عندنا محرّمة ، و أمّا نكاح الأمة فلم يجز له بلا خلاف بين الأكثر ، و أمّا وطي الأمة فكان سائغا له مسلمة كانت أو كتابيّة لقوله تعالى : أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ 1157 و قوله تعالى : وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ 1158 و لم يفصل .

و ملك صلّى اللّه عليه و آله مارية القبطيّة و كانت مسلمة ، و ملك صفيّة و هي مشركة ، فكانت عنده إلى أن أسلمت فأعتقها و تزوّجها . و جوّز بعضهم نكاح الأمة

(1152) سيأتي أحوال أزواجه في بابه .

[1153] في المصدر : نكاح الكتابيّة .

(1154) البقرة : 221 .

(1155) الممتحنة : 10 .

(1156) التوبة : 28 .

(1157) النساء : 3 .

(1158) الأحزاب : 50 .

المسلمة له صلّى اللّه عليه و آله بالعقد كما يجوز بالملك و النكاح أوسع منه من الأمة ، و لكنّ الأكثر على المنع لأنّ نكاح الأمة مشروط بالخوف من العنت ، و النبيّ صلّى اللّه عليه و آله معصوم و بفقدان طول [1159] الحرّة ، و نكاحه صلّى اللّه عليه و آله مستغني [1160] عن المهر ابتداء و انتهاء ، و بأنّ من نكح أمة كان ولده منها رقيقا عند جماعة و منصب النبيّ صلّى اللّه عليه و آله منزّه عن ذلك ، لكن من جوّز له نكاح الأمة قال : خوف العنت إنّما يشترط في حقّ الأمّة و منع من اشتراط فقدان الطول ، و أمّا رقّ الولد فقد التزم [1161] بعض الشافعيّة وجها مستبعدا فيه بذلك ،

و الصحيح خلافه لأنّه عندنا يتّبع أشرف الطرفين .

و أمّا التخفيفات فقسمان :

الأوّل : ما يتعلّق بغير النكاح و هي أمور :

الأوّل : الوصال في الصوم ، كان مباحا للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و حرام على أمّته ، و معناه أنّه يطوي الليل بلا أكل و شرب [1162] مع صيام النهار ، لا أن يكون صائما لأنّ الصوم في الليل لا ينعقد ، بل إذا دخل الليل صار الصائم مفطرا إجماعا ، فلمّا نهى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أمّته عن الوصال قيل له : إنّك تواصل ، فقال : إنّي لست كأحدكم ، إنّي أظلّ عند ربّي يطعمني و يسقيني .

و في رواية : إنّي أبيت عند ربّي فيطعمني و يسقيني .

قيل : معناه يسقيني و يغذيني بوحيه .

و قال الشهيد الثاني نورّ اللّه ضريحه : الوصال يتحقّق بأمرين : أحدهما الجمع بين الليل و النهار عن تروك الصوم بالنيّة ، و الثاني تأخير عشائه الى سحوره بالنيّة كذلك [1163] بحيث يكون صائما مجموع ذلك الوقت . و الوصال بمعنييه محرّم على أمّته و مباح له صلّى اللّه عليه و آله .

[1159] « الطول » القدرة و الغنى .

[1160] هكذا في النسخة ، و الصحيح : مستغن .

[1161] في المصدر : فقد ألزم .

[1162] في المصدر : و لا شرب .

[1163] و الروايات قد وردت بمعنيين . ففي مرسلة الصدوق عن الصادق عليه السلام : الوصال الّذي نهى عنه هو أن يجعل

[430]

ثمّ نقل كلام التذكرة و قال : ليس بجيّد لأنّ الأكل بالليل ليس بواجب ،

و قد صرّح به هو في المنتهى فقال : لو أمسك عن الطعام يومين لابنيّة الصيام بل بنيّة الإفطار فالأقوى عدم التحريم ، و على ما ذكره هنا لا فرق بينه صلّى اللّه عليه و آله و بين غيره ، بل المراد الصوم فيهما معا بالنية ، فإنّ هذا حكم مختصّ به محرم على غيره .

أقول : ما ذكره رحمه اللّه هو المطابق لكلام الأكثر ، لكنّ الأخبار الواردة في تفسيره تقتضي التحريم مطلقا ، و أيضا لو كان المراد مع النيّة فلا وجه للتّخصيص بهذين الفردين ، بل الظاهر أنّه لو نوى دخول ساعة من الليل مثلا في الصوم كان تشريعا محرّما .

و سيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الصوم ان شاء اللّه تعالى .

ثمّ قال في التذكرة :

الثاني : اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة ، كجارية حسنة و ثوب مترفّع [1164] و فرس جواد و غير ذلك ، و يقال لذلك الّذي اختاره : « الصفي و الصفيّة » و الجمع « الصفايا » و من صفاياه صفيّة بنت حيّى ، اصطفاها و اعتقها و تزوّجها ،

و ذو الفقار .

الثالث : خمس الفيء و الغنيمة كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الاستبداد به ، و أربعة أخماس الفيء كانت له أيضا .

الرابع : أبيح له دخول مكّة بغير إحرام خلافا لأمته ، فإنّه محرّم عليهم على خلاف .

الخامس : أبيحت له و لامته كرامة له الغنائم و كانت حراما على من قبله من الأنبياء ، بل أمروا بجمعها فتنزل نار من السمآء فتأكلها . و إنّه كان يقضي لنفسه

الرجل عشاه سحوره . و في حديث الحلبي عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، قال : الوصال في الصيام أن يجعل عشاه سحوره . و في حديث سليمان الديلميّ عنه عليه السلام : و إنّما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : « لا وصال في صيام » يعني لا يصوم الرجل يومين متواليين من غير إفطار . و في حديث حفص عنه عليه السلام : المواصل في الصيام يصوم يوما و ليلة و يفطر في السحر .

[1164] « رفع الثوب » خلاف غلظ . و في الحديث : ثوب حسن .

[431]

و في غيره خلاف ، و أن يحكم لنفسه و لولده ، و أن يشهد لنفسه و لولده ، و أن يقبل شهادة من شهد له [1165] .

السادس : أبيح له أن يحمي لنفسه الأرض لرعي ماشيته و كان حراما على من قبله من الأنبياء عليهم السّلام و الأئمة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم .

و قال المحقّق الثاني رحمه اللّه في شرح القواعد : و هذا عندنا مشترك بينه و بين الأئمّة عليهم السّلام و قول المصنّف رحمه اللّه في التذكرة « و الأئمّة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم » ليس جاريا على مذهبنا .

ثمّ قال في التذكرة :

السابع : أبيح له أن يأخذ الطعام و الشراب من المالك و إن اضطرّ إليها [1166] لأنّ حفظه لنفسه الشريفة أولى من حفظ نفس غيره ، و عليه البذل و الفداء بمهجته مهجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأنّه صلّى اللّه عليه و آله أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

و قال المحقّق في شرح القواعد : و ينبغي أن يكون الإمام كذلك كما يرشد إليه التعليل ، و لم أقف على تصريح في ذلك .

ثمّ قال في التذكرة :

الثامن : كان لا ينتقض وضوءه بالنوم ، و به قال الشافعيّة ، و حكى أبو العباس منهم وجها آخر غريبا ، و كذلك حكى وجهين في انتقاض وضوئه باللمس .

التاسع : كان يجوز له أن يدخل المسجد جنبا ، و منعه بعض الشافعيّة و قال : لا أخا له صحيحا .

العاشر : قيل : إنّه كان يجوز له أن يقتل من آمنه و هو غلط ، فإنّه من يحرم [1167] عليه خائنة الأعين كيف يجوز له قتل من آمنه ؟

[1165] في المصدر : من يشهد له .

[1166] في المصدر : و إن اضطرّ إليهما .

[1167] في المصدر : فإنّ من يحرم عليه .

[432]

الحادي عشر : قيل : إنّه كان يجوز له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه لأنّ لعنه رحمة ، و استبعده الجماعة و روى أبو هريرة أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال :

« اللّهمّ إنّي أتّخذ عندك عهدا لن تخلفه ، إنّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته بتهمة و لعنة [1168] فاجعلها له صلاة و زكاة و قربة يتقرّب بها إليك يوم القيامة » . و هو عندنا باطل لأنّه معصوم لا يجوز منه لعن الغير و سبّه بغير سبب ، و الحديث لو سلّم إنّما هو لسبب .

و من التخفيفات [1169] ما يتعلّق بالنكاح و هى امور :

الأوّل : الزيادة على أربع نسوة ، فإنّه صلّى اللّه عليه و آله مات عن تسع ، و هل كان له الزيادة على تسع ؟ الأولى الجواز لامتناع الجور عليه ، و للشافعيّة وجهان : هذا أصحّهما ، و الثاني المنع ، و أمّا انحصار طلاقه في الثلاث فالوجه في ذلك كما في حقّ الأمّة و هو أحد وجهي الشافعيّة . و الثاني العدم كما لم ينحصر عدد زوجاته صلّى اللّه عليه و آله .

الثاني : العقد بلفظ الهبة ، لقوله تعالى : وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ 1170 فلا يجب المهر حينئذ بالعقد و لا بالدخول ، لا ابتداء و لا انتهاء كما هو قضيّة الهبة ، و هو أظهر وجهي الشافعيّة . و الثاني المنع ، كما في حقّ الامّة . و على الأوّل هل يشترط لفظ النكاح من جهة النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله ؟ للشافعيّة وجهان :

أحدهما : نعم ، لظاهر قوله تعالى : « أن يستنكحها » 1171 . و الثاني لا يشترط في حقّ الواهبة [1172] ، و هل ينعقد نكاحه بمعنى الهبة حتّى لا يجب المهر ابتداء و لا انتهاء ؟

وجهان للشافعيّة ، و لهم وجه غريب : إنّه يجب المهر في حقّ الواهبة ، و خاصيّة النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله ليست في إسقاط المهر ، بل في الانعقاد بلفظ الهبة .

الثالث : كان إذا رغب صلّى اللّٰه عليه و آله في نكاح امرأة فإن كانت خليّة فعليها الإجابة و يحرم على غيره خطبتها ، و للشافعيّة وجه : إنّه لا يحرم ، و إن كانت

[1168] في المصدر : أو لعنته .

[1169] في المصدر : القسم الثاني من التخفيفات .

(1170) الأحزاب : 50 .

(1171) الأحزاب : 50 .

[1172] في المصدر : أن يشترط في حقّ الواهبة .

ذات زوج وجب على الزوج طلاقها لينكحها لقضيّة زيد [1173] . و لعلّ السرّ فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه و اعتقاده بتكليفه النزول عن أهله ، و من جانب النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله ابتلاؤه ببليّة البشريّة و منعه من خائنة الأعين و من الإضمار الّذي يخالف الإظهار كما قال تعالى : وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّٰهُ مُبْدِيهِ 1174 و لا شيء أدعى إلى غضّ البصر و حفظه لمجاريه الاتّفاقيّة [1175] من هذا التكليف و ليس هذا من باب التخفيفات كما قاله الفقهاء ، بل هو في حقّه غاية التشديد [1176] إذ لو كلّف بذلك آحاد الناس لما فتحوا أعينهم في الشوارع خوفا من ذلك ، و لهذا قالت عايشة : لو كان صلّى اللّٰه عليه و آله يخفى آية لأخفى هذه .

الرابع : انعقاد نكاحه بغير وليّ و شهود ، و هو عندنا ثابت في حقّه صلّى اللّٰه عليه و آله و حقّ أمّته [1177] إذ لا نشترط نحن ذلك ، و للشافعيّة وجهان .

الخامس : انعقاد نكاحه في الإحرام ، و للشافعيّة فيه وجهان ، أحدهما الجواز لما روي أنّه صلّى اللّٰه عليه و آله نكح ميمونة محرما ، و الثاني المنع كما لم يحلّ له الوطيء في الإحرام ، و المشهور عندهم أنّه نكح ميمونة حلالا .

السادس : هل كان يجب عليه القسم بين زوجاته بحيث إذا باتت عند واحدة منهنّ ليلة وجب عليه أن يبيت عند الباقيات كذلك أم لا يجب ؟ قال الشهيد الثاني رحمه اللّٰه : اختلف العلماء في ذلك ، فقال بعضهم : لا يجب عليه ذلك لقوله تعالى : تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ [1178] و معنى « ترجي » تؤخّر و تترك إيواءه إليك و مضاجعته بقرينة قسيمه ، و هو

[1173] في المصدر : كقضيّة زيد .

(1174) الأحزاب : 37 .

[1175] في المصدر : و حفظه عن المحابة الاتّفاقيّة .

[1176] فيه تأمّل واضح يعلم بمراجعة الآية و تفسيرها .

[1177] في ثبوت جواز النكاح بغير وليّ مطلقا في حقّ أمّته محلّ تأمّل ، بل منع .

[1178] الأحزاب : 51 . قال الطبرسيّ في معناها : أي تؤخّر و تبعّد من تشاء من أزواجك ، و تضمّ إليك من تشاء منهنّ و اختلف في معناه على أقوال .

أحدها : أنّ المراد : تقدّم من تشاء من نسائك في الايواء إليك و هو الدعاء للفراش ، و تؤخّر من تشاء في ذلك ، و تدخل من تشاء منهنّ في القسم ، و لا تدخل من تشاء ، عن قتادة ، قال : و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقسم بين أزواجه و أباح اللّه له ترك ذلك .

قوله : « و تؤوي إليك من تشاء » أي تضمّه إليك و تضاجعه ، ثمّ لا يتعيّن ذلك عليك ، بل لك بعد الإرجاء ، أن تبتغي ممّن عزلت ما شئت و تؤويه إليك . و هذا ظاهر في عدم وجوب القسمة عليه صلّى اللّه عليه و آله ، حتّى روي أنّ بعد نزول الآية ترك القسمة لجماعة من نسائه و آوى إليه جماعة منهن معيّنات و قال آخرون : بل تجب القسمة عليه كغيره لعموم الأدلّة الدالّة عليها و لأنّه لم يزل يقسّم بين نسائه حتّى كان يطاف به و هو مريض عليهنّ و يقول : « هذا قسمي فيما أملك ، و أنت أعلم بما لا أملك » يعني قلبه صلّى اللّه عليه و آله . و المحقّق رحمه اللّه استضعف الاستدلال بالآية على عدم وجوب القسمة بأنّه كما يحتمل أن يكون المشيّة في الإرجاء و الإيواء لجميع نسائه يحتمل أن يكون متعلّقا بالواهبات أنفسهنّ خاصّة ، فلا يكون دليلا على التخيير مطلقا . و حينئذ فيكون اختيار قول ثالث و هو وجوب القسمة لمن تزوّجهنّ بالعقد و عدمها لمن وهبت نفسها . و في هذا عندي نظر لأنّ ضمير الجمع المؤنّث في قوله :

« ترجي من تشاء منهنّ » و اللفظ العامّ في قوله « و من ابتغيت » لا يصحّ عوده للواهبات ،

لأنّه لم يتقدّم ذكر الهبة إلاّ لامرأة واحدة ، و هي قوله : وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إنْ أرادَ النَّبِيُّ أنْ يَسْتَنْكِحَهَا 1179 فوحّد ضمير الهبة في مواضع من الآية ، ثمّ عقّبه بقوله :

« ترجي من تشاء منهنّ » فلا يحسن عوده إلى الواهبات ، إذ لم يسبق لهنّ ذكر على وجه الجمع . بل إلى جميع الأزواج المذكورات في هذه الآية و هي قوله تعالى : يَا أيُّهَا

ثانيها : أنّ المراد : تعزل من تشاء منهنّ بغير طلاق ، و تردّ إليك من تشاء منهنّ بعد عزلك إيّاها بلا تجديد عقد .

ثالثها : أنّ المراد : تطلق من تشاء منهنّ و تمسك من تشاء .

رابعها : أنّ المراد : تترك نكاح من تشاء من نساء أمّتك و تنكح منهنّ من تشاء ، عن الحسن ، قال : و كان صلّى اللّه عليه و آله إذا خطب امرأة لم يكن لغيره أن يخطبها حتّى يتزوّجها أو يتركها .

خامسها : [أنّ المراد] : تقبل من تشاء من المؤمنات اللاّتي يهبن أنفسهنّ لك فتؤويها إليك ، و تترك من تشاء منهنّ فلا تقبلها .

« و من ابتغيت ممّن عزلت فلا جناح عليك » (الأحزاب : 51) أي إن أردت أن تؤوي إليك امرأة ممّن عزلتهنّ عن ذلك و تضمّها إليك فلا سبيل عليك بلوم و لا عتب و لا إثم عليك في ابتغائها ، أباح اللّه سبحانه له ترك القسم في النساء حتّى يؤخّر من يشاء عن وقت نوبتها ، و يطأ من يشاء في غير وقت نوبتها ، و له أن يعزل من يشاء ، و له أن يردّ المعزولة إن شاء . فضّله اللّه بذلك على جميع الخلق .

(1179) الأحزاب : 50 .

[435]

النبي إنّا أحللنا لك أزواجك اللاّتي آتيت أجورهنّ و ما ملكت يمينك ممّا أفاء اللَّه عليك و بنات عمّك و بنات عمّاتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاّتي هاجرن معك و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنّبيّ الآية » 1180 الآية ، ثمّ عقّبها بقوله : « ترجي من تشاء منهنّ الآية » ،

و هذا هو ظاهر في عود ضمير النسوة المخيّر فيهنّ إلى من سبق من أزواجه جمع . و أيضا فإنّ النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله لم يتزوج بالهبة إلاّ امرأة واحدة على ما ذكره المحدّثون و المفسّرون ، و هو المناسب لسياق الآية ، فكيف يجعل ضمير الجمع عائدا إلى الواهبات و ليس له منهنّ إلاّ واحدة ؟ ثمّ لو تنزّلنا و سلّمنا جواز عوده إلى الواهبات لما جاز حمله عليه بمجرّد الاحتمال مع وجود اللفظ العامّ الشامل لجميعهنّ ، و أيضا فإنّ غاية الهبة أنّ تزويجه صلّى اللَّه عليه و آله يجوز بلفظ الهبة من جانب المرأة أو من الطرفين ، و ذلك لا يخرج الواهبة عن أن تكون زوجة فيلحقها ما يلحق غيرها من أزواجه . لأنّها تصير بسبب الهبة بمنزلة الأمة . و حينئذ فتخصيص الحكم بالواهبات لا وجه له أصلا ، و أمّا فعله صلّى اللَّه عليه و آله فجاز كونه بطريق التفضّل و الانصاف و جبر القلوب ، كما قال اللَّه تعالى : ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّا عْيُنُهُنَّ وَ لاَ يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ 1181 .

انتهى كلامه رحمه اللَّه .

و رجعنا إلى كلام التذكرة :

السابع : إنّه كان يجوز للنبيّ صلّى اللَّه عليه و آله تزويج المرأة ممّن شاء بغير إذن وليّها و تزويجها من نفسه و تولّى الطرفين من غير إذن وليّهما ، و هل [1182] كان يجب عليه نفقة زوجاته ؟ وجهان لهم بناء على الخلاف في المهر ، و كانت المرأة تحلّ له بتزويج اللَّه تعالى ، قال سبحانه في قصّة زيد : « فلمّا قضى زيد منها وطرا زوّجناكها » 1183 . و قيل : إنّه نكحها بمهر ، و حملوا « زوّجناكها » على إحلال اللَّه تعالى

(1180) الأحزاب : 50 .

(1181) الأحزاب : 51 .

[1182] في المصدر قبل ذلك : و سوّغ الشافعيّة أن ينكح المعتدة في وجه ، و هل كان . ا ه .

(1183) الأحزاب : 37 .

[436]

له نكاحها ، و أعتق صلّى اللَّه عليه و آله صفيّة رضي اللَّه عنها و تزوّجها و جعل عتقها صداقها ، و هو ثابت عندنا في حقّ أمّته . و جوّز بعض الشافعيّة له الجمع بين المرأة و عمّتها أو خالتها ، و إنّه كان يجوز له الجمع بين الأختين ، و كذا في الجمع بين الأمّ و بنتها . و هو عندنا بعيد لأنّ خطاب اللَّه تعالى يدخل فيه النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله .

و أمّا الفضل [1184] و الكرامات فقسمان :

الأوّل : في النكاح ، و هو أمور :

الأوّل : تحريم زوجاته على غيره [1185] ، قال الشهيد الثاني قدّس سرّه :

من جملة خواصّه صلّى اللَّه عليه و آله تحريم أزواجه من بعده على غيره لقوله تعالى : وَ مَا كَانَ لَكُمْ أن تُؤذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبدَاً 1186 . و هي متناولة بعمومها لمن مات عنها من أزواجه ، سواء كانت مدخولا بها أم لا ، لصدق الزوجيّة عليهما و لم يمت صلّى اللَّه عليه و آله عن زوجة في عصمته إلاّ مدخولا بها . و نقل المحقّق الإجماع

على تحريم المدخول بها ، و الخلاف في غيرها ليس بجيّد لعدم الخلاف أوّلا و عدم الفرض الثاني ثانيا ، و إنّما الخلاف فيمن فارقها في حياته بفسخ أو طلاق كالّتي وجد بكشحها بياضا و المستعيذة ، فإنّ فيه أوجها أصحّها عندنا تحريمها مطلقا لصدق نسبة زوجيّتها إليه صلّى اللّه عليه و آله بعد الفراق في الجملة ،

فيدخل في عموم الآية . [1187] و الثاني أنّها لا تحرم مطلقا لأنّه يصدق في حياته أن يقال :

ليست زوجته الآن و لإعراضه صلّى اللّه عليه و آله عنها و انقطاع اعتنائه بها .

و الثالث إن كانت مدخولا بها حرمت و إلاّ فلا ، لما روي أنّ الأشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمان عمر فهمّ برجمها فأخبر أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فارقها قبل أن يمسّها فخلاّها ، و لم ينكر عليه أحد من الصحابة .

[1184] في المصدر : و أمّا الفضائل و الكرامات .

[1185] في المصدر : تحريم زوجاته اللّواتي مات عنهنّ على غيره .

(1186) الأحزاب : 53 .

[1187] إن لم نقل : إنّها ظاهرة في اللّواتي كنّ زوجاته حين موته صلّى اللّه عليه و آله ، نعم يدلّ على ذلك الحديث الآتي .

و روى الكلينيّ في الحسن عن عمر بن أذينة في حديث طويل أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فارق المستعيذة و امرأة أخرى من كندة ، قالت لمّا مات ولده إبراهيم : لو كان نبيّا ما مات ابنه فتزوّجتا [1188] بعده باذن الأوّلين ، و أنّ أبا جعفر عليه السّلام قال : ما نهى اللّه عزّ و جلّ عن شيء إلاّ و قد عصي فيه ، لقد نكحوا أزواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من بعده ، و ذكر هاتين العامريّة و الكنديّة . ثمّ قال أبو جعفر صلّى اللّه عليه و آله : لو سألتم عن رجل تزوّج امرأة فطلّقها قبل أن يدخل بها أتحلّ لابنه ؟

لقالوا : لا ، فرسول اللّه أعظم حرمة من آبائهم .

و في رواية أخرى عن زرارة عنه عليه السّلام نحوه ، و قال في حديثه :

و هم يستحلّون أن يتزوّجوا [1189] أمّهاتهم ؟ و إنّ أزواج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في الحرمة مثل أمّهاتهم إن كانوا مؤمنين . 1190 إذا تقرّر ذلك فنقول : تحريم أزواجه صلّى اللّه عليه و آله لما ذكرناه من النهي المؤكّد عنه في القرآن لا لتسميتهنّ أمّهات المؤمنين في قوله تعالى : وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ 1191 و لا لتسميته صلّى اللّه عليه و آله والدا ، لأنّ ذلك وقع على وجه المجاز لا الحقيقة ، كناية عن تحريم نكاحهنّ ، و وجوب احترامهنّ ، و من ثمّ لم يجز النظر إليهنّ و لا الخلوة بهنّ و لا يقال لبناتهنّ : أخوات المؤمنين ، لأنّهنّ لا يحرمن على المؤمنين .

فقد زوّج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاطمة عليها السّلام بعليّ عليه السّلام و أختيها « رقيّة » و « امّ كلثوم » عثمان ، و كذا لا يقال لآبائهن و امّهاتهنّ :

أجداد المؤمنين وجدّاتهم ، و لا لاخوانهنّ و أخواتهنّ أخوال المؤمنين و خالاتهم . و للشافعيّة وجه ضعيف في إطلاق ذلك كلّه ، و هو في غاية البعد . انتهى .

ثمّ قال رحمه اللّه في التذكرة :

[1188] في الحديث : فتزوّجنا ، فجذم أحد الرجلين و جنّ الآخر .

[1189] في الكافي : و هم لا يستحلّون أن يتزوّجوا أمّهاتهم .

(1190) فروع الكافي ، ج 2 ، ص 33 34 .

(1191) الأحزاب : 6 .

الثاني : إنّ أزواجه امّهات المؤمنين ، سواء فيه من ماتت تحت النبيّ و من مات النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله و هي تحته ، و ليست الأمومة هنا حقيقة ، ثمّ ذكر نحوا ممّا ذكره الشهيد الثاني رحمه اللَّه في ذلك .

الثالث : تفضيل زوجاته على غيرهنّ بأن جعل ثوابهنّ و عقابهنّ على الضعف .

الرابع : لا يحلّ لغيرهنّ من الرجال أن يسألهنّ شيئا إلا من وراء حجاب لقوله تعالى : وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ 1192 . و أمّا غيرهنّ فيجوز أن يسألن مشافهة .

الثاني : في غير النكاح ، و هو أمور :

الأوّل : أنّه خاتم النبيّين صلّى اللَّه عليه و آله .

الثاني : إنّ لم خير الأمم [1193] ، لقوله تعالى : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ 1194 تكرمة له صلّى اللَّه عليه و آله و تشريفا .

الثالث : نسخ جميع الشرائع بشريعته .

الرابع : جعل شريعته مؤبّدة .

الخامس : جعل كتابه معجزا بخلاف كتب سائر الأنبياء عليهم السّلام .

السادس : حفظ كتابه عن التبديل و التغيير ، و أقيم بعده حجّة على الناس ،

و معجزات غيره من الأنبياء انقرضت بانقراضهم .

السابع : نصر بالرعب على مسيرة شهر ، فكان العدوّ يرهبه من مسيرة شهر .

الثامن : جعلت له الأرض مسجدا و ترابها طهورا .

التاسع : أحلّت له الغنائم دون غيره من الأنبياء عليهم السّلام .

العاشر : يشفع في أهل الكبائر ، لقوله صلّى اللَّه عليه و آله : « ذخرت

(1192) الأحزاب : 53 .

[1193] في المصدر : أمّته خير الأمم .

(1194] آل عمران : 110 .

شفاعتي لأهل الكبائر من امّتي » .

الحادي عشر : بعث إلى الناس عامّة .

الثاني عشر : سيّد ولد آدم يوم القيامة .

الثالث عشر : أوّل من تنشقّ عنه الأرض .

الرابع عشر : أوّل شافع و مشفّع .

الخامس عشر : أوّل من يقرع باب الجنّة .

السادس عشر : أكثر الأنبياء تبعا .

السابع عشر : امّته معصومة لا تجتمع على الضلالة .

أقول : قال المحقّق في شرح القواعد : في عدّ هذا من الخصائص نظر لأنّ الحديث غير معلوم الثبوت ، و امّته صلّى اللّه عليه و آله مع دخول المعصوم عليه السّلام فيهم لا تجتمع على ضلالة لكن باعتبار المعصوم فقطّ و لا دخل لغيره في ذلك ، و بدونه هم كسائر الأمم على الأمم الماضين مع أوصياء أنبيائهم كهذه الأمّة مع المعصوم ، فلا اختصاص . [1195] ثمّ قال في التذكرة :

الثامن عشر : صفوف امّته كصفوف الملائكة .

التاسع عشر : تنام عينه و لا ينام قلبه .

العشرون : كان يرى من ورائه كما يرى من قدّامه ، بمعنى التحفّظ و الحسّ ،

و كذلك قوله صلّى اللّه عليه و آله : « تنام عيناي و لا ينام قلبي » .

الحادى و العشرون : كان تطوّعه بالصلاة قاعدا كتطوّعه قائما و إن لم يكن عذر [1196] ، و في حقّ غيره ذلك على النصف من هذا .

الثاني و العشرون : مخاطبة المصلّي بقوله « السّلام عليك و رحمة اللّه

[1195] يمكن أن يقال : إنّ أمّته لا يجتمع على الضلالة ، لأن فيها فرقة في جميع الأعصار يتّبعون الحق ، و لو اتّبع غيرهم غير سواء السبيل ، فعليه يثبت الاختصاص .

[1196] في المصدر : و إن لم يكن له عذر .

[440]

و بركاته » [1197] ، و لا يخاطب سائر الناس .

الثالث و العشرون : يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبيّ .

الرابع و العشرون : يحرم على غيره نداءه [1198] من وراء الحجرات للآية . [1199] الخامس و العشرون : نادى اللّه تعالى الأنبياء و حكى عنهم بأسمائهم ،

فقال تعالى : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا 1200 [و] أَنْ يَا إِبْراهِيمُ 1201 [و] « يا نوح » 1202 . و ميّز نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله بالنداء بألقابه الشريفة فقال تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

(1203 [و] يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ 1204 [و] يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ 1205 [و] يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ 1206 .

و لم يذكر اسمه في القرآن إلاّ في أربعة مواضع ، شهد له فيها بالرسالة لافتقار الشهادة إلى ذكر اسمه ، فقال :

مُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ . 1207 مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رِسُولَ اللهِ وَ خَاتَمُ النَّبيّين 1208 وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الحقُّ مِنْ رَبِّهِمْ 1209

[1197] في المصدر : السلام عليك أيّها النبيّ و رحمة اللّه و بركاته .

[1198] في المصدر : مناداته .

[1199] و الآية نفسها : إِنَّ الَذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَآءِ الحُجرات أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ (الحجرات : 4) .

(1200) يوسف : 29 .

(1201) الصافّات : 104 .

(1202) هود : 46 .

(1203) الأنفال : 64 ، 65 و 70 ، و التوبة : 73 ، و في غيرها .

(1204) المائدة : 41 و 67 .

(1205) المزّمّل : 1 .

(1206) المدّثّر : 1 .

(1207) الفتح : 29 .

(1208) الأحزاب : 40 .

(1209) محمّد : 2 .

بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي 0 اسْمُهُ أَحْمَدَ . [1210] و كان يحرم أن ينادى باسمه فيقول : يا محمد يا أحمد و لكن يقول [1211] : يا نبيّ اللّه يا رسول اللّه يا خيرة اللّه . . . إلى غير ذلك من صفاته الجلية .

السادس و العشرون : كان يستشفى به .

السابع و العشرون : كان يتبرّك ببوله و دمه .

الثامن و العشرون : من زنى بحضرته أو استهان به كفر .

التاسع و العشرون : يجب على المصلّي إذا دعاه يجيبه [1212] و لا تبطل صلاته ،

و للشافعيّة وجه : إنّه لا يجب و تبطل به الصلاة .

الثلاثون : كان أولاد بناته ينسبون إليه و أولاد بنات غيره لا ينسبون إليه :

لقوله صلّى اللّه عليه و آله : « كلّ سبب و نسب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببي و نسبي » . و قيل : معناه أنّه لا ينتفع يومئذ بسائر الأنساب ، و ينتفع بالنسبة إليه صلّى اللّه و عليه و آله .

مسألة : قال صلّى اللّه عليه و آله : « سمّوا باسمي و لا تكنّوا بكنيتي » .

و اختلفوا ، فقال الشافعيّ : إنّه ليس لأحد أن يكنّي بأبي القاسم سواء كان اسمه محمّدا أو لم يكن ، و منهم من حمله على كراهة الجمع بين الاسم و الكنية و جوّزوا الإفراد و هو الوجه لأنّ الناس لم يزالوا بكنيته صلّى اللّه عليه و آله يكنّون [1213] في جميع الأعصار من غير إنكار . انتهى . 1214 .

و يؤيّد ما اختاره رحمه اللّه ما رواه الكلينيّ و الشيخ عن عليّ بن إبراهيم ،

عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكوني ، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام أنّ النبيّ

[1210] الصفّ : 6 . و في الهامش : كأنّه رحمه اللّه غفل عمّا في سورة آل عمران : وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، و معه خمسة مواضع ، لكن لا يخلّ بمقصوده منه عفى عنه . أقول : راجع سورة آل عمران ، الآية رقم 144 .

[1211] أي المنادي .

[1212] في المصدر : أن يجيبه .

[1213] في المصدر : يكنّون بكنيته .

(1214) التذكرة ، مقدّمات النكاح .

[442]

صلّى اللّه عليه و آله نهى عن أربع كنى : عن أبي عيسى ، و عن أبي الحكم ، و عن أبي مالك ، و عن أبي القاسم إذا كان الاسم محمّدا . 1215 أقول : هذا جملة ما ذكره أصحابنا و أكثر مخالفينا من خصائصه صلّى اللّه عليه و آله و لم نتعرّض للكلام عليها و إن كان لبعضها مجال للقول فيه لقلّة الجدوى ،

و لأنّا اوردنا من الأخبار في هذا الباب و غيره ما يظهر به جليّة الحال لمن أراد الاطّلاع عليه . و اللّه الموفّق للسداد . 1216

215 و من دعاء له عليه السلام كان يدعو به كثيرا

الحمد للّه الّذي لم يصبح بي ميّتا و لا سقيما ، و لا مضروبا على عروقي بسوء ، و لا مأخوذا بأسوإ عملي ، و لا مقطوعا دابري (2961) ، و لا مرتدّا عن ديني ، و لا منكرا لربّي ، و لا مستوحشا من إيماني ، و لا ملتبسا (2962) عقلي ، و

لا معذّبا بعذاب الأمم من قبلي . أصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي ، لك الحجّة عليّ و لا حجّة لي . و لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ، و لا أتّقي إلاّ ما وقيتني .

اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضلّ في هداك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد و الأمر لك اللّهمّ اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي ، و أوّل وديعة

(1215) فروع الكافي ، ج 2 ، ص 87 .

(1216) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 382 401 .

[443]

ترجعها من ودائع نعمك عندي اللّهمّ إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك ، أو أن نفتتن عن دينك ،

أو تتابع بنا أهواؤنا (2963) دون الهدى الّذي جاء من عندك

216 و من خطبة له عليه السلام

خطبها بصفين

أمّا بعد ، فقد جعل اللّه سبحانه لي عليكم حقّا بولاية أمركم ،

لكم عليّ من الحقّ مثل الّذي لي عليكم ، فالحقّ أوسع الأشياء في لتّواصف ، و أضيقها في التّناصف ، لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه ،

لا يجري عليه إلاّ جرى له . و لو كان لأحد أن يجري له و لا يجري عليه ، لكان ذلك خالصا للّه سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباده ، و لعدله في كلّ ما جرت عليه صروف قضائه ، و لكنّه سبحانه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه ، و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثّواب لفضّلا منه ، و توسّعا بما هو من المزيد أهله .

حق الوالي و حق الرعية

ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض النّاس على بعض ، فجعلها تتكافا (2964) في وجوهها ، و يوجب بعضها بعضا ، و لا

[444]

يستوجب بعضها إلاّ ببعض . و أعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرّعيّة ، و حقّ الرّعيّة على الوالي ، فريضة فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ ، فجعلها نظاما لألفتهم ، و عزّا لدينهم ، فليست تصلح الرّعيّة إلاّ بصلاح الولاة ، و لا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرّعيّة ، فإذا أدّت الرّعيّة إلى الوالي حقّه ، و أدّى الوالي إليها حقّها عزّ الحقّ بينهم ، و قامت مناهج الدّين ، و اعتدلت معالم العدل ، و جرت على أذلالها (2965) السّنن (2966) ، فصلح بذلك الزّمان ، و طمع في بقاء الدّولة ، و يئست مطامع الأعداء . و إذا غلبت الرّعيّة و اليها ، أو أجحف (2967) الوالي برعيّته ، اختلفت هنا لك الكلمة ، و ظهرت معالم الجور ، و كثر الإدغال (2968) في الدّين ،

و تركت محاجّ السّنن (2969) ، فعمل بالهوى ، و عطّلت الأحكام ،

و كثرت علل النّفوس ، فلا يستوحش لعظيم (2970) حقّ عطّل ، و لا لعظيم باطل فعل فهنالك تذلّ الأبرار ، و تعزّ الأشرار ، و تعظم تبعات اللَّه سبحانه عند العباد . فعليكم بالتّناصح في ذلك ، و حسن التّعاون عليه ، فليس أحد و إن اشتدّ على رضى اللَّه حرصه ، و طال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما اللَّه سبحانه أهله من الطّاعة له .

و لكن من واجب حقوق اللَّه على عباده النّصيحة بمبلغ جهدهم ،

[445]

و التّعاون على إقامة الحقّ بينهم . و ليس امرؤ و إن عظمت في الحقّ منزلته ، و تقدمت في الدّين فضيلته بفوق أن يعان (2971) على ما حمّله اللَّه من حقّه . و لا امرؤ و إن صغّرته النّفوس ، و اقتحمته (2972) العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه . فاجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل ، يكثر فيه الثناء عليه ، و يذكر سمعه و طاعته له ، فقال عليه السلام :

إنّ من حقّ من عظم جلال اللَّه سبحانه في نفسه ، و جلّ موضعه من قلبه ، أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه ، و إنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة اللَّه عليه ، و لطف إحسانه إليه ، فإنّه لم تعظم نعمة اللَّه على أحد إلاّ ازداد حقّ اللَّه عليه عظما . و إنّ من أسخف (2973) حالات الولاة عند صالح النّاس ، أن يظنّ بهم حبّ الفخر ، و يوضع أمرهم على الكبر ، و قد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء ، و استماع الثّناء ، و لست بحمد اللَّه كذلك ، و لو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطا للَّه سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة و الكبرياء . و ربّما استحلى النّاس الثّناء بعد البلاء (2974) ، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء ، لإخراجي نفسي إلى اللَّه سبحانه و إليكم من التّقية (2975) في حقوق لم أفرغ من أدائها ،

[446]

و فرائض لا بدّ من إمضائها ، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة ، و لا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة (2976) ، و لا تخالطوني بالمصانعة (2977) ، و لا تظنّوا بي استثقالا في حقّ قيل لي ، و لا التماس إعظام لنفسي ، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه . فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ ، أو مشورة بعدل ، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ ، و لا آمن ذلك من فعلي ، إلاّ أن يكفي اللَّه من نفسي ما هو أملك به منّي (2978) ،

فإنّما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره ، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا ، و أخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه ،

فأبدلنا بعد الضّلالة بالهدى ، و أعطانا البصيرة بعد العمى .

تبيين

قوله عليه السّلام : « أوسع الأشياء في التواصف » أي كلّ أحد يصف الحقّ و العدل و يقول : لو ولّيت لعدلت ، و لكن إذا تيسّر له لم يعمل بقوله و لم ينصف الناس من نفسه . و « معالم الشيء » مظانّه و ما يستدلّ به عليه . و « الأذلال » المجاري و الطرق . و « اختلاف الكلمة » اختلاف الآراء و الأهواء .

و قال الجزري : أصل « الدغل » الشجر الملتفّ الّذي يكون [1217] أهل الفساد فيه ، و « أدغلت في هذا الأمر » إذا أدخلت فيه ما يخالفه . 1218 و « المحاجّ » جمع « محجّة » و هي جادة الطريق . و « اقتحمته عيني » احتقرته و « الإطراء » المبالغة في المدح . قوله « من البقيّة » في أكثر النسخ بالباء الموحّدة ، أي

[1217] الصحيح كما في المصدر : يكمن .

(1218) النهاية ، ج 2 ، ص 25 .

[447]

لا تثنوا عليّ لأجل ما ترون منّي في طاعة اللَّه ، فإنّما هو إخراج لنفسي إلى اللَّه من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ من أدائها ، و كذلك إليكم من الحقوق الّتي أوجبها اللَّه عليّ لكم من النصيحة و الهداية و الإرشاد ، و قيل : المعنى : لاعترافي بين يدي اللَّه و بمحضر منكم أنّ عليّ حقوقا في رئاستي عليكم لم أقم بها بعد ، و أرجو من اللَّه القيام بها ، و في بعض النسخ المصحّحة القديمة بالتاء المثنّاة الفوقانيّة ، أي خوف اللَّه في حقوق لم أفرغ من أدائها بعد . قوله عليه السّلام « و لا تتحفّظوا منّي » أي لا تمتنعوا من إظهار ما تريدون إظهاره لديّ خوفا من سطوتي كما هو شأن الملوك . و « البادرة » الحدّة و ما يبدر عند الغضب . و « المصانعة » المداراة و الرشوة . 1219 كا [1220] : علي بن الحسن المؤدب ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، و أحمد بن محمّد [1221] عن عليّ بن الحسن التيميّ ، جميعا عن إسماعيل بن مهران ، قال : حدّثني عبد اللَّه بن الحارث ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السّلام قال : خطب أمير المؤمنين عليه السّلام الناس بصفّين ، فحمد اللَّه و أثنى عليه و صلّى على محمّد النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله ثمّ قال :

أمّا بعد ، فقد جعل اللَّه تعالى لي عليكم حقّا بولاية أمركم [1222] و منزلتي الّتي أنزلني اللَّه عزّ ذكره بها منكم و لكم عليّ من الحقّ مثل الّذي لي عليكم ، و الحقّ أجمل الأشياء في التواصف و أوسعها في التناصف [1223] ، لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه

(1219) بحار الأنوار الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 152 .

[1220] الروضة من الكافي ، ص 352 360 . و قد صحّح هذا الكتاب « على أكبر الغفّاري » و قابله مع الأصل و علّق عليه تعليقات .

[1221] « أحمد بن محمّد » عطف على « عليّ بن الحسن » ، و هو العاصميّ . و التيميّ هو ابن فضّال و . . . قل من تفطن لذلك .

(آت) و في بعض النسخ : « أحمد بن محمّد بن أحمد » و في بعضها : « عليّ بن الحسين المؤدّب » .

[1222] الّذي له عليهم من الحقّ هو وجوب طاعته و إمحاض نصيحته ، و الّذي لهم عليه من الحقّ هو وجوب معدلته فيهم . (في)

[1223] « التواصف » أن يصف بعضهم لبعض . و « التناصف » أن ينصف بعضهم بعضا . و إنّما كان الحقّ أجمل الأشياء في التواصف لأنّه يوصف بالحسن و الوجوب و كلّ جميل و إنّما كان أوسعها في التناصف لأنّ الناس لو تناصفوا في الحقوق لما ضاق عليهم أمر من الأمور . و في النهج : « و الحقّ أوسع الأشياء في التواصف و أضيقها في التناصف » و هو أوضع و معناه أنّ الناس كلّهم يصفون الحقّ و لكن لا ينصف بعضهم بعضا (في) . و في بعض النسخ : « التراصف » موضع التواصف .

و لا يجري عليه إلاّ جرى له . و لو كان لأحد أن يجري ذلك له و لا يجري عليه ، لكان ذلك اللَّه عزّ و جلّ خالصا دون خلقه لقدرته على عباده و لعدله في كلّ ما جرت عليه ضروب قضائه [1224] ، و لكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه و جعل كفّارتهم [1225] عليه بحسن الثواب تفضلا منه و تطوّلا بكرمه و توسّعا بما هو من المزيد له أهلا .

ثمّ جعل من حقوقه حقوقا فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافى [1226] في وجوهها و يوجب بعضها بعضا و لا يستوجب بعضها إلاّ ببعض . [1227] فأعظم ممّا افترض اللَّه تبارك و تعالى من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعيّة و حقّ الرعيّة على الوالي ، فريضة فرضها اللَّه عزّ و جلّ لكلّ على كلّ ، فجعلها نظام ألفتهم و عزّا لدينهم [1228] و قواما لسنن الحقّ فيهم ، فليست تصلح الرعيّة إلاّ بصلاح الولاة و لا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرعيّة ، فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه و أدّى إليها الوالي كذلك عزّ الحقّ بينهم ، فقامت مناهج الدين و اعتدلت معالم العدل و جرت على أذلالها السنن [1229] ، فصلح بذلك الزمان و طاب به العيش و طمع في بقاء الدولة و يئست مطامع الأعداء . و إذا غلبت الرعيّة و اليهم و علا الوالي الرعيّة ، اختلفت هنا لك الكلمة و ظهرت مطامع الجور و كثر الإدغال في الدين و تركت معالم

[1224] أي أنواعه المتغيّرة المتوالية . و في بعض النسخ : « صروف قضائه » .

[1225] إنّما سمّي جزاؤه تعالى على الطاعة كفّارة لأنّه يكفر ما يزعمونه من أنّ طاعتهم له تعالى حقّ لهم عليه يستوجبون به الثواب ، مع أنّه ليس كذلك لأنّ الحقّ له عليهم حيث أقدرهم على الطاعة و ألهمهم إيّاها و لهذا سمّاه التفضّل و التطوّل و التوسّع بالانعام الّذي هو للمزيد منه أهل لأنّه الكريم الّذي لا تنفد خزائنه بالاعطاء و الجود تعالى مجده و تقدّس . و في نهج البلاغة :

« و جعل جزاءهم عليه » و على هذا فلا يحتاج إلى التكليف . (فى)

[1226] أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلا بمثله ، فحقّ الوالي ، و هو الطاعة من الرعيّة ، مقابل بمثله و هو العدل فيهم و حسن السيرة . (آت)

[1227] كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة . (آت)

[1228] فإنّها سبب اجتماعهم به و يقهرون أعداءهم و يعزّ دينهم . و قوله « قواما » أي به يقوم جريان الحقّ فيهم و بينهم . (آت)

[1229] في القاموس : « ذلّ الطريق » بالكسر ، محجّته . و أمور اللَّه جارية أذلالها و على أذلالها أي مجاريها . جمع « ذلّ » بالكسر .

السنن [1230] ، فعمل بالهوى . و عطلت الآثار و كثرت علل النفوس [1231] و لا يستوحش لجسيم حدّ عطّل ، و لا لعظيم باطل اثّل فهنالك تذلّ الأبرار و تعزّ الأشرار و تخرب البلاد [1232] و تعظم تبعات اللَّه عزّ و جلّ عند العباد .

فهلمّ أيّها النّاس إلى التعاون على طاعة اللَّه عزّ و جلّ و القيام بعدله و الوفاء بعهده و الانصاف له في جميع حقّه ، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك و حسن التعاون عليه ، و ليس أحد و إن اشتدّ على رضى اللَّه حرصه و طال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى اللَّه من الحقّ أهله ، و لكن من واجب حقوق اللَّه عزّ و جلّ على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم و التعاون على إقامة الحقّ فيهم ، ثمّ ليس امرء و إن عظمت في الحقّ منزلته و جسمت في الحقّ فضيلته بمستغن عن أن يعان على ما حمله اللَّه عزّ و جلّ من حقّه ، و لا لامريء مع ذلك خسئت به الأمور و اقتحمته العيون [1233] بدون ما أن يعين على ذلك و يعان عليه . و أهل الفضيلة في الحال و أهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة و كلّ في الحاجة إلى اللَّه عزّ و جلّ شرع سواء . [1234]

[1230] « الادغال » بكسر الهمزة ، و هو أن يدخل في الشيء ما ليس منه و هو الابداع و التلبيس ، أو بفتحها ، جمع « الدغل » بالتحريك ، الفساد . (آت)

[1231] قال البحراني : « علل النفوس » أمراضها بملكات السوء كالغلّ و الحسد و العدوات و نحوها ، و قيل : عللها وجوه ارتكابها للمنكرات فتأتي في كلّ منكر بوجه و رأي فاسد .

[1232] « التأثيل » التأصيل و « مجد مؤثّل » أي مجموع ذو أصل . و في النهج : « فعل » مكان أثل . و « التبعة » ما يتبع أعمال العباد من العقاب و سوء العاقبة .

[1233] « و لا لامريء » يعني مع عدم الاستغناء عن الاستعانة . و قوله « خسئت به الأمور » يقال : « خسئت و الكلب خسأ » طردته و خسأ الكلب بنفسه ، يتعدّى و لا يتعدّى . و قد تعدّي بالباء ، أي طردته الأمور ، أو يكون الباء للسببية ، أي بعدت بسببه الأمور .

(آت) و في بعض النسخ : « حست » بالمهملتين ، أي اختبرته . و « اقتحمه » احتقره . و في النهج : « و لا امرؤ و إن صغرته النفوس و اقتحمته العيون » . و قوله « بدون ما أن يعين » أي بأقلّ من أن يستعان به و يعان . و الحاصل أنّ الشريف و الوضيع جميعا محتاجون في أداء الحقوق إلى إعانة بعضهم بعضا و استعانة بعضهم ببعض ، و كلّ من كانت النعمة عليه أعظم فاحتياجه في ذلك أكثر لأن الحقوق عليه أوفر لازدياد الحقوق بحسب ازدياد النعم . (فى)

[1234] « سواء » بيان لقوله « شرع » و تأكيد ، و إنّما ذكره عليه السلام ذلك لئلاّ يتوّهم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضا عن ربّهم تعالى بل هو الموفّق و المعين لهم في جميع أمورهم و لا يستغنون بشيء عن اللّه تعالى . و إنّما كلّفهم بذلك ليعتبر طاعتهم و يثيبهم على ذلك و اقتضت حكمته البالغة أن يجرى الأشياء بأسبابها و هو المسبب لها و القادر على إمضائها بلا سبب . (آت)

[450]

فأجابه رجل من عسكره لا يدرى من هو (و يقال : إنّه لم يرفي عسكره قبل ذلك اليوم و لا بعده) .

فقام و أحسن الثناء على اللّه عزّ و جلّ بما أبلاهم و أعطاهم من واجب حقّه عليهم و الإقرار [1235] بكلّ ما ذكر من تصرّف الحالات به و بهم .

ثمّ قال : أنت أميرنا و نحن رعيّتك ، بك أخرجنا اللّه عزّ و جلّ من الذلّ و باعزازك أطلق عباده من الغلّ . [1236] فاختبر علينا و امض اختيارك و ائتمر فأمض ائتمارك [1237] فإنك القائل المصدّق و الحاكم الموفّق و الملك المخوّل [1238] لا نستحلّ في شيء من معصيتك و لا نقيس علماء بعلمك ، يعظم عندنا في ذلك [1239] خطرك و يجلّ عنه في أنفسنا فضلك .

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال :

إنّ من حقّ من عظم جلال اللّه في نفسه و جلّ موضعه من قلبه ، أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه ، و إنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة اللّه عليه و لطف إحسانه إليه ، فإنّه لم تعظم نعمة اللّه على أحد إلاّ زاد حقّ اللّه عليه عظما .

و إنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس [1240] أن يظن بهم حبّ الفخر و يوضع أمرهم على الكبر ، و قد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء [1241] و استماع الثناء ، و لست بحمد اللّه كذلك ، و لو كنت أحبّ أن يقال

[1235] أبلاهم » أنعمهم . « من واجب حقّه » يعني من حقّ أمير المؤمنين عليه السلام (فى)

[1236] أشار به إلى قوله تعالى : وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (الأعراف : 157) أي يخفّف عنهم ما كانوا به من التكاليف الشاقّة . (فى)

[1237] « الائتمار » المشاورة .

[1238] أي الملك الّذي أعطاك اللّه للإمرة علينا و جعلنا خدمك و تبعك . (آت)

[1239] أي في العلم بأن تكون كلمة « في » تعليليّة ، و يحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطاعته عليه السلام .

و « الخطر » القدر و المنزلة . (آت)

[1240] « السخف » رقّة العيش و رقّة العقل ، و « السخافة » رقّة كلّ شيء ، أي أضعف أحوال الولاة عند الرعيّة أن يكونوا متّهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة . (آت)

[1241] « جال » من « الجولان » . و « الإطراء » مجاوزة الحد في الثناء .

[451]

ذلك لتركته انحطاطا للّه سبحانه [1242] عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة و الكبرياء . و ربّما استحلى الناس [1243] الثناء بعد البلاء ، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى اللّه و إليكم من البقيّة [1244] في حقوق لم أفرغ من أدائها و فرائض لا بدّ من إمضائها ، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة و لا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل

البادرة [1245] و لا تخالطوني بالمصانعة و لا تظنّوا بي استثقالا في حقّ قيل لي و لا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي ، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه . فلا تكفّوا عنّي مقالة بحقّ أو مشورة بعدل ، فإنّي لست في نفسي بفوق ما أن أخطيء و لا آمن ذلك من فعلي [1246] إلاّ إن يكفي اللّه من نفسي ما هو أملك به منّي ، فإنّما أنا و أنتم عبيد مملوكون

[1242] أي تواضعا له تعالى . و في بعض النسخ القديمة : « و لو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له أغنانا اللّه و إيّاكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاظم و حسن الثناء » . و « التناهى » قبول النهي ، و الضمير في « له » راجع إلى اللّه تعالى و في النهج كما في النسخ المشهورة . (آت)

[1243] يقال : « استحلاه » أي وجده حلوا قال ابن ميثم رحمه اللّه : هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن اثنى عليه ، فكأنّه يقول :

و أنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في اللّه و أحث الناس على ذلك و من عادة الناس أن يستهلّ الثناء عند أن يبلو بلاء حسنا في جهاد أو غيره من سائر الطاعات . ثمّ أجاب أنّ هذا العذر في نفسه بقوله « و لا تثنوا عليّ بجميل ثناء » أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة اللّه ، فإنّ ذلك إنّما هو إخراج لنفسي إلى اللّه من حقوقه الباقية علي ، لم أفرغ بعد من أدائها و هي حقوق نعمة و فرائضه الّتي لا بدّ من المضيّ فيها ، و كذلك إليكم من الحقوق الّتي أوجبها اللّه عليّ من النصيحة في الدين و الارشاد إلى الطريق الأفضل و التعليم لكيفيّة سلوكه .

[1244] أي لاعترافي بين يدي اللّه و بمحضر منكم ، أنّ علي حقوقا في إيالتكم و رئاستي عليكم لم أقم بها بعد ، و أرجوا من اللّه القيام بها . و في بعض النسخ : « من التقية » يعنى من أن يتّقوني في مطالبة حقوق لكم لم أفرغ من أدائها . و على هذا يكون المراد بمستحلى الثناء الّذين يثنيهم الناس اتّقاء شرّهم و خوفا من بأسهم . (فى)

[1245] « أهل البادرة » الملوك و السلاطين . و « البادرة » الحدة و الكلام الّذي يسبق من الانسان في الغضب ، أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدة من الملوك خوفا من سطوتهم ، أولا تحتشموا مني كما يحتشم من السلاطين و الأمراء كترك المسارة و الحديث إجلالا و خوفا منهم و ترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور و القيام بين أيديهم . (آت) . و « المصانعة » الرشوة و المداراة .

[1246] هذا من قبيل هضم النفس ، ليس بنفي العصمة مع أنّ الاستثناء يكفينا مؤونة ذلك . (فى) و قال المجلسي رحمه اللّه :

هذا من الانقطاع إلى اللّه و التواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ وعدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبوديّة ، و الإقرار بأنّ عصمته من نعمه تعالى عليه .

[452]

لرب لا ربّ غيره ، و يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا و أخرجنا ممّا كنّا فيه [1247] إلى ما صلحنا عليه ، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى و أعطانا البصيرة بعد العمى .

فاجابه الرجل الّذي أجابه من قبل ، فقال :

أنت أهل ما قلت و اللّه و اللّه فوق ما قلته ، فبلاءه عندنا ما لا يكفر [1248] و قد حملك اللّه تبارك و تعالى رعايتنا و ولاّك سياسة أمورنا ، فأصبحت علمنا الّذي نهتدي به و إمامنا الّذي نقتدي به ، و أمرك كلّه رشد و قولك كلّه أدب ، قد قرّت بك في الحياة أعيننا و امتلأت من سرور بك قلوبنا و تحيّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل [1249] عقولنا . و لسنا نقول لك : « أيها الإمام الصالح » تزكية لك و لا تجاوز القصد في الثناء عليك ، و لم يكن [1250] في أنفسنا طعن على يقينك أو غشّ في دينك ،

فنتخوّف أن تكون أحدثت بنعمة اللّه تبارك و تعالى تجبّرا أو دخلك كبر ، و لكنّا نقول لك ما قلنا تقرّبا إلى اللّه عزّ و جلّ بتوقيرك و توسّعا بتفضيلك و شكرا بإعظام أمرك . فانظر لنفسك و لنا و آثر أمر اللّه على نفسك و علينا ، فنحن طوّع فيما أمرتنا ننقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا .

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال :

و أنا استشهدكم عند اللّه على نفسي لعلمكم فيما ولّيت به من أموركم ، و عمّا قليل يجمعني و إيّاكم الموقف بين يديه و السؤال عمّا كنّا فيه ، ثمّ يشهد بعضنا على بعض فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غدا ، فإنّ اللّه عزّ و جلّ لا يخفى عليه خافية و لا يجوز عنده إلاّ مناصحة الصدور في جميع الأمور .

[1247] أي من الجهالة و عدم العلم و المعرفة و الكمالات الّتي يسرها اللّه تعالى لنا ببعثة الرسول صلّى اللّه عليه و آله .

قال ابن أبي الحديد : ليس هذا إشارة إلى نفسه عليه السلام خاصّة لأنّه لم يكن كافرا فأسلم ، و لكنّه كلام يقوله و يشير به إلى القوم الّذين يخاطبهم في أفناء الناس ، فيأتي بصيغة الجمع لداخلة فيها نفسه توسّعا . (آت)

[1248] أي نعمته عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها و سترها أو لا يجوز كفرانها و ترك شكرها . (آت)

[1249] « برع في الشيء » فاق أقرانه فيه .

[1250] قال المجلسيّ رحمه اللّه : « لم يكن » على بناء المجهول ، من « كنت الشيء » سترته . أو بفتح الياء و كسر القاف ، من « و كنّت الطائر بيضه يكنّه » إذا حضنه . و في بعض النسخ : « لم يكن » و في النسخة القديمة : « لن يكون » .

[453]

فأجابه الرجل (و يقال : لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين عليه السّلام) .

فأجابه و قد عال الّذي [1251] في صدره ، فقال و البكاء يقطع منطقه و غصص الشجا تكسر صوته إعظاما لخطر مرزئته و وحشة من كون فجيعته . [1252] فحمد اللّه و أثنى عليه ، ثمّ شكا إليه هول ما أشفى عليه [1253] من الخطر العظيم و الذلّ الطويل في فساد زمانه و انقلاب جده [1254] و انقطاع ما كان من دولته ثمّ نصب المسألة إلى اللّه عزّ و جلّ بالامتنان عليه و المدافعة عنه بالتفجّع و حسن الثناء فقال :

يا ربّاني العباد و يا سكن البلاد [1255] أين يقع قولنا من فضلك ؟ و أين يبلغ وصفنا من فعلك ؟ و أنّى تبلغ حقيقة حسن ثنائك أو تحصى جميل بلائك ؟ فكيف و بك جرت نعم اللّه علينا و على يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا ؟ ألم تكن لذلّ الذليل ملاذا و للعصاة و الكفّار إخوانا ؟ [1256] فبمن ؟ إلاّ بأهل بيتك و بك أخرجنا اللّه عزّ و جلّ من فظاعة تلك الخطرات ؟ أو بمن فرج عنّا غمرات الكربات ؟ [1257] و بمن ؟ إلاّ بكم أظهر اللّه معالم ديننا و استصلح ما كان فسد من دنيانا حتى استبان بعد الجور ذكرنا [1258] و قرّت من رخاء العيش أعيننا لما ولّيتنا بالاحسان جهدك و وفيت لنا بجميع وعدك و قمت لنا على جميع عهدك ، فكنت شاهد من غاب منّا

[1251] « عال » بالمهملة ، اشتدّ و تفاقم و غلبه و ثقل عليه و أهمّه . (في)

[1252] « الغصّة » بالضمّ ، ما اعترض في الحلق و كذا الشجا . و « المرزئة » المصيبة ، و كذا الفجيعة . و الضميران راجعان إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

[1253] أي أشرف عليه ، و الضمير في قوله « اليه » راجع إلى اللّه تعالى .

[1254] « الجدّة » البحث و التفجّع و التضرّع .

[1255] « السكن » بالتحريك ، كلّ ما يسكن إليه . و في بعض النسخ : « يا ساكن البلاد » .

[1256] أي كنت تعاشر من يعصيك و يكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقة منك عليهم ، أو المراد الشفقة على الكفّار و العصاة و الاهتمام في هدايتهم . و يحتمل أن يكون المراد المنافقين الّذين كانوا في عسكره و كان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع . (آت)

[1257] « الفظاعة » الشناعة . و « فظاعة تلك الخطرات » شناعتها و شدّتها و الغمرات الشدائد و المزدحمات .

[1258] قال الجوهري : « نعوذ باللّٰه من الحور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة . و في بعض النسخ : « بعد الجور » بالمعجمة .

و خلف أهل البيت لنا و كنت عزّ ضعفائنا و ثمال فقرائنا [1259] و عماد عظمائنا .

يجمعنا في الأمور عدلك و يتّسع لنا في الحقّ تأنّيك [1260] . فكنت لنا أنسا إذا رأيناك و سكنا إذا ذكرناك . فأيّ الخيرات لم تفعل ؟ و أيّ الصالحات لم تعمل ؟ و لو لا أن الأمر الّذي نخاف عليك منه ، يبلغ تحويله [1261] جهدنا و تقوي لمدافعته طاقتنا أو يجوز الفداء عنك منه بأنفسنا و بمن نفديه بالنفوس من أبنائنا ، لقدّمنا أنفسنا و أبنائنا قبلك و لأخطرناها [1262] و قلّ خطرها دونك و لقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك و في مدافعة من ناواك [1263] ، و لكنّه سلطان لا يحاول و عزّ لا يزاول [1264] و ربّ لا يغالب .

فإن يمنن علينا بعافيتك و يترحّم علينا ببقائك و يتحنّن علينا بتفريج [1265] هذا من حالك إلى سلامة منك لنا و بقاء منك بين أظهرنا نحدث للّٰه عزّ و جلّ بذلك شكرا نعظّمه و ذكرا نديمه و نقسم أنصاف أموالنا صدقات و أنصاف رقيقنا [1266] عتقاء و نحدث له تواضعا في أنفسنا و نخشع في جميع أمورنا . و إن يمض بك إلى الجنان و يجري عليك حتم سبيله ، فغير متّهم فيك قضاءه و لا مدفوع عنك بلاءه و لا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه و لكنّا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلا [1267] و للدين و الدنيا أكيلا [1268] فلا نرى لك خلفا نشكو

[1259] في النهاية : « الثمال » بالكسر ، الملجأ و الغياث ، و قيل : هو المطعم في الشدّة .

[1260] أي صار مداراتك و تأنيك و عدم مبادرتك في الحكم علينا بما تستحقّه سببا لوسعة الحقّ علينا و عدم تضيّق الأمور بنا .

(آت)

[1261] في بعض النسخ : « تحريكه » أي تغييره و صرفه .

[1262] أي جعلناها في معرض المخاطرة و الهلاك ، أو صيّرناها خطرا و رهنا و عوضا لك . قال الجزريّ فيه : الأهل مشمر للجنّة ،

فإنّ الجنّة لا خطر لها ، أي لا عوض لها و لا مثل . و « الخطر » بالتحريك ، في الأصل الرهن و ما يخاطر عليه و مثل الشيء و عدله ، و لا يقال إلاّ في الشيء الّذي له قدر و مزيّة . (آت)

[1263] « حاولك » أي قصدك . و « ناواك » أي عاداك . و قوله « و لكنّه » أي الربّ تعالى .

[1264] أي ذو عزّ و غلبة . و « زاوله » أي حاوله و طالبه .

[1265] في بعض النسخ : « بتفريح » .

[1266] « الرقيق » المملوك .

[1267] في أكثر النسخ : « لعزّ هذا السلطان » فقوله « لعزّ » متعلّق بالبكاء و « أن يعود » بدل اشتمال له ، أي نبكي لتبدّل عزّ هذا السلطان ذلاّ . (آت) و في بعض النسخ : « لعن اللّٰه هذا السلطان » أي هذه السلطنة الّتي لا تكون صاحبها .

[1268] « الأكيل » يكون بمعنى المأكول و بمعنى الأكل ، و المراد هنا الثاني .

إليه و لا نظيرا نؤمّله و لا نقيمة . 1269

تبيين

أقول : أورد السيّد في النهج بعض هذا السؤال و الجواب و أسقط اكثرهما ، و سنشير إلى بعض الاختلافات .

قوله عليه السّلام « بولاية أمركم » أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ اللَّه جعلني واليا عليكم متولّيا لأموركم و لأنّه أنزلنى منكم منزلة عظيمة هي منزلة الإمامة و السلطنة و وجوب الطاعة . قوله عليه السّلام « و الحقّ أجمل الأشياء في التواصف » أي وصفه جميل و ذكره حسن ، يقال : « تواصفوا الشيء » أي وصفه بعضهم لبعض . و في بعض النسخ : « التراصف » بالراء المهملة ، و « التراصف » تنضيد الحجارة بعضها ببعض ، أي أحسن الأشياء في إحكام الأمور و إتقانها . « و أوسعها في التناصف » أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض فالحقّ يسعه و يحتمله و لا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق . و في نهج البلاغة : « فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف و أضيقها في التناصف » أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ و بيانه كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على ألسنتهم و إذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدّة العمل بالحقّ و صعوبة الإنصاف . قوله عليه السّلام « صروف قضائه » أي أنواعه المتغيّرة المتوالية . و في بعض النسخ : « ضروب قضائه » بمعناه ، و الحاصل أنّه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره و لم يجعل له على نفسه لكان هو سبحانه أولى بذلك ، و على الأولويّة بوجهين : الأوّل القدرة ، فإنّ غيره تعالى لو فعل ذلك لم يطعه أحد و اللَّه تعالى قادر على جبرهم و قهرهم عليه ، و الثاني أنّه لو لم يجبرهم على أعمالهم و كلّفهم بها لكان عادلا لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبدوه أبد الدهر ، و لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها ، فالمراد من أوّل الكلام أنّه سبحانه جعل لكلّ أحد على غيره حقّا حتى على نفسه . أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الاستحقاق و أمّا ما أجرى على نفسه فللوفاء بالوعد مع عدم لزوم الوعد عليه ، فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد و إن اختلفت الجهة و الاعتبار .

(1269) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 8 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 352 360 .

[456]

قوله عليه السّلام « و جعل كفّارتهم عليه حسن الثواب » لعلّ المراد بالكفّارة الجزاء العظيم لستره عملهم حيث لم يكن له في جنبه قدر ، فكأنّه قد محاه و ستره . و في أكثر النسخ : « بحسن الثواب » فيحتمل أيضا أن يكون المراد بها ما يقع منهم لتدارك سيّئاتهم كالتوبة و سائر الكفّارات ، أي أوجب قبول كفّارتهم و توبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يثيبهم على ذلك أيضا ، و لا يبعد أن يكون تصحيف « كفاءتهم » بالهمز . و في النهج : « و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلا منه و توسّعا بما هو من المزيد أهله .

قوله عليه السّلام « ثمّ جعل من حقوقه » هذا كالمقدّمة لما يريد أن يبيّنه من كون حقّه عليهم واجبا من قبل اللَّه تعالى و هو حقّ من حقوقه ليكون ادّعى لهم على أدائه . و بيّن أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض ، هي من حقّ اللَّه تعالى من حيث أنّ حقّه على عباده هو الطاعة و أداء تلك الحقوق طاعات اللَّه ، كحقّ الوالد على ولده و بالعكس و حقّ الزوج على الزوجة و بالعكس و حقّ الوالي على الرعيّة و بالعكس . قوله عليه السّلام « فجعلها تتكافأ في وجوهها » أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلا بمثله ، فحقّ الوالي و هو الطاعة من الرعيّة مقابل بمثله و هو العدل فيهم و حسن السيرة . قوله عليه السّلام « و لا يستوجب بعضها إلاّ ببعض » كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة . قوله عليه السّلام « فريضة فرضها اللَّه » بالنصب على الحاليّة أو بإضمار فعل أو بالرفع ليكون خبر مبتدأ محذوف . قوله عليه السّلام « نظاما لألفتهم » فإنّها سبب اجتماعهم و بها يقهرون أعداءهم و يعزّ دينهم . قوله عليه السّلام « و قواما » أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم و بينهم . قوله عليه السّلام « عزّ الحقّ » أي غلب . قوله عليه السّلام « و اعتدلت معالم العدل » أي مظانّه ، أو العلامات الّتي نصبت في طريق العدل لسلوكه ، أو الأحكام الّتي يعلم بها العدل . قوله عليه السّلام « على أذلالها » قال الفيروزآباديّ : « ذلّ الطريق » بالكسر ، محجّتها و « أمور اللَّه جارية على أذلالها » أي مجاريها ، جمع « ذلّ » بالكسر . قوله عليه السّلام « و كثر الإدغال » بكسر الهمزة ، و « الإدغال » أن

[457]

يدخل في الشيء ما ليس منه و هو الإبداع و التلبيس ، أو بفتحها ، جمع « الدغل » بالتحريك ، الفساد . قوله عليه السّلام « علل النفوس » أي أمراضها بملكات السوء كالغلّ و الحسد و العداوة و نحوها ، و قيل : وجوه ارتكاباتها للمنكرات فتأتي من كلّ منكر بوجه و علّة و رأي فاسد . قوله عليه السّلام « أثل » يقال : « مال مؤثّل » و « مجد مؤثّل » أي مجموع ذو

أصل ، و « أثل الشيء » أصله و زكاة ، ذكره الجزريّ » . و في النهج : « فعل » . قوله عليه السّلام « تبعات اللّه » قال في العين :

« التبعة » اسم للشيء الّذي لك فيه بغية شبه ظلامة و نحوها .

قوله عليه السّلام « فهلمّ أيّها الناس » قال الجوهري : « هلمّ يا رجل » بفتح الميم ، بمعنى تعال ، قال الخليل : أصله « لمّ » من قولهم « لمّ اللّه شعثه » أي جمعه ،

كانّه أراد : لمّ نفسك إلينا ، أي أقرب ، و « هاء » للتنبيه و إنّما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال و جعلا اسما واحدا ، يستوي فيه الواحد و الجمع و التأنيث في لغة أهل الحجاز . قوله عليه السّلام « حقيقة ما أعطى اللّه من الحقّ أهله » أي جزاء ما أعطى اللّه أهل الحقّ من الدين المبين و سائر ما هداهم اللّه تعالى إليه بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازا ، أو يكون في الكلام تقدير مضاف ، أي حقيقة جزاء ما أعطى من الحقّ ، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بازائها و مكافاة لها ، و قيل : المراد بحقيقة ما أعطى اللّه شكر نعمة هدايته تعالى إلى دين الحقّ . و في النهج : « حقيقة ما اللّه أهله من الطاعة له » . و في بعض النسخ القديمة من الكتاب : « حقيقة ما الحقّ من اللّه أهله » . قوله عليه السّلام « النصيحة له » أي للّه أو للامام أو نصيحة بعضهم لبعض للّه تعالى بأن لا يكون الظرف صلة . و في النهج : « النصيحة بمبلغ » بدون الصلة ، و هو يؤيّد الأخير . قال الجزريّ : « النصيحة » في اللغة الخلوص ، يقال :

« نصحته و نصحت له » . و معنى نصيحة اللّه صحّة الاعتقاد في وحدانيّته و إخلاص النيّة في عبادته ، و النصيحة لكتاب اللّه ، هو التصديق به و العمل بما فيه ، و نصيحة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله التصديق بنبوّته و رسالته و الانقياد لما أمر به و نهى عنه ، و نصيحة الأئمّة [عليهم السّلام] أن يطيعهم في الحقّ ، و نصيحة عامّة

[458]

المسلمين ، إرشادهم إلى مصالحهم . قوله عليه السّلام « و لا لامريء مع ذلك » كأنّه راجع إلى ما حمل اللّه على الوالي أو إلى الوالي الّذي أشير إليه سابقا ، أي لا يجوز ،

أو لا بدّ لامريء ، أو لا استغناء لامريء مع الوالي أو مع كون واليه مكلّفا بالجهاد و غيره من أمور الدين و إن كان ذلك المرء ضعيفا محقّرا بدون أن يعين على إقامة الدين و يعينه الناس أو الوالي عليه . و في النهج : « و لا امرؤ و إن صغّرته النفوس و اقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه » و هو الظاهر . قوله عليه السّلام « خسئت به الأمور » يقال : « خسأت الكلب خسأ » طردته و « خسأ الكلب بنفسه » ،

يتعدّى و لا يتعدّى ، ذكره الجوهريّ . فيجوز أن يكون هنا استعمل غير متعدّ بنفسه قد عدّي بالباء ، أي طردته الأمور ، أو يكون الباء للسببيّة ، أي بعدت بسببه الأمور . و في بعض النسخ : « حبست به الأمور » . و على التقادير المراد أنّه يكون بحيث لا يتمشّى أمر من أموره و لا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور . « و اقتحمته العيون » أي احتقرته . و كلمة « ما » في قوله عليه السّلام « ما أن يعين » زائدة . قوله عليه السّلام « و أهل الفضيلة في الحال » المراد بهم الأئمّة و الولاة و الأمراء و العلماء و كذا أهل النعم العظام فإنّهم لكونهم مكلّفين بعظائم الأمور كالجهاد في سبيل اللّه و إقامة الحدود و الشرائع و الأحكام و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، إلى اعانة الخلق أحوج . و يحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء فإنّهم محتاجون فيما حمل عليهم من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلى أعوان و لا أقلّ إلى من يؤمر و ينهى ، و بأهل النعم أصحاب الأموال لأنّ ما حمل عليهم من الحقوق أكثر كأداء الأخماس و الصدقات ، و هم محتاجون إلى الفقير القابل لها و إلى الشهود و إلى غيرهم ، و الأوّل أظهر . قوله عليه السّلام « و كلّ في الحاجة إلى اللّه عزّ و جلّ شرع سواء » بيان لقوله « شرع » و تأكيد . و إنّما ذكر عليه السّلام ذلك لئلاّ يتوهم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضا عن ربّهم جلّ و عزّ ، بل هو الموفّق و المعين لهم في جميع أمورهم و لا يستغنون بشيء عن اللّه عزّ و جلّ . و إنّما كلّفهم بذلك ليختبر طاعتهم و يثيبهم على ذلك ، و اقتضت حكمته البالغة أن يجرى الأشياء بأسبابها و هو المسبّب لها و القادر على إمضائها بلا سبب .

[459]

قوله [1270] « فأجابه رجل » الظاهر أنّه كان الخضر عليه السّلام و قد جاء في مواطن كثيرة و كلّمه عليه السّلام لإتمام الحجّة على الحاضرين ، و قد أتى بعد وفاته عليه السّلام و قام على باب داره و بكى و أبكى و خاطبه عليه السّلام بأمثال تلك الكلمات و خرج و غاب عن الناس .

قوله « و الإقرار » الظاهر أنّه معطوف على الثناء ، أي أقرّ إقرارا حسنا بأشياء ذكرها ذلك الرجل و لم يذكره عليه السّلام اختصارا أو تقيّة من تغيّر حالاته من استيلاء أئمّة الجور عليه و مظلوميّة و تغيّر أحوال رعيّته من تقصيرهم في حقّه و عدم قيامهم بما يحقّ من طاعته و القيام بخدمته ، و يمكن أن يكون الواو بمعنى « مع » ، و يحتمل عطفه على واجب حقّه .

قوله [1271] « من الغلّ » أي أغلال الشرك و المعاصي . و في بعض النسخ القديمة : « أطلق عنّا رهائن الغلّ » أي ما يوجب إغلال القيمة . قوله « فاختر » أي اقبل ما أمرك اللّه به فامضه علينا . قوله « و الملك المخوّل » أي الملك الّذي أعطاك اللّه الإمرة علينا و جعلنا خدمك و تبعك . قوله « لا تستحلّ في شيء من معصيتك » لعلّه عدّي ب « في » لتضمين معنى الدخول ، أو المعنى : لا تستحلّ في شيء شيئا من معصيتك . و في بعض النسخ القديمة : « لا نستحلّ في شيء من معصيتك » و هو أظهر . قوله « في ذلك » أي في العلم بأن تكون كلمة « في » تعليليّة ، و يحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطاعته عليه السّلام . و « الخطر » القدر و المنزلة .

قوله « و يجلّ عنه » يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس ، أي فضلك أجلّ في أنفسنا من [1272] يقاس بفضل أحد ، و يمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة « عن » تعليليّة ،

كما في قوله تعالى : وَ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ 1273 أن [1274] يجلّ و

[1270] أي قول الراوي . (المصحّح)

[1271] أي قول الخضر عليه السلام . (المصحّح)

[1272] هكذا في النسخة و الصحيح : من أن يقاس . (المصحّح)

(1273) هود : 53 .

[1274] هكذا في النسخة و الصحيح : أي . (المصحّح)

[460]

يعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك .

قوله عليه السّلام « من عظم جلال اللّه » إمّا على التفعيل بنصب « جلال اللّه » أو بالتخفيف برفعه ، يعني : من حقّ من عظّم جلال اللّه في نفسه و جلّ موضعه في قلبه ، أن يصغر عنده كلّ ما سوى اللّه تعالى لما ظهر له من جلال اللّه ،

و إنّ أحقّ من كان كذلك ائمّة الحقّ عليهم السّلام لعظم نعم اللّه و كمال معرفتهم بجلال ربّهم ، فحقّ اللّه تعالى عليهم أعظم منه على غيرهم ، فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الفخر و الإطراء في المدح ، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال اللّه عندهم غيره تعالى فلا يكون غيره منظورا لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بمدحهم .

قوله عليه السّلام « و إنّ من أسخف » ، « السخف » رقّة العيش و رقّة العقل و « السخافة » رقّة كلّ شيء ، أي أضعف حالات الولاة عند الرعيّة أن يكونوا متّهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة . قوله عليه السّلام « أنّي أحبّ الإطراء » أي مجاوزة الحدّ في المدح و المبالغة فيه . قوله عليه السّلام « انحطاطا للّه سبحانه » أي تواضعا له تعالى . و في بعض النسخ القديمة : « و لو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له . أغنانا اللّه و إيّاكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاظم و حسن الثناء . و « التناهي » قبول النهي ، و الضمير في « له » راجع إلى اللّه تعالى .

و في النهج كما في النسخ المشهورة .

قوله عليه السّلام « و ربّما استحلى الناس » يقال : « استحلاه » أي وجده حلوا . قال ابن ميثم رحمه اللّه : هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه ،

فكأنّه يقول : أنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في اللّه و أحثّ الناس على ذلك . و من عادة الناس أن يستحل [1275] الثناء عند أن يبلو [1276] بلاء حسنا في جهاد أو غيره من سائر الطاعات . ثمّ أجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله « فلا تثنوا » عليّ بجميل ثناء » أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة اللّه ، فإنّ ذلك إنّما هو

[1275] هكذا في النسخة و الصواب : « يستحلوا » . (المصحّح)

[1276] هكذا في النسخة و الصواب : « يبلوا » . (المصحّح)

إخراج لنفسي إلى اللّه من حقوقه الباقية عليّ ، لم أفرغ بعد من أدائها و هي حقوق نعمه و فرائضه الّتي لا بدّ من المضيء فيها ، و كذلك إليكم من الحقوق الّتي أوجبها اللّه إليّ [1277] من النصيحة في الدين و الإرشاد إلى الطريق الأفضل و التعليم لكيفيّة سلوكه . و في خطّ الرضي رحمه اللّه : « من التقيّة » بالتاء ، و المعنى : فإنّ الّذي أفعله من طاعة اللّه إنّما هو إخراج لنفسي إلى اللّه و إليكم من تقيّة الخلق فيما يجب عليّ من الحقوق إذا كان عليه السّلام إنّما يعبد اللّه للّه غير ملتفت في شيء من عبادته و أداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفا منه أو رغبة إليه ، أو المراد بها التقيّة الّتي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة و تركها في أيّام خلافته . و كأنّه قال : لم أفعل شيئا إلاّ و هو أداء حقّ واجب عليّ ، و إذا كان كذلك فكيف أستحقّ أن يثنى عليّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل و أقابل هذا التعظيم . و هذا من باب التواضع منه و تعليم كيفيّته و كسر للنفس عن محبّة الباطل و الميل إليه . انتهى .

و قال ابن أبي الحديد : معنى قوله عليه السّلام « لإخراجي نفسي إلى اللّه و إليكم » أي لاعترافي بين يدي اللّه و بمحضر منكم أنّ عليّ حقوقا في إيالتكم و رئاستي ، لم أقم بها بعد ، و أرجو من اللّه القيام بها . انتهى . فكأنّه جعل قوله « لإخراجي » تعليلا لترك الثناء لا مثنى عليه ، و لا يخفى بعده . ثمّ اعلم أنّه يحتمل أن يكون المراد بالبقيّة الابقاء و الترحّم ، كما قال تعالى : أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ 1278 أي إخراجي نفسي من أن أبقى و أترحّم مداهنة في حقوق لم أفرغ من أدائها .

قال الفيروز آبادي : « و أبقيت ما بيننا » لم أبالغ في إفسادها ، و الاسم « البقيّة » ، و « أولوا بقيّة ينهون عن الفساد » أي إبقاء أو فهم . قوله عليه السّلام « و لا تتحفّظوا عنّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة » ، « البادرة » الحدّة و الكلام الّذي يسبق من الانسان في الغضب ، أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدّة من الملوك

[1277] هكذا في النسخة و الصواب و هو الأفصح . عليّ . (المصحّح)

(1278) هود : 116 .

خوفا من سطوتهم ، أو لا تحتشموا منّي كما يحتشم من السلاطين و الأمراء كترك المساءة و الحديث إجلالا و خوفا منهم و ترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور و القيام بين أيديهم . قوله عليه السّلام « المصانعة » أي الرشوة أو المداراة . قوله عليه السّلام « كان العمل بهما أثقل عليه » و شأن الولاة العمل بالعدل و الحقّ ، أو أنتم تعلمون أنّه لا يثقل على العمل بها . قوله عليه السّلام « بفوق أن أخطيء » هذا من الانقطاع إلى اللّه و التواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ و عدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبوديّة و الإقرار بأنّ عصمته من نعمه تعالى عليه و ليس اعترافا بعدم العصمة كما توهم ، بل ليست العصمة إلاّ ذلك ، فإنّها هي أن يعصم اللّه العبد من ارتكاب المعاصي . و قد أشار إليه بقوله عليه السّلام « أن يكفي اللّه » و هذا مثل قول يوسف عليه السّلام : وَ مَا أُبَرِّيءُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاّ ما رَحِمَ رَبِّي 1279 .

قوله عليه السّلام « ما هو أملك به منّي » أي العصمة من الخطا ، فإنّه تعالى أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه . قوله عليه السّلام « ممّا كنّا فيه » أي من الجهالة و عدم العلم و المعرفة و الكمالات الّتي يسرها اللّه تعالى لنا ببعثة الرسول صلّى اللّه عليه و آله . قال ابن أبي الحديد : ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه عليه السّلام لأنّه لم يكن كافرا فأسلم ، و لكنّه كلام يقوله و يشير به إلى القوم الّذين يخاطبهم من أفناء الناس ، فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسّعا . و يجوز أن يكون معناها : لو لا ألطاف اللّه تعالى ببعثة محمّد صلّى اللّه عليه و آله لكنت أنا و غيري على مذهب الأسلاف . انتهى .

قوله [1280] « فبلاءه عندنا ما لا يكفر » أي نعمته عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها و سترها ، أي لا يجوز كفرانها و ترك شكرها . قوله « سياسة أمورنا » ، « سست الرعيّة سياسة » أمرتها و نهيتها . و « العلم » بالتحريك ، ما نصب في الطريق ليهتدى

(1279) يوسف : 53 .

[1280] أي قول الرجل و هو الخضر عليه السلام . (المصحّح)

به السائرون . قوله « من بارع الفضل » قال الفيروز آباديّ : « برع و يثلّث براعة » فاق أصحابه في العلم و غيره ، أو تمّ في كلّ جمال و فضيلة ، فهو بارع و هي بارعة .

قوله « و لن يكن » على المجهول ، من « كنت الشيء » سترته ، أو بفتح الياء و كسر الكاف ، من « و كن الطائر بيضه يكنه » إذا حضنه . و في بعض النسخ : « لم يكن » ، و في النسخة القديمة : « لن يكون » . قوله « و توسّعا » أي في الفضل و السواد قوله « مع ذلك » أي مع طاعتنا لك ، أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه و مع ذلك موجب لحصول ما ينفعنا و ما هو خير لنا في دنيانا و آخرتنا .

قوله عليه السّلام « إلاّ مناصحة الصدور » أي خلوصها من غشّ النفاق بأن يطوى فيه ما يظهر خلافه ، أو نصح الإخوان نصحا يكون في الصدر لا بمحض اللسان .

قوله [1281] « و قد عال الّذي في صدره » يقال : « عالني الشيء » أي غلبني و « عال أمرهم » اشتدّ . قوله « و غصص الشجا » ، « الغصّة » بالضمّ ، ما اعترض في الحلق ، و كذا الشجا و « الشجو » الهمّ و الحزن . قوله « الخطر مرزئته » ، « الخطر » بالتحريك القدر و المنزلة و الإشراف على الهلاك . و « المرزئة » المصيبة ، و كذا الفجيعة و كونها أي وقوعها و حصولها . و الضميران راجعان إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و القائل كان عالما بقرب أوان شهادته عليه السّلام فلذا كان يندب و يتفجّع ، و إرجاعهما إلى القائل بعيد .

قوله « أشفى » أي أشرف عليه . و الضمير في قوله « إليه » راجع إلى اللّه تعالى . قوله « و انقلاب جده » ، « الجد » البخت و التفجّع و التوجّع في المصيبة ، أي سأل اللّه دفع هذا البلاء الّذي قد ظنّ وقوعه عنه عليه السّلام مع التفجّع و التضرّع .

قوله عليه السّلام « يا ربّاني العباد » قال الجزريّ : الربّاني » منسوب إلى الربّ بزيادة الف و النون ، و قيل : هو من الربّ بمعنى التربية لأنّهم كانوا يربّون

[1281] أي قول الراوي (المصحّح)

المتعلّمين بصغار العلوم و قيل : كبارها . و « الربّانيّ » العالم الراسخ في العلم و الدين و الّذي يطلب بعلمه وجه اللّه ، و قيل : العالم العامل المعلّم . قوله عليه السّلام « و يا سكن البلاد » ، « السكن » بالتحريك ، كلّ ما يسكن إليه . قوله عليه السّلام « و بك جرت نعم اللّه علينا » أي بجهادك و مساعيك الجمّيّة لترويج الدين و تشييد الإسلام في زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و بعده . قوله عليه السّلام « و للعصاة الكفّار إخوانا » أي كنت تعاشر من يعصيك و يكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقة منك عليهم ، أو المراد الشفقة على الكفّار و العصاة و الاهتمام في هدايتهم . و يحتمل أن يكون المراد المنافقين الّذين كانوا في عسكره و كان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع . و قيل : المراد بالإخوان الخوان الّذي يؤكل عليه الطعام ، فإنّه لغة فيه كما ذكره الجزريّ ، و لا يخفى بعده . و في النسخة القديمة : « ألم نكن » بصيغة المتكلّم ، و حينئذ فالمراد بالفقرة الأولى أنّه كان ينزل بنازل كلّ ذليل ، أي كنّا نذلّ بكلّ ذلّة و هوان ، و هو أظهر و ألصق بقوله « فبمن ؟ » . قوله عليه السّلام « من فضاعة تلك الخطرات » أي شناعتها و شدّتها . قوله « بعد الحور » قال الجوهريّ : نعوذ باللّه من الحور بعد الكور ، أي من النقصان بعد الزيادة . و في بعض النسخ بالجيم .

قوله عليه السّلام « و ثمال فقرائنا » قال الجزريّ : « الثمال » بالكسر ،

الملجأ و القياس ، و قيل : هو المطعم في الشدّة .

قوله عليه السّلام « يجمعنا في الأمور عدلك » أي هو سبب اجتماعنا و عدم تفرّقنا في جميع الأمور أو من بين سائر الأمور ، و هو سبب لانتظام جميع أمورنا ، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور . قوله « و يتّسع لنا في الحقّ تأنّيك » أي صار مداراتك و تأنّيك و عدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقّه ، سببا لوسعة الحقّ علينا و عدم تضيّق الأمور بنا .

قوله عليه السّلام « يبلغ تحريكه » أي تغييره و صرفه . و في النسخة القديمة : « تحويله » . قوله « و لأخطرناها » أي جعلناها في معرض المخاطرة و الهلاك ،

أو صيّرناها خطرا و رهنا و عوضا لك . قال الجزريّ فيه : « فإنّ الجنّة لا خطر لها » أي

[465]

لا عوض لها و لا مثل ، و « الخطر » بالتحريك ، في الأصل الرهن و ما يخاطر عليه و مثل الشيء و عدله ، و لا يقال إلاّ في الشيء الّذي له قدر و مزيّة . و منه الحديث :

« إلاّ رجل يخاطر بنفسه و ماله » أي يلقيهما في الهلكة بالجهاد . و منه حديث النعمان :

« إنّ هؤلاء يعني المجوس قد أخطروا لكم رثة و متاعا و أخطرتم بهم الاسلام » المعنى أنّهم قد شرطوا لكم ذلك و جعلوه رهنا من جانبهم ، و جعلتم رهنكم دينكم .

قوله عليه السّلام « حاولك » أي قصدك . قوله « من ناواك » أي عاداك . قوله « و لكنّه » أي الربّ تعالى . قوله « و عزّ » أي ذو عزّ و غلبة . و « زاوله » أي حاوله و طالبه . و هذا إشارة إلى أنّ تلك الأمور بقضاء اللّه و تقديره و المبالغة في دفعها في حكم مغالبة اللّه في تقديراته . و قد سبق تحقيق القضاء و القدر في كتاب العدل .

قوله عليه السّلام « نعظّمه » الضمير [1282] في قوله « و نعظّمه و نديمه » راجعان إلى الشكر و الذكر .

قوله [عليه السلام] « بلاءه » يحتمل النعمة أيضا . قوله [عليه السّلام] « ما عنده » هو خبر « أنّ » ، و يحتمل أن يكون الخبر محذوفا ، أي خير لك .

و المعنى أنّه لا تختلف قلوبنا ، بل تتّفق على أنّ اللّه اختار لك بإمضائك النعيم و الراحة الدائمة على ما كنت فيه من المشقّة و الجهد و العناء . قوله [عليه السلام] « من غير إثم » أي لا نأثم على البكاء عليك ، فإنّه من أفضل الطاعات ، أو لا نقول ما يوجب الإثم . قوله [عليه السّلام] « لعزّ » متعلّق بالبكاء و « أن يعود » بدل اشتمال له ،

أي نبكي لتبدّل عزّ هذا السلطان ذلاّ . قوله [عليه السّلام] « أكيلا » ،

« الأكيل » يكون بمعنى المأكول و بمعنى الأكل ، و المراد هنا الثاني ، أي نبكي لتبدّل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور ، فيكون أكلا للدين و الدنيا . و في بعض النسخ :

« لعن اللّه هذا السلطان » فلا يكون مرجع الإشارة سلطنته عليه السّلام ، بل جنسها الباطل الشامل أيضا ، أي لعن اللّه السلطنة الّتي لا تكون صاحبها . و يحتمل أن

[1282] هكذا في النسخة و الصواب : الضميران . (المصحّح)

[466]

يكون اللعن مستعملا في أصل معناه لغة و هو الإبعاد ، أي أبعد اللّه هذا السلطان عن أن يعود ذليلا ، و لا يخفى بعده . قوله [عليه السّلام] « و لا نرى لك خلفا » أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت عليهم السّلام . 1283

217 و من كلام له عليه السلام في التظلم و التشكي من قريش

اللّهمّ إنّي أستعديك (2979) على قريش و من أعانهم ، فإنّهم قد قطعوا رحمي و أكفؤوا إنائي (2980) ، و أجمعوا على منازعتي حقّا كنت أولى به من غيري ، و قالوا : ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه ، و في الحقّ أن تمنعه ،

فاصبر مغموما ، أو مت متأسّفا . فنظرت فإذا ليس لي رافد (2981) ،

و لا ذاب (2982) و لا مساعد ، إلاّ أهل بيتي ، فضننت (2983) بهم عن المنيّة ، فأغضيت على القذى (2984) ، و جرعت ريقي على الشّجا (2985) ،

و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم ، و آلم للقلب من و خز الشّفار (2986) قال الشريف رضي اللّه عنه ، و قد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة ، إلا أني ذكرته ها هنا لاختلاف الروايتين .

(1283) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 655 658 ، ط تبريز .

[467]

218 و من كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فقدموا على عمّالي و خزّان بيت المسلمين الّذي في يديّ ، و على أهل مصر ، كلّهم في طاعتي و على بيعتي ، فشتّتوا كلمتهم ، و أفسدوا عليّ جماعتهم ، و وثبوا على شيعتي ، فقتلوا طائفة منهم غدرا ، و طائفة عضّوا على أسيافهم (2987) ، فضاربوا بها حتّى لقوا اللّه صادقين .

219 و من كلام له عليه السلام لما مر بطلحة بن عبد اللّه و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل :

لقد أصبح أبو محمّد بهذا المكان غريبا أما و اللّه لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب أدركت و تري (2988) من بني عبد مناف ، و أفلتتني أعيان بني جمح ، لقد أتلعوا (2989) أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا (2990) دونه .

220 و من كلام له عليه السلام في وصف السالك الطريق إلى اللّه سبحانه

[468]

قد أحيا عقله (2991) ، و أمات نفسه (2992) ، حتّى دقّ جليله (2993) ،

و لطف غليظه (2994) ، و برق له لا مع كثير البرق ، فأبان له الطّريق ،

و سلك به السّبيل ، و تدافعته (2995) الأبواب إلى باب السّلامة ، و دار الإقامة ، و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الرّاحة ، بما استعمل قلبه ، و أرضى ربّه .

221 و من كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته : « ألهاكم التّكاثر (2996) حتّى زرتم المقابر »

يا له مراما (2997) ما أبعده و زورا (2998) ما أغفله (2999) و خطرا ما أفظعه لقد استخلوا (3000) منهم أيّ مدّكر (3001) ، و تناوشوهم (3002) من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون أم بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم أجسادا خوت (3003) ، و حركات سكنت . و لأن يكونوا عبرا ، أحقّ من أن يكونوا مفتخرا ، و لأن يهبطوا بهم جناب ذلّة ، أحجى (3004) من أن يقوموا بهم مقام عزّة لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة (3005) ، و ضربوا منهم في

غمرة جهالة ، و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدّيار الخاوية (3006) ، و الرّبوع (3007) الخالية ، لقالت : ذهبوا في الأرض ضلاّلا (3008) ، و ذهبتم في

أعقابهم جهالا ، تطؤون في هامهم (3009) ، و تستنبتون (3010) في أجسادهم ، و ترتعون (3011) فيما لفظوا ، و تسكنون فيما خرّبوا ، و إنّما الأيّام بينكم و بينهم بواك (3012) و نوائح (3013) عليكم .

أولئكم سلف غايتكم (3014) ، و فرّاط (3015) مناهلكم (3016) ، الّذين كانت لهم مقاوم (3017) العزّ ، و حلبات (3018) الفخر ، ملوكا و سوقا (3019) .

سلكوا في بطون البرزخ (3020) سبيلا سلّطت الأرض عليهم فيه ،

فأكلت من لحومهم ، و شربت من دمائهم ، فأصبحوا في فجوات (3021) قبورهم جمادا لا ينمون (3022) ، و ضمارا (3023) لا يوجدون ، لا يفزعهم ورود الأهوال ، و لا يحزنهم تنكّر الأحوال ، و لا يحفلون (3024) بالرّواجف (3025) ، و لا يأذنون (3026) للقواصف (3027) . غيّبا لا ينتظرون .

و شهودا لا يحضرون ، و إنّما كانوا جميعا فتشتّتوا ، و آلافا (3028) فافترقوا ، و ما عن طول عهدهم ، و لا بعد محلّهم ، عميت أخبارهم ،

و صمّت (3029) ديارهم ، و لكنّهم سقوا كأسا بدّلتهم بالنّطق خرسا ،

و بالسّمع صمما ، و بالحركات سكونا ، فكأنّهم في ارتحال الصّفة (3030) صرعى (3031) سبات (3032) . جيران لا يتأنّسون ، و أحبّاء لا يتزاورون .

بليت (3033) بينهم عرا (3034) التّعارف ، و انقطعت منهم أسباب الإخاء ،

فكلّهم وحيد و هم جميع ، و بجانب الهجر و هم أخلاّء ، لا يتعارفون

لليل صباحا ، و لا لنهار مساء .

أيّ الجديدين (3035) ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا ، شاهدوا من اخطار دارهم أفظع ممّا خافوا ، و رأوا من آياتها أعظم ممّا قدّروا ،

فكلتا الغايتين (3036) مدّت لهم إلى مباءة (3037) ، فاتت مبالغ الخوف و الرّجاء . فلو كانوا ينطقون بها لعيّوا (3038) بصفة ما شاهدوا و ما عاينوا .

و لئن عميت آثارهم ، و انقطعت أخبارهم ، لقد رجعت فيهم أبصار العبر (3039) ، و سمعت عنهم آذان العقول ، و تكلّموا من غير جهات النّطق ، فقالوا : كلحت (3040) الوجوه النّواضر (3041) ، و خوت (3042) الأجسام النّواعم ، و لبسنا أهدام (3043) البلى ، و تكاءدنا (3044) ضيق المضجع ، و توارثنا الوحشة ، و تهكّمت (3045) علينا الرّبوع (3046) الصّموت (3047) ، فانمحت محاسن أجسادنا ، و تنكّرت معارف صورنا ،

و طالت في مساكن الوحشة إقامتنا ، و لم نجد من كرب فرجا ، و لا من ضيق متّسعا فلو مثّلتهم بعقلك ، أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك ، و قد ارتسخت (3048) أسماعهم بالهوام (3049) فاستكت (3050) ،

و اكتحلت أبصارهم بالتّراب فخسفت (3051) ، و تقطّعت الألسنة في

أفواهم بعد ذلاقتها (3052) ، و همدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها ، و عاث (3053) في كلّ جارحة منهم جديد بلى (3054) سمّجها (3055) ،

و سهل طرق الآفة إليها ، مستسلمات فلا أيد تدفع ، و لا قلوب تجزع ،

لرأيت أشجان قلوب (3056) ، و أقذاء عيون (3057) ، لهم في كلّ فظاعة صفة حال لا تنتقل ، و غمرة (3058) لا تنجلي . فكم أكلت الأرض من عزيز جسد ، و أنيق (3059) لون ، كان في الدّنيا غذي (3060) ترف ،

و ربيب (3061) شرف يتعلّل (3062) بالسّرور في ساعة حزنه ، و يفزع إلى السّلوة (3063) أن مصيبة نزلت به ، ضنّا (3064) بغضارة (3065) عيشه ،

و شحاحة (3066) بلهوه و لعبه فبينا هو يضحك إلى الدّنيا و تضحك إليه في ظلّ عيش غفول (3067) ، إذا وطىء الدّهر به حسكه (3068) و نقضت الأيّام قواه ، و نظرت إليه الحتوف (3069) من كثب (3070) ، فخالطه (3071) بثّ (3072) لا يعرفه ، و نجيّ (3073) همّ ما كان يجده ، و تولّدت فيه فترات (3074) علل ، آنس ما كان بصحّته ، ففزع إلى ما كان عوّده الأطبّاء من تسكين الحارّ بالقارّ (3075) ، و تحريك البارد بالحارّ ، فلم يطفىء ببارد إلاّ ثوّر حرارة ، و لا حرّك بحارّ إلاّ هيّج برودة ، و لا اعتدل بممازج (3076) لتلك الطّبائع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء ،

حتّى فتر معلّله (3077) ، و ذهل ممرّضه ، و تعايا (3078) أهله بصفة دائه ،

[472]

و خرسوا عن جواب السّائلين عنه ، و تنازعوا دونه شجيّ خبر يكتمونه :

فقائل يقول : هو لما به (3079) ، و ممن (3080) لهم إياب (3081) عافيته ،

و مصبّر لهم على فقده ، يذكّرهم أسى (3082) الماضين من قبله . فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدّنيا ، و ترك الأحبّة ، إذ عرض له عارض من غصصه ، فتحيّرت نوافذ فطنته (3083) ، و يبست رطوبة لسانه . فكم من مهمّ من جوابه عرفه فعيّ (3084) عن ردّه ، و دعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصامّ عنه ، من كبير كان يعظّمه ، أو صغير كان يرحمه و إنّ للموت لغمرات (3085) هي أفظع من أن تستغرق بصفة ، أو تعتدل على عقول (3086) أهل الدّنيا .

222 و من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته : يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ رِجالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تَجَارَةٌ وَ لاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

إنّ اللّه سبحانه و تعالى جعل الذّكر (3087) جلاء (3088) للقلوب ، تسمع به بعد الوقرة (3089) ، و تبصر به بعد العشوة (3090) ، و تنقاد به بعد المعاندة ، و ما برح للّه عزّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة ، و في أزمان الفترات (3091) ، عباد ناجاهم (3092) في فكرهم ، و كلّمهم في

[473]

ذات عقولهم ، فاستصبحوا (3093) بنور يقظة في الأبصار و الأسماع و الأفئدة ، يذكّرون بأيّام اللّه ، و يخوفون مقامه ، بمنزلة الأدلّة (3094) في الفلوات (3095) . من أخذ القصد (3096) حمدوا إليه طريقه ، و بشّروه بالنّجاة ، و من أخذ يمينا و شمالا ذمّوا إليه الطّريق ، و حذّروه من الهلكة ، و كانوا كذلك مصابيح تلك الظّلمات ، و أدلّة تلك الشّبهات .

إنّ للذّكر لأهلا أخذوه من الدّنيا بدلا ، فلم تشغلهم تجارة و لا بيع عنه ، يقطعون به أيّام الحياة ، و يهتفون (3097) بالزّواجر عن محارم اللّه ، في أسماع الغافلين ، و يأمرون بالقسط (3098) و يأتمرون به (3099) ،

ينهون عن المنكر و يتناهون عنه ، فكأنّما قطعوا الدّنيا إلى الآخرة هم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك ، فكأنّما اطّلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه ، و حقّقت القيامة عليهم عداتها (3100) ، فكشفوا عطاء ذلك لأهل الدّنيا ، حتّى كأنّهم يرون ما لا يرى النّاس ، و يسمعون ما لا يسمعون . فلو مثّلتهم لعقلك في مقاومهم (3101) المحمودة ،

مجالسهم المشهودة ، و قد نشروا دواوين (3102) أعمالهم ، و فرغوا لمحاسبة أنفسهم على كلّ صغيرة و كبيرة أمروا بها فقصّروا عنها ،

أو نهوا عنها ففرّطوا فيها ، و حمّلوا ثقل أوزارهم (3103) ظهورهم ،

فضعفوا عن الاستقلال بها ، فنشجوا (3104) نشيجا ، و تجاوبوا نحيبا (3105) ،

[474]

يعجّون (3106) إلى ربّهم من مقام ندم و اعتراف ، لرأيت أعلام هدى ، و مصابيح دجى ، قد حفّت بهم الملائكة ، و تنزّلت عليهم السّكينة ، و فتحت لهم أبواب السّماء ، و أعدّت لهم مقاعد الكرامات ،

في مقعد اطّلع اللَّه عليهم فيه ، فرضي سعيهم ، و حمد مقامهم ،

يتنسّمون (3107) بدعائه روح التّجاوز . رهائن فاقة إلى فضله ، و أسارى ذلّة لعظمته ، جرح طول الأسى (3108) قلوبهم ، و طول البكاء عيونهم .

لكلّ باب رغبة إلى اللَّه منهم يد قارعة ، يسألون من لا تضيق لديه المنادح (3109) ، و لا يخيب عليه الرّاغبون .

فحاسب نفسك لنفسك ، فإنّ غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك .

223 و من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته : « يا أيّها الإنسان ما غرك بربّك الكريم » .

أدحض (3110) مسؤول حجّة ، و أقطع مغترّ معذرة ، لقد أبرح (3111) جهالة بنفسه .

يا أيّها الإنسان ، ما جرّاك على ذنبك ، و ما غرّك بربّك ، و ما أنّسك بهلكة نفسك ؟ أما من دائك بلول (3112) ، أم ليس من نومتك

[475]

يقظة ؟ أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك ؟ فلربّما ترى الضّاحي (3113) من حرّ الشّمس فتظلّه ، أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده (3114) فتبكي رحمة له فما صبّرك على دائك ، و جلّدك على مصابك ،

و عزّاك عن البكاء على نفسك و هي أعزّ الأنفس عليك و كيف لا يوقظك خوف بيات نقمة (3115) ، و قد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ، و من كرى (3116) الغفلة في ناظرك بيقظة ، و كن للَّه مطيعا ، و بذكره آنسا . و تمثّل (3117) في حال تولّيك (3118) عنه إقباله عليك ، يدعوك إلى عفوه ، و يتغمّدك (3119) بفضله ، و أنت متولّ عنه إلى غيره . فتعالى من قويّ ما أكرمه و تواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته و أنت في كنف ستره مقيم ، و في سعة فضله متقلّب . فلم يمنعك فضله ، و لم يهتك عنك ستره ، بل لم تخل من لطفه مطرف عين (3120) في نعمة يحدثها لك ،

و سيّئة يسترها عليك ، أو بليّة يصرفها عنك . فما ظنّك به لو طعته و ايم اللَّه لو أنّ هذه الصّفة كانت في متّفقين في القوّة ،

متوازيين في القدرة ، لكنت أوّل حاكم على نفسك بذميم الأخلاق ، و مساوىء الأعمال . و حقّا أقول ما الدّنيا غرّتك ، و لكن بها اغتررت ، و لقد كاشفتك العظات (3121) ، و آذنتك (3122) على سواء .

[476]

و لهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك ، و النّقص في قوّتك ، أصدق و أوفى من أن تكذبك ، أو تغرّك . و لربّ ناصح لها عندك متّهم (3123) ،

و صادق من خبرها مكذّب . و لئن تعرّفتها (3124) في الدّيار الخاوية ،

و الرّبوع الخالية ، لتجدنها من حسن تذكيرك ، و بلاغ موعظتك ،

بمحلّة الشّفيق عليك ، و الشّحيح (3125) بك و لنعم دار من لم يرض بها دارا ، و محلّ من لم يوطّنها (3126) محلاّ و إنّ السّعداء بالدّنيا غدا هم الهاربون منها اليوم .

إذا رجفت الرّاجفة (3127) ، و حقّت (3128) بجلائها القيامة ، و لحق بكلّ منسك (3129) أهله ، و بكلّ معبود عبدته ، و بكلّ مطاع أهل طاعته ، فلم يجز (3130) في عدله و قسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ،

و لا همس قدم في الأرض إلاّ بحقّه ، فكم حجّة يوم ذاك داحضة ،

و علائق عذر منقطعة فتحرّ (3131) من أمرك ما يقوم به عذرك ، و تثبت به حجّتك ، و خذ ما يبقى لك ممّا لا تبقى له ، و تيسّر (3132) لسفرك ، و شم (3133) برق النّجاة ، و ارحل (3134) مطايا التّشمير .

[477]

224 و من كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم

و اللّه لأن أبيت على حسك و السّعدان (3135) مسهّدا (3136) ، أو أجرّ في الأغلال مصفّدا ، أحبّ إليّ من أن ألقى اللّه و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد ، و غاصبا لشيء من الحطام ، و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها (3137) ، و يطول في الثّرى (3138) حلولها ؟ و اللّه لقد رأيت عقيلا و قد أملق (3139) حتّى استماحني (3140) من برّكم (3141) صاعا ، و رأيت صبيانه شعث (3142) الشّعور ، غبر (3143) الألوان ، من فقرهم ، كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم (3144) ،

و عاودني مؤكّدا ، و كرّرت علي القول مردّدا ، فأصغيت إليه سمعي ،

فظنّ أنّي أبيعه ديني ، و أتّبع قياده (3145) مفارقا طريقتي ، فأحميت له حديدة ، ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضجّ ضجيج ذي دنف (3146) من ألمها ، و كاد أن يحترق من ميسمها (3147) ، فقلت له :

ثكلتك الثّواكل (3148) ، يا عقيل أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه ، و تجرّني إلى نار سجرها جبّارها لغضبه أتئنّ من الأذى و لا

[478]

أئنّ من لظى (3149) ؟ و أعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة (3150) في وعائها ، و معجونة شنئتها (3151) ، كأنّما عجنت بريق حيّة أو قيئها ،

فقلت : أصلة (3152) ، أم زكاة ، أم صدقة ؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت فقال : لا ذا و لا ذاك ، و لكنّها هديّة . فقلت : هبلتك الهبول (3153) أن دين اللّه أتيتني لتخدعني ؟ أمختبط (3154) أنت أم ذو جنّة (3155) ، أم تهجر (3156) ؟ و اللّه لو أعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها ، على أن أعصي اللّه في نملة أسلبها جلب (3157) شعيرة ما فعلته ، و إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها (3158) .

ما لعليّ و لنعيم يفنى ، و لذّة لا تبقى نعوذ باللّه من سبات (3159) العقل ، و قبح الزّلل . و به نستعين .

225 و من دعاء له عليه السلام يلتجىء إلى اللّه أن يغنيه

اللّهمّ صن وجهي (3160) باليسار (3161) ، و لا تبذل جاهي (3162) بالإقتار (3163) ، فأسترزق طالبي رزقك ، و استعطف شرار خلقك ،

و أبتلى بحمد من أعطاني ، و أفتتن بذمّ من منعني ، و أنت من وراء ذلك كلّه وليّ الإعطاء و المنع ، « إنّك على كلّ شيء قدير » .

[479]

226 و من خطبة له عليه السلام في التنفير من الدنيا

دار بالبلاء محفوفة ، و بالغدر معروفة ، لا تدوم أحوالها ، و لا يسلم نزّالها (3164) .

أحوال مختلفة ، و تارات متصرّفة (3165) ، العيش فيها مذموم ،

و الأمان منها معدوم ، و إنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة (3166) ،

ترميهم بسهامها ، و تفنيهم بحمامها (3167) و اعلموا عباد اللّه أنّكم و ما أنتم فيه من هذه الدّنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ، ممّن كان أطول منكم أعمارا ، و أعمر ديارا ، و أبعد آثارا (3168) ، أصبحت أصواتهم هامدة ، و رياحهم راكدة (3169) ،

و أجسادهم بالية ، و ديارهم خالية ، و آثارهم عافية (3170) . فاستبدلوا بالقصور المشيّدة ، و النّمارق (3171) الممهّدة (3172) ، الصّخور و الأحجار المسنّدة ، و القبور اللاّطئة (3173) الملحدة (3174) ، الّتي قد بني على الخراب فناؤها (3175) ، و شيّد بالتّراب بناؤها ، فمحلّها مقترب ،

و ساكنها مغترب ، بين أهل محلّة موحشين ، و أهل فراغ متشاغلين ،

لا يستأنسون بالأوطان ، و لا يتواصلون تواصل الجيران ، على ما بينهم

[480]

من قرب الجوار ، و دنو الدار . و كيف يكون بينهم تزاور ، و قد طحنهم بكلكله (3176) ، البلى (3177) ، و أكلتهم الجنادل (3178) و الثّرى (3179) و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه ، و ارتهنكم ذلك المضجع (3180) ،

و ضمّكم ذلك المستودع . فكيف بكم لو تناهت (3181) بكم الأمور ،

و بعثرت القبور (3182) : « هنالك تبلوا (3183) كلّ نفس ما أسلفت ،

و ردّوا إلى اللّه مولاهم الحقّ ، و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون » .

227 و من دعاء له عليه السلام يلجأ فيه إلى اللّه ليهديه إلى الرشاد

اللّهمّ إنّك آنس (3184) الآنسين لأوليائك ، و أحضرهم بالكفاية للمتوكّلين عليك . تشاهدهم في سرائرهم ، و تطلع عليهم في ضمائرهم . و تعلم مبلغ بصائرهم . فأسرارهم لك مكشوفة ،

و قلوبهم إليك ملهوفة (3185) . إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك ،

و إن صبّت عليهم المصائب لجؤوا إلى الاستجارة بك ، علما بأنّ أزمة الأمور بيدك ، و مصادرها عن قضائك .

اللّهمّ إن فههت (3186) عن مسألتي ، أو عميت عن طلبتي (3187) ،

فدلّني على مصالحي ، و خذ بقلبي إلى مراشدي (3188) ، فليس ذلك

[481]

بنكر (3189) من هداياتك ، و لا ببدع (3190) من كفاياتك .

اللّهمّ احملني على عفوك ، و لا تحملني على عدلك .

228 و من كلام له عليه السلام يريد به بعض أصحابه

للّه بلاء فلان (3191) ، فلقد قوّم (3192) الأود ، و داوى العمد (3193) ،

و أقام السّنة ، و خلّف (3194) الفتنة ذهب نقيّ الثّوب ، قليل العيب .

أصاب خيرها ، و سبق شرّها . أدّى إلى اللّه طاعته ، و اتّقاه بحقّه .

رحل و تركهم في طرق متشعّبة (3195) ، لا يهتدي بها الضّالّ ، و لا يستيقن المهتدي .

229 و من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة

قال الشريف : و قد تقدم مثله بألفاظ مختلفة . و بسطتم يدي فكففتها ، و مددتموها فقبضتها ، ثمّ تداككتم عليّ (3196) تداكّ الإبل الهيم (3197) على حياضها يوم وردها ، حتّى انقطعت النّعل ، و سقط الرّداء ، و وطىء الضّعيف ، و بلغ من سرور النّاس

[482]

ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصّغير ، و هدج (3198) إليها الكبير ،

و تحامل نحوها العليل ، و حسرت (3199) إليها الكعاب (3200) .

230 و من خطبة له عليه السلام في مقاصد أخرى

تقوى الله

فإنّ تقوى اللّه مفتاح سداد ، و ذخيرة معاد ، و عتق من كلّ ملكة (3201) ، و نجاة من كلّ هلكة (3202) . بها ينجح الطّالب ، و ينجو الهارب ، و تنال الرّغائب .

فضل العمل

فاعملوا و العمل يرفع ، و التّوبة تنفع ، و الدّعاء يسمع ، و الحال هادئة ، و الأقلام جارية . و بادروا (3203) بالأعمال عمرا ناكسا (3204) ،

أو مرضا حابسا (3205) ، أو موتا خالسا (3206) . فإنّ الموت هادم لذاتكم ،

و مكدّر شهواتكم ، و مباعد طيّاتكم (3207) . زائر غير محبوب ،

و قرن (3208) غير مغلوب ، و واتر (3209) غير مطلوب . قد اعلقتكم حبائله (3210) ، و تكنّفتكم (3211) غوائله (3212) ، و أقصدتكم (3213) معابله (3214) و عظمت فيكم سطوته ، و تتابعت عليكم عدوته (3215) ،

[483]

و قلّت عنكم نبوته (3216) فيوشك (3217) أن تغشاكم (3218) دواجي (3219) ظلله (3220) و احتدام (3221) علله ، و حنادس (3222) غمراته (3223) ، و غواشي سكراته ، و أليم إرهاقه (3224) ، و دجوّ (3225) أطباقه (3226) ، و جشوبة (3227) مذاقه . فكأن قد أتاكم بغتة فأسكت نجيّكم (3228) ، و فرّق نديّكم (3229) ،

و عفّى آثاركم (3230) ، و عطّل دياركم ، و بعث ورّاثكم ، يقتسمون تراثكم (3231) ، بين حميم (3232) خاصّ لم ينفع ، و قريب محزون لم يمنع ، و آخر شامت لم يجزع .

فضل الجد

فعليكم بالجدّ و الاجتهاد ، و التّأهّب و الاستعداد ، و التّزوّد في منزل الزّاد . و لا تغرّنّكم الحياة الدّنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية ، و القرون الخالية ، الّذين احتلبوا درّتها (3233) ،

و أصابوا غرّتها (3234) ، و أفنوا عدّتها ، و أخلقوا جدّتها (3235) . و أصبحت مساكنهم أجداثا (3236) ، و أموالهم ميراثا . لا يعرفون من أتاهم ، و لا يحفلون من بكاهم (3237) ، و لا يجيبون من دعاهم . فاحذروا الدّنيا فإنّها غدّارة غرّارة خدوع ، معطية منوع ، ملبسة نزوع (3238) ، لا يدوم رخاؤها ، و لا ينقضي عناؤها ، و لا يركد (3239) بلاؤها .

[484]

و منها في صفة الزهاد : كانوا قوما من أهل الدّنيا و ليسوا من أهلها ، فكانوا فيها كمن ليس منها ، عملوا فيها بما يبصرون ، و بادروا (3240) فيها ما يحذرون ، تقلّب أبدانهم بين ظهراني أهل الآخرة (3241) ، و يرون أهل الدّنيا يعظّمون موت أجسادهم و هم أشدّ إعظاما لموت قلوب أحيائهم .

231 و من خطبة له عليه السلام خطبها . بذي قار ، و هو متوجه إلى البصرة ، ذكرها الواقدي في كتاب « الجمل » :

فصدع (3242) بما أمر به ، و بلّغ رسالات ربّه ، فلمّ اللّه به الصّدع (3243) ، و رتق به الفتق (3244) ، و ألّف به الشّمل بين ذوي الأرحام ، بعد العداوة الواغرة (3245) في الصّدور ، و الضغائن القادحة (3246) في القلوب .

232 و من كلام له عليه السلام كلم به عبد اللّه بن زمعة ، و هو من شيعته ، و ذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا ،

فقال عليه السلام :

إنّ هذا المال ليس لي و لا لك ، و إنما هو فيء للمسلمين (3247) ، و جلب أسيافهم (3248) ، فإن شركتهم (3249) في حربهم ، كان لك

[485]

مثل حظّهم ، و إلاّ فجناة (3250) أيديهم لا تكون لغير أفواههم .

233 و من كلام له عليه السلام بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر ، و هو في فضل أهل البيت ، و وصف فساد الزمان

فضل اهل البيت ع

ألا و إنّ اللّسان بضعة (3251) من الإنسان ، فلا يسعده القول إذا امتنع ،

و لا يمهله النّطق إذا اتّسع . و إنّا لأمراء الكلام ، و فينا تنشّبت (3252) عروقه ، و علينا تهدّلت (3253) غصونه .

فساد الزمان

و اعلموا رحمكم اللَّه أنّكم في زمان القائل فيه بالحقّ قليل ،

و اللّسان عن الصّدق كليل (3254) ، و اللاّزم للحقّ ذليل . أهله معتكفون على العصيان ، مصطلحون على الإدهان ، فتاهم عارم (3255) ، و شائبهم آثم ،

و عالمهم منافق ، و قارنهم مماذق (3256) . لا يعظّم صغيرهم كبيرهم .

و لا يعول غنيّهم فقيرهم .

234 و من كلام له عليه السلام

روى ذعلب اليمامي عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد اللَّه بن يزيد ، عن مالك بن دحية ، قال

[486]

كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام ، و قد ذكر عنده اختلاف الناس فقال ،

إنّما فرّق بينهم مبادىء طينهم (3257) ، و ذلك أنّهم كانوا فلقة (3258) من سبخ (3259) أرض و عذبها ، و حزن تربة و سهلها ، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون ، و على قدر اختلافها يتفاوتون ، فتامّ الرّواء (3260) ناقص العقل ، و مادّ القامة (3261) قصير الهمّة ، و زاكي العمل قبيح المنظر ، و قريب القعر (3262) بعيد السّبر ، و معروف الضّريبة (3263) منكر الجليبة (3264) ، و تائه القلب متفرّق اللّبّ ، و طليق اللّسان حديد الجنان .

235 و من كلام له عليه السلام قاله و هو يلي غسل رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه و آله ، و تجهيزه :

بأبي أنت و أمي يا رسول اللَّه لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النّبوّة و الإنباء و أخبار السّماء . خصّصت حتّى صرت مسلّيا عمّن سواك ، و عمّمت حتّى صار النّاس فيك سواء . و لو لا أنّك أمرت بالصّبر ، و نهيت عن الجزع ، لأنفدنا (3265) عليك ماء الشؤون (3266) ،

و لكان الدّاء مماطلا (3267) ، و الكمد محالفا (3268) ، و قلاّ لك (3269) و لكنّه ما لا يملك ردّه ، و لا يستطاع دفعه بأبي أنت و أمّي اذكرنا

[487]

عند ربّك ، و اجعلنا من بالك

236 و من كلام له عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى اللَّه عليه و آله ثم لحاقه به :

فجعلت أتبع مأخذ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله فأطأ ذكره ، حتّى انتهيت إلى العرج (3270) . قال السيد الشريف رضي اللَّه عنه في كلام طويل :

قوله عليه السلام : « فأطأ ذكره » ، من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز و الفصاحة ،

أراد أني كنت أعطى خبره صلى اللّه عليه و آله من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع ، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

237 و من خطبة له عليه السلام في المسارعة إلى العمل

فاعملوا و أنتم في نفس البقاء (3271) ، و الصّحف منشورة (3272) و التّوبة مبسوطة (3273) ، و المدبر (3274) يدعى ، و المسيء يرجى ، قبل أن يخمد العمل (3275) ، و ينقطع المهل ، و ينقضي الأجل ، و يسدّ باب التّوبة ، و تصعد الملائكة (3276) فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ، و أخذ من حيّ لميّت ، و من فان لباق ،

[488]

و من ذاهب لدائم . امرؤ خاف اللّه و هو معمّر إلى أجله ، و منظور (3277) إلى عمله . امرؤ ألجم نفسه بلجامها ، و زمّها بزمامها (3278) ، فأمسكها بلجامها عن معاصي اللّه ، و قادها بزمامها إلى طاعة اللّه .

238 و من كلام له عليه السلام في شأن الحكمين و ذم أهل الشام

جفاة (3279) طغام (3280) ، و عبيد أقزام (3281) ، جمعوا من كلّ أوب ،

و تلقّطوا من كلّ شوب (3282) ، ممّن ينبغي أن يفقّه و يؤدّب ، و يعلّم و يدرّب ، و يولّى عليه ، و يؤخذ على يديه . ليسوا من المهاجرين و الأنصار ، و لا من الّذين تبوؤوا الدّار و الإيمان .

ألا و إنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا تحبّون ، و إنّكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون . و إنّما عهدكم بعبد اللّه ابن قيس بالأمس يقول : « إنّها فتنة ، فقطّعوا أوتاركم (3283) ،

و شيموا (3284) سيوفكم » . فإن كان صادقا فقد أخطأ بمسيره غير مستكره ،

و إن كان كاذبا فقد لزمته التّهمة . فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد اللّه بن العبّاس ، و خذوا مهل الأيّام ، و حوطوا قواصي الإسلام .

ألا ترون إلى بلادكم تغزى ، و إلى صفاتكم ترمى ؟

[489]

239 و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى اللّه عليه و آله

هم عيش العلم ، و موت الجهل . يخبركم حلمهم عن علمهم ،

و ظاهرهم عن باطنهم ، و صمتهم عن حكم منطقهم . لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه . و هم دعائم الإسلام ، و ولائج (3285) الاعتصام . بهم عاد الحقّ إلى نصابه (3286) ، و انزاح الباطل (3287) عن مقامه ، و انقطع لسانه عن منبته (3288) . عقلوا الدّين عقل وعاية و رعاية (3289) ، لا عقل سماع و رواية . فإنّ رواة العلم كثير ،

و رعاته قليل .

240 و من كلام له عليه السلام قال لعبد اللّه بن العباس ، و قد جاءه برسالة من عثمان ،

و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ، ليقل هتف (3290) الناس باسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ،

قال عليه السلام :

يا بن عبّاس ، ما يريد عثمان إلاّ أن يجعلني جملا ناضحا بالغرب (3291) : أقبل و أدبر بعث إليّ أن أخرج ، ثمّ بعث إليّ أن أقدم ، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج و اللّه لقد دفعت عنه حتّى

[490]

خشيت أن أكون آثما .

241 و من كلام له عليه السلام يحث به أصحابه على الجهاد

و اللّه مستأديكم (3292) شكره و مورّثكم أمره ، و ممهلكم (3293) في مضمار (3294) محدود ، لتتنازعوا سبقه (3295) ، فشدّوا عقد المآزر (3296) ،

و اطووا فضول الخواصر (3297) ، و لا تجتمع عزيمة و وليمة (3298) . ما أنقض النّوم لعزائم اليوم ، و أمحى الظّلم (3299) لتذاكير الهمم و صلى اللّه على سيدنا محمد النبي الأمي ، و على آله مصابيح الدجى و العروة الوثقى ، و سلم تسليما كثيرا .

[491]

فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب

[493]

(1709) أثوياء : جمع ثويّ كغنيّ :

و هو الضيف .

(1710) الدائب : المداوم في العمل .

(1711) الكادح : الساعي لنفسه بجهد و مشقة . و المراد : من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا .

(1712) أمكنت الفريسة : أي سهلت و تيسرت .

(1713) الحثالة بالضم الرديء من كل شيء . و المراد قزم الناس و صغراء النفوس .

(1714) الرّبذة : بالتحريك ، موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذرّ الغفاري رضي اللّه عنه ،

و الذي أخرجه اليه عثمان بن عفان .

(1715) قرضت منها : قطعت منها جزءا و اختصصت به نفسك .

(1716) أظارّكم : أعطفكم .

(1717) السرار كسحاب و تكسر أيضا ، في الأصل : آخر ليلة من الشهر . و المراد الظلمة .

(1718) النّهمة بفتح النون و سكون الهاء إفراط الشهوة و المبالغة في الحرص .

(1719) الحائف من الحيف أي الجور و الظلم .

(1720) الدول : جمع دولة بالضم : هي المال ، لأنه يتداول أي ينقل من يد ليد . و المراد من يحيف في قسم الأموال فيفضّل قوما في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل .

(1721) المقاطع : الحدود التي عينها الله لها .

(1722) الإبلاء : الإحسان و الانعام .

و الابتلاء : الامتحان .

(1723) بعيثه : مصطفاه و مبعوثه .

(1724) الموت أسمع داعيه : أي إن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كلّ حيّ ، فلا حي إلا و هو يعلم أنه يموت .

(1725) أعجل حاديه : أي إن الحادي قد أعجل المدبّرين عن تدبيرهم ، و أخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم .

(1726) برّز الرجل على أقرانه : أي فاقهم . و المهل : التقدم في الخير ، أي فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره .

(1727) اهتبل الصيد : طلبه . و الضمير في « هبلها » للتقوى لا للدنيا .

أي : اغنموا خير التقوى .

(1728) الوفز بتسكين الفاء و فتحها العجلة ، و جمعه أو فاز ، أي كونوا منها على استعجال .

(1729) الظهور : يراد بها هنا ظهور المطايا (1730) الزّيال : الفراق .

(1731) مقاليدها : جمع مقلاد ، و هو المفتاح .

(1732) قدحت : اشتعلت .

(1733) الغلّ : الحقد ، و الاصطلاح عليه :

الاتفاق على تمكينه في النفوس .

(1734) نبت المرعى على دمنكم :

تأكيد و توضيح لمعنى الحقد .

و الدّمن بكسر ففتح جمع دمنة بالكسر ، و هي الحقد القديم . و نبت المرعى عليه استتاره بظواهر النفاق . و أصل الدّمن : السرقين و ما يكون من أرواث الماشية و أبوالها . و سميّت بها الأحقاد لأنها أشبه شيء بها .

(1735) استهام : أصله من هام على وجهه ، إذا خرج لا يدري أين يذهب .

(1736) الحوزة : ما يحوزه المالك و يتولى حفظه . و إعزاز حوزة الدين :

حمايتها من تغلّب أعدائه .

(1737) كانفة : عاصمة يلجؤون اليها ،

من « كنفه » إذا صانه و ستره .

(1738) احفز : أمر من الحفز ، و هو الدفع و السوق الشديد .

(1739) أهل البلاء : أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد و الجراءة في الإقدام . و البلاء : هو الإجادة في العمل و إحسانه .

(1740) الرّدء بالكسر الملجأ .

(1741) المثابة : المرجع .

[495]

(1742) الابتر : هو من لا عقب له (1743) النّوى : ها هنا بمعنى الدار .

(1744) الفلتة : الأمر يقع عن غير روية و لا تدبّر .

(1745) الخزامة بالكسر حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشدّ فيها الزمام و يسهل قياده .

(1746) النّصف بكسر النون الإنصاف .

(1747) الطّلبة : بفتح الطاء و كسر اللام ما يطالب به من الثار .

(1748) المراد بالحمأ هنا مطلق القريب و النسيب ، و هو كناية عن الزبير ،

فانه من قرابة النبي ابن عمته ،

و الخمة بضم ففتح أصلها الحية أو إبرة اللاسعة من الهوام .

(1749) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها ، و أغدف الليل :

أرخى سدوله . يعني : أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق .

(1750) زاح يزيح زيحا و زيحانا :

بعد و ذهب ، كانزاح . و النصاب الأصل . أي : قد انقلع الباطل عن مغرسه .

(1751) الشّغب : بالفتح تهييج الشرّ (1752) أفرط الحوض : ملأه حتى فاض و المراد حوض المنية .

(1753) ماتحه : أي نازع مائه لأسقيهم .

(1754) عبّ : شرب بلا تنفّس .

(1755) الحسي : بفتح الحاء و تكسر سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .

(1756) العوذ : بضم العين ، جمع عائذة :

و هي النّتاج من الظباء و الإبل ،

أو كل أنثى . و المطافيل : جمع مطفل بضم الميم و كسر الفاء ذات الطفل من الإنس و الوحش .

(1757) التألّب : الإفساد .

(1758) استثبتهما : من ثاب (بالثاء) إذا رجع ، أي استرجعتهما .

و طلبت اليهما الرجوع للبيعة .

(1759) أمام الوقاع : ككتاب قبيل المواقعة بالحرب .

(1760) غمط النعمة : جحدها .

(1761) النواجذ : أقصى الأضراس أو الأنياب . و بدوّ النواجذ : كناية عن شدة الاحتدام .

(1762) الأخلاف : جمع خلف بالكسر و هو للناقة حلمة الضرع .

(1763) أفاليذ : جمع أفلاذ ، جمع فلذة :

و هي القطعة من الذهب و الفضة .

(1764) فحص : بحث .

(1765) كوفان : الكوفة .

(1766) الضّروس : الناقة السيئة الخلق تعضّ حالبها .

(1767) فغرت فاغرته : انفتح فمه ، و أكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه .

(1768) ليشرّدنّكم : ليفرقنكم (1769) عوازب أحلامها : غائبات عقولها .

(1770) يسنّ : يسهّل .

[496]

(1771) تنتضى : تسل .

(1772) المصنوع اليهم : الذين أنعم اللّه عليهم و أحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام .

(1773) يحيل : يتغير عن وجه الحق .

(1774) الغارم : من عليه الديون .

(1775) صبر نفسه بالتخفيف حبسها .

(1776) تظلّكم : تعلو فوقكم .

(1777) الزلفة : القربة .

(1778) السّنون جمع سنة بمعنى الجدب و القحط (1779) المضايق الوعرة بالتسكين و لا يجوز التحريك الصعبة .

(1780) أجاءته اليه : ألجأته .

(1781) المقاحط : جمع مقحطة ، و هي السنة الممحلة .

(1782) تلاحمت : اتصلت .

(1783) الواجم : الذي قد اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .

(1784) الحيا : الخصب و المطر .

(1785) القيعان : جمع قاع ، الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال و الآكام .

(1786) البطنان : جمع بطن ، بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق .

(1787) تستورق الأشجار : تخرج ورقها .

(1788) كشف الخلق : علم حالهم في جميع أطوارهم .

(1789) بواء : مصدر باء فلان بفلان :

أي قتل به ، و العقاب : القصاص .

(1790) الآجن : الماء المتغير اللون و الطعم و استعاره الامام للذات الدنيا ،

تشبيها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير لونه و طعمه .

(1791) بسىء به كفرح ألفه و استأنس به .

(1792) خلائقه : ملكاته الراسخة في نفسه .

(1793) لا يحفل كيضرب لا يبالي .

(1794) ازدحموا على الحطام : استعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ،

لسرعة فنائها و فسادها .

(1795) تنتضل فيه : تترامى اليه .

(1796) يخلق : يبلى .

(1797) المهيع كالمقعد الطريق الواضح (1798) عوازم الأمور : ما تقادم منها ،

و كانت عليه ناشئة الدين . من قولهم : « ناقة عوزم كجعفر » أي عجوز فيها بقية من شباب .

(1799) القيّم بالأمر : القائم به ، يريد الخليفة .

(1800) النظام : السّلك ينظم فيه الحرز .

(1801) بحذافيره : أي بأصله ، و الحذافير جمع حذفار ، و هو أعلى الشيء و ناحيته .

(1802) شخصت : خرجت .

(1803) تجلى لهم سبحانه : ظهر لهم من غير أن يرى بالبصر .

(1804) المثلات بفتح فضم العقوبات .

(1805) أنفق منه : أروج منه .

(1806) الزّبر بالفتح الكتابة .

[497]

(1807) مثّلوا : نكلوا و شنّعوا ، و الاسم منه المثلة بضم الميم .

(1808) الفرية : بكسر الفاء الكذب .

(1809) الموعود : هنا الموت الذي لا يقبل فيه عذر و لا تفيد بعده توبة .

(1810) القارعة : الداهية المهلكة .

(1811) الباري : المعافي من المرض .

(1812) السّقم : المرض و العلة .

(1813) لا يمتّان : لا يمدّان .

(1814) السبب : الحبل .

(1815) الضّبّ : بالفتح و يكسر : الحقد .

و العرب تضرب المثل بالضبّ في العقوق .

(1816) المحسبون : الذين يجاهرون حسبة للّه .

(1817) اللّدم : الضرب على الصدر و الوجه عند النياحة .

(1818) مساق النّفس : هو ما تسوقها اليه أطوار الحياة حتى توافيه .

(1819) أطرد : أمر بالإخراج و الطّرد .

(1820) خلاكم ذمّ : برئتم من الذمّ .

(1821) تشردوا كتنصروا أي تنفروا و تميلوا عن الحق .

(1822) إن تثبت الوطأة : يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه .

(1823) المزلّة : محلّ الزّلل .

(1824) دحضت القدم : زلّت و زلقت .

(1825) الأفياء : جمع فيء و هو الظلّ ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأمكنة .

(1826) متلقّقها : بفتح الفاء ، مجتمعها أي ما اجتمع من الغيوم في الجو ،

و التلفيق : الجمع .

(1827) عفا : اندرس و ذهب .

(1828) مخطّها : أثر ما خطّت في الأرض .

(1829) جثة خلاء : خالية من الروح .

(1830) الخفوت : السكون .

(1831) أطرافه : يداه و رأسه و رجلاه (1832) مرصد : اسم فاعل من « أرصد » منتظر .

(1833) تباشيره : أوائله .

(1834) إبّان : بكسر فتشديد وقت .

(1835) الدّنوّ : القرب .

(1836) الرّبق بكسر فسكون حبل فيه عدة عرا ، كل عروة ربقة بفتح الراء تشدّ فيه البهم .

(1837) يصدع شعبا : يفرّق جمعا .

(1838) يشعب صدعا : يجمع متفرّقا .

(1839) القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها .

(1840) يشحذ : من شحذ السكّين إذا حدّدها .

(1841) القين : الحداد ، و النّصل :

حديدة السيف و السكين و نحوها .

(1842) يغبقون مبني للمجهول يسقون بالمساء . و الصّبوح : ما يشرب وقت الصباح .

(1843) الغير بكسر ففتح أحداث الدهر و نوائبه .

[499]

(1844) اخلولق الاجل » : من قولهم « اخلولق السحاب » إذا استوى و صار خليقا أن يمطر . و المراد أن الأجل يشرف على الانقضاء .

(1845) أشالت النّاقة ذنبها : رفعته ،

أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلحقوا حروبهم على غيرهم ، أي يسعّروها عليهم .

(1846) حملوا بصائرهم على أسيافهم » :

من الطف أنواع التمثيل ، يريد أشهروا عقيدتهم داعين اليها غيرهم (1847) الولائج جمع وليجة : و هي البطانة و خاصة الرجل من أهله و عشيرته ، و يراد بها دخائل المكر و الخديعة .

(1848) الغمرة : الشدّة .

(1849) ماروا : تحركوا و اضطربوا (1850) الدحر بفتح الدال الطرد .

و المداحر و المزاجر بها يدحر و يزجر (1851) مخاتل الشيطان : مكائده .

(1852) « على فترة » : خلوّ من الشرائع الإلهية لا يعرفون منها شيئا .

(1853) البوائق : جمع بائقة : و هي الداهية .

(1854) القتام كسحاب : الغبار .

و العشوة بالكسر و بضم و بفتح ركوب الأمر على غير بيان .

(1855) شبابها : بكسر الشين أي بداياتها في عنوان و شدة كشباب الغلام و فتوّته .

(1856) السّلام بكسر السين الحجارة الصمّ ، واحدها سلمة بكسر السين أيضا و آثارها في الأبدان الرّضّ و الحطم .

(1857) أراح اللحم فهو مريح : أنتن .

(1858) يتزايلون : يتفارقون .

(1859) الرجوف : شديدة الرجفان و الاضطراب .

(1860) القاصمة : الكاسرة . و الزّحوف :

الشديدة الزحف .

(1861) نجومها : ظهورها . و هي من نجم ينجم إذا ظهر .

(1862) يتكادمون : يعضّ بعضهم بعضا .

(1863) العانة : الجماعة من حمر الوحش .

(1864) تغيض بالغين المعجمة تنقص و تغور .

(1865) تدقّ : تفتّت .

(1866) المسحل كمنبر المبرد أو المنحت . و المسحل أيضا :

حلقة تكون في طريق شكيمة اللّجام مدخلة في مثلها .

(1867) الرّضّ : التهشيم .

(1868) الكلكل : الصدر .

(1869) الوحدان : جمع واحد ، أي المتفرّدون .

(1870) عبيط الدماء : الطريّ الخالص منها .

(1871) تثلم منار الدين : تكسره .

و أصله من « ثلم الإناء أو السيف و نحوه » : كسر حرفه . و منار

[499]

الدين : أعلامه ، و هم علماؤه ،

و ثلمها : قتل العلماء و هدم قواعد الدين .

(1872) الأكياس : جمع كيّس ،

الحاذق العاقل .

(1873) الأرجاس جمع رجس : و هو القذر و النجس ، و المراد الأشرار .

(1874) مطلول : من « طللت دمه » هدرته .

(1875) يختلون بعقد الأيمان :

أي يخدعون الناس بحلف الأيمان .

(1876) الأنصاب : كل ما ينصب ليقصد .

(1877) اللعق : جمع لعقة بضم اللام :

و هي ما تأخذه في الملعقة .

(1878) إنّكم بعينه : أي إنه يراكم .

(1879) لا تستلمه المشاعر : أي لا تصل اليه الحواس .

(1880) النصب محركة التعب .

(1881) الأداة : الآلة .

(1882) تفريق الآلة : تفريق الأجفان و فتح بعضها عن بعض .

(1883) البائن : المنفصل عن خلقه .

(1884) من وصفه : أي من كيّفه بكيفيّات المحدثين .

(1885) لاح : بدا .

(1886) الغير بكسر ففتح صروف الحوادث و تقلباتها .

(1887) جماع الشيء : مجتمعه .

(1888) مرابيع : جمع مرباع بكسر الميم : المكان ينبت نبته في أول الربيع .

(1889) أحمى حماه : من « أحمى المكان » : جعله حمى لا يقرب ، أي أعز اللّه الإسلام و منعه من الأعداء .

(1890) المغاوي : جمع مغواة . و هي الشّبهة يذهب معها الإنسان إلى ما يخالف الحق .

(1891) مهد كمنع بسط .

(1892) يعرّه : يعيبه و يلطّخه .

(1893) يستنجح : يطلب نجاح حاجته (1894) مستكينون : خاضعون .

(1895) ناظر القلب : استعاره من ناظر العين : و هو النقطة السوداء منها

و المراد بصيرة القلب .

(1896) الغور : ما انخفض من الأرض .

(1897) النجد : ما ارتفع من الأرض .

(1898) أرز يأرز : بكسر الراء في المضارع أي انقبض و ثبت . و أرزت الحية :

لاذت بجحرها و رجعت اليه .

(1899) الشعار : ما يلي البدن من الثياب ،

و المراد بطانة النبي الكريم .

(1900) الكرائم : جمع كريمة ، و المراد آيات في مدحهم كريمات .

(1901) انحسرت : انقطعت .

(1902) العشا مقصورا : سوء البصر و ضعفه .

[500]

(1903) سبحات النور : درجاته و أطواره (1904) الائتلاف : اللمعان . و البلج بالتحريك الضوء و وضوحه .

(1905) أسدف الليل : أظلم .

(1906) الدجنّة : الظلمة ، و غسق الدجنة : شدّتها .

(1907) أوضاح : جمع وضح بالتحريك و هو هنا بياض الصبح .

(1908) الضّباب ككتاب جمع ضبّ :

الحيوان المعروف . و الوجار ككتاب الجحر .

(1909) مآقيها : جمع مأق و هو طرف العين مما يلي الأنف .

(1910) تبلّغت : اكتفت أو اقتاتت .

(1911) شظايا جمع شظيّة كعطيّة :

و هي الفلقة من الشيء ، أي كأنها مؤلفة من شقق الآذان .

(1912) القصبة : عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح . و قد يكون مجردا عن الزّغب في بعض الحيوانات مما ليس بطائر ، كبعض أنواع القنفذ و الفيران .

(1913) أعلاما : رسوما ظاهرة .

(1914) خلا من غيره : تقدّمه من سواه فحاذاه .

(1915) المرجل : القدر .

(1916) القين بالفتح الحداد .

(1917) المقصر كمقعد : المجلس ،

أي لا مستقر لهم دون القيامة .

(1918) مرقلين : مسرعين .

(1919) شخصوا : ذهبوا .

(1920) الأجداث : القبور .

(1921) مصائر الغايات : جمع مصير ،

ما يصير اليه الانسان من شقاء و سعادة .

(1922) نقع العطش : أزاله .

(1923) يستعتب : يطلب منه العتبى حتى يرضى .

(1924) أخلقه : ألبسه ثوبا خلقا : أي باليا . و كثرة الرد : كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة .

(1925) ولوج السمع : دخول الآذان و المسامع .

(1926) حيزت : حازها الله عني فلم أنلها .

(1927) تشابه أمور الدهر : أي مصائبه كأنّ كلا منها يطلب النزول قبل الآخر ، فالسابق منها مهلك .

و المتأخر لاحق له في مثل أثره .

(1928) الأعلام هي الرايات ، كنى بها عن الجيوش ، و تظاهر : تعاونها .

(1929) الساعة : القيامة . و حدوها :

سوقها و حثّها لأهل الدنيا على المسير للوصول إليها .

(1930) زاجر الإبل : سائقها .

(1931) الشوال بالفتح جمع شائلة ،

و هي من الإبل ما مضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر .

(1932) لا يحرز : لا يحفظ .

[501]

(1933) الحمة بضم ففتح في الأصل إبرة الزّنبور و العقرب و نحوها تلسع بها ، و المراد هنا سطوة الخطايا على النفس .

(1934) أيام الفناء : يريد أيام الدنيا .

(1935) المراد « بالظّعن » المأمور به هاهنا السير إلى السعادة بالأعمال الصالحة ،

و هذا ما حثنا اللّه عليه .

(1936) تبعته : ما يتعلق به من حق الغير فيه .

(1937) الرّصد : الرّقيب . و يريد به هنا رقيب الذمة و واعظ السر .

(1938) الرّتاج ككتاب الباب العظيم إذا كان محكم الغلق .

(1939) « منزل وحدته » : هو القبر .

(1940) المراد « بالصيحة » : هنا الصيحة الثانية ، لقوله تعالى : « إن كانت إلا صيحة واحدة » .

(1941) زاحت : بعدت و انكشفت .

(1942) الهجعة : المرة من الهجوع ،

و هو النوم ليلا . و المراد نوم الغفلة في ظلمات الجهالة .

(1943) المبرم : المحكم ، من أبرم الحبل إذا أحكم فتله . و المراد الأحكام الإلهية التي أبرمت على ألسنة الأنبياء .

(1944) بيت مدر و لا وبر : كناية عن أهل الحاضرة و البادية .

(1945) ترحة : حزن .

(1946) أصفيته الشيء : آثرته به و اختصصته .

(1947) الصبر ككتف عصارة شجر مرّ .

(1948) المقر على وزن كتف السمّ .

(1949) الدّثار ككتاب من اللباس :

أعلاه فوق الملابس . و السيف يكون أشبه بالدّثار إذا عمّت إباحة الدم بأحكام الهوى .

(1950) الزّوامل : جمع زاملة ، و هي ما يحمل عليها الطعام من الإبل و نحوها .

(1951) نخم كفرح : أخرج النّخامة من صدره فألقاها . و النّخامة بالضمّ ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد المخاطيّة .

(1952) الجديدان : الليل و النهار .

(1953) ربق جمع ربقة و هي الحبل يربق به .

(1954) حلق : جمع حلقة .

(1955) السنة بكسر السين أوائل النوم .

(1956) ذرأت : خلقت .

(1957) المور بالفتح الموج .

(1958) حسيرا : متعبا .

(1959) المبهور : المغلوب و منقطع نفسه من الاعياء .

(1960) الواله من الوله و هو ذهاب الشعور .

(1961) المدخول : المغشوش غير الخالص ، أو هو المعيب الناقص لا يترتّب عليه عمل .

(1962) الخوف المحقّق : هو الثابت الذي يبعث على البعد عن المخوف و الهرب منه .

[502]

(1963) الخوف المعلول : هو ما لم يثبت في النفس و لم يخالط القلب ، و إنما هو عارض في الخيال يزيله أدنى الشواغل . فهو كالأوهام لا قرار لها ، و « معلول » : من علّة يعلّه إذا شربه مرة بعد أخرى .

(1964) الضّمار ككتاب ما لا يرجى من الوعود و الديون .

(1965) الأسوة : القدوة .

(1966) الأكناف : الجوانب . و زوى : قبض .

(1967) شفيف : رقيق ، يستشف ما وراءه .

(1968) الصّفاق : على وزن كتاب الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن .

(1969) تشذّب اللحم : تفرّقه .

(1970) السّفائف جمع سفيفة وصف من « سف الخوص » إذا نسجه ، أي منسوجات الخوص .

(1971) ظلاله جمع ظل بمعنى الكنّ و المأوى . و من كان كنه المشرق و المغرب فلا كنّ له .

(1972) تأسّ : أي اقتد .

(1973) القضم : الأكل بأطراف الأسنان ،

كأنه لم يتناول إلا على أطراف أسنانه ، و لم يملأ منها فمه .

(1974) أهضم : من الهضم : و هو خمص البطن ، أي خلوها و انطباقها من الجوع .

(1975) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي .

(1976) أخمصهم : أخلاهم .

(1977) المحادّة : المخالفة في عناد .

(1978) خصف النعل : خرزها .

(1979) الحمار العاري : ما ليس عليه بردعة و لا إكاف (1980) أردف خلفه : أركب معه شخصا آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها و جعله خلفه .

(1981) الرّياش : اللباس الفاخر .

(1982) أشخصها : أبعدها (1983) خاصّته : اسم فاعل في معنى المصدر ،

أي مع خصوصيته و تفضله عند ربه .

(1984) زويت عنه بالبناء للمجهول :

قبضت و أبعدت ، و مثله بعد قليل : زوى الدنيا عنه : قبضها .

(1985) عظيم زلفته : منزلته العليا من القرب إلى الله .

(1986) العلم بالتحريك : العلامة ،

أي أن بعثته دليل على قرب القيامة إذ لا نبي بعده .

(1987) خميصا : أي خالي البطن ، كناية عن عدم التمتع بالدنيا .

(1988) العقب بفتح فكسر : مؤخر القدم . و وطوء العقب مبالغة في الاتباع و السلوك على طريقه ،

نقفوه خطوة خطوة حتى كائنا نطأ مؤخر قدمه .

[503]

(1989) المدرعة بالكسر : ثوب من صوف .

(1990) اغرب عني : اذهب و ابعد .

(1991) السرى : بضم ففتح . السير ليلا و هذا المثل « عند الصباح يحمد القوم السّرى » معناه : إذا أصبح النائمون و قد رأوا السارين و اصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم و ندموا على نوم أنفسهم .

(1992) المنهاج البادي : أي الظاهر .

(1993) متهدّلة : متدلية ، دانية للاقتطاف (1994) طيبة : المدينة المنورة .

(1995) متلافية : من تلافاه : تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد ،

فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم .

(1996) المفصولة : التي فصلها اللّٰه أي قضى بها على عباده .

(1997) الكبوة : السقطة .

(1998) المآب : المرجع .

(1999) الإنابة : الرجوع .

(2000) أسبغ : أي أحاط بجميع وجوه الترغيب .

(2001) الشفيق : الخائف . و الناصح :

الخالص .

(2002) الكادح : المبالغ في سعيه .

(2003) تزايلت : تفرّقت . و الأوصال :

مجتمع العظام . و تفرقها كناية عن تبدد القوم و فنائهم .

(2004) المحاورة : المخاطبة و المناجاة .

(2005) الجدد بالتحريك : المستوي المسلوك .

(2006) القصد : القويم .

(2007) الوضين : بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج ، فاذا قلق و اضطرب اضطرب الرحل فكثر تململ الجمل و قلّ ثباته في سيره .

(2008) الإرسال : الإطلاق و الإهمال .

(2009) السدّد محركا : الاستقامة .

(2010) الذّمامة : الحماية و الكفاية .

و الصّهر : الصلة بين أقارب الزوجة و أقارب الزوج .

(2011) النوط بالفتح التعلّق و الالتصاق (2012) الأثرة : الاختصاص بالشيء دون مستحقه .

(2013) النهب بالفتح : الغنيمة .

(2014) صيح صيغة المجهول من صاح :

أي صاحوا للغارة .

(2015) حجراته جمع حجرة : بفتح الحاء : الناحية .

(2016) هلمّ : اذكر .

(2017) الخطب : عظيم الأمر و عجيبه .

(2018) الأود : الاعوجاج .

(2019) الفوّار و الفوّارة من الينبوع :

الثقب الذي يفور الماء منه بشدّة .

(2020) حدجوا : خلطوا .

(2021) الشّرب بالكسر : النصيب من الماء . و الوبيء : ما يوجب شربه من الوباء .

[504]

(2022) محض الحق : خالصه .

(2023) ساطح المهاد : جاعله سطحا سهلا و باسطه للعمل فيه . و المهاد الأرض .

(2024) الوهاد جمع وهدة ما انخفض من الأرض . و مسيلها فاعل من أسال ، أي مجري السيل فيها .

(2025) النّجاد جمع نجد : ما ارتفع من الأرض .

(2026) الإبانة : ها هنا التمييز و الفصل ،

و الضمير في له يرجع اليه سبحانه أي تمييزا لذاته تعالى عن شبهها أي مشابهتها .

(2027) شخوص لحظة : امتداد بصر بلا حركة من جفن .

(2028) ازدلاف الرّبوة : تقربها من النظر و ظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .

(2029) الداجي : المظلم .

(2030) الغسق : الليل . و ساج : أي ساكن لا حركة فيه .

(2031) عبر عن نسخ نور القمر له ، بالتفيؤ تشبيها له بنسخ الظلّ لضياء الشمس و هو من لطيف التشبيه و دقيقه .

(2032) الأقول : المغيب . و الكرور :

الرجوع بالشروق .

(2033) نحله القول كمنعه نسبه اليه .

(2034) صفات الاقدار : جمع قدر بسكون الدال : و هو حال الشيء من الطول و العرض و العمق و من الصغر و الكبر .

(2035) نهايات الأقطار : هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدم ذكرها .

(2036) التّأثّل : التأصّل .

(2037) أقام حدّه : أي ما به امتاز عن سائر الموجودات .

(2038) السّويّ : مستوى الخلقة لا نقص فيه .

(2039) المنشأ : المبتدع . و المرعي :

المحفوظ المعنيّ بأمره .

(2040) السلالة من الشيء : ما نسل منه .

(2041) القرار المكين : محل الجنين من الرحم .

(2042) تمور : تتحرّك .

(2043) لا تحير : من قولهم : ما أحار جوابا ، أي لم يستطع ردّا .

(2044) استسفروني : جعلوني سفيرا .

(2045) الوشيجة : اشتباك القرابة .

(2046) ربطه فارتبط : أي شدّه و حبسه .

(2047) المرج : الخلط .

(2048) السّيّقة ككيسة ما استاقه العدو من الدواب .

(2049) نعقت من نعق بغنمه كمنع :

صاح .

(2050) ذرأ : خلق .

(2051) الأخاديد جمع أخدود : الشقّ في الأرض .

(2052) الخروق جمع خرق : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح .

و الفجاج جمع فج : الطريق الواسع .

[505]

(2053) الأعلام : جمع علم بالتحريك ،

و هو الجبل .

(2054) مرفرفة : من رفرف الطائر : بسط جناحيه .

(2055) المخارق جمع مخرق : الفلاة .

(2056) الحقاق ككتاب : جمع حقّ بالضمّ : مجتمع المفصلين .

(2057) احتجاب المفاصل : استتارها باللحم و الجلد .

(2058) العبالة : الضخامة و امتلاء الجسد (2059) يسمو : يرتفع .

(2060) خفوفا : سرعة و خفة .

(2061) دفيف الطائر : مروره فويق الأرض .

(2062) نسقها : رتبها .

(2063) الأصابيغ : جمع أصباغ بفتح الهمزة : جمع صبغ بالكسر و هو اللون أو ما يصبغ به .

(2064) القالب : مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره . و الطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ في قالب من اللون .

(2065) طوق : أي ان جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه ، كأنه طوق صيغ لحليته .

(2066) التنضيد : النظم و الترتيب .

(2067) أشرج قصبه : أي داخل بين آحاده و نظمها على اختلافها في الطول و القصر .

(2068) درج إليه : مشى اليه .

(2069) سما به : أي ارتفع به ، أي رفعه .

(2070) مطلا على رأسه : مشرفا عليه كأنه يظلله .

(2071) القلع بكسر فسكون : شراع السفينة .

(2072) الدّاريّ : جالب العطر من دارين .

(2073) عنجه : جذبه فرفعه ، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه . النّوتيّ : البحار .

يختال : يعجب .

(2074) يميس : يتبختر بزيفان ذنبه .

و أصل الزّيفان التبختر أيضا ،

و يريد به هنا حركة ذنب الطاووس يمينا و شمالا .

(2075) يفضي : أي يذهب إلى انثاه و يسفد كما تذهب الديكة جمع ديك .

(2076) يؤرّ : يسفد ، و ملاقحه :

أدوات اللّقاح و أعضاؤه ، و هي آلات التناسل .

(2077) أرّ الفحول : أي أرا مثل أرّ الفحول .

(2078) المغتلمة : ذات الغلمة و الشهوة و الشبق .

(2079) الضراب : لقاح الفحل لأنثاه .

(2080) على معاينة : أي اذهب و عاين صدق ما أقول .

(2081) تسفحها : أي ترسلها أوعية الدمع .

(2082) ضفّة الجفن بفتح الضاد و تكسر ،

استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه .

[506]

(2083) تطعم ذلك كتعلم أي تذوقه كأنها رشّفه .

(2084) لقاح الفحل : ماء التناسل يلقح به الأنثى (2085) المنبجس : النابع من العين .

(2086) مطاعمة الغراب : تلقيحه لأنثاه .

و قالوا : ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره .

(2087) القصب جمع قصبة هي عمود الريش .

(2087) المداري : جمع مدرى بكسر الميم قال ابن الأثير المدري و المدراة : مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط و أطول منه يسرح به الشعر المتلبد و يستعمله من لا مشط له .

(2089) الدّارات : هالات القمر .

(2090) العقيان : الذهب الخالص أو ما ما ينمو منه في معدنه .

(2091) فلذ كعنب جمع فلذة بمعنى القطعة .

(2092) جنى : أي مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون ، و منه قوله تعالى (و جنى الجنتين دان) .

(2093) الموشيّ : المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل .

(2094) العصب بالفتح : ضرب من البرود منقوش .

(2095) جعل اللّجين و هو الفضة منطقة لها . و المكلّل : المزيّن بالجواهر .

فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها .

(2096) المرح ككتف : المعجب و المختال الزاهي بحسنه .

(2097) السّربال : اللباس مطلقا أو هو الدرع خاصة .

(2098) الوشاح : نظامان من لؤلؤ و جوهر يخالف بينهما و يعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين إحداهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءا من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف .

(2099) زقا يزقو : صاح .

(2100) معولا : من أعول ، رفع صوته بالبكاء .

(2101) حمش جمع أحمش أي دقيق .

(2102) الديك الخلاسيّ بكسر الخاء :

هو المتولد بين دجاجتين هندية و فارسية .

(2103) و قد نجمت : أي نبتت .

(2104) ظنبوب ساقه : حرف عظمه الأسفل .

(2105) صيصية : شوكة تكون في رجل الديك .

(2106) القنزعة بضم القاف و الزاي :

بينهما سكون الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي .

[507]

(2107) موشّاة : منقوشة .

(2108) مغرزها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهيا إلى مكان البطن .

(2109) الوسمة : هي نبات يخضب به .

(2110) الصّقال : الجلاء .

(2111) المعجر كمنبر : ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطي رأسها و عنقها و عاتقها و بعض صدرها ، و هو معنى التلفع ها هنا . و الأسحم : الأسود .

(2112) الأقحوان : البابونج .

(2113) اليقق محركا : شديد البياض .

(2114) يأتلق : يلمع .

(2115) قسط : نصيب .

(2116) علاه : أي فاق اللون الذي أخذ نصيبا منه بكثرة جلائه .

(2117) البصيص : اللمعان .

(2118) الرونق : الحسن .

(2119) الأزاهير : جمع أزهار جمع زهر . فهي جمع الجمع . و المبثوثة المنثورة .

(2120) لم تربّها ، فعل من التربية .

(2121) القيظ : الحر .

(2122) ينحسر : هو من « حسره » أي كشفه ، أي و قد ينكشف من ريشه فيسقط .

(2123) تترى : أي شيئا بعد شيء و بينهما فترة .

(2124) ينحتّ : يسقط و ينقشر .

(2125) عسجديّة : ذهبية .

(2126) عمائق : جمع عميقة .

(2127) بهر العقول : قهرها فردّها .

(2128) جلاّه كحلاّه كشفه .

(2129) أدمج قوائمها : أودع أرجلها فيها .

(2130) الذّرة : واحدة الذر : صغار النمل .

(2131) الهمجة محركة : واحدة الهمج ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم .

(2132) وأى : وعد .

(2133) الحمام : الموت .

(2134) عزفت نفسك : كرهت و زهدت .

(2135) اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت .

(2136) الكثبان جمع كثيب و هو التلّ .

(2137) الأفنان جمع فنن بالتحريك :

و هو الغصن .

(2138) غلف بضمتين جمع غلاف و الأكمام جمع كمّ بكسر الكاف و هو وعاء الطلع و غطاء النّوار .

(2139) تجني : تقطف .

(2140) المصفّقة : المصفّاة .

(2141) المونقة : المعجبة .

(2142) العذق : للنخلة كالعنقود للعنب :

مجموع الشماريخ و ما قامت عليه من العرجون .

(2143) ليتأسّ : ليقتد .

(2144) القيض : القشرة العليا اليابسة على البيضة .

(2145) الأداحي جمع أدحي كلجّيّ و هو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه .

(2146) القزع محركا : القطع المتفرقة من السحاب واحدته قزعة بالتحريك .

(2147) الركام : السحاب المتراكم .

و المستثار : موضع انبعاثهم ثائرين .

و سيل الجنتين هو الذي سماه الله سيل العرم الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمّر جنانهم و حوّل نعيمهم شقاء .

و القارة كالقرارة ما اطمأن من الأرض .

(2148) الأكمة محركة : غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه .

و السّنن يريد به الجري . و الطود الجبل العظيم و المقصود الجمع .

و الرصّ يراد به الارتصاص أي الانضمام و التلاصق ، أي لم يمنع جريته تلاصق الجبال . و الحداب جمع حدب بالتحريك : ما غلظ من الأرض في ارتفاع .

(2149) يذعذعهم بالذال المعجمة مرتين : يفرقهم . و بطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء .

(2150) ليضعّفنّ لكم التيه : لتزادنّ لكم الحيرة أضعاف ما هي لكم الآن .

(2151) الفادح من فدحه الدّين :

إذا أثقله .

(2152) صدف : أعرض . و السمت :

الجهة . و تقصدوا : تستقيموا .

(2153) مدخول : معيب .

(2154) معاقد الحقوق : مواضعها من الذمم .

(2155) بادره : عاجله ، أي عاجلوا أمر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا .

(2156) المجلبون : من أجلب عليه : أعانه .

(2157) على حدّ شوكتهم : شدتهم ، أي لم تنكسر سورتهم .

(2158) خلالكم : فيما بينكم .

(2159) يسومونكم : يكلفونكم .

(2160) مادّة : أي عونا و مددا .

(2161) مسمحة : اسم مفعول من أسمح أي ميسرة .

(2162) ضعضعة : هدمه حتى الأرض .

(2163) المنّة بالضم : القدرة .

(2164) الوهن : الضعف .

(2165) الكيّ : كناية عن القتل .

(2166) إلا هالك : أي إلا من كان في طبعه عوج جبلّي ، فحتم الشقاء الأبدي .

(2167) المبتدعات : ما أحدث و لم يكن على عهد الرسول .

(2168) المشبّهات : البدع الملبسة ثوب الدين المشبهة به و ليست منه هي المهلكة إلا أن يحفظ الله منها بالتوبة .

(2169) ملوّمة من لوّمه مبالغة في لامه ، أي غير ملوم عليها بالنفاق .

[509]

(2170) يأرز : يرجع .

(2171) تمالأوا : اتفقوا و تعاونوا .

(2172) السّخطة بالفتحة الكراهة و البغض .

(2173) فيالة الرأي بالفتح : ضعفه .

(2174) أفاءها عليه : أرجعها اليه .

(2175) النعش : مصدر نعشه ، إذا رفعه .

(2176) السقف المرفوع : السماء .

(2177) المكفوف اسم مفعول ، من كفّه إذا جمعه و ضم بعضه إلى بعض .

(2178) مغيضا : من غاض الماء إذا نقص ، كأن هذا الجو منبع الضياء و الظلام و هو مغيضها كما يغيض الماء في البئر .

(2179) السّبط بالكسر : القبيلة .

(2180) اعتمادا : أي معتمدا ، أو ملجأ يعتصم به .

(2181) الذمار ككتاب : ما يلزم الرجل حفظه من أهله و عشيرته .

(2182) الغائر : من غار على امرأته أو قريبته أن يمسها أجنبي .

(2183) الحقائق : هنا وصف لا اسم ،

يريد النوازل الثابتة التي لا تدفع بل لا تقلع إلا بعازمات الهمم .

(2184) الحفاظ : الوفاء و رعاية الذمم .

(2185) لا تواري : لا تحجب .

(2186) ضرب الوجه : كناية عن الرد و المنع .

(2187) قرعته بالحجّة : من قرعه بالعصا ضربه بها .

(2188) هبّ : من هبيب التيس أي صياحه أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب .

(2189) حبيس : فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر و المؤنث ، و أم المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسها بعده كأنها في حياته .

(2190) خزّان : جمع خازن .

(2191) القتل صبرا : أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت .

(2192) معتمدين : قاصدين .

(2193) المنابذة : تهييج الفساد .

(2194) استعتب : طلب منه الرضى بالحق .

(2195) أهل القبلة : من يعتقد بالله و صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم و يصلي معنا إلى قبلة واحدة (2196) الغير : (بكسر ففتح) اسم للتغير أو التغير .

(2197) الخنين بالخاء المعجمة : ضرب من البكاء يردد به الصوت في الأنف .

(2198) زوي : أي قبض .

(2199) متجرّدا : كأنه سيف تجرد من غمده .

(2200) يلتبس : أي يشتبه .

(2201) يوازر : ينصر و يعين .

(2202) المنابذة : المراماة و المراد المعارضة و المدافعة .

[510]

(2203) يهنهه عن الأمر : كفّه و زجره عن إتيانه .

(2204) المعذرين فيه : المعتذرين عنه فيما نقم منه .

(2205) يركد جانبا : يسكن في جانب عن القاتلين و الناصرين .

(2206) النعم محركة : الابل أو هي الغنم .

(2207) أراح بها : ذهب بها . و أصل الاراحة الانطلاق في الريح فاستعمله في مطلق الانطلاق .

(2208) السائم : الراعي .

(2209) الوبي : الردي يجلب الوباء .

(2210) الدوي : الوبيل يفسد الصحة ،

أصله من الدوا بالقصر أي المرض .

(2211) المدى جمع مدية : السكين ،

أي معلوفة للذبح .

(2212) تحسب يومها دهرها : أي لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئا لما بعد يومها ، و متى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع .

(2213) مولجه : من ولج يلج إذا دخل .

(2214) مفضيه : أصله من أفضى اليه :

خلا به .

(2215) أعذر اليكم بالجليّة : أي بالأعذار الجلية . و العذر هنا مجاز عن سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الالهية .

(2216) نزع عنه : انتهى و أقلع .

(2217) أبعد منزعا : أي نزوعا بمعنى الانتهاء و الكف عن المعاصي .

(2218) ظنون كصبور الضعيف و القليل الحيلة .

(2219) زاريا عليها : أي عائبا .

(2220) التقويض : نزع أعمدة الخيمة و أطنابها ، و المراد أنهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل سفره أي مراحله و مسافاته .

(2221) فاقة : أي فقر و حاجة إلى هاد سواه .

(2222) اللأواء : الشدة .

(2223) شفاعة القرآن : نطق آياته بانطباقها على عمل العامل .

(2224) محل به : مثل الحاء : كاده بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية عن مباينة أحكامه لما أباه العبد من أعماله .

(2225) استغشوا أهواءكم ، أي : ظنوا فيها الغش و ارجعوا إلى القرآن .

(2226) العلم : محركا يريد به القرآن .

(2227) خرج إلى فلان من حقه : أداه ،

فكأنه كان حبيسا في مؤاخذته فانطلق .

(2228) الوظائف : ما قدّر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات و الأحوال كالصوم و الصلاة و الزكاة .

(2229) حجيج : من حج إذا أقنع بحجته (2230) تورّد : هو تفعّل كتنزّل . أي ورد شيئا بعد شيء .

(2231) عدة اللّه بكسر ففتح وعده .

(2232) تهزيع الشيء : تكسيره ، و الصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه ،

و الكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه .

(2233) تصريف الأخلاق : من صرفته إذا قلبته ، نهي عن النفاق و التلوّن في الاخلاق .

(2234) ليخزن كينصر أي ليحفظ لسانه .

(2235) الجموح : من جمح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه .

(2236) لسان المؤمن من وراء قلبه :

لسان المؤمن تابع لاعتقاده ، لا يقول إلا ما يعتقد .

(2237) ضرّسته الحرب : جربته . أي جربتموها .

(2238) الاتيان من الأمام : كناية عن الظهور كأن التقصير عدوّ قويّ يأتي مجاهرة لا يخدع و لا يفر .

(2239) جواد قاصد : أي مستقيم أو قريب من اللّه و السعادة .

(2240) الهنات : بفتح الهاء جمع هنة محركة : الشيء اليسير و العمل الحقير .

و المراد به صغائر الذنوب .

(2241) المدى : جمع مدية ، و هي السكّين .

(2242) السياط : جمع سوط .

(2243) الفرقة بضم الفاء التفرّق و الشقاق .

(2244) يجعجعا : من جعجع البعير إذا برك ، و لزم الجعجاع أي الأرض .

أي أن يقيما عند القرآن . و التبع محركا التابع ، للواحد و الجمع .

و تاها : أي ضلاّ .

(2245) لا يعزب : لا يخفى .

(2246) سوافي الريح : جمع سافية ، من « سفت الرّيح التراب و الورق » أي حملته .

(2247) الصفا : مقصورا جمع صفاة :

الحجر الأملس الضخم . و دبيب النمل أي حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس .

(2248) الذرّ : صغار النمل . و مقيلها :

محلّ استراحتها و مبيتها .

(2249) طرف الحدقة : تحريك جفنيها و الحدقة هنا العين .

(2250) عدل بالله : جعل له مثلا و عديلا .

(2251) تكوينه : خلقه للناس جميعا .

(2252) دخلته بالكسر و الضم : باطنه .

(2253) المجتبى : المصطفى . و العيمة بكسر العين : المختار من المال .

(2254) اعتام : أخذ المال . فالمعتام :

المختار لبيان حقائق توحيده و تنزيهه .

(2255) العقائل : الكرائم .

(2256) الكرامات : ما أكرم الله به نبيه من معجزات و منازل في النفوس عاليات .

[512]

(2257) أشراط الهدى : علاماته و دلائله .

(2258) غربيب الشيء كعفريت أشده سوادا ، فغربيب العمى أشد الضلال ظلمة .

(2259) المخلد : الراكن المائل .

(2260) نفس كفرح : ضنّ ، أي لا تضن الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها و عدّها من نفائسه ، و لا تحرص عليه بل تهلكه .

(2261) الغض : الناضر .

(2262) اجترح الذنب : اكتسبه و ارتكبه .

(2263) الفترة : كناية عن جهالة الغرور .

(2264) الرويّة : التفكر .

(2265) الهمّة : الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصا و أوجب هما .

(2266) الجارحة : العضو البدني .

(2267) الجفاء : الغلظ و الخشونة .

(2268) تعنو : تذل .

(2269) وجب القلب يجب وجيبا و وجبانا :

خفق و اضطرب .

(2270) أمهلتم : أخرتم ، و يروى « أهملتهم » بمعنى خليتم و تركتم .

(2271) خرتم : ضعفتم و جبنتم .

(2272) المشاقّة : المقاطعة و المصارمة .

(2273) نكصتم : رجعتم القهقرى و أحجمتم .

(2274) المعروف في التقريع : لا أبا لكم ،

و لا أبا لك . و هو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله ، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو الذمّ لغيرهم .

(2275) قال : أي كاره .

(2276) غير كثير بكم : أي : إني أفارق الدنيا و أنا في قلة من الأعوان .

و إن كنتم حولي كثيرين .

(2277) من شحذ السكين : كمنع ، أي حددها .

(2278) الجفاة جمع جاف : أي غليظ .

(2279) الطغام بالفتح : أرذال الناس .

(2280) المعونة : يراد بها هنا ما يعطى للجند لإصلاح السلاح ، و علف الدواب زائدا على العطاء المفروض ،

و الأرزاق المعينة لكل منهم .

(2281) التريكة كسفينة بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها في مجثمها ، و المراد : أنتم خلف الإسلام و عوض السلف .

(2282) دارستكم الكتاب : أي قرأت عليكم القرآن تعليما و تفهيما .

(2283) فاتحتكم : مجرده فتح بمعنى قضى ،

فهو بمعنى قاضيتكم أي حاكمتكم .

و الحجاج : المحاجّة أي قاضيتكم عند الحجة حتى قضيت عليكم بالعجز عن الخصام .

(2284) سوّغتكم ما مججتم : سوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجونه و تطرحونه . فسوّغ الشيء : جعله سائغا مقبولا ، و مجّ الشيء من فيه : رمى به .

(2285) أقرب بهم : ما أقربهم من الجهل .

(2286) ابن النابغة : عمرو بن العاص .

(2287) قطنوا : أقاموا .

(2288) ظعنوا : رحلوا .

(2289) أشرعت : سددت و صوبت نحوهم .

(2290) الهامات : الرؤوس .

(2291) استفلّهم : دعاهم للتفلّل : و هو الانهزام عن الجماعة .

(2292) حسبهم بخروجهم : كافيهم من الشرّ خروجهم ، و الباء زائدة .

(2293) الارتكاس : الانقلاب و الانتكاس .

(2294) صدّهم : إعراضهم .

(2295) الجماح : الجموح و هو أن يغلب الفرس راكبه . و المراد تعاصيهم و غلوّهم و إفراطهم .

(2296) التيه : الضلال .

(2297) المدرعة : ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية ، قميص ضيق الأكمام ، قال في القاموس : و لا يكون إلا من صوف .

(2298) الثفنة بكسر بعد فتح : ما يمس الأرض من البعير بعد البروك و يكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض .

و كذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود .

(2299) النوامي : جمع نام ، بمعنى زائد .

(2300) الطول بفتح الطاء و سكون الواو الفضل .

(2301) خنع : ذل و خضع .

(2302) يتعاوره : يتداوله و يتبادل عليه .

(2303) موطّدات : مثبتّات في مداراتها على ثقل أجرامها .

(2304) التلكؤ : التوقّف و التباطؤ .

(2305) ادلهمام الظلمة : كثافتها و شدّتها .

(2306) السجف بضمتين جمع سجاف ككتاب : الستر .

(2307) الجلابيب جمع جلباب : ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة . و وجه الاستعارة فيها ظاهر .

(2308) الحنادس : جمع حندس بكسر الحاء : الليل المظلم .

(2309) شاع : تفرق .

(2310) الغسق : الظلمة ، و الداجي :

الشديد الظلام .

(2311) الساجي : الساكن .

(2312) المتطأطئات : المنخفضات .

(2313) اليفاع : التل أو المرتفع مطلقا من الأرض . و السفع جمع سفعاء السوداء تضرب إلى الحمرة ،

و المراد منها الجبال ، عبر عنها بلونها فيما يظهر لنظر على بعد .

(2314) ما يتجلجل به الرعد : صوته ،

و الجلجلة : صوت الرّعد .

(2315) تلاشت : اضمحلت ، و أصله من لشيء بمعنى خس بعد رفعة .

و ما يضمحل عنه البرق هو الأشياء التي ترى عند لمعانه .

(2316) العواصف : الرياح الشديدة ،

و إضافتها للأنواء من إضافة الشيء لمصاحبه عادة . و الأنواء جمع

[514]

نوء : أحد منازل القمر . يعدّها العرب ثمانية و عشرين يغيب منها عن الأفق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلة و يظهر عليه أخرى .

(2317) السماء هنا : المطر .

(2318) الوهم هنا : الفكرة و التوهم .

(2319) لا يشغله سائل : لإحاطة علمه و قدرته .

(2320) النائل : العطاء .

(2321) الأين : المكان .

(2322) الأزواج : هنا القرناء و الأمثال .

أي لا يقال : ذو قرناء ، و لا هو قرين لشيء . و يراد من هذا نفي الاثنينية و التعدد عنه جلّ شأنه .

(2323) لا يخلق بعلاج : أي أنه لا يشبه المخلوقات في احتياج وجودها إلى معالجة و مزاولة . لأنه بذاته واجب الوجود سبحانه .

(2324) اللهوات جمع لهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم .

(2325) المتكلف : هو شديد التعرض لما لا يعنيه .

(2326) الحجرات : جمع حجرة بضم الحاء : الغرفة .

(2327) المرجحنّ كالمقشعرّ : المائل لثقله و المتحرك يمينا و شمالا .

(2328) متولّهة : أي حائرة أو متخوّفة .

(2329) الرياش : اللباس الفاخر .

(2330) الطعمة بالضم : المأكلة ، أي ما يؤكل . و المراد الرزق المقسوم .

(2331) جنّة الحكمة : ما يحفظها على صاحبها من الزهد و الورع .

و أصل الجنّة الوقاية . و منه الدّرع و المجنّ . و ما يتقى به .

(2332) عسيب الذنب : أصله .

(2333) الجران ككتاب : مقدّم عنق البعير من المذبح إلى المنحر .

و البعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه . و إلصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف .

(2334) استوسقت الإبل : اجتمعت و انضمّ بعضها إلى بعض .

(2335) الرنق بكسر النون و فتحها و سكونها : الكدر .

(2336) عمار بن ياسر : من السابقين الأولين .

(2337) أبو الهيثم مالك بن التّيهان : بتشديد الياء و كسرها : من أكابر الصحابة .

(2338) ذو الشهادتين : خزيمة بن ثابت الأنصاري ، قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة .

(2339) أبرد برؤوسهم : أي أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى الفجرة البغاة للتشفي منهم رضي الله عنهم .

(2340) أوه : بفتح الهمزة و كسر الواو و تشديدها و كسر الهاء : كلمة توجّع .

(2341) المنصبة كمصطبة : التعب .

(2342) هجم عليه كنصر : دخل غفلة .

(2343) المعتبر مصدر ميمي : الاعتبار و الاتعاظ .

[515]

(2344) التصرف : هنا التبدّل .

(2345) المصاحّ جمع مصحّة بكسر الصاد و فتحها بمعنى الصحة و العافية .

(2346) استحمد : أي طلب من خلقه أن يحمدوه .

(2347) ارتهن عليهم أنفسهم : حبس نفوسهم و جعلها رهنا على الوفاء بميثاقهم .

(2348) يقال : « فلان بعين فلان » إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء .

(2349) يرهقهم بالأجل : أي يغشاهم بالمنية .

(2350) يريد بالرجعة هنا ما يسأله الانسان المذنب من العودة إلى الدنيا ليعمل صالحا كما قال الله : « ربّ ارجعني لعلي أعمل صالحا فيما تركت » .

(2351) مالك : هو الموكّل بالجحيم .

(2352) اليفن بالتحريك : الشيخ المسنّ .

(2353) لهزه : أي خالطه . و القتير : الشيب .

(2354) نشبت كفرحت : علقت .

و الجوامع جمع جامعة الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(2355) غلق الرهن كفرح : استحقه صاحب الحق ، و ذلك إذا لم يكن فكاكه في الوقت المشروط .

(2356) يبلوكم : يختبركم .

(2357) الحسيس : الصوت الخفي .

(2358) لغب : كسمع و منع و كرم لغبا و لغوبا : أعيي أشد الإعياء .

و النصب : التعب أيضا .

(2359) قبحك الله : كسرك ، كما يقال : قبحت الجوزة : كسرتها .

(2360) أثرم : ساقط الثنيّة من الأسنان .

(2361) الضئيل : النحيف المهزول ، كناية عن الضعف .

(2362) نعر : أي صاح .

(2363) نجمت : ظهرت و برزت .

و التشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شرف و لا شجاعة و لا قدم ،

بل على غفلة .

(2364) واحد لا بعدد : أي لا يتكون من أجزاء .

(2365) الأمد : الغاية (2366) المشاعرة : انفعال إحدى الحواس بما تحسّه من جهة عروض شيء منه عليها .

(2367) المرائي جمع مرآة بالفتح و هي المنظر ، أي تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصا للأبصار .

(2368) الفلج : الظفر . و ظهوره : علو كلمة الدين .

(2369) صادعا : جاهرا .

(2370) الأمراس : جمع مرس بالتحريك و هو جمع مرسة بالتحريك :

و هو الحبل .

(2371) البشر : جمع بشرة . و هي ظاهر الجلد الإنساني .

(2372) الصدر محركا الرجوع بعد الورود .

[516]

(2373) بوفقها : بكسر الواو ، أي بما يوافقها من الرزق و يلائم طبعها .

(2374) الصفا : الحجر الأملس لا شقوق فيه . و الجامس : الجامد .

(2375) الشراسيف : مقاط الأضلاع :

و هي أطرافها التي تشرف على البطن .

(2376) القلال جمع قلة بالضم و هي رأس الجبل .

(2377) لم يلجؤوا : لم يستندوا .

(2378) أوعاه : كوعاه بمعنى حفظه .

(2379) قمراوين : أي مضيئين ، كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر .

(2380) المنجل كمنبر آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع . قالوا :

أراد بهما هنا ، رجلي الجرادة .

لا عوجاجهما و خشونتهما .

(2381) ذبّها : دفعها .

(2382) نزواتها : و ثباتها ، نزا عليه : و ثب .

(2383) « الندى » : هنا مقابل اليبس بالتحريك .

(2384) الهطل بالفتح تتابع المطر و الدمع .

(2385) الدّيم كالهمم جمع ديمة :

مطر يدوم في سكون بلا رعد و لا برق .

(2386) تعديد القسم : إحصاء ما قدر منها لكل بقعة .

(2387) جدوب الأرض : يبسها لاحتجاب المطر عنها .

(2388) صمده : قصده .

(2389) كل معروف بنفسه مصنوع :

أي كل معروف الذات بالكنه مصنوع ، لأن معرفة الكنه إنما تكون بمعرفة أجزاء الحقيقة فمعروف الكنه مركب . و المركب مفتقر في الوجود لغيره ، فهو مصنوع .

(2390) ترفده : أي تعينه .

(2391) المشعر كمقعد محلّ الشعور أي الاحساس ، فهو الحاسّة . و تشعيرها : إعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد ، و هو ما يسمى بالاحساس ،

فالمشعر ، من حيث هو مشعر ،

منفعل دائما . و لو كان لله مشعر لكان منفعلا ، و المنفعل لا يكون فاعلا .

(2392) الصرد محركا : البرد ، أصلها فارسية .

(2393) متدانياتها : متقارباتها كالجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج .

(2394) كل مخلوق يقال فيه « قد وجد » و وجد منذ كذا ، و هذا مانع للقدم و الأزلية ، و كل مخلوق يقال فيه « لو لا » خالقه ما وجد ،

فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره .

(2395) لتفاوتت ذاته : أي لاختلفت باختلاف الأعراض عليها و لتجزّأت حقيقته ، فان الحركة و السكون من خواصّ الجسم و هو منقسم .

[517]

(2396) سلطان الامتناع : هو سلطان العزّة الأزلية .

(2397) الأفول : من « أفل النجم » إذا غاب .

(2398) المراد « بالمولود » المتولّد عن غيره ، سواء أكان بطريق التناسل المعروف أم بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر ، و من ولد له كان متولدا بإحدى الطريقتين .

(2399) لا يوصف بشيء من الأجزاء :

أي لا يقال : ذو جزء كذا و لا ذو عضو كذا .

(2400) تقلّه : أي ترفعه .

(2401) تهويه : أي تحطه و تسقطه .

(2402) والج : أي داخل .

(2403) اللهوات بفتح الهاء : جمع لهاة : اللحمة في سقف أقصى الفم .

(2404) لا يتحفظ : أي لا يتكلف الحفظ « و لا يؤوده حفظهما و هو العليّ العظيم » .

(2405) الأود : الاعوجاج .

(2406) التهافت : التساقط قطعة قطعة .

(2407) الانفراج : الانشقاق .

(2408) الأوتاد : جمع وتد ، و يراد به هنا الحبل .

(2409) الأسداد : جمع سد و المراد بها الجبال أيضا .

(2410) خدّ : أي شقّ .

(2411) يهن : من الوهن بمعنى الضعف .

(2412) مراحها بضم الميم : اسم مفعول من أراح الإبل ، ردها إلى المراح بالضم كالمناخ أي المأوى .

(2413) السائم : الراعي يريد ما كان في مأواه و ما كان في مرعاه .

(2414) الأسناخ : الأصول . و المراد منها الأنواع ، أي الأصناف الداخلة في أنواعها .

(2415) المبلّدة : أي الغبية .

(2416) الأكياس : جمع كيس بالتشديد ،

العاقل الحاذق .

(2417) الخاسىء : الذليل .

(2418) الحسير : الكالّ المعيي .

(2419) لم يتكاءده : لم يشق عليه .

(2420) لم يؤده : لم يثقله .

(2421) برأه : مرادف لخلقه .

(2422) النّد بكسر النون : المثل .

(2423) المكاثرة : المغالبة بالكثرة ،

يقال : كاثره فكثره أي غلبه .

(2424) المثاور : المواثب المهاجم .

(2425) الإحراج : التضييق .

(2426) القتب محركا : الإكاف .

(2427) الغارب : ما بين العنق و السنام .

(2428) الأزمّة كائمة جمع زمام . و المراد بظهورها ظهور المزمومات بها .

(2429) لا تصدّعوا : بتخفيف إحدى التائين : لا تنفرقوا .

(2430) فور النار : ارتفاع لهبها .

(2431) أميطوا عن سننها : أي تنحوا عن طريقها و ميلوا عن وجهة سيرها .

[518]

(2432) قصد السبيل : الطريق المستقيمة . (2433) البلاء : الإحسان . و أصله للخير و الشر ، و لكنه هنا بمعنى الخير (2434) أعورتم له : أي أظهرتم له عوراتكم و عيوبكم .

(2435) أخذه : أي أن يأخذكم بالعقاب (2436) أغفله : سها عنه و تركه .

(2437) أوطن المكان : اتخذه وطنا .

(2438) أوحشه : هجره ، حتى لا أنيس منه به (2439) عواري جمع عارية : و الكلام كناية عن كونه زعما بغير فهم .

(2440) على حدها الأول : أي لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام و رضي الاسلام دينا .

(2441) استسر الأمر : كتمه .

(2442) الإمّة بكسر الهمزة : الحالة .

(2443) أحلام : عقول .

(2444) شغر برجله : رفعها . ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها .

من قولهم : بلدة شاغرة برجلها أي معرّضة للغارة لا تمتنع عنها .

(2445) تطأ في خطامها : أي تتعثر فيه .

كناية عن إرسالها و طيشها و عدم قائد لها .

(2446) المعقل : كمسجد : الملجأ (2447) ذروة كل شيء : أعلاه .

(2448) مبادرة الموت : سبقه بالأعمال الصالحة .

(2449) الغمرات : الشدائد .

(2450) مهد كمنع : معناه هنا عمل .

(2451) الأرماس : القبور جمع رمس :

و أصله اسم للتراب .

(2452) الإبلاس : حزن في خذلان و يأس .

(2453) المطّلع : بضم فتشديد مع فتح :

المنزلة التي منها يشرف الإنسان على أمور الآخرة ، و هي منزلة البرزخ . و أصل المطّلع : موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار .

(2454) اختلاف الأضلاع : دخول بعضها في موضع الآخر من شدة الضغط .

(2455) استكاك الأسماع : صممها من التراب أو الأصوات الهائلة .

(2456) الضريح : اللحد .

(2457) الردم : السد . و الصفيح : الحجر العريض . و المراد ما يسدّ به القبر .

(2458) سنن : طريق معروف . و المراد : أن الدنيا تفعل بكم فعلها بمن سبقكم .

(2459) القرن محركا ما يقرن به البعيران .

(2460) الأشراط : العلامات .

(2461) أزفت : قربت .

(2462) الأفراط : جمع فرط : بسكون الراء . و هو العلم المستقيم يهتدى به أي بدلائلها .

(2463) الكلاكل : الصدور كناية عن الأثقال .

(2464) انصرمت : تقطعت .

(2465) الرثّ : البالي .

[519]

(2466) الغَثّ : المهزول .

(2467) الكلب محركا : أكل بلا شبع .

(2468) اللجب : الصياح أو الاضطراب (2469) التغيظ : الهيجان .

(2470) الزفير : صوت توقد النار .

(2471) ذكت النار : اشتد لهيبها .

(2472) عم قرارها : أي لا يهتدى فيه لظلمته . و لأنه عميق جدا .

(2473) التوحش : عدم الاستئناس بشؤون الدنيا و الركون اليها .

(2474) لزوم الأرض : كناية عن السكون .

ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة ، و ينهاهم عن التعجل بحمل السلاح .

(2475) إصلات السيف : سله .

(2476) الفاشي : المنتشر الذائع .

(2477) الجدّ بالفتح : العظمة .

(2478) تؤام : جمع توأم كجعفر و هو المولود مع غيره في بطن .

و هو مجاز عن الكثير أو المتواصل و الآلاء : النعم .

(2479) الحكم : هنا بمعنى « الحكمة » .

(2480) ضرب في الماء : سبح . و ضرب في الأرض : سار بسرعة و أبعد .

و الغمرة : الماء الكثير و الشدّة و ما يغمر العقل من الجهل . و المراد هنا شدّة الفتن و بلاياها .

(2481) الأزمّة : جمع زمام ، ما تقاد به الدّابّة .

(2482) الحين : بفتح الحاء الهلاك .

(2483) الرّين بفتح الراء : التغطية و الحجاب . و هو هنا حجاب الضلال .

(2484) مستودع التقوى : هو الذي تكون التقوى وديعة عنده و هو اللّٰه .

(2485) أسدى : منح و أعطى و أرسل معروفه .

(2486) الإهطاع : الإسراع . أهطع البعير : مدّ عنقه و صوّب رأسه .

(2487) ألظّوا بجدّكم : أي ألحواء ،

و الإلظاظ : الإلحاح في الأمر .

و الجدّ بكسر الجيم : الاجتهاد .

(2488) رحض كمنع : و غسل . و الحمام ككتاب : الموت .

(2489) تصونوا : تحفّظوا .

(2490) النزّاه جمع نازه : العفيف النفس .

(2491) الولاه جمع و آله : الحزين على الشيء حتى يناله ، أي المشتاق .

(2492) شام البرق : نظر إليه أين يمطر .

(2493) البارق : السحاب .

(2494) الأعلاق جمع علق : بكسر العين بمعنى النفيس .

(2495) خالب : خادع (2496) المحروبة : المنهوبة .

(2497) المتصدّية : المرأة تتعرض للرجال تميلهم اليها . و من الدوابّ ما تمشي معترضة خابطة .

(2498) العنون بفتح فضم : مبالغة من عنّ إذا ظهر . و من الدواب المتقدمة في السير .

(2499) الجامحة : الصعبة على راكبها .

و الحرون : التي إذا طلب بها السير وقفت .

(2500) المائنة : الكاذبة . و الخؤون :

مبالغة في الخائنة .

(2501) الكنود من كند كنصر :

كفر النعمة . و جحد الحق : أنكره و هو به عالم .

(2502) العنود : شديدة العناد . و الصدود :

كثيرة الصد و الهجر .

(2503) الحيود : مبالغة في الحيد : بمعنى الميل . و الميود من ماد إذا اضطرب .

(2504) الحرب بالتحريك سلب المال ، و العطب : الهلاك .

(2505) على ساق و سياق : أي قائمون على ساق استعدادا لما ينتظرون من آجالهم . و السياق مصدر ساق فلانا إذا أصاب ساقه ،

أي لا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينكبّوا للموت على وجوههم .

(2506) اللحاق للماضين ، و الفراق عن الباقين .

(2507) تحير المذاهب : حيرة الناس فيها .

(2508) المهارب جمع مهرب ،

مكان الهروب ، و المراد بقوله « أعجزت مهاربها » أنها ليست كما يرونها مهارب بل هي مهالك .

فقد أعجزتهم عن الهروب .

(2509) المحاول جمع محالة بمعنى الحذق وجودة النظر ، أي لم يفدهم ذلك خلاصا .

(2510) معقور : مجروح .

(2511) المجزور : المسلوخ أخذ عنه جلده .

(2512) الشلو بالكسر : هنا البدن كله .

(2513) المسفوح : المسفوك .

(2514) المرتفق بخدّيه ، واضع خديه على مرفقيه و مرفقيه على ركبتيه منصوبتين و هو جالس على أليتيه .

(2515) الزاري على رأيه : المقبّح له اللائم لنفسه عليه .

(2516) الغيلة : الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها .

(2517) لات حين مناص : أي ليس الوقت وقت التملص و الفرار .

(2518) البال : القلب و الخاطر . و المراد ذهبت الدنيا على ما تهواه لا على ما يريد أهلها .

(2519) منظرين : مؤخّرين ، من أنظره إذا أخّره و أمهله .

(2520) القاصعة : من قصع فلان فلانا :

أي حقّره ، لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين .

(2521) العصبية : الاعتزاز بالعصبة و هي قوم الرجل الذين يدافعون عنه ،

و استعمال قوتهم في الباطل و الفساد فهي هنا عصبية الجهل .

[521]

(2522) الحمى : ما حميته عن وصول الغير اليه و التصرف فيه .

(2523) اصطفاهما : اختارهما .

(2524) الرواء بضم ففتح : حسن المنظر (2525) العرف بالفتح : الرائحة .

(2526) أحبط عمله : أضاع عمله .

(2527) الهوادة بالفتح : اللين و الرخصة .

(2528) يعديكم بدائه : أي يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجرب السليم ، و الضمير لإبليس .

(2529) يستفزّكم : يستنهضكم لما يريد .

(2530) أجلب عليكم بخيله : أي ركبانه . و رجله : أي مشاته ،

و المراد أعوان السوء .

(2531) فوق السهم : جعل له فوقا ،

و الفوق موضع الوتر من السهم .

(2532) أغرق النازع : إذا استوفى مدّ قوسه .

(2533) النزع في القوس : مدّها .

(2534) الجامحة من « جمع الفرس » ،

و أراد بها هنا الطائفة التي لم تطعه .

(2535) الطماعية : الطمع .

(2536) نجمت من السر إلى الخفيّ : أي بعد أن كانت وسوسة في الصدور ،

و همسا في القول ، ظهرت إلى المجاهرة بالنداء و رفع الأيدي بالسلاح .

(2537) دلفت الكتيبة في الحرب : تقدمت .

(2538) اقحموكم : أدخلوكم بغتة (2539) الولجات جمع ولجة : بالتحريك كهف يستتر فيه المارة من مطر و نحوه .

(2540) أوطأه : أركبه .

(2541) إثخان الجراحة : المبالغة فيها ،

أي أركبوكم الجراحات البالغة ،

كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا .

(2542) الخزائم جمع خزامة ككتابة :

و هي خلقة توضع في وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام .

(2543) أورى : أي أشدّ قدحا للنار .

(2544) مناصبين : مجاهرين لهم بالعداوة .

(2545) متألّبين : مجتمعين .

(2546) حدّكم : غضبكم وحدتكم .

(2547) جدّكم بفتح الجيم : أي قطعكم ، يريد قطع الوصلة بينكم و بينه .

(2548) البنان : الأصابع .

(2549) حومة الشيء : معظمه و أشدّ موضع فيه . و أكثر ما يستعمل في حومة القتال و البحر و الرمل .

(2550) النخوة : التكبر و التعاظم .

(2551) النزعة : المرة من النزع بمعنى الافساد .

(2552) النفثة : النفخة .

(2553) المسلحة : الثغر يدافع العدو عنده و القوم ذو و السلاح .

(2554) أمعنتم : بالغتم (2555) المصارحة : التظاهر .

[522]

(2556) الملاقح جمع ملقح كمكرم :

الفحول التي تلقح الإناث و تستولد الأولاد .

(2557) الشنآن : البغض .

(2558) أعنقوا : من أعنقت الثريا :

غابت . أي غابوا و اختفوا .

(2559) الحنادس جمع حندس بكسر الحاء : الظلام الشديد .

(2560) المهاوي جمع مهواة : الهوة التي يتردى فيها الصيد .

(2561) الذلل جمع ذلول من الذل بالضم ضد الصعوبة ، و السياق هنا السوق .

(2562) سلس بضمتين جمع سلس ،

ككتف : و هو الشيء السهل .

(2563) الهجينة : الفعلة القبيحة المستهجنة .

(2564) الآلاء : النعم .

(2565) اعتزاء الجاهلية : تفاخرهم بأنسابهم ، كل منهم يعتزي أي ينتسب إلى أبيه و ما فوقه من أجداده .

(2566) الأدعياء جمع دعي : و هو من ينتسب إلى غير أبيه ، و المراد منهم الأخسّاء المنتسبون إلى الأشراف ، و الأشرار المنتسبون إلى الأخيار .

(2567) شربتم بصفوكم كدرهم :

أي خلطوا صافي إخلاصكم بكدر نفاقهم ، و بسلامة أخلاقكم مرض أخلاقهم .

(2568) آساس : بالمد جمع أساس دعامة الشيء .

(2569) الأحلاس جمع حلس بالكسر :

كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له ، فقيل لكل ملازم لشيء :

هو حلسه . و العقوق : العصيان .

(2570) النبل بالفتح : السهام .

(2571) المثلات بفتح فضم : العقوبات .

(2572) مثاوي جمع مثوى : بمعنى المنزل . و منازل الخدود : مواضعها من الأرض بعد الموت .

(2573) مصارع الجنوب : مطارحها على التراب .

(2574) لواقح الكبر : محدثاته في النفوس .

(2575) المخمصة : الجوع .

(2576) المجهدة : المشقة .

(2577) محض اللبن : تحريكه ليخرج زبده .

و المكاره تستخلص إيمان الصادقين و تظهر مزاياهم العقلية و النفسية .

(2578) الذهبان بكسر الذال : جمع ذهب .

(2579) العقيان : نوع من الذهب ينمو في معدنه .

(2580) سقط البلاء : أي الامتحان الذي به يتميز الخبيث من الطيب .

(2581) خصاصة : فقر و حاجة .

(2582) النتائق جمع نتيقة : البقاع المرتفعة . و مكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان .

[523]

(2583) المدر : قطع الطين اليابس . و أقل الأرض مدرا لا ينبت إلا قليلا .

(2584) دمثة : ليّنة يصعب السير فيها و الاستنبات منها .

(2585) وشلة كفرحة : قليلة الماء .

(2586) لا يزكو : لا ينمو . و الخفّ عبارة عن الجمال . و الحافر عبارة عن الخيل و ما شاكلها . و الظلف عبارة عن البقر و الغنم ، تعبير عن الحيوان بما ركبت عليه قوائمه .

(2587) ثنى عطفه اليه : مال و توجه اليه .

(2588) منتجع الأسفار : محل الفائدة منها .

نهاية حصر حالهم عن ظهور إبلهم .

(2590) تهوي : تسرع سيرا اليه . و المراد بالثمار هنا الأرواح .

(2591) المفاوز جمع مفازة : الفلاة لا ماء بها .

(2592) السحيقة : البعيدة .

(2593) المهاوي كالهوّات : منخفضات الأراضي .

(2594) الفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال .

(2595) مناكبهم : رؤوس أكتافهم .

(2596) الرمل : ضرب من السير فوق المشي و دون الجري .

(2597) الأشعث : المنتشر . الشعر مع تلبّد فيه .

(2598) الأغبر : من علا بدنه الغبار .

(2599) السرابيل : الثياب .

(2600) إعفاء الشعور : تركها بلا حلق و لا قص .

(2601) القرار : المطمئن من الأرض .

(2602) جمّ الأشجار : كثيرها .

(2603) البنى جمع بنية بضم الباء و كسرها : ما ابتنيته . و ملتفّ البنى : كثير العمران .

(2604) البرّة : الحنطة ، و السمراء :

أجودها .

(2605) الأرياف : الأراضي الخصبة .

(2606) العراص جمع عرصة : الساحة ليس بها بناء .

(2607) المغدقة : من « أغدق المطر » كثر ماؤه .

(2608) الإساس بكسر الهمزة جمع أسّ مثلثها ، أو أساس .

(2609) معتلج : مصدر ميمي من الاعتلاج : الالتطام . اعتلجت الأمواج : التطمت ، أي زال تلاطم الريب و الشك من صدور الناس .

(2610) فتحا بضمتين : أي مفتوحة واسعة .

(2611) تساور القلوب : تواثبها و تقاتلها .

(2612) أكدى الحافر : إذا عجز عن التأثير في الأرض .

(2613) أشوت الضربة : أخطأت المقتل (2614) الطمر بالكسر : الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف .

[524]

(2615) الأطراف : الأيدي و الأرجل .

(2616) عتاق الوجوه : كرامها ، و هو جمع عتيق ، من « عتق » إذا رقّت بشرته .

(2617) المتون : الظهور .

(2618) القمع : القهر .

(2619) النواجم : من « نجم » إذا طلع و ظهر .

(2620) القدع : الكف و المنع .

(2621) تليط و تلوط : أي تلصق .

(2622) المترف على صيغة اسم المفعول :

الموسع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات .

(2623) آثار مواقع النعم : ما ينشأ عن النّعم من التعالي و التكبر .

(2624) اليعاسيب جمع يعسوب :

و هو أمير النحل ، و يستعمل مجازا في رئيس القوم كما هنا .

(2625) الأخلاق الرغيبة : المرضيّة المرغوبة .

(2626) الأحلام : العقول .

(2627) الجوار بالكسر المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم .

(2628) الذمام : العهد .

(2629) المثلات : العقوبات .

(2630) تفاوت : اختلاف و تباين (2631) مدّت : انبسطت .

(2632) الفقرة بالكسر و الفتح كالفقارة بالفتح : ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب .

(2633) أوهن : أي أضعف .

(2634) المنّة بضم الميم : القوة .

(2635) التمحيص : الابتلاء و الاختبار .

(2636) المرار بضم ففتح : شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الإبل إذا أكلته ، و المراد هنا عصارته .

(2637) الأملاء جمع ملأ : بمعنى الجماعة و القوم . و الأيدي المترادفة المتعاونة .

(2638) أربابا : سادات .

(2639) غضارة النعمة : سعتها . و قصص الأخبار حكايتها و روايتها .

(2640) الاعتدال : هنا التناسب .

(2641) الاشتباه : هنا التشابه .

(2642) يحتازونهم : يقبضونهم عن الأراضي الخصبة .

(2643) المهافي : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب .

(2644) النكد بالتحريك : أي الشدة و العسر .

(2645) الدبر بالتحريك : القرحة في ظهر الدابة .

(2646) الوبر : شعر الجمال . و المراد أنهم رعاة .

(2647) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأووا اليه و يعتصموا بمناصرة دعوته .

(2648) بلاء أزل : على الاضافة .

و الأزل بالفتح : الشدة .

[525]

(2649) موؤودة : من « و أد بنته » كوعد : أي دفنها و هي حية .

(2650) شنّ الغارة : صبّها من كل وجه .

(2651) التفّت الملّة بهم : يقال التفّ الحبل بالحطب إذا جمعه ،

فملّة محمد (ص) جمعتهم بعد تفرقهم .

(2652) العوائد : ما يعود على الناس من الخيرات و النعم .

(2653) فكهين : راضين ، طيبة نفوسهم (2654) تربعت : أقامت .

(2655) القناة : الرمح . و غمزها : جسّها باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم و التعديل فيفعل بها ذلك .

(2656) الصفاة : الحجر الصلد . و قرعها :

صدمها لتكسر .

(2657) ثلمتم : خرقتم .

(2658) الموالاة : المحبة .

(2659) النكث : نقض العهد .

(2660) القاسطون : الجائرون عن الحق .

(2661) المارقة : الذين مرقوا من الدين أي خرجوا منه .

(2662) دوّخهم : أضعفهم و أذلهم .

(2663) الردهة بالفتح : النقرة في الجبل قد يجتمع فيها الماء . و شيطان الردهة : ذو الثديّة ، من رؤساء الخوارج وجد مقتولا في ردهة .

(2664) الصعقة : الغشية تصيب الإنسان من الهول .

(2665) وجبة القلب : اضطرابه و خفقانه .

(2666) رجّة الصدر : اهتزازه و ارتعاده .

(2667) لأديلنّ منهم : لأمحقنّهم ، ثم أجعل الدولة لغيرهم .

(2668) يتشذّر : يتفرّق .

(2669) الكلاكل : الصدور ، عبر بها عن الأكابر .

(2670) النواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة ، يريد بها أشراف القبائل .

(2671) عرفه بالفتح : رائحته الذكيّة .

(2672) الخطلة : واحدة الخطل ،

كالفرحة واحدة الفرح . و الخطل الخطأ ينشأ عن عدم الروية .

(2673) الفصيل : ولد الناقة .

(2674) علما : أي فضلا ظاهرا .

(2675) حراء بكسر الحاء : جبل على القرب من مكة .

(2676) تفيئون : ترجعون .

(2677) القليب كأمير البئر . و المراد منه قليب بدر .

(2678) القصف : الصوت الشديد .

(2679) عمّار جمع عامر : أي يعمرونه بالسهر للفكر و العبادة .

(2680) يغلّون : يخونون .

(2681) ملبسهم الاقتصاد : يلبسون الثياب بين بين لا هي بالثمينة جدا و لا الرخيصة جدا .

(2682) غضّوا أبصارهم : خفضوها و غمضوها .

[526]

(2683) نزّلت أنفسهم منهم بالبلاء :

أي أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله ، كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون و لا يهنون ، و إذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله و حذر النقمة ، كأنهم في بلاء لا يبطرون و لا يتجبّرون .

(2684) أربحت التجارة : أفادت ربحا .

(2685) الترتيل : التبيين و الإيضاح .

(2686) استثار الساكن : هيّجه . و قارىء القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل .

(2687) زفير النار : صوت توقّدها .

(2688) شهيق النار : الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء .

(2689) حانون على أوساطهم : من « حنيت العود » : عطفته ،

يصف هيئة ركوعهم و انحنائهم في الصلاة .

(2690) مفترشون لجباههم : باسطون لها على الأرض .

(2691) فكاك الرّقاب : خلاصها .

(2692) القداح جمع قدح بالكسر :

و هو السهم قبل أن يراش .

و يراه : نحته ، أي رقّق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت .

(2693) خولط في عقله : مازجه خلل فيه ، و الأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله .

(2694) مشفقون : خائفون من التقصير .

(2695) زكّي أحدهم : مدحه أحد الناس .

(2696) قصدا : أي اقتصادا .

(2697) التجمّل : التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر .

(2698) التحرّج : عدّ الشيء حرجا أي إثما ، أي تباعدا عن طمع .

(2699) استصعبت : لم تطاوعه .

(2700) منزورا : قليلا .

(2701) حريزا : حصينا (2702) الفحش : القبيح من القول .

(2703) في الزلازل : الشدائد المرعدة .

(2704) الوقور : الذي لا يضطرب .

(2705) لا ينابز بالألقاب : لا يدعو باللقب الذي يكره و يشمئز منه .

(2706) صعق : غشي عليه .

(2707) ذاد عنه : حمى عنه و طرد .

(2708) الغمرة : الشدة . و أصلها ما ازدحم و كثر من الماء .

(2709) الغصّة : الشجا في الحلق .

(2710) تلوّن : تقلب له الأدنون أى أي الأقربون فلم يثبتوا معه .

(2711) تألّب عليه الأقصون : اجتمع عليه الأبعدون (2712) الأعنّة : جمع عنان ، و هو حبل اللجام .

(2713) أسحق : أقصى .

(2714) الزّالّون : من زلّ أي أخطأ .

و المزلّون : من « أزلّة » إذا أوقعه في الخطأ .

(2715) يفتنّون : يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهبا واحدا .

(2716) يعمدونكم : يفدحونكم .

(2717) العماد : ما يقام عليه البناء .

(2718) المرصاد : محل الارتقاب .

(2719) يرصدونكم : يقعدون لكم بكل طريق و يعدون المكايد لكم .

(2720) دويّة : مريضة ، من الدّوى بالقصر و هو المرض .

(2721) الصفاح جمع صفحة : و المراد منها صفاح وجوههم ، و نقاوتها :

صفاؤها من علامات العداوة و قلوبهم ملتهبة بنارها .

(2722) يمشون الخفاء : يمشون مشي التستر .

(2723) يدبّون : أي يمشون على هينة دبيب الضراء : أي كما يسري المرض في الجسم .

(2724) الداء العياء بالفتح : الذي أعيا الأطباء و لا يمكن منه الشفاء .

(2725) حسدة : جمع حاسد ، أي يحسدون على السعة .

(2726) الصريع : المطروح على الأرض .

(2727) الشجو : الحزن ، أي يبكون تصنعا متى أرادوا .

(2728) يتقارضون : كل واحد منهم يثني على الآخر ليثني الآخر عليه ، كأن كلا منهم يسلف الآخر دينا ليؤديه إليه .

(2729) ألحفوا : بالغوا في السؤال و ألحّوا .

(2730) عذلوا : لاموا .

(2731) ينفقون : يروّجون . و أصله الثلاثي « نفق ينفق » من النفاق بالفتح : ضد الكساد .

(2732) الأعلاق جمع علق : الشيء النفيس ، و المراد ما يزينونه من خدائعهم .

(2733) يقولون فيشبّهون : أي ،

يشبهون الحق بالباطل .

(2734) يضلعون المضائق : يجعلونها معوجّة يصعب تجاوزها فيهلكون .

(2735) اللمة بضم ففتح : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة و المراد هنا مطلق الجماعة .

(2736) الحمة : بالتخفيف : الإبرة تلسع بها العقرب و نحوها .

(2737) المقل بضم ففتح : جمع مقلة ،

و هي شحمة العين التي تجمع البياض و السواد .

(2738) هماهم النفوس : همومها في طلب العلم .

(2739) طامسة : من طمس بفتحات ،

أي انمحى و اندرس .

(2740) صدع : أي جهر ، و أصلها شق بناء الباطل بصدمة الحق .

(2741) القصد : الاعتدال في كل شيء .

(2742) استفتحوه : اسألوه الفتح على أعدائكم .

(2743) استنجحوه : اسألوه النجاح في أعمالكم .

[528]

(2744) استمنحوه : التمسوا منه العطاء .

(2745) ثَلَمَ السيفَ : كسر جانبه : مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء .

(2746) الحباء ككتاب : العطية لا مكافأة . و استنفده : جعله نافد المال لا شيء عنده . و استقصاه :

أتى على آخر ما عنده .

(2747) لا يَلْويه : لا يميله .

(2748) تُولِهُهُ : تذهله .

(2749) يُجنّه : يستره .

(2750) دان : جازى و حاسب و لم يحاسبه أحد .

(2751) ذَرَأ : خلق .

(2752) الاحتيال : التفكر في العمل و طلب التمكن من إبرازه و لا يكون إلا من العجز .

(2753) الكلال : الملل من التعب .

(2754) الزمام : المقود .

(2755) قوام بالفتح : أي عيش يحيا به الأبرار .

(2756) الأكْنَان جمع كن بالكسر :

ما يستكن به .

(2757) الدَعَة : خفض العيش و سعته .

(2758) المعاقل : الحصون .

(2759) الحرز : الحفظ .

(2760) الصروم جمع صرمة بالكسر :

و هي قطعة من الإبل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين .

(2761) العشار جمع عشراء بضم ففتح كنفساء و هي الناقة ، مضى لحملها عشرة أشهر . و تعطيل جماعات الإبل : إهمالها من الرعي . و المراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه .

(2762) الشمّ جمع أشمّ : أي رفيع .

(2763) الشامخ : المتسامي في الارتفاع .

(2764) الصمّ جمع أصمّ : و هو الصلب المصمت ، أي الذي لا تجويف فيه .

(2765) الراسخ : الثابت .

(2766) الصلد : الصلب الأملس .

(2767) السراب : ما يخيله ضوء الشمس كالماء خصوصا في الأراضي السبخة و ليس بماء .

(2768) الرفرق كجعفر : المضطرب .

(2769) معهدها : المحل الذي كان يعهد وجودها فيه .

(2770) القاع : ما اطمأن من الأرض .

(2771) السملق كجعفر الصفصف المستوي ، أي تنسف تلك الجبال و يصير مكانها قاعا صفصفا : أي مستويا .

(2772) الشخوص : الذهاب و الانتقال إلى بعيد .

(2773) بائن : مبتعد منفصل .

(2774) تميد : تضطرب اضطراب السفينة (2775) تقصفها : تكسرها الرياح الشديدة .

[529]

(2776) الوبق بكسر الباء : الهالك ،

أي منهم من هلك عند تكسر السفينة ، و منهم من بقيت فيه الحياة فنجا .

(2777) تحفزه : أي تدفعه .

(2778) اللدن بالفتح : اللين .

(2779) المنقلب بفتح اللام : مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى في هذه الحياة .

(2780) أرهقه الشيء : أعجله فلم يتمكن من فعله .

(2781) الفوت : ذهاب الفرصة بحلول الأجل .

(2782) المستحفظون بفتح الفاء اسم مفعول ، أي الذين أودعهم النبي (ص) أمانة سره و طالبهم بحفظها .

(2783) المواساة بالشيء : الإشراك فيه ،

فقد أشرك النبي في نفسه .

(2784) تنكص : تتراجع .

(2785) النجدة بالفتح : الشجاعة .

(2786) الأفنية جمع فناء بكسر الفاء :

ما اتسع أمام الدار .

(2787) الهينمة : الصوت الخفي .

(2788) البصيرة : ضياء العقل .

(2789) المزلّة : مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة .

(2790) النينان جمع نون : و هو الحوت .

(2791) النجيب : المختار المصطفى .

(2792) مرمى المفزع : ما يدفع إليه الخوف ، و هو الملجأ : أي و إليه ملاجىء خوفكم .

(2793) الجأش : ما يضطرب في القلب عند الفزع ، أو التهيب ، أو توقع المكروه .

(2794) الشعار : ما يلي البدن من الثياب .

(2795) الدثار : ما فوق الشعار .

(2796) المنهل : ما ترده الشاربة من الماء للشرب .

(2797) الدرك بالتحريك : اللحاق .

(2798) الطلبة بفتح الطاء و كسر اللام :

المطلوب .

(2799) الجنّة بالضم : الوقاية .

(2800) الأوار بالضم : حرارة النار و لهيبها .

(2801) عزبت بالزاي : غابت و بعدت (2802) الإنصاف بكسر الهمزة : مصدر بمعنى الإتعاب .

(2803) تحدّب عليه : عطف .

(2804) نضب الماء نضوبا : غار و ذهب في الأرض . و نضوب النعمة :

قلتها أو زوالها . و وبلت السماء :

أمطرت مطرا شديدا .

(2805) أرذت بتشديد الذال إرذاذا :

مطرت مطرا ضعيفا في سكون كأنه الغبار المتطاير .

(2806) « أصفاه خيرة خلقه » :

آثر به أفضل الخلق عنده ، و هو خاتم النبيين .

[530]

(2807) محادّيه جمع محادّ :

الشديد المخالفة .

(2808) الركن : العز و المنعة .

(2809) تئق الحوض كفرح : امتلأ .

و أتأقه : ملأه .

(2810) المواتح جمع ماتح : نازع الماء من الحوض .

(2811) العفاء كسحاب : الدروس و الاضمحلال .

(2812) الجذّ : القطع .

(2813) الضنك : الضيق .

(2814) الوعوثة : رخاوة في السهل تغوص بها الأقدام عند السير فيعسر المشي فيه .

(2815) الوضح محركة : بياض الصبح .

(2816) العصل بفتح الصاد : الاعوجاج يصعب تقويمه .

(2817) وعث الطريق : تعسّر المشي فيه .

(2818) الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين .

(2819) أساخ : أثبت . و أصل ساخ غاص في لين و خاض فيه .

(2820) الأسناخ : الأصول . و غزرت :

كثرت .

(2821) شبّت النار : ارتفعت من الايقاد .

(2822) المنار : ما ارتفع لتوضع عليه نار يهتدى إليها .

(2823) السفّار بضم فتشديد : ذوو السفر ، أي يهتدي إليه المسافرون في طريق الحق .

(2824) الأعلام : ما يوضع على أوليات الطرق و أوساطها ليدل عليها .

(2825) مشرف المنار : مرتفعه .

(2826) معوذ المثار : من أعوذ بالذال كأعاذ بمعنى ألجأ . و المثار :

مصدر ميمي من ثار الغبار إذا هاج ،

أي لو طلب أحد إثارة هذا الدين لألجأه إلى مشقة لقوته و متانته .

(2827) الاطّلاع : الاتيان ، اطّلع فلان علينا : أي أتانا .

(2828) خشونة المهاد : كناية عن شدة آلام الدنيا .

(2829) أزف كفرح أي قرب ،

و المراد من القياد انقيادها للزوال .

(2830) الأشراط جمع شرط كسبب :

أي علامات انقضائها .

(2831) التصرّم : التقطع .

(2832) الانفصام : الانقطاع . و إذا انفصمت الحلقة انقطعت الرابطة .

(2833) انتشار الأسباب : تبددها حتى لا تضبط .

(2834) عفاء الاعلام : اندراسها .

(2835) خبت النار : انطفأت .

(2836) المنهاج : الطريق الواسع (2837) النهج هنا السلوك . و يضل رباعى .

أي لا يكون من سلوكه إضلال .

(2838) بحبوحة المكان : وسطه .

(2839) الرياض جمع روضة : و هي مستنقع الماء في رمل أو عشب .

[531]

(2840) الغدران جمع غدير : و هو القطعة من الماء يغادرها السيل .

(2841) الأثافي جمع أثفيّة : الحجر يوضع عليه القدر ، أي عليه قام الاسلام .

(2842) غيطان الحق جمع غاط أو غوط و هو المطمئن من الأرض .

(2843) لا ينزفه : لا يفنى ماؤه و لا يستفرغه المغترفون .

(2844) لا ينضبها كيكرمها : أي ينقصها . و الماتحون جمع ماتح :

نازع الماء من الحوض .

(2845) المناهل : مواضع الشرب من النهر .

(2846) لا يغيضها : « من غاض الماء » نقصه .

(2847) آكام جمع أكمة : و هو الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله ، و هو دون الجبل في غلظ لا يبلغ أن يكون حجرا .

(2848) يجوز عنها : يقطعها و يتجاوزها .

(2849) المحاجّ جمع محجّة : و هي الجادّة من الطريق .

(2850) الفلج بالفتح : الظفر و الفوز .

(2851) الجنّة بالضم : ما به يتقى الضرر .

(2852) استلأم : أي لبس اللأمة و هي الدرع أو جميع أدوات الحرب ،

أي ان من جعل القرآن لأمة حربه لمدافعة الشبه كان القرآن وقاية له .

(2853) قضى : حكم و فصل .

(2854) حتّ الورق عن الشجرة : قشره .

(2855) الربق بكسر الراء : حبل فيه عدة عرى كل منها ربقة .

(2856) الحمة بالفتح : كل عين ينبع منها الماء الحار و يستشفى بها من العلل .

(2857) الدرن : الوسخ .

(2858) نصبا بفتح فكسر : أي تعبا .

(2859) مغبون الأجر : منقوصة .

(2860) المدحوّة : المبسوطة .

(2861) مقترفون : أي مكتسبون .

(2862) الخبر بضم الخاء : العلم .

(2863) العيان بكسر العين : المعاينة و المشاهدة .

(2864) لا أستغمز مبني للمجهول :

أي لا أستتضعف بالقوة الشديدة .

و المعنى : لا يستضعفني شديد القوة . و الغمز محركه : الرجل الضعيف .

(2865) السخط : الغضب ، ضد الرضى .

(2866) خارت : صوتت كخوار الثور .

(2867) السكّة المحماة : حديدة المحراث إذا أحميت في النار فهي أسرع غورا في الأرض .

(2868) الخوّارة : السهلة اللينة .

(2869) يريد « بالتأسي » : الاعتبار بالمثال المتقدم .

(2870) الفادح : المثقل .

(2871) التعزّي : التصبر .

(2872) ملحودة القبر : الجهة المشقوقة منه .

[532]

(2873) و مسهد : أي ينقضي بالسهاد و هو السهر .

(2874) هضمها : ظلمها .

(2875) إحفاء السؤال : الاستقصاء فيه .

(2876) القالي : المبغض .

(2877) السئم : من السآمة : و هي الضجر .

(2878) مجاز : أي ممر إلى الآخرة .

(2879) العرجة : بالضم اسم من التعريج .

بمعنى حبس المطية على المنزل .

(2880) الكؤود : الصعبة المرتقى .

(2881) ملاحظ المنيّة : منبعث نظرها .

(2882) دانية : قزيبة .

(2883) نشبت : علقت بكم .

(2884) استظهروا : استعينوا .

(2885) نقمتما : أي غضبتما .

(2886) أرجأتما : أي أخرتما مما يرضيكما كثيرا لم تنظرا إليه .

(2887) الإربة بكسر الهمزة : الغرض و الطلبة .

(2888) الأسوة : ها هنا التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال . و كان ذلك قد أغضب القوم على ما روي .

(2889) العتبى : الرجوع عن الاساءة .

(2890) الارعواء : النزوع عن الغي و الرجوع عن وجه الخطأ .

(2891) لهج به : أولع به .

(2892) املكوا عني : أي خذوه بالشدة و أمسكوا به . و الهمزة وصلية .

فالمادة من الملك .

(2893) يهدّني : يهدمني .

(2894) نفس به كفرح : أي ضن به .

(2895) نهكته الحمى : أضعفته و أضنته .

(2896) أطلع الحقّ مطلعه : اظهره .

حيث يجب أن يظهر .

(2897) عديّ تصغير عدوّ .

(2898) يقدّروا أنفسهم : أي يقيسوا أنفسهم .

(2899) يتبيّغ : يهيج به الألم فيهلكه .

(2900) يتأثّم : يخاف الإثم .

(2901) يتحرّج : يخشى الوقوع في الحرج و هو الجرم .

(2902) لقف : تناول و أخذ عنه .

(2903) وهم : غلط و أخطأ .

(2904) لم يهم : لم يخطىء و لم يظن خلاف الواقع .

(2905) جنّب عنه : أي تجنب .

(2906) المتشابه من الكلام : هو ما لا يعلمه إلاّ الله و الراسخون في العلم .

و محكم الكلام : صريحه الذي لم ينسخ .

(2907) زخر البحر كمنع : زخورا ،

و تزخر : طمى و امتلأ .

(2908) المتقاصف : المتزاحم كأن أمواجه في تزاحمها يقصف بعضها بعضا ،

أي يكسر .

(2909) اليبس بالتحريك : اليابس (2910) فطر : خلق .

(2911) الأطباق : طبقات مختلفة في تركيبها

[533]

(2912) كانت الأطباق رتقا يتصل بعضها ببعض ، ففتقها سبعا و هي السموات وقف كل منها حيث مكنه الله على حسب ما أودع فيه من السر الحافظ له .

(2913) استمسكت بأمره : أي بأمر الله التكويني .

(2914) قامت على حدّه : أي حد الأمر الإلهي .

(2915) المراد من الأخضر ، الحامل للأرض و هو البحر .

(2916) المثعنجر بكسر الجيم : معظم لبحر و أكثر مواضعه ماء .

(2917) القمقام بفتح القاف و تضم :

البحر أيضا .

(2918) جبل : خلق .

(2919) الجلاميد : الصخور الصلبة .

(2920) النشوز جمع نشز بسكون الشين و فتحها و فتح النون : ما ارتفع من الأرض .

(2921) المتون جمع متن : ما صلب منها و ارتفع .

(2922) الأطواد : عطف على المتون و هي عظام الناتئات .

(2923) مراسيها : ما « رست » أي رسخت فيه .

(2924) قرارتها : ما استقرت فيه .

(2925) قوله « أنهد جبالها » الخ . كأن النشوز و المتون و الأطواد كانت في بداية أمرها على ضخامتها غير ظاهرة الامتياز و لا شامخة الارتفاع عن السهول ، حتى إذا ارتجت الأرض بما أحدثت يد القدرة الالهية في بطونها نهدت الجبال عن السهول فانفصلت كل الانفصال .

(2926) أساخ قواعدها : أي جعلها غائصة .

(2927) مواضع الأنصاب جمع نصب :

و هو ما جعل علما يشهد فيقصد .

(2928) قلّة الجبل : أعلاه . و أشهقها :

جعلها شاهقة : أي بعيدة الارتفاع .

(2929) أطال أنشازها : أي متونها المرتفعة في جوانب الأرض .

(2930) أرّزها بالتشديد ثبّتها .

(2931) تميد أي تضطرب و تتزلزل .

(2932) تسيخ كتسوخ : أي تغوص في الهواء فتنخسف .

(2933) لا يجري : المراد هنا أنه لا يسيل في الهواء .

(2934) تكركره : تذهب به و تعود .

(2935) الذوارف : جمع ذارفة ، من ذرف الدمع إذا سال .

(2936) شبه بالتحريك : أي مشابهة .

(2937) رهقة كفرح : غشيه .

(2938) الرتق : سدّ الفتق .

(2939) المفاتق : مواضع الفتق و هي ما كان بين الناس من فساد و في مصالحهم من اختلال .

(2940) ساور به المغالب : أي واثب بالنبي (ص) كل من يغالب الحق .

[534]

(2941) الحزونة : غلظ في الأرض .

(2942) نسخ الخلق : نقلهم بالتناسل عن أصولهم ، فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فرقا .

(2943) العاهر : من يأتي غير حلّة كالفاجر .

(2944) ضرب في الشيء : صار له نصيب منه .

(2945) العصم بكسر ففتح : جمع عصمة و هي ما يعتصم به . و عصم الطاعات : الإخلاص للّه وحده .

(2946) الكفاء بالكسر : الكافي أو الكفاية .

(2947) المستحفظين : بصيغة اسم المفعول :

الذين أودعوا العلم ليحفظوه .

(2948) الولاية : الموالاة و المصافاة .

(2949) الرويّة : فعلية بمعنى فاعلة : أي يروي شرابها من ظمأ التباعد و النفرة .

(2950) ريّة بكسر الراء و تشديد الياء الواحدة من الريّ : زوال العطش .

(2951) الريبة : الشك في العقائد .

(2952) عقد خلقهم : أي وصل خلقهم الجسماني و أخلاقهم النفسية بهذه الصفات . و أحكم صلتهما بها حتى كأنهما معقودان بها .

(2953) كتفاضل البذر ينتقى :

أي كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم و يمتازون عليهم كتفاضل البذر . فان البذر يعتنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان و يكون النوع صافيا لا يخالطه غيره ، و بعد التنقية يؤخذ منه و يلقى في الأرض ، فالبذر يكون أفضل الحبوب و أخلصها .

(2954) التهذيب هنا : التنقية .

(2955) التمحيص : الاختبار .

(2956) الكرامة : هنا النصيحة أي اقبلوا نصيحة لا ابتغي عليها أجرا إلا قبولها .

(2957) القارعة : داعية الموت أو القيامة تأتي بغتة .

(2958) المتحوّل بفتح الواو مشددة :

ما يتحول إليه .

(2959) معارف المنتقل : المواضع التي يعرف الانتقال إليها .

(2960) الحوبة بفتح الحاء : الإثم ،

و إماطتها : تنحيتها .

(2961) الدابر : بقية الرجل من ولده و نسله ، و أصل الدابر : الظهر ،

و كنى بقطعه عن الدواعي التي من شأنها قطع القوة و إبادة النسل .

(2962) الالتباس : الاختلاط .

(2963) التتابع : ركوب الأمر على خلاف الناس ، أراد به هنا الإسراع إلى الشر و اللجاجة .

(2964) تتكافأ : تتساوى .

(2965) أذلال الطريق : جمع ذلّ بكسر الذال : مجراه و وسطه .

و « جرت أمور الله اذلالها ، و على أذلالها » أي وجوهها .

(2966) السُنَن : جمع سنّة .

(2967) أجحف بالرعيّة : ظلمهم .

(2968) الإدغال في الأمر : إدخال ما يفسده فيه .

(2969) مَحَاجّ السُنَن : جمع محجّة ،

و هي جادّة الطريق و أوسطها .

(2970) لا يستوحش لعظيم : أي لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب ،

لتعودها على تعطيل الحقوق .

(2971) بفوق أن يعان . . . الخ » :

أي : بأعلى من أن يحتاج إلى الإعانة ، أي : بغنى عن المساعدة .

(2972) اقتحمته : احتقرته و ازدرته .

(2973) أصل « السخف » رقة العقل و غيره ،

أي ضعفه .

(2974) البلاء : هنا إجهاد النفس في إحسان العمل .

(2975) التقيّة : الخوف ، و المراد لازمه ،

و هو العقاب .

(2976) البادرة : الغضب .

(2977) المصانعة : المداراة .

(2978) أملك به مني : أي أشد ملكا مني .

(2979) أستعديك : أستعينك لتنتقم لي .

(2980) إكفاء الإناء : قلبه ، مجاز عن تضييع الحق .

(2981) الرافد : المعين .

(2982) الذابّ : المدافع .

(2983) ضننت : أي بخلت .

(2984) القذى : ما يقع في العين ، و أغضيت على القذى : غضضت الطرف عنه .

(2985) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم و نحوه ، يريد به غصة الحزن .

(2986) الشفار : جمع شفرة : حد السيف و نحوه . و وخز الشفار :

طعنها الخفيف .

(2987) العضّ على السيوف : كناية عن الصبر في الحرب و ترك الاستسلام .

(2988) الوتر : الثأر .

(2989) أتلعوا : أي رفعوا أعناقهم و مدوها لتناول أمر ، و هو مناواة أمير المؤمنين على الخلافة .

(2990) وقصوا : إي كسرت أعناقهم ،

دون الوصول إليه .

(2991) إحياء العقل : بالعلم و الفكر و النفوذ في الأسرار الإلهية .

(2992) إماتة النفس : بكفّها عن شهواتها .

(2993) الجليل : العظيم . و دق : أي صغر حتى خفي أو كاد . و المراد نحول بدنه الكثيف .

(2994) لطف غليظه : تلطفت أخلاقه وصفت نفسه .

(2995) تدافعته الأبواب : أي ما زال يتنقل من مقام إلى آخر من مقامات الكمال .

(2996) ألهاه عن الشيء : صرفه عنه باللهو أي صرفكم عن الله اللهو و التكاثر بمكاثرة بعضكم لبعض و تعديد كل منكم مزايا أسلافه .

[536]

(2997) المرام : الطلب بمعنى المطلوب .

(2998) الزور بالفتح : الزائرون .

(2999) ما أغفله : أي ما أشدّ غفلته (3000) استخلوهم : وجدوهم خالين .

(3001) المدّكر : مصدر ميمي من الادّكار بمعنى الاعتبار .

(3002) تناوشوهم : تناولوهم .

(3003) خوت : سقط بناؤها و خلت من أرواحها .

(3004) أحجى : أقرب للحجى أي العقل .

(3005) العشوة : ضعف البصر .

(3006) الخاوية : المنهدمة .

(3007) الربوع : المساكن .

(3008) الضّلال كعشّاق جمع ضال .

(3009) هام جمع هامة : أعلى الرأس .

(3010) تستنبتون : أي : تزرعون النبات في أجسادهم .

(3011) ترتعون : تأكلون و تتلذذون بما لفظوه ، أي طرحوه و تركوه .

(3012) بواك جمع باكية .

(3013) نوائح جمع نائحة .

(3014) سلف الغاية : السابق إليها . و غايتهم حد ما ينتهون إليه ، و هو الموت .

(3015) الفرّاط جمع فارط ، و هو كالفرط بالتحريك : متقدم القوم إلى الماء ليهيىء لهم موضع الشرب .

(3016) المناهل : مواضع ما تشرب الشاربة من النهر مثلا .

(3017) مقاوم : جمع مقام .

(3018) الحلبات جمع حلبة بالفتح :

و هي الدفعة من الخيل في الرهان .

(3019) السوق بضم ففتح جمع سوقة بالضم : بمعنى الرعية .

(3020) البرزخ : القبر .

(3021) الفجوات : جمع فجوة ،

و هي الفرجة ، و المراد منها هنا شق القبر .

(3022) ينمون : من النماء ، و هو الزيادة في الغذاء .

(3023) الضمار : ككتاب : المال لا يرجى رجوعه .

(3024) لا يحفلون بكسر الفاء : لا يبالون .

(3025) الرواجف جمع راجفة :

الزلزلة توجب الاضطراب .

(3026) يأذنون : يستمعون . و المصدر منه الأذن بالتحريك .

(3027) القواصف : من « قصف الرعد » اشتدت هدهدته .

(3028) آلافا جمع أليف : أي مؤتلف مع غيره .

(3029) صمّ يصمّ بالفتح فيهما : خرس عن الكلام . و خرس الديار : ألا يصعد الصوت من سكانها .

(3030) ارتجال الصفة : وصف الحال بلا تأمل .

(3031) صرعى : جمع صريع : أي هالك .

(3032) السبات بالضم : أي النوم .

(3033) بليت : رثّت و فنيت .

(3034) العرا جمع عروة : و هي مقبض الدلو و الكوز مثلا .

(3035) الجديدان : الليل و النهار .

(3036) يريد بالغايتين هنا : الجنة و النار .

(3037) المباءة : مكان التبوّء و الاستقرار ،

و المراد منها ما يرجعون إليه في الآخرة .

(3038) عيّوا : عجزوا .

(3039) العبر : جمع عبرة . و هي ما يعتبر به ، و يتخذ موعظة (3040) كلح : كمنع كلوحا : تكشّر في عبوس .

(3041) النواضر : الحسنة البواسم (3042) خوت : تهدمت بنيتها .

(3043) الأهدام جمع هدم بكسر الهاء : الثوب البالي أو المرقع .

(3044) تكاءده الأمر : أي شقّ عليه .

(3045) تهكّمت : المراد هنا تهدمت .

(3046) الربوع : اماكن الإقامة .

(3047) الصموت : جمع صامت ، و المراد بها القبور .

(3048) ارتسخ : مبالغة في رسخ ، و رسخ الغدير : نشّ ماؤه ، أي أخذ في النقصان و نضب .

(3049) الهوام : الديدان .

(3050) استكّت الاذن : صمّت .

(3051) خسفت عين فلان : فقئت (3052) ذلاقة الألسن : حدتها في النطق .

(3053) عاث : أفسد .

(3054) البلى : التحلل و الفناء .

(3055) سمّج الصورة تسميجا : قبّحها .

(3056) أشجان القلوب : همومها .

(3057) أقذاء العيون : ما يسقط فيها فيؤلمها .

(3058) الغمرة : الشدة .

(3059) الأنيق : رائق الحسن .

(3060) الغذيّ : اسم بمعنى المفعول أي مغذّى بالنعيم .

(3061) الربيب : بمعنى المربى ، ربّه يربّه أي رباه .

(3062) يتعلّل : يتشاغل .

(3063) السلوة : انصراف النفس عن الألم بتخيّل اللذة .

(3064) ضنا : أي بخلا .

(3065) غضارة العيش : طيبه .

(3066) شحاحة : بخلا و ضنا .

(3067) عيش غفول : وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئا يوجبها .

(3068) الحسك : نبات تعلق قشرته بصوف الغنم ، ورقه كورق الرجلة أو أدق ، و عند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب ،

و هو تمثيل لمسّ الآلام .

(3069) الحتوف : المهلكات ، و أصل الحتف : الموت .

(3070) كثب بالتحريك : أي قرب .

[538]

(3071) خالطه الحزن : مازج خواطره .

(3072) البثّ : الحزن .

(3073) النجيّ : المناجي .

(3074) الفترات : جمع فترة . و هي المدة من الزمن . و يريد بفترات العلل أوائل السقم و المرض و انحطاط القوة .

(3075) القارّ بتشديد الراء ، على وزن اسم الفاعل : هنا البارد .

(3076) اعتدل بممازج : أي طلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع .

(3077) معلّل المريض : من يسليه عن مرضه بترجية الشفاء .

(3078) تعايا أهله : اشتركوا في العجز عن وصف دائه .

(3079) هو لما به : أي هو مملوك لعلته فهو هالك .

(3080) الممنّي : مخيّل الأمنية .

(3081) الإياب : الرجوع .

(3082) أسى : جمع أسوة .

(3083) نوافذ الفطنة : ما كان من أفكار نافذة أي مصيبية الحقيقة .

(3084) عيّ : عجز لضعف القوة المحركة للسانه .

(3085) الغمرات : الشدائد . و يريد بها هنا سكرات الموت .

(3086) تعتدل على عقولهم : أي تستقيم عليها بالقبول و الإدراك .

(3087) الذكر : استحضار الصفات الإلهية .

(3088) جلاء : بالكسر من جلا السيف يجلوه إذا صقله و أزال منه صدأه .

(3089) الوقرة : ثقل في السمع .

(3090) العشوة : ضعف البصر .

(3091) الفترة بين العملين : زمان بينهما يخلوا منهما ، و المراد : أزمنة الخلو من الأنبياء مطلقا .

(3092) ناجاهم : أي خاطبهم بالإلهام .

(3093) استصبح : أضاء مصباحه .

(3094) الأدلة : الذين يدلون المسافرين على الطريق .

(3095) الفلوات : المفازات و القفار (3096) أخذ القصد : ركب الاعتدال في سلوكه .

(3097) هتف به كضرب : صاح و دعا . و هتفت الحمامة : صاتت .

(3098) القسط : العدل .

(3099) يأتمرون به : يمتثلون الأمر .

(3100) العدات جمع عدة بكسر ففتح مخفف : الوعود .

(3101) مقاوم جمع مقام : مقاماتهم في خطاب الوعظ .

(3102) الدواوين جمع ديوان : و هو مجتمع الصحف . و الدفتر : ما يكتب فيه أسماء الجيش و أهل الأعطيات .

(3103) الأوزار جمع وزر : الحمل و يراد بها هنا الذنوب .

[539]

(3104) نشج الباكي : ينشج كضرب يضرب نشيجا : غصّ بالبكاء في حلقه .

(3105) النحيب : أشد البكاء . و تجاوبوا به : أجاب بعضهم بعضا يتناحبون .

(3106) عجّ : يعجّ كضرب و مل :

صاح و رفع صوته ، فهم يصيحون في مواقف الندم و الاعتراف بالخطا .

(3107) تنسّم النسيم : تشمّمه . و الروح بالفتح : النسيم ، أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له (3108) الأسى : الحزن .

(3109) المنادح جمع مندوحة : و هي كالندحة بالضم و الفتح و المنتدح :

بفتح الدال المتسع من الأرض .

(3110) دحضت الحجّة : كمنع :

بطلت .

(3111) أبرح جهالة بنفسه إي أعجبته نفسه بجهالتها .

(3112) بلّ مرضه : يبلّ كقل يقل :

بلولا : حسنت حاله بعد هزال .

(3113) ضحا ضحوا : برز في الشمس .

(3114) يمضّ جسده : يبالغ في نهكه .

(3115) بيات نقمة : أي أن تبيت بنقمة من الله ورزية تذهب بنعيمك و قد وقعت بمعاصيه .

(3116) الكرى : بالفتح و القصر : النوم .

(3117) تمثّل : تصور .

(3118) توليك : إعراضك .

(3119) يتغمدك : أي يغمرك و يسترك .

(3120) طرف عينه كضرب : أطبق جفنيها . و المراد من المطرف اللحظة يتحرك فيها الجفن .

(3121) كاشفتك العظات : بالنصب على نزع الخافض : أظهرت لك العظات أي المواعظ .

(3122) آذنتك : أعلمتك على عدل .

(3123) رب ناصح لها عندك متّهم :

رب حادث من حوادثها يلقي إليك النصيحة بالعبرة فتتّهمه و هو مخلص .

(3124) تعرفتها : طلبت معرفتها و عاقبة الركون إليها .

(3125) الشحيح بك : البخيل بك على الشقاء و الهلكة .

(3126) وطّنه بالتشديد : اتخذه وطنا .

(3127) الراجفة : النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نسفا .

(3128) حقّت القيامة : وقعت و ثبتت بعظائمها .

(3129) المنسك بفتح الميم و السين :

العبادة أو مكانها .

(3130) لم يجز من الجزاء : مبني للمجهول و نائب فاعله « خرق بصر » و « همس قدم » ، أي لا تجازى لمحة البصر تنفذ في الهواء و لا همسة القدم في الأرض إلا بحق ، و ذلك بعدل الله .

(3131) تحرّ : من التحري ، أي اطلب ما هو أحرى و أليق .

[540]

(3132) تيسر : تأهب .

(3133) شام البرق : لمحه .

(3134) رحل المطية : وضع عليها رحلها للسفر .

(3135) كأنه يريد من « الحسك » الشوك .

و السعدان : نبت ترعاه الإبل له شوك تشبه به حلمة الثدي .

(3136) المسهّد من سهّده : إذا أسهره و المصفّد : المقيّد .

(3137) قفولها : رجوعها .

(3138) الثرى : التراب .

(3139) أملق : افتقر أشدّ الفقر (3140) استماحني : استعطاني (3141) البرّ : القمح .

(3142) شعث جمع أشعث : و هو من الشعر المتلبد بالوسخ .

(3143) الغبر بضم الغين : جمع أغبر متغير اللون شاحبه .

(3144) العظلم كزبرج : سواد يصبغ به قيل هو النيلج أي النيلة .

(3145) القياد : ما يقاد به كالزمام .

(3146) الدنف بالتحريك : المرض .

(3147) الميسم بكسر الميم و فتح السين :

المكواة .

(3148) ثكل كفرح : أصاب ثكلا بالضم ، و هو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . و الثواكل : النساء .

(3149) لظى : اسم جهنم .

(3150) الملفوفة : نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ .

(3151) شنئتها أي : كرهتها .

(3152) الصلة : العطية .

(3153) هبلتك بكسر الباء : ثكلتك ،

و الهبول بفتح الهاء : المرأة لا يعيش لها ولد .

(3154) أمختبط في رأسك : أمختل نظام إدراكك ؟

(3155) ذو جنّة : من أصابه مس من الشيطان .

(3156) تهجر : أي تهذي بما لا معنى له في مرض ليس بصرع .

(3157) جلب الشعيرة بضم الجيم :

قشرتها . و أصل الجلب غطاء الرحل فتجوز في إطلاقه على غطاء الحبة .

(3158) قضمت الدابة الشعير من باب علم : كسرته بأطراف أسنانها .

(3159) سبات العقل : نومه . و الزلل :

السقوط في الخطأ .

(3160) صيانة الوجه : حفظه من التعرض للسؤال .

(3161) اليسار : الغنى .

(3162) بذل الجاه : إسقاط المنزلة من القلوب .

(3163) الإقتار : الفقر .

(3164) النزّال بالضم و تشديد الزاي جمع نازل .

(3165) متصرفة : متنقلة متحولة .

(3166) مستهدفة بكسر الدال منتصبة مهيّأة للرمي .

[541]

(3167) الحمام بالكسر : الموت .

(3168) بعد الآثار : طول بقائها بعد ذويها .

(3169) راكدة : ساكنة . و ركود الريح :

كناية عن انقطاع العمل و بطلان الحركة .

(3170) آثارهم عافية : أي مندرسة .

(3171) النمارق جمع نمرقة : تطلق على الوسادة الصغيرة و على الطنفسة أي البساط و لعله المراد هنا .

(3172) الممهّدة : المفروشة .

(3173) لطأ بالأرض كمنع و فرح : لصق .

(3174) الملحدة من ألحد القبر جعل له لحدا أي شقا في وسطه أو جانبه .

(3175) فناء الدار بالكسر : ساحتها و ما اتسع أمامها .

(3176) الكلكل : هو صدر البعير .

(3177) البلى بكسر الباء : أي الفناء (3178) الجنادل : الحجارة .

(3179) الثرى : التراب (3180) ارتهنكم ذلك المضجع :

أي لقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم و حبستم في ذلك المضجع كما يحبس الرهن في يد المرتهن .

(3181) تناهى به الأمر : وصل إلى غايته .

و المراد انتهاء مدة البرزخ (3182) بعثرت القبور : قلب ثراها و أخرج موتاها .

(3183) تبلوه : تخبره فتقف على خيره و شره .

(3184) آنس : أشد أنسا .

(3185) الملهوف : المضطر يستغيث و يتحسر .

(3186) فهه كفرح : عيّ فلم يستطع البيان (3187) الطلبة بكسر الطاء : المطلوب .

(3188) المراشد : مواضع الرشد .

(3189) النكر بالضم : المنكر .

(3190) البدع بالكسر : الأمر يكون أولا ، أي الغريب غير المعهود .

(3191) لله بلاء فلان : أي لله ما فعل من الخير .

(3192) قوّم الأود : عدل الاعوجاج .

(3193) العمد بالتحريك : العلة .

(3194) خلّف الفتنة : تركها خلفا ، لا هو أدركها و لا هي أدركته .

(3195) متشعبّة : متباينة مختلفة .

(3196) التداكّ : الازدحام كأن كل واحد يدك الآخر أي يدقه .

(3197) الهيم : أي العطاش جمع هيماء كعيناء و عين .

(3198) هدج : مشى مشية الضعيف في ارتعاش .

(3199) حسرت : كشفت عن وجهها .

(3200) الكعاب كسحاب : الجارية حين يبدو ثديها للنهود و هي الكاعبة .

(3201) الملكة بالتحريك : كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله و يستحوذ عليه .

(3202) الهلكة بالتحريك : الهلاك .

[542]

(3203) بادروا : أي اسبقوا .

(3204) عمرا ناكسا : أي يقلبكم من الحياة إلى الموت .

(3205) الحابس : المانع من العمل .

(3206) الخالس : الخاطف .

(3207) طيّاتكم : جمع طيّة بالكسر :

منزل السفر . و المراد ان السفر يباعد رحيل القوم .

(3208) القرن بالكسر : الكفؤ في الشجاعة .

(3209) الواتر : الجاني .

(3210) أعلقتكم الحبائل : أوقعتكم فيها فاقتنصتكم ، و هي جمع حبالة :

المصيدة من الحبال .

(3211) تكنفتكم : أحاطتكم .

(3212) غوائله : دواهيه و مصائبه .

(3213) قصده : رماه بسهم فأصاب مقتله .

(3214) المعابل جمع معبلة كمكنسة بكسر الميم : و هي النصل الطويل العريض .

(3215) العدوة بالفتح : العدوان .

(3216) النبوة بالفتح : أن يخطىء في الضربة فلا يصيب .

(3217) يوشك : يقرب .

(3218) تغشاكم : تحيط بكم .

(3219) الدواجي جمع داجية : أي مظلمة .

(3220) الظلل جمع الظلة أي السحابة .

(3221) الاحتدام : الاشتداد .

(3222) الحنادس : جمع حندس بكسر الحاء و الدال : الظلمة الشديدة .

(3223) الغمرات : الشدائد .

(3224) إرهاقه بالراء أي : إعجاله ،

من أرهقه إذ أعجله .

(3225) الدجوّ : الإظلام (3226) أطباقه : جمع طبق ، و يراد به تكاثف الظلمات طبقا فوق طبق .

(3227) الجشوبة : غلظ الطعام و خشونته .

(3228) النجيّ : القوم يتناجون .

(3229) النديّ : الجماعة يجتمعون للمشاورة .

(3230) عفى الآثار : محاها .

(3231) التراث : الميراث .

(3232) الحميم : الصديق .

(3233) الدرّة بالكسر : اللبن .

(3234) الغرّة بالكسر : الغفلة .

(3235) أخلقوا جدّتها : جعلوا جديدها قديما خلقا .

(3236) الأجداث : القبور .

(3237) يحفلون : يبالون .

(3238) ملبسة نزوع : ما ألبست إلا نزعت لباسها عمن ألبسته .

(3239) يركد : يسكن .

(3240) بادر المحذور : سبقه فلم يصبه .

(3241) تقلّب أبدانهم : أي تتقلب ،

أي أن أبدانهم و هي في الدنيا تتقلب بين أظهر أهل الآخرة ، و هو بين ظهرانيهم أي بينهم حاضرا ظاهرا .

(3242) صدع : جهر ، و أصل الصدع الشق .

(3243) لمّ الصدع : لحم المنشق فأعاده إلى القيام بعد الإشراف على الانهدام .

(3244) الفتق : نقض خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض ، و الرتق :

خياطتها ليعود ثوبا .

(3245) الواغرة : الداخلة .

(3246) القادحة في القلوب : كأنها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمقدحة .

(3247) الفيء : الأصح فيه كما قال الشافعي و غيره أنه مختص بما أخذ من مال الكفار بغير قتال .

(3248) الجلب : المال المجلوب . و جلب أسيافهم : ما جلبته أسيافهم و ساقته إليهم .

(3249) شركه كعلمه : شاركه .

(3250) الجناة بفتح الجيم : ما يجنى من الشجر : أي يقطف .

(3251) بضعة : قطعة .

(3252) تنشّبت العروق : علقت و ثبتت .

و المراد من العروق الأفكار العالية و العلوم السامية .

(3253) تهدّلت : أي تدلت علينا فأظلتنا .

(3254) كلّ لسانه : نبا عن الغرض .

(3255) عارم : شرس سيىء الخلق .

(3256) مماذق : يمزج وده بالغش .

(3257) طينهم : جمع طينة ، يريد عناصر تركيبهم . (3258) الفلقة بكسر الفاء : القطعة من الشيء .

(3259) سبخ الأرض : مالحها .

(3260) الرواء بالضم و المد : حسن المنظر .

(3261) مادّ القامة : طويلها .

(3262) القعر يريد به قعر البدن : أي أنه قصير الجسم لكنه داهي الفؤاد (3263) الضريبة : الطبيعة .

(3264) الجليبة : ما يتصنعه الإنسان على خلاف طبعه .

(3265) الأنفذنا : أي لأفنينا .

(3266) الشؤون : منابع الدمع من الرأس .

(3267) لكان الداء مماطلا : مماطلا بالشفاء .

(3268) الكمد : الحزن ، و محالفته :

ملازمته .

(3269) قلاّ : فعل ماض متصل بألف التثنية ، أي مماطلة الداء و محالفة الكمد قليلتان لك .

(3270) العرج بالتحريك : موضع بين مكة و المدينة .

(3271) نفس البقاء بالتحريك : أي سعة البقاء .

(3272) صحف الأعمال منشورة : أي لكتابة الصالحات و السيئات .

(3273) بسط التوبة : قبولها .

(3274) المدبر : أي المعرض عن الطاعة يدعى إليها .

[544]

(3275) خمود العمل : انقطاعه بحلول الموت .

(3276) صعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة (3277) منظور : أي ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيعفو عن تقصيره و يثيبه على عمله .

(3278) زمّها : قادها بقيادها .

(3279) الجفاة بضم الجيم : جمع جاف أي غليظ فظ .

(3280) الطغام : كسحاب : أوغاد الناس و العبيد كناية عن رديئي الأخلاق .

(3281) الأقزام : جمع قزم بالتحريك أرذال الناس جمعوا من كل أوب اي ناحية .

(3282) الشوب : الخلط ، كناية عن كونهم أخلاطا ليسوا من صراحة النسب في شيء .

(3283) قطعوا أوتاركم : أي قطعوا أوتار القسي .

(3284) شيموا سيوفكم : أغمدوها و لا تقاتلوا . و قواصي الإسلام : أطرافه .

و رمي الصّفاة بفتح الصاد كناية عن طمع العدو فيما باليد . و أصل الصفاة الحجر الصلد .

(3285) ولائج : جمع وليجة ، و هي ما يدخل فيه السائر اعتصاما من مطر أو برد أو توقيا من مفترس .

(3286) نصاب الحق : أصله ، و الأصل في معنى النصاب مقبض السكين ،

فكأن الحق نصل ينفصل عن مقبضه و يعود إليه .

(3287) انزاح : زال .

(3288) انقطاع لسان الباطل عن منبته :

بكسر الباء : أي عن أصله ، مجاز عن بطلان حجته و انخذاله عند هجوم جيش الحق عليه .

(3289) عقل الوعاية : حفظ في فهم و الرعاية : ملاحظة أحكام الدين و تطبيق الأعمال عليها و هذا هو العلم بالدين .

(3290) الهتف : مصدر هتف يهتف إذا نادى .

(3291) نضح الجمل الماء : حمله من بئر أو نهر ليسقي به الزرع فهو ناضح . الغرب بفتح فسكون :

الدلو العظيمة ، و الكلام تمثيل للتسخير .

(3292) مستأديكم : طالب منكم أداء شكره .

(3293) ممهلكم : معطيكم مهلة .

(3294) أصل المضمار المكان : تضمرّ فيه الخيل أي تحضر للسباق . و هو هنا كناية عن مدة العمر .

(3295) لتتنازعوا سبقه : أي تتنافسوا في سبقه . و السبق بالتحريك الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم و هو هنا الجنة .

[545]

(3296) العقد : جمع عقدة . و المآزر .

جمع مئزر . و شدّ عقد المآزر :

كناية عن الجد و التشمير .

(3297) اطووا فضول الخواصر : أي ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه حتى تخفّوا في العمل و لا يعوقكم شيء عن الإسراع في عملكم .

(3298) لا تجتمع عزيمة و وليمة : أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذائذ .

(3299) الظلم : جمع ظلمة ، متى دخلت محت تذكار الهمة التي كانت في النهار .